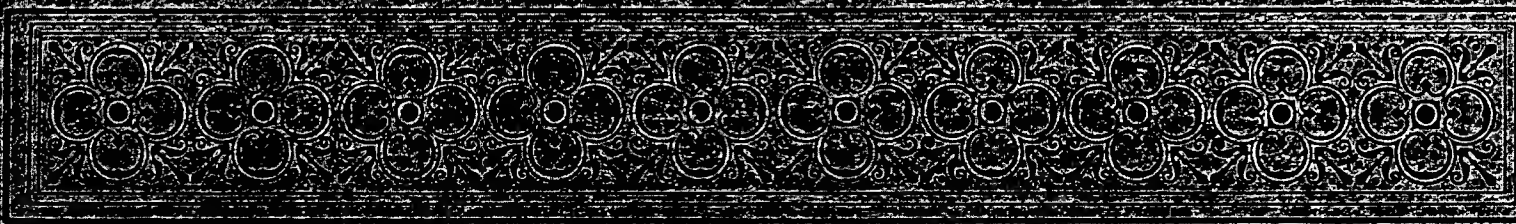


PLATE

II



PLATE



٩٤٣٠٥٦٥  
٤٣٩٧  
٢٨

عبد بن الحليم  
رئيس الوزراء السوري السابق

جبر الرحمن (الشيخ) بنبر  
عبد بن جبر بن جبر

٢٨

الدار المجددة للنشر  
البيروت والعمارة والمطبعة

والله

الى ارواح شهدائنا الأبرار، الذين ضحوا بحياتهم في سبيل أممتهم  
وبلادهم، طيب الله مثواهم وسقى القيت ثراهم ويسر لنا اليسر على  
هملتهم.

عبد الرحمن الخالدي

مفتي الديار المقدسة والقدس الشريف

مخيم

للإمامين والفقهاء

٩٢ شارع قطر رصيفة - بيروت - لبنان  
ص ٣٩٨٠٠٩ - ١١/٨ - هاتف: ٣٩٨٠٠٠ - ٣٩٨٠٠١

الطبعة الأولى  
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

فقط



## تلاوة

لما كان الأخ الكريم الأستاذ فوزت المملوك يعلم ما ينبغي ما ينبغي وبين الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من صداقة مؤثرة المروى ، واني اعرف عنه بحكم هذه الصداقة ما لا يعرفه غيري ، فقد اقترح علي وهو من محبيه وانصاره المجيبين به أن أصبح حياة الفقيه الكبير كديبا يكون نبراساً يهتدي به أبناء وطنه وسفرا يطالعون فيه مربي كفاحه ونفسياته في سبيل أمته وبلاده خصوصاً وقد مضى على وفاته أربعة وثلاثون عاماً كاد الناس ينسون فيها صادق جهاده وعظيم شخصيته .

على أن الأستاذ المملوك لم يقترح علي القيام بهذا الواجب الا بعد ان يشئ من حشهم عليه وكان يرى أنهم أولى به كما علمت منه .

وفي الحق أن الزعيم الخالد كان أخي بالروح ، وزعمي في العمل الوطني ، وامامي الذي كنت أقدي به في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة ، فقد صحبته عشرين عاماً وقتت خلالها على سيره وسيرته وحتى على سيرته .

نعم وقتت على سيره الميء بالجوية والنشاط سعياً وراء حرية بلاده التي علا صوته في الدفاع عنها وركب الأخطار في سبيلها ، وعلى سيرته العطرة التي امتازت بحكام الأخلاق وحيد الصفات والتي كان فيها رسول فضائل وداعية اصلاح ، وعلى سيرته النقية الطاهرة التي ترفعت عن الدنيا وانطوت على حب الخير لجميع الناس .

لذلك كم كان يسعدني بل ويشرفني أن أقوم بهذا العمل الوطني والواجب الأخوي عن حياة صديق حميم وزعيم كبير حافلة بجلائل الأعمال وعظيم

الدهر الى بحره، وكان يعتقد أنها على موعد مع المستقبل، وأنها مصممة على انجاز هذا الموعد رغم طول الشقة ووعورة الطريق. فصمم على القيام بواجبه نحوها، وعلى التجرد للالتزامات التي فرضتها عليه عقيدته فيها، فبذل ككل زعيم خلص اطماعه، ونذر هذه العقيدة نفسه، ولم يتخذ العمل في سبيلها تجارة أو لهما).

وإذا كان هناك من يكيد له، ويسعى وراء تكيس اعلامه، ويتأمر حقدًا وحسدًا على حياته، فإن المؤرخين الذين يكتبون سير عطاء الرجال هم وحدهم الذين يعرفون ما يكتبون عن الزعيم الخالد وأبي الأحرار المجاهد. نعم هؤلاء المؤرخون الذين يتصفون بالشهيد ويعولون عنه كيف كان زعيم شعب ومؤسس نهضة، وكثل فكرة، ورسول وحدة، ومقدد أمل. وكيف كان حقا ابن قبيلة ومعلم جيله، ورحم الله من تمثله وهو يدخل الجنة وقال:

أقبل على الخلد مضفورا لك الغار واهنأ فأنبت احسايت واخبار  
نم في الفسريج أبا الأحرار في دعة تاريخك الضمخ للأجيال أنشار  
طيب الله مثواه، وسقى النيث ثراه، ويسر طله الأمة من يسر على خطاه.

هذا ولا يعني وأنا أختتم كلمتي هذه الا أن أقدم خلاص شكرني وامتناني الى السادة الأفاضل الأستاذ احمد فؤاد القضاة تقيي المجاهدين السابق، والأستاذ فوزت الملوك النائب السابق، والأستاذ نصوح بايل صاحب الأيام، وتيسر ظيان صاحب الجزيرة، والأستاذ رفيع حداد صاحب مكتبة المثني، والسيد سهام النرجان الوطني الصامت. على ما امدوني به في اعداد هذا الكتاب من معلومات وأبدوا من ملاحظات وقدموا من معونات.

والحمد لله أولاً وآخراً

حسن الحكيم

دمشق الأحد ١٥ شبان ١٣٩٤ / ١ أيلول ١٩٧٤

التفصيات لولا أن تاريخه الضمخ يحتاج الى كتاب ضخم وهذا يحتاج الى الكثير من البحث والاستقصاء وجمع المعلومات الأمر الذي لم تعد صحي تقوى على احتماله خصوصاً وقد بلغت الثامنة والثمانين من العمر وأصبحت على شفا حفرة من القبر. بيد أن هذا لم يمنعني من وضع صفحة على الأقل من حياة فقيده الوطن والعروبة بصحائف معدودة معها كلغني الأمر وهذا ما فعلت وقد ضمنت هذه الصحائف:

موجز ترجمة حياة الزعيم.

ما كان يتحل به من صفات الرعاية.

خارج من مقالاته وخطبه وكلماته.

وصف الاستقبال الرائع الذي استقبله به الشعب السوري يوم عودته وانخراؤه الى الوطن بعد طول اغتراب.

موقف الزعيم من مشروع معاهدة ١٩٣٦ وذيولته وخلافه مع رجال الحكم بسببها. حادث اغتياله ومركب تنسيع جثمانه وما قيل في حقلة ثابته.

مرافعات اخوانه واصدقائه في محاكمة قتلته.

بماذا كان خصومه يتهمونته.

مقالاتي في جريدة الأيام للنراء في بعض سني ذكراه، بتمجيده، واطرائي فيها واسع علمه، وفصيح بيانه، وصديق كفاحه وجهاده، وما كان يتحل به من مناقب ومواهب، وحكمة وفضائل، وما تحمل في سبيل حرية بلاده من أذى واضطهاد، من نقي وسجن واغتراب، وما الى ذلك من عبقريه فذة وصفات نبيلة جعلت منه علما من أعلام الأمة العربية ولا أكون مبالغا إذا قلت انه يصعب على البلاد وألم الحق أن تتجيب في مدى عشرات السنين شخصية مثل شخصيته.

وسمعتني بهذه المناسبة أن أكرر هنا ما كنت كتبت عنه في الجزء الأول من مذكراتي:

(كان زعيما يعمل للأجيال القادمة، لا سياسيا يعمل للانتخابات القادمة، وكان كبير الثقة بأهله، كبير الايمان بأمسيها اللامع الذي لا يتطلع

## الشهيد

كان الشهيد رحمه الله

متمكنا من اللغة العربية تمكنا عزّ على الشبه والتضير في ذلك الزمان، حتى بين من كان مختصاً فيها ومنصرفاً اليها...

فلقد كان يخطب بها... ولعله كان أخطب الناس بها، وكان وهو يخطب آية من آيات البلاغة والسحر.

ظافر القاسمي

في كتابه ( وثائق جديدة عن الثورة السورية )

وتتابعنا الحفلات للزعيم... وأخذ يلقي في كل يوم خطاباً أو خطباً... جديدة الموضوع... جديدة الألفاظ... حسبه وهو يتحدث... كانه يقرأ من كتاب.

أما في خطبه... فحسبه يجب من بحر لا ساحل له... التي أربعين خطاباً في واحد وعشرين يوماً متتابعات... فلم يخص عليه المحصون فيها كلها لجنة واحدة...

ولم يحدوا فكرة واحدة معادة...

ولا رأياً مكرراً

كان ذلك آية الله في خلقه

والله في خلقه شؤون

فسيحان الذي علم بالقلم... علم الإنسان ما لم يعلم

المتعطف

الغرفة للهدوء

بنية من حجارة الزمير

## نبذة عن حياة المرحوم

هو ابن المرحوم السيد صالح التهبندر ، وعائلة التهبندر عائلة عريقة مشهورة في سورية والعراق .

ولد تقديسه الله بوسع رحته في دمشق في ٢٢ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ / ٦ تشرين الثاني ١٨٧٩ م ، وتلقى علومه الابتدائية في مدارس الحكومة فيها ، ثم دخل الجامعة الأميركية في بيروت ونال عام ١٩٠١ شهادتها العلمية ، وكان الخطيب السنوي للجمعية العلمية العربية ، فالتقى في قاعة المدرسة خطابا في ( التقليد الاجتماعي والديني ) حمل فيه على الجمرد بأنارعه جملة شعراء ، وعاد الى دمشق فانضم عضوا عاملا الى الحلقة الاصلاحية التي كان على رأسها العلامة الكبير المرحوم الشيخ طاهر الجزائري ، وبناء على حدوث حوادث وتطورات علمية واجتماعية وسياسية آتت في البلاد ، اقتيد المرحوم على أثرها الى المحاكم بتهمة أنه أحد الذين اشتهروا في تأليف رسالة موضوعها ( الفقه والتصوف ) وبأنه أحد الذين كتبوا في المقطم في موضوع ( خلافة السلطان عبد الحميد الثاني ) ولكن صغر سنه انقذه يومئذ من السجن وربما من الموت .

وفي عام ١٩٠٢ عاد الى الجامعة الأميركية وعكف على دراسة الطب مدة أربع سنوات ، كان الأول في صفه في كل منها ، وفي ختام هذه المدة أي في عام ١٩٠٦ نال شهادة امتازة في الطب لم ينالها أحد قبله ، وكان خطيب السنة أيضا ، فالتقى خطابا علميا صرفا موضوعه ( التساهل ) حمل فيه على التعصب جملة عمالة لحملته على ( التقليد ) حتى ان التهبندين الكريين عبد الوهاب الانكليزي وشكري العسلي قصدا خصيصا الى بيروت لسماع هذه الخطبة وقد أغرورقت أعينها بالدموع لتأثرهما بها ، وللامتيازات التي نالها المرحوم من الجامعة وقد عديته

بعد معركة ميسلون التي اعقبت انذار الجنرال غور و اضطر الى مغادرة البلاد الى القاهرة، وعندما عاد الى دمشق في تموز ١٩٢١ اخذ في تنظيم الأعمال السياسية لمقاومة الاحتلال الفرنسي، ثم انتهر فرصة زيارة المستر كراين لدمشق في أول نيسان عام ١٩٢٢ فأحدث بالاتفاق مع صديقيه الحميمين حسن الحكيم وسعيد حيدر وغيرهما من كرام الوطنين الحادثة المعروفة باسم (حادثة المستر كراين أو أول صرخة في البلاد ضد المستعمر الغاصب) والتي انتهت بالحكم عليهما وعلى بعض اخوانها بالاعتقال مددا تراوح بين الخمس سنوات والعشرين سنة وكانت العشرين من نصيب الدكتور الطليح والى نفيهم بعد صدور الحكم الى بيت الدين ثم الى جزيرة أرواد حيث قضوا فيها وفي دمشق نحو تسعة عشر شهرا، ولما أعيدت حريتهم اليهم في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٣ شدد المرحوم الرجال الى أوروبا وأميركا، وقد اتبع له في هذه الرحلة ما لم يتبع لغيره من حادثة كبار الرجال في القضية العربية وهم الذين لا يعرفون بزعيم غيره لسورية، حتى ان حزب المحافظين في لندن دعاه الى حفلة في الوردست منست ضمت كبار وزراء الانكليز وهناكلقى خطابا كان له اثره الطيب وصداه البعيد وقد نشرته الصحف الانجليزية في حينه، وكيف لا يكون لخطابه مثل هذا الأثر وهو سيد خطباء الشرق.

وفي تموز ١٩٢٤ عاد المرحوم الى دمشق، حيث ألف حزب الشعب وتولى تنظيم البلاد سياسيا، وما ان علم بما يعاني جبل الدروز من أعمال حاكمة الكابتين كاربنيه حتى رأى في ذلك فرصة للقيام بثورة ضد العدو الغاصب، فاتفق في منزله سرا ويعزل عن الأحزاب الرسمية وغيرها مع ذوي الحل والعقد من زعماء وقادة الجبل على التعاون في العمل لاتخاذ البلاد وتحريرها، وقد انصرف هؤلاء الزعماء الى اعداد معدات الثورة كما انصرف الدكتور الى تهيئة أسسها بالتعاون مع صديقيه المذكورين وسائر اخوانه دون أن يحيط احدا علما بتحالفه مع زعماء الجبل خشية تسرب ذلك الى الفرنسيين.

وما أن اندلعت نار الثورة في الواحد والعشرين من شهر تموز ١٩٢٥ في الجبل حتى لى وصديقه نداء الوطن والنهضاتها، وقد بقي المرحوم ملازما لحركات الثورة في الجبل والغوطة الى ان ارضعت قوات العدو الكبيرة المجاهدين على

الجامعة آنذاك أستاذًا وطنيًا لتلاميذها.

وفي عام ١٩٠٨ عاد الى دمشق واتصل بالرحوم الشيخ عبد الحميد الزهراوي وبأحرار الترك إثر حدوث الانقلاب الشماني في تموز تلك السنة، وكان عاملا كبيرا في تأسيس الجمعيات العربية الحرة في دمشق، ولكن ما إن تبين له ان في برنامج الاتحاديين محاولة لتربك العناصر حتى هب مع من هب من أحرار العرب باللود عن حقوق العرب القومية، وكان لسان هؤلاء الأحرار المرحوم شكري العسلي صاحب المواقف الممتازة في مجلس النواب العثماني عام ١٩١١. ولما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى اراد العرب تناسي الماضي والتعاون مع الترك، ولكن الاتحاديين لم يقدروا ولم هذا الموقف النبيل فعمدوا الى سياسة البطش والتكيد بأحرارهم وكانت تملق مشقة المرحوم لولا فواره من دمشق الى العراق ومنه الى الهند فمصر، وفي مصر أدى رحمه الله للقضية العربية خدمات تجل عن الوصف وحارب تصرفات جمال باشا السفاح ووزير البحرية وقائد الجيش العثماني الرابع حارة شديدة وبنتيجة مساعيه مع ستة من اخوانه السوريين قطعت بريطانيا لهم - بعدما قطعت للحسين بن علي من عهود - عهدا اطلق عليه (عهد السبعة) وهو يقضي بأن كل بلاد عربية يفتحها الجيش العربي تبقى عربية مستقلة، وقد نشر، الكولونيل لورنس المشهور هذا العهد في جريدة التايمز اللندنية عقب دخول الجيش العربي سورية.

وفي المرحوم واخوانه كما وثق جميع العرب بتلك العهد طنا منهم بأنها صادرة عن أمة تحترم كلامها، فهبوا جميعا لمساعدتها وتسهيل مهمتها، ولم يدري في خلد هم أن الانكليز سيختبرون هذه العهد قصاصة ورق وانها خدعة لكسب الانصار فقط.

عاد المرحوم في نيسان عام ١٩١٩ الى دمشق وهيا مع اخوانه في مختلف الأحزاب الحملة الكاثية لإظهار البلاد امام اللجنة الإستثنائية الاميركية بالظهور الذي تشده من حرية صحفية واستقلال تام، ومنذ ذلك الحين انعقدت أوامر الصداقة بينه وبين المستر كراين رئيس اللجنة المذكورة.

وعندما تألفت في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٢٠ وزارة السيد هاشم الأتاسي التي سميت ب (وزارة الدفاع) عهد الى المرحوم بوزارة الخارجية فيها، ولكن

والرعية، بناء الدولة وأصلح أنواع الحكم في العالم العربي . الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة، وغير ذلك من القضايا الهامة . وكان كتابه الثاني في السياسة الدولية مؤلفه دكتور بورنس وقد نقله الزعيم الى العربية عندما كان في حجيرة في سجن أرواد ابي في سجن داخل السجن حجز فيه بسبب هتافه للحرية، وأسماء سلسلة المسجون ( حلقة الزنزان ) وكان يوده رحمه الله ان يكمل هذه السلسلة بحلقات أخرى هي حلقات الابعاد والاضطهاد والاستعباد والارهاب والاعلال .

هذا غيض من فيض من حياة الزعيم الخالد المغفور له الدكتور شهيدنا، اما ما كان يتحلى به من علم واسع وعبقريّة فذة ورجولة كاملة وغير ذلك من الصفات الممتازة التي يتحلى بها عادة عظماء الرجال فقد أشار اليها صديقه الحميم السيد حسن الحكيم في المقالات التي نشرتها له جريدة الأيام الغراء بمناسبة ذكره السنوية :

أغلق الله على التقيد العالي شأنيب رحمة واسكنه فسيح جناته وجزاه عن أمته وبلاذ خير جزاء .

## هذه هو الزعيم

سئل الرئيس لثكون رئيس الولايات المتحدة عن الفرق بين الزعيم والسياسي فقال: الزعيم هو الذي يعمل للأجيال القادمة، أما السياسي فهو الذي يعمل للانتخابات القادمة .

وعليه ما هي الصفات التي تستلزمها الزعامة والتي يجب ان تتوفر في الزعيم وتساعد على أداء رسالته يا ترى؟ والجواب في نظر المشتغلين في المسائل العامة هو:

أن يكون الزعيم صاحب وطنية صادقة وعقيدة راسخة وإخلاص لا حد له، يتمسك بعقيدته الوطنية تمسكه بعقيدته الدينية المقدسة، وينذر نفسه لخدمة أمته وبلاذ ويقوم بالالتزامات التي يفرضها عليه الواجب، ويستطيع التصحية في سبيلها دون أن يرمي من وراء ذلك إلى أي مصلح ذاتي أو أن

الخروج منها والالتجاء الى المعازل المنيعه في الأزرق والصفاء والحياة، وذلك بعد معارك حامية وقائع تشبهها الولدان، تكبد العدو فيها الفاح الجسائر، وللم يترك مجال للحركات في الجبل والنفوطة غادر المرحوم مع سلطان باشا الأطرش قائد الثورة العام وبعض المجاهدين الجبل في أوائل شهر تشرين الأول ١٩٢٦ الى الأزرق، وفي تشرين الثاني ١٩٢٦ ذهب الى المراق وبعد مدة قصدا الى مصر واستقر فيها يعمل للقضية العربية بالتعاون مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ما استطاع للعمل سبيلا .

وبما ان السلطة الفرنسية كانت حكمت عليه وعلى صديقيه وغيرهم من الوطنيين بالاعدام بسبب اشتراكهم في الثورة فقد بقي وياهم يعبدن عن الوطن مدة اثني عشر عاماً، وعندما أعيدت اليهم حريتهم وعادوا الى البلاد يوم ١٤ أيار ( مايو ) ١٩٣٧ زحفت دمشق شيئا وشيانا نساء وأطفالا لاستقباله مع أخوانه ذلك الاستقبال الراقع الذي قل ان شهدت البلاد مثله وأقامت له الزينات في كل حي من أحيائها تقديرا لجهاده وتضحياته في سبيل أمته وبلاذ، وهناك ثابر المرحوم على خدمة وطنه بما عرف عنه من همة ونشاط الى ان امتدت اليه في ٦ تموز ١٩٤٠ تلك اليد الغادرة الأثيمة بالاعتقال وهو يقوم في عيادته بعمله الانساني المعتاد، وبذلك خسرت البلاد تلك الشخصية الفذة التي امتازت بعملها ووطنيتها وجهادها وسياستها، وهذا نرى من الانصاف ان نشير الى أنه كان يلقي رحمه الله في جميع حركاته تعفيدا ومشاركة من حرمه المصرون المرحومة السيدة سارة العظيم التي تحملت معه كل ما تحمل من ضروب الأذى والاضطهاد والتي كنا نسميها ام السورين اجزل الله فوابها وعوضها الجنة .

ومن آثاره رحمه الله تلك المقالات القيمة - في القومية العربية والأدب والاجتماع - التي كان ينشرها في الصحف والمجلات المصرية، وتلك الخطب الوطنية العديدة الرائعة التي كان يلقيها في الاجتماعات والاحتفالات بالاضافة الى مؤلفه القيم « القضايا الاجتماعية الكبرى » و « سلسلة المسجون » الذي ترجمه في معتقله في أرواد والكتاب الأول مجموعة مقالات كتبها الزعيم في مجلة الفتلف تناول فيها بعض القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي كالدينية، وكان كتابه الثاني المرأة والرجل، مصير الأسرة الشرقية، الدولة والحكومة

النبيل والشرف.

أن يكون شديد النضال في سبيل ما يعتقد انه حق فلا تركه انتقادات مناهضيه ولا مقاومة معارضيه، لا يثني عزيمه فشل ولا خيبة أمل ولا يخاصم نفسه بأس أو قنوط، بذلل في تضاله الصعاب ويقتحم العقبات ويتابع سيره إلى الأمام دون أن تلين له قناة ودون ان يقف في منتصف الطريق أو يرجع إلى الوراء وشعاره دائماً إما الموت وإما النجاح. وأن يكون فوق كل ذلك متصلياً في رأيه متى كان قانعاً بصحته وقادراً على الدفاع عنه وجذب الجمهور اليه.

هذه هي الصفات التي تحلى بها المذكور عبد الرحمن الشهبندر وهي صفات حاكي بها زعراء عظاماً سيقوه: سعد زغلول والمهاجما غاندي.

يتخذ العمل لهما ولهما.

أن يكون عبقرىاً فلذا متفوقاً على سائر مواطنيه بنوغه وسمو أخلاقه وتفكيره السليم وحجته القوية وعقليته الجبارة ورجولته المستكملة وقدرته الخطابية التي يستهوي بها النفوس بسحر بيانه، وما الى ذلك من صفات عالية تجعل الجمهور ينظر إليه وكأنه فوق البشر ومن طينة غير طينته.

أن يكون قابضاً على عنق القضية التي آمن بها وأخلص لها، ومسيطراً دائماً على الحركة فيها، لا يفسم في معالجتها شيئاً ويظهر شيئاً آخر إذ يتجمل هذه الصراحة وحدها اثبت إخلاصه لمبدئه وثباته في أداء رسالته، ويضمن ثقة الناس به وثأيدهم له.

ان يبدل في سبيل غايته النبيلة المجردة كل عزيز وغال وكل ما يملك من قوة وعزم وحزم، وأن يستسهل فيها كل صعب ويتحمل كل اضطهاد، ولا حرم من الثابتين على ولائه الثقلين بقوله ومكن خصومه من تدبير الحملات ضده.

أن يأخذ بنظر الاعتبار النزعة الروحية الطاهرة والتقاليد القدسية في سواد الشعب فيحافظ عليها ويتبعد عن كل ما يؤذيها.

أن يكون واقعياً بعيداً عن الأفكار الخيالية والأحلام المجنحة، لا يهتم إلا بالوقائع الملموسة والحقائق المجولة.

أن لا يسبق الناس كثيراً ولا يقصر عنهم كثيراً خشية أن يقطع أراضر الصداقة معهم.

أن لا يتنزل في أفكاره تنزلاً مفرطاً لاسترضاء النوعاء واستجلاب الادهاء خشية أن يعرض نفسه لاستحقاق أهل الحل والعقد. على أن هذا لا يجتمع من أن يكبح جراح نفسه تجنباً لإحداث هوة بينه وبين سواد الشعب.

أن يكون وقوراً رزينا بعيد النظر عظيم الجراءة نافذ الكلمة متجافياً عن براعت الاثرة كثير الاعتزاز بلمعته كبير الثقة بأتمه كبير الإيمان بماضيها المجيد وتراثها العظيم.

يأبى الكذب والمخادعة والتدجيل والمداينة وكل ما يخرج عن قواعد



الفصل العشرون

مع آمل السهم بغير الفكرة

## سَمَارَةُ الشَّامِ بِنُورِ الْفُكْرِ

يتندر عليّ أن أثبت في هذا الكتاب جميع المقالات التي نشرها الزعيم في المصحف والمجلات، والخطب التي ألقاها في شتى المناسبات لا سيما الخطب التي كان يوجهها يومياً في الجفلات التكريمية الكثيرة التي كانت تقام له ولاخوانه بدمشق بعد عودتهم إليها، فقد اكتفيت بإثبات بعض تلك المقالات القيمة والخطابات الساحرة مضافاً إليها بعض كلماته التي تنطق بإيمانه بدينه الحق، وما تنطوي عليه جوارحه من وطنية صادقة وإخلاص أكيد، والجدير بالذكر أن للزعيم الكبير ثمانية عشر مقالا كان نشرها في مجلة المقتطف التي كانت تصدر في مصر لصاحبها الدكتور يعقوب صروف عن (القضايا الاجتماعية الكبرى - في العالم العربي) ومواضيعها: المدنيّة، المرأة والرجل، مصير الأسرة الشرقية، الأسرة الشيوعية، الدولة والحكومة والرعية، بناء الدولة، معرض المذاهب السياسية، النهضة التركية الكمالية، أصلح أشكال الحكم في العالم العربي، حاجتنا للتجانس، الوطنية، عوامل التجانس، العوامل المعنوية، وحدة الأمم، الرعاية وصفات الزعيم، الثورة، الدين والثقافة الحاضرة، أصل الشعور الديني، الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة.

وقد جمعها رحمه الله اختيراً في كتاب أسماه بهذا الاسم، كما أشرت الى ذلك في ترجمة حياة الزعيم.

## صفحة تلويح: ثورة الثورة العربية

خاضت الدولة العثمانية غمار الحرب في شهر نوفمبر من سنة ١٩١٤ الكولونيل لورنس فامر اللورد كينشر بعثة الحدود الانكليزية، التي أمت شبة جزيرة سيناء في سنة ١٩١٣ ودرستها درسا حريا بحيلة البحث عن عاداتها، أن تسافر على جناح السرعة الى مصر ليستعان بمعلوماتها في ردّ ما يحتمل من غارات الترك على مصر. غير أن الجنرال ( مكسول ) أبرق من القاهرة يقول ان لا حاجة الى هذه البعثة فأجابه اللورد انها على طريقها الى مصر. ويذكر القراء أن لورنس هو من أعضائها فلما بلغ القاهرة انضم الى قسم الخرائط الحربية في دائرة الاستخبارات فظهرت ميرانته. وكان عارفا ببعض المقاطعات في سورية والعراق ومطلعا على جغرافيتها أكثر من الضباط العثمانيين أنفسهم لأن اشتغاله بالجغريات في تلك الأصقاع زوده بالملاحظات القيمة.

وكانت الوظيفة التي شغلها في مصر ضابطا رئيسا - كابتن - في الاستخبارات العامة لدى الفر العام. فكان عليه أن يقدم التقارير الدورية للأركان الحربية عن مواقع الفرق والقطع المنتشرة في الجيش العثماني. وكان يجمع المعلومات من الجواسيس والأسرى، وسمح أنه كان من أنفع الضباط البريطانيين وخدماته من أثمن الخدمات إلا أنه لم يكن مقبولا عند رؤسائه كثيرا ولا مرغوبا فيه خصوصا عند من جاء منهم أخيرا من انكلترا. لأن هؤلاء الضباط الانكليز مثل أكثر الضباط في الأمم الأخرى لا يعتقدون أن الرجال الملكيين أشباه لورنس قادرون على البحث في الموضوعات العسكرية. وحدث شيء من الاضطراب مثلا لما قاطع لورنس قائدين اثنين من القواد يبحتان عن تنقل بعض الجيش العثمانية فقال لها بلهجة جافة

المدينة، كما أشار إلى ذلك الكولونيل (بوكان)، عملاً باتفاق سابق قام على الرشوة. ولكن لورنس قال إن البريطاني (الرشوة) سيكون هنا عديم الجدوى وسيشجع العدو لأن القائد التركي خليل باشا هو من أقرباء أنور باشا وتزائن الدولة العثمانية مفتوحة أمامه فلا موجب لقلقه على المال. ومن الغريب أن القواد البريطانيين في العراق لم تسرههم هذه الفكرة وقال اثنا عشر منهم للكاتبين لورنس إن مهمته غير شريفة ولا تليق بالجندي الباسل.

وما هو حري بالتدوين أن الجيش البريطاني الذي أغار على العراق كان تحت تصرف حكومة الهند ومع أن اللورد كيشنر - وهو القائد العام للقوى البريطانية - ذكر في أوائل الحرب زعيمين اثنين من زعماء الجمعيات السرية العراقية في أحداث تورد في الجيش العثماني وإخراج الترك من العراق إلا أنه فُت في ساعده ولم يتوقف، ذلك لأن الحكومة الهندية كانت تخشى العرب لأهم إذا توردوا لم تستطع فيما بعد إخضاعهم لسلطانها لأنهم يصرون حيتماً على استقلالهم ويدافعون عنه وهكذا فالمساعدة التي كان كيشنر مستعداً لتقديمها منعت والتمرد في الجيش العثماني لم يحدث بل بالعكس سبق جيش لجب من الهند ليعمل منفرداً من غير مساعدة العرب فكانت النتيجة، كما قال المستر جريفز هلاكاً. وكان الهند والآنجلز في نظر العرب كالترك فاتحين غير مرغوب فيهم وكانوا هدفاً لغارات تشنها القبائل المحلية.

ولاح للمستر جريفز أن السبب الحقيقي الذي دعا لورنس إلى قبول هذه المهمة هو السفر إلى العراق ليرى هل يسمح الموقف بتعاون البريطانيين والقبائل العربية على الفرات تعاوناً قائماً على خطة وطنية عربية. وهذه القبائل عرفها لورنس منذ عهد «كرشميش» وحفر ياتها وكان يرجو أن يتصل بقبيلة (الرولا) وشيوخها (النوري الشملان) في شمال بادية الشام لعله يقطع بالاشتراك معها خطوط المواصلات على الترك، وذلك بإقفال باب النقل على النهر وشن الغارة على مفرزات المؤونة إلى أن يصبح الجيش التركي الذي يحاصر الكوت محصوراً هو نفسه. وكان في طاقة الكوت أن يقاوم الترك إلى أن يتمكن لورنس من تجهيزاته، لو تسرت طائرات أخرى ثمان تصب المؤونة على المدينة من عل، ولكنه وجد ذلك عبثاً لأن اغتصاب

« شرثرة وكلام فارغ، إن هذه الجيوش لا تستطيع قطع هذه المسافة في ضمني الزمن الذي قدرناه لها. فالطرق سيئة وليس ثمة نقالات عميلة وعلاوة على ذلك فالضباط الذي يقودهم رجل كسلان ». واللذين يعرفون دقة الإنكليز وأدبهم في المعاملات الرسمية يقدرون سوء وقع هذا الكلام خصوصاً لصداقه من مرؤوس إلى رئيس. وما لوحظ عليه أسلوبه في الكتابة ففي النسخة الرابعة عشرة من كتاب المعلومات عن الجيش التركي يقول لورنس: « إن الجنرال عبد... قائد الفرقة... هو نصف إسرائيلي ومصاب بعرض السل وهو ضابط قدير وأخصائي في المدفعية إلا أنه خيبت ساقل يقبل الرشوة » وكانت مثل هذه الملاحظات الشخصية غير مرغوب فيها، لأن الرأي السائد في الجيش البريطاني أن ضباط الخصم هم أهل شرف ويستحقون الاحترام.

وكانت القاهرة في سنة ١٩١٥ طافحة بالأمرء العسكريين من رتبة جنرال ولواء من غير عمل يعملونه سوى إرسال الرسائل للقبضات التي لا حاجة إليها والوقوف عثرة في طريق الأفراد القلائل الحاملين، حتى أصبحت الحالة مهزلة من المهازل. هنا يظهر لورنس الضباط مكثراً عن نابه وراء ستار في فندق (سافوي) مع زميل شبيه به يعدان بصوت خافت « واحد، اثنين... » إلى آخره وهو عدد من كانوا يعرفون من القواد القادمين لظهور مؤتمر عقد لهم خاصة وأكد بعضهم أن لورنس عد في ذلك اليوم خمسة وستين جنراً منهم!

ومن المسائل التي تهم الشرقين معرفتها وتدل على أن الاضاعات القديمة عن تناول بعض الضباط العثمانيين الرشوة في ميدان الحرب من الأعداء لتسليم البلاد العثمانية هي اشاعات تركز على شيء من الحقيقة، حتى في أزمان متأخرة كالحرب العالمية، هو أن وزارة الحربية البريطانية انتدبت الكاتبين لورنس في أوائل سنة ١٩١٦ مهمة سرية خطيرة وهي الاتصال بالسلطة التركية التي كانت تحاصر الجزائر (توزند) في كوت العمارة في العراق واستمالتها بالرشوة فلقد اخلصار عن الجيوش البريطانية. والظاهر أن هذه الاضلة تعلمها الإنكليز من سابقة حدثت في أرضروم، فإن الروس احتلوا هذه

الأركان حرب قال لي: «كفى يا دكتور والله لانتقمن لدمه ولم إخوانه من هؤلاء الاتحاديين السفاحين ما يروى الظماء» وقد برّ يمينه والتحق بالجيش العربي فوصل ميناء الوجه في أوائل سنة ١٩١٧ وحارب في الثورة العربية حرب الرجال كما حارب زملاؤه مولود مخلص ورأس سرمدست ونوري السعيد وغيرهم من أبطال الضباط السوريين والعراقيين.

وقد سونا على هذه الحظنة في تنوير أذهان الأسرى من العرب حتى تمكنوا من اكتساب العدد المديد منهم وحلهم على التطوع في الجيش العربي الذي، ولكن جهودنا كانت كلما أوشكت ان تثمر اصابها صدمة عتيفة من رجال العسكرية البريطانية كادت تذهب بها. فكان كل تنسجيع يأتي من الكتيب العربي في فندق سافوي يقابله الكولونيل (سمسن) في المعسكر في المعادي بالقاهرة ووضح العراقي مع ذلك فقد كان نجحنا في سوق الأفراد للانخراط في الجيش في الوجه ورايح والعتبة باهرا بالرغم من كل هذه المقارومات لان معظم الأسرى ايقنوا أن مظالم السفاح احمد جلال باشا ومن شجعه على السياسة التي سلكها في بلاد العرب لا يجوز السكوت عنها الا اذا كانت الأمة العربية قد استكانت للظلم، استكانتها لاذل أنواع الاستعمار. وانفذاك الآتية الماخوذة عما كتبه المستر روبرت جريفز تحيط للثام عن سر هذا التناقض في السياسة البريطانية.

كانت الأحوال بعد عودة لورنس من العراق واستسلام الجبرال تونزند في كوت العمارة لنتقل من سبيء الى أسوأ، أما المندوب السامي البريطاني الذي قطع للشريف حسين عهدا باسم وزارة الخارجية البريطانية فقد وقع في حيص بيص، ذلك لأن القائد العام للقوى البريطانية في مصر لم يكن يتلقى أوامره الا من وزارة الحربية فقط ولم يكن مؤمنا بالثورة العربية ولا يظهر له ان يذل المال والرجال والسلاح في سبيلها، وكانت القاعدة التي تنشئ عليها الا يكون هناك «معرض صغير» عربي الى جانب «المعرض الكبير» البريطاني منعنا من تحويل الانتظار والجهود الى الميادين التي ليس لها قيمة كبيرة في نظره، وحصرها في الميدان الأكبر على جهة فلسطين. وربما كره هذا القائد ان يتدخل المندوب السامي وهو رجل ملكي في الشؤون العسكرية

العراق كما يقول المستر جريفز من غير مساعدة العرب وجعله جزءا من الامبراطورية البريطانية كان «سياسة ثابتة لا تتزلزل». ويكاد الانكليز يفضلون اخلاء البلاد للترك على الاعتراف للعرب بأنهم قوة سياسية. وانتهى الأمر بأن خابت آمال لورنس فلم يعمل ما جاء لتدبيره.

تناقض السياسة ومن المسائل التي استعصت علينا كثيراً في ايام الثورة العربية ولم نفهمها تعليلاً معقولا ما كنا نراه من البريطانيين في شأن نهضتنا القومية من التشجيع والتبسيط في آن واحد، حتى خلتنا ان ذلك سياسة مقصودة الى غاية غايمة لا يعلمها الا الراسخون في العلم. وانني أضرب على ذلك مثلاً ما جرى لي بنفسي فاني لم أغادر سورية حتى صار من قواعد ايجاني وایمان اخواني ان نحارب احمد جلال باشا السفاح واعوانه بكل جراحة من جوارحنا فلما اتصلت بمعسكر الأسرى العرب في المعادي بالقرب من القاهرة اتخذت على عاتقي ان أثبت فيهم روح القومية بما كنت أقرأ عليهم من الدروس خصوصاً اخبار الجرائم التي اجترست في بلادهم والشائعات التي نصبت لرعيائهم وكانت غايي أن أجمع منهم نواة لتأليف جيش نظامي يكون عدة للبلاد في نهضتها وسندا لها في محنتها، حتى اني تمكنت بهذه الطريقة من اقناع قائد باسل هو جعفر باشا العسكري: فقد كان ضابطا في الجيش العثماني وابل بلاء حسنا في عاربة الانكليز وقد انتدبه أنور باشا لتنظيم القبائل السنوسية في الصحراء الليبية فسافر في غواصة المانية ونظم هذه القبائل حتى تمكن من اطلاق الانكليز على حدود الاسكندرية ولكنهم قبضوا عليه أخيراً وسجنوه في قلعة (محمد علي) حيث حاول الفرار في احدى الليالي بأن تدل على حبل من النافذة فانصدم به فسقط على الأرض فكسرت ساقه ثم نقل الى المستشفى في المعادي فاتيحت لي مقابلته لأول مرة فرايته متحمسا للاتحاديين من غير أن يدري ماذا كانوا يعملون في البلاد عما اضطرني الى اطلاعه على الوقائع مطولا وقدمت له نسخة من «جريدة الشرق» وفيها أسماء الشهداء الذين اعدموا في الرتل الثاني في بيروت ودمشق في اليوم السادس من مايو (أيار) سنة ١٩١٦ فأظهر دهشة عظيمة ولا وصل الى اسم صديقه الشهيد العربي سليم بك الجزائري وهو من كبار الضباط

الأجوبة الجافة النتيجة المطلوبة، وتفقر الخلاص من لورانس وذلك بنقله من دائرة الاستخبارات الى المكتب العربي.

وفي أوائل أكتوبر من سنة ١٩١٦ سافر لورنس الى جدة حيث التقى بسمو الأمير عبد الله ومن هناك طلب الأمير فيصل فالتقى به - لأول مرة - في وادي الصفراء على طريق المدينة وهناك ما كتبه عنه في كتابه «ثورة الصفراء».

« وعلى الجانب الأبعد من ساحة الدار الداخلية... وقف شيخ ابيض ينتظري بلهفة وشوق. ولما وقعت عيني عليه شعرت بالرغم الذي يستطيع ترويح الثورة العربية باكليل الظفر. وظهر لي، وهو بكسائه الطريبي الأبيض وكوفيته المقودة بمقال ذهبي قزمي لامع، طويلا جدا كالعمود ونحيها للثغاية وكانت عيناه الدائبان وحيته السوداء ووجهه الشاحب اشبه بالقناع مسدولا على جسمه التيه اتيابها ساكنا عجيبا وكان متكئا ويداه على خنجره. فسألني: هل أحيت مكاننا هنا في وادي الصفراء؟ فاجبته: «نعم، ولكنك بعيد عن دمشق الشام».

وكان مع الأمير فيصل نحو ثمانية آلاف مقاتل منهم ثمانمائة من (الصحابة)، فالتقى عليهم لورنس نظرة وحادث الأمير في الشؤون الحربية ووعده بارسال السلاح والعتاد والمال، ثم ودعه وسافر الى الخرطوم حيث اجتمع بوزنيت باشا المدرب السامي البريطاني الجديد فقص عليه من أخبار الثورة العربية ما فرحه، وهو رجل من المؤمنين بهذه الثورة كما يقول لورنس.

ورسل لورنس الى القاهرة فتداول مع زملائه في الشؤون المستجدة ظهور خطته واحتمال هجوم الترك على مكة، ودارت المسألة حول ارسال لواء من الجنود الحلفاء الى تلك الاصفاع، فانكشفت الرغبة في هذه الدائرة عن صريح السياسة الفرنسية وزال القناع لأن الكولونل برونون أصر كثيرا على تنفيذ هذه الخطة، وكان قد قدم السورس بدفعية ورشاشات وخيالة ومشاة وكلهم من الجنود المسلمين الجزائريين بقيادة ضباط فرنسيين وكانت الغاية من مجيئهم اغراء البريطانيين. وكادت تتم الحيلة، فيتخذ قرارا بارسال جنود بريطانيين مع حلفائهم الفرنسيين وعلى رأسهم برونون الى ميناء رايغ، ولكن لورنس حال دون ذلك فقدم تقريرا شديدا للمهجة الى المقر العام قال فيه ان

ومكنا نرى فيصلا واقفا على أبواب المدينة ينتظر بلهفة وعلج المدافع وضربها من المعاد الذي وعد به وهو خالي الوفاض. أما النجدة المصرية التي جاءته الى رايغ فلم يستجد بعد وصولها شيء يستحق الذكر، ولا ح للناس أن الثورة العربية ماتت في المهدي ورأى كثير من ضباط أركان الحربية البريطانية في القاهرة في جميع ذلك سخيرة بالندوب السامي وقهقروا فرحا، بأن يجدوا الحسين نفسه عاجلا على مشقة الاتحاديين. وهم كجنود بسطاء كانوا يشمرون في نظرم الى الترك بعطف الزميل على الزميل فلم يكن في مقدورهم أن يروا الفاجعة والعار في المسلك الذي سلكوه. وزاد في اللين بله أن البعثة الفرنسية العسكرية كانت تدس الدسائس على الحسين بن علي في جدة ومكة فتعرض عليه وهو في ضيق وفي ضجر خططا حربية لوقت جعلت القضية العربية مهزلة في جميع أنظار المسلمين ولقفت عليها قضاء مبرما.

أما لورنس فقد اشتد عليه كابوس الأمراء العسكريين ورأى ان انكشاف صحبته للثورة العربية والثرامه جانبها سيحده عن المقام الذي يخدمها منه، فعزم على الابتعاد وطلب راحة عشرة أيام ولكن طلبه هذا رد فشرع في خطة عملية مبتكرة وهي أن يجعل نفسه مكروها لدى هيئة أركان الحرب وثقبلا عليهم فأخذ يقرص الضباط، الذين هم أعلى منه مرتبة، بقرارص التصلحيات البسيطة في النحو والجغرافيا والمعادات الشرقية وما الى ذلك من الملاحظات التي تظهر جهلهم. فمن ذلك أن رئيس الأركان حرب طلبه الى الهاتف (التلفون) وسأله أين موقع الفرقة الحادية والأربعين التركية الآن؟ فاجابه «أنها في المحل الفلاني بجانب مدينة حلب وهي مؤلفة من الالاي ١٣١ و١٣٢ و١٣٣ وهؤلاء تازلون بالقرية الفلانية والقرية الفلانية والقرية الفلانية» فسأله الضابط: «هل هذه القرى مينة على الخريطة؟» لورنس: «نعم» الضابط: «هل ينتموها على قائمة التفتلات بعد؟» لورنس: «كلا». الضابط: «ولماذا؟» لورنس: «لأن الأفضل أن تبقى في رأيي نأ أن أتمكن من مراجعة هذه المعلومات». الضابط: «نعم، ولكن لا يمكنك أن ترسل رأسك الى مدينة الاسماعيلية في كل حين» لورنس: «أغنى من صميم الفؤاد لو أتمكن» وهنا قطع المخاطبات. وقد انتجت هذه

جميعاً خاضعين للقيادة العامة عن محبة وخير، وقد ربوا سلاحيهم ترتيباً كافياً وإن لم يزيروهم، واعتنوا بألباسهم اعتناءً مناسباً، ولم يكونوا خطرين إذا ما حاربوا وهم جمهور مجتمع، والواقع أن قيمتهم الحربية تتناقص بازدياد عددهم، فثورة أو (بلوك) من الجند التركي المدرب تغلب ألف عربي في المراء، في حين أن ثلاثة أو أربعة من العرب إذا أقاموا في آكامهم استطاعوا إيقاف العدد الزايف من الترك نسبة.

وكان بين الضباط البريطانيين، الذين لازموا فصلاً لتقديم المشورة الحربية، التحول بعد القائد (فيكري)، وقد حدث بين هذا الرجل المشائم، وبين لورنس الفئاضل بالنجاح اختلاف شديد، فظهر تحيز لورنس للعرب بجلاء في البحث الذي دار بينهما عن تقدم العرب إلى ميناء (الوجه)، حتى قال جريفيز لم يكن هذا الاختلاف بين ضباطين بريطانيين اثنين قد اختلفا في الرأي بل بين مستشار بريطاني حربي من جهة، وعربي أشقر اللون من جهة أخرى، ومع أن هذا التحول في شخصية لورنس لم يكن قد تجلّى له بعد إلا أنه كان يجري في عروقه.

وقد أحدث احتلال (الوجه) انقلاباً فكرياً في البريطانيين في مصر، فأدركوا قيمة الثورة العربية، وعرف القائد البريطاني العام أن الجنود الترك الذين يجاربون العرب يربون على الجنود الذين يجاربونه، فوعده بالعاد والصلاح والمال. وكان من الزم الضروريات للعرب مدافع الجبل لأن مدافع الترك كانت تفضل مدافعهم كثيراً، ولكن الجيش البريطاني لم يكن في حوزته منها ما يستغني عنه أما صاحبنا الكولونل الفرنسي فكان عنه في السوريس تلك المدافع الجبلية التي أشرنا إليها سابقاً وهي من أرقى الأنواع إلا أنه اشترط لارسالها إلى الحجاز تسير حلة من الحلفاء لتحول دون تقدم العرب إلى الشمال كما تقدم. ومن حسن الحظ أن أقل هذا الكولونل فحل حله رجل آخر، أدرك ضرورة السماح بهذه المدافع للعرب. فكان لها تأثير شديد في المعارك. على أن بقاء هذه المدافع مرمية في السوريس سنة كاملة لفت أنظار كل ضابط غربي مر من تلك الجهة إلى المداء الذي أضمره الفرنسيون للثورة العربية.

القبائل العربية قادرة على الدفاع عن الأكام بين المدينة ورايح إذا هي انحفت بالمدافع والنصائح ولكنها على التحقيق تنفض إلى خيامها إذا علمت بزول الأجانب بلاد العرب. وما قاله عن الكولونل الفرنسي أن له غايات خاصة في طلبه نزول الأجانب إلى البر لا تتعلق بالخطط الحربية، وأنه رجل بدس الدسائس على الشريف وعلى الإنكليز في آن واحد وقدم البيته على هذه التهم. أما القائد البريطاني العام فقد سر كثيراً بهذا التقرير لأنه يتفق مع غايته من الابتعاد عن «المعارض الضعيفة» الجانية التي أشرنا إليها. وانتهت المسألة في مصلحة العرب بإرسال سلاح ومال وضباط إلى الجيش في رايح وتعيين لورنس مستشاراً حرياً للأمير فيصل. وكانت غاية بركون من الحملة أن يحول الفرنسيون والإنكليز دون تقدم العرب إلى الشمال وما قاله (مقي) أصبحت مكة في حوز حريز من حملات الترك فلا يجوز تشجيع العرب على الاستمرار في الحرب، وهي حرب في طاقة الحلفاء أن يديروها وأولى من العرب بما لا يقاس) وقد استكشف لورنس الحملة. وحدث أن الكولونل الفرنسي كان يجتث أن الثورة العربية إذا امتدت إلى دمشق فحلب فالوصل استطاع العرب انقاذ هذه المدن من الترك واحتفاظها لأنفسهم بعد الحرب وهي مدن كما يقول حريصة فرنسا أن تفسها إلى امبراطوريتها الاستعمارية. ومن الغريب أن يبقى لورنس حتى تلك الساعة جاهلاً اتفاق سيكس - بيكو الذي ينص على وضع هذه المدن في منطقة النفوذ الفرنسي. وعلى كل حال فالكولونل الفرنسي لا سمح بعزم فيصل ولورنس على السير في خطة الهجوم على ميناء (الوجه) لم يدخر وسعاً في تثبيط عزميها وأقسم بشرفه العسكري أن مثل هذه الهجوم انتحار، ولكن لورنس ضرب بكلامه عرض الحائط لاعتقاده أن الفرصة سانحة الآن وإن (الوجه) هي الخطوة الأولى.

لا استعرض لورنس المجاهدين العرب في ميناء (بنيج) وعددهم نحو ستة آلاف في رأس سنة ١٩١٧، ذكر عنهم أموراً تنطبق كثيراً على ما شاهدناه في الثورة السورية فمن ذلك قوله أنهم كلما ابتعدوا عن منازلهم ازدادوا نظاماً ودرية، وكانت كل جماعة منهم تعمل مستقلة، على قاعدة القبائل، ولكنهم كانوا

واستأثر تعجبهم كثير.

وفي شهر شباط من سنة ١٩١٧ تعرّف بيدوي من « الجرباطات » من عودة فخذ اسمه « ابو تايه » وهذا البدوي هو المرحوم الشيخ عودة وقد قص علي أبو تايه المجاهدون القصص العجيبة عن أعماله وبطولاته وأجمعوا على أنه اشتهر في قومه بالتوفيق أو « حسن الطالع » حتى قالوا انه على قلته في المال والرجال ماقط غزا الا وعاد رايحا يتعثر بأثواب الكسب. وقال عنه لورنس انه اعظم مقاتل في شمال الجزيرة العربية ويعقد أوامر الصداقة معه، صار اكساب القبائل النازلة بين العقبة ومكان قاب قوسين أو أدنى.

ومنذ ما اجتمع لورنس وعودة لأول مرة تخايبا، لأن لورنس كان معجبا منذ حداثة سنة بالفروسيّة وهذه الفروسيّة هي ما نقلهممهم الصليبيون من بلاد العرب الى العرب في القرون الوسطى، وهي تبنت في الصحراء عادة، ولا تزال ماثلة للناظرين بين البدو في الجزيرة وتبعد ذكر عترة وعيلة وعيون ليل وحروب الجاهلية. ويدلنا على اعجاب لورنس بالفروسيّة انه قال وهو لا يزال تلميذا في اكسفورد ان الدنيا بلغت اجلها في سنة ١٥٠٠ فقد لغمها البارود وهدمها الطليح الرخيص.

وجرى ذات يوم ان الناس وهم في حفرة الأمير فيصل ينتظرون طعام العشاء اذ سمعوا طقطقة خارج الخيمة، فخرجوا فاذا هم بعودة يكسر اسنانه الصناعية بحجر ثقيل، فسألوه ما الداعي الى ذلك فقال انه نسي أن هذه الاسنان الصناعية قد عملها له أحد جبال باشا السفاح وانه يكره أن يأكل زاد فيصل بأسنان جال. وبقي عودة تكسير الاسنان شهريين كاملين على السوائل من غير مضغ الى أن عمل له « الحلقاء » أسنانا جديدة انكليزية بواسطة طبيب خاص أرسل هذه الغاية من مصر.

وأقيمت في سنة ١٩٢٠ حفلة تعارف في شرق الأردن حضرها الأعيان المحليون والسير هربرت صموئيل المدرب البريطاني في فلسطين، فالتفت السير هربرت الى الشيخ عودة وقال له « هل أنت مسرور باطل الذي آلت اليه الامراطورية العثمانية، والا تظن أن عهد مسلم مديد قد ذر قرنه على الشرق؟ » فأجابه عودة بشدة واندفاع « أي مسلم ما دام الفرنسيون في سورية

وبينا كانت أخبار الانتصار في الوجه لا تزال تدور على الألسنة، زار الكولونل الفرنسي لورنس في القاهرة ليهنته، وما قاله ان هذه الانتصارات حققت له ظنه في مقدرة لورنس الحربية وقوّت امله بالحصول على المساعدة لتوسيع دائرة النجاح، وهو يرجو ان يجتث العقبة بقوة انكليزية - فرنسية يؤيدها الاسطول. ولكن لورنس قال ان هذه الخطة يحكم عليها بالفشل فالعقبة وان كان في الامكان احتلالها الا ان جبال الحجب من ورائها تكون حصنا حصينا للترك يحتلونها فيستمنون اختراقها. وخير ما يعمل ان يترك البدو ليقحموها من الوراء من غير مساعدة محرية.

كانت غاية الكولونل الفرنسي وضع هذه القوة الفرنسية الانكليزية حائلا دون تقدم العرب الى الشام، لتخوّر قواهم في الجزيرة العربية في الحرب على أبواب المدينة. أما لورنس فهذه دمشق وما وراءها، وكان كل منها عالما بما يتويّه الآخر ولكنه لا يستطيع الافصاح. وأخيرا قال الكولونل بشيء من التهور انه ذاهب الى الوجه للقاء فيصل ولكن لورنس سبقه ليوضح دسائسه. وأول ما عمله الضابط الفرنسي ان أهدي الأمير فيصل سنة مدافع من الجنس (الارتوماتيك)، بيد أن الأمير ذكره بالمدافع الجبلية الموجودة في السويس وأصر على طلبها، فعرفه الكولونل عنها بقوله ان لا فائدة من المدافع في الجزيرة العربية، وعلى العرب ان يتسلقوا كما يتسلق الماعز لتدمير السكة الحديدية الحجازية. فامتعض فيصل من كلمة « ماعز » وسأله هل جُرب في حياته التسلق، كالاعز من قبل؟. ولا ذكر الكولونل العقبة واحتلالها اجابه الأمير ان من الشطط تكليف انكلترا مثل تلك الحساتر الجسيمة لتحقيق هذا الاحتلال. وكان لورنس جالسا في الغرفة ففصحت ضحكة صفراوية تقلل منها الكولونل رحلته على تكليف الأمير بصراحة ان يطلب الى الانكليز ان يرسلوا له على أقل تقدير السيارات المصفحة الموجودة في السويس، ففصحت لورنس ثانية وقال ان هذه السيارات على طريقها الى الوجه الآن. وعاد لورنس الى القاهرة وصرف نظر القائد البريطاني العام عن الخطة الى العقبة وبين له غايات الكولونل من « مناوئته ». وبعد أيام عاد الى الوجه حيث أخذ يعود نفسه الاخيشيان وشطف العيش، فكان يعيش حافيا على صخور المرجان المستنة وعلى الرمال المحرقة، مما لفت نظر البدو



## فيما بعد الحسب

رأى صديق لي، في الاسكندرية في مساء الجمعة الواقع في اليوم الثامن من إبرول (سبتمبر) الماضي، والجزع آخذ مي مأخذه للنبا المفاجيء الذي انتشر في النغر يعني فيصل بن الحسين، فآخذ يعزيني قائلا هون عليك فالراحل سيرف الناس فضله بعد عامه، ولكن كلامه هذا وما فيه من الاشارة الى الدعايات الباطلة التي كانت تثار على الراحل العظيم زاد في جزعي وفي آلي، لانني اعتقد انها طعنة في صميم الرجل ألا يعرف الناس فضله إلا بعد عامه، وأن الطموح المبني فقط على التقدير بعد الموت هو طموح مقعد وأن صاحبه عي في القول، كل في العمل، تنقصه الكياسة والحكمة والنجاعة. ولكن فيصلا لم يكن من هذا النوع من الرجال فقد شق طريقه الى المجد في صخر من العداوات الجنسية والدعايات الوهمية والعقبات الاستعمارية، حتى رأى نفسه على قمة قضية سيكون لها في تاريخ العالم الحديث أخطر الآثار، وما زال يعلو وينسط حتى أصبح الذين كانوا يلاون الصحف بتسويد صحيفته يجرون أطول المقالات في التغيي بياض جبينه الناصع.

هذا هو فيصل بن الحسين الذي نعاه الناعون بسكنة قليلة في مدينة (برن) من سويسرا في الصباح المبكر من ذلك اليوم المشؤوم. فكان لبيتهم هذا صدى يتراجع أنيه بين شواطئ المحيطين - المحيط الهندي والمحيط الاطلسي - ذلك لأن في تلك الاصعاع الترابية الأطراف اما متعبة تنظر اليه والى الأفئدة من أمثاله (نظر العروقي الى الساحل) وليس في قصدي أن أتناول بالبحث حياته الراسمة فأحصوها في بضج صفحات لأنه من الظلم الفاحش الذي تآبه الطبايع الحرة أن يحصر المرء الأسد المصنوع في السجين

والاكتل في العراق واليهود في فلسطين؟ « وكان الترحان بينهما الورنس، فكان يقل الكلام بنفس الروح التي دفعت عودة الى الكلام، لأن الحية من غدر الحلفاء بالعرب كانت متشابهة في القلين واطقة باللسانين. وشهد حل هذا الغدر جميع الذين اشتركوا في الثورة العربية ممن ظنوا أن للحلفاء عهدا مسؤولا ينفذونها، وإيانا لا يجثون بها.

عبد الرحمن الشهبندر

مجلة الفتى

١٩٣١ أبريل

مع احد الموظفين السابقين في احلى الدول العربية على وثائق الانكليزية سرية تشير الى هذا الامر وتشرح زيارة سمو الامير عبد الله الى القاهرة قبل الحرب ، والأسباب الداعية الى هذه الزيارة وما جرى فيها من الاحاديث . فعمل كان في الامكان يا ترى ظهور هذا الطموح على مساح السياسة العملية لولا تلك النزعة الطورانية المنيعة التي ظهرت في الترك من بعد الانقلاب في سنة ١٩٠٨ . ولو لم يجد هذا الطموح من اضطهاد الترك للثورة العربية منها وحافزا لكان استطاع ان يجد الانصار الكافين لبروزه الى حيز الوجود، وقد ذكر الحسين بن علي، في المنشور الذي أعلن فيه الثورة العربية في حزيران ( يونيه ) من سنة ١٩١٦، ان في مقدمة الأسباب التي جعلته على الانتفاض المقاتل الخالية التي نضيتها جمال باشا في سورية .

ثم لا أعلنت الحرب العالمية عدتها الاتحاديون فرصة سانحة لتطهير مهامهم السياسي ، فكشروا عن أنيابهم وهاجمونا مهاجمة عنيفة في عقد دارنا، مهدوا لها السبل بالدعايات التي تجوز على أهل العقائد الوهمية . حيثئذ اتخذ الطموح في البيت الهاشمي وجهة قومية صريحة لا موارد فيها . فطموح البيت الهاشمي والنظام الاتحادية تحلل لنا الجو الذي نشأ فيه الملك الراحل . وقد تجلت على أتم مظاهرها يوم قابلت الملك النقيب في بيت المرحوم عطا باشا البكري في دمشق الشام في صيف ١٩١٥ . ويجب أن تكون هذه المقابلة قد قت عقيب أول رسالة دارت بين الحسين بن علي وبين السر هنري مكماهون للاتفاق بين بريطانيا والعرب وثار فيها شهر تركز - يوليو سنة ١٩١٥ . ودار الحديث بيننا حول القضية العربية ومظالم الاتحاديين والعلاج الشافي من تلك الأوصاب . وقد بدت لجميع من اختلوا به من العاملين روح الثورة على وجهه . ولكن الضغط يومئذ كان يتطلب منتهى الحذر في التمكنين والاستمعين ولأن أقل بادرة تبدر من المرء تكفي لجره الى المشقة ، وقد أنشأ الى هذه الاجتماعات في خطاب القاه في دمشق بعد عودته من مؤتمر الصلح بقوله ( قام والذي بهذه الثورة بعد أن آتيت الى سورية وواجهت بعض الرجال ، وعلمت من محيبي الى دمشق ان الأفكار السورية بأجمعها متجهة نحو الاستقلال ) . هذه نبذة مختصرة تملأ كيف نشأت في نفسه الميول الثورية وتدرجت تدريجا عمليا . فلنستأهل كيف

الضيق ، وإنما أريد أن أكتب عنه من الشذرات ما يلقي نورا على دخليته خصوصاً ما عرفته منها بنفسي . والآثار الصحيحة ولر كانت قليلة ومبعثرة تدل القتين على البناء الشامخ الذي يشدونه بين الانتفاض .

نفسر لنا البيئة التي نشأ فيها معظم خصاله خير تفسير . فالبدوة التي قضى في أحضانها شطرا من صغره تعمل لنا البساطة التي لازمه من خندق الثورة حتى عرش الملك، والتي كانت مثار الإعجاب به . لأن بساطة العظيم ضرب من العظمة لا تتضمنه من احتقار الدنيا ، والذين تنقصهم العظمة الحقة يعللونها عادة في الأهبة والبدئية ، فقد ولد الملك الراحل في مكة في سنة ١٨٨٣ ، وفي نحو السادسة من عمره أرسل الى قرية ( رحاب ) بالقرب من ( الطائف ) حيث قضى ست سنوات يتحلق بأخلاق البدو من شغل عيش ومواجهة طبيعة ومقارعة الانسان ، وفي الثانية عشرة من عمره سافر الى ( الاستانة ) مع والده ، فاقبل هناك بالطلقات العظيمة التركية وتلقى العلوم على أساتذة خصوصيين . وظل فيها الى أن رأى بعينه الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ ، والحلمة الشواء المفرضة التي حملها بعض فتيان الترك على المواطنين العرب في العهد الحميدي ، ومن أهم ما نعي به ان نحيط بالروح التي كانت متجلية في البيت الذي ترعرع فيه لأن الانماط التي ينطق بها الأبناء في أحاديثهم البتية متى كانت صادرة عن عقيدة في النفس تترك أثرها في الأبناء معها كانت طباعهم . وقد أتيح لي في الأشهر التي أعقبت الانقلاب العثماني أن أطلع بصورة خاصة على نزعة رب البيت الهاشمي الشريف حسين بن علي وولد النقيب . فقد كنت في الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في سوريا ، وكان معنا من الأعضاء المرحوم عبد الرحمن باشا اليرسفي أمير الحج ، فلما جاءنا الخبر من المركز العام في سلاطيك بأن البنية متجهة الى قتل الشريف حسين باشا من مجلس الشورى في الاستانة الى مكة ليكون شريفا على الحجاز، حمل الباشا اليرسفي عليه حملة مكورة فذكر طموحه الذاتي لا حده ، وما قاله إبنني لأخشي إذا صار اليه الأمر ان يسلم الحجاز عن المملكة العثمانية وتصاب خلافة آل عثمان في الصميم . ودلت الحوادث التي أعقبت هذا الكلام على شيء من هذا الطموح ، فقد عثرت

وبرقة أبر خدمة، إلى أن وقع أسيراً بيد الإنكليز على حدود السلوم فسنح في قلعة (محمد علي) في القاهرة حيث حاول الفرار من النافذة لأجل العودة إلى القتال، إلا أنه سقط فكسر بعض أطرافه فقل إلى مستشفى الأسرى في (المعادي). هناك أتيح لي أن أراه فأطلعه على جرائم أحد باشا وزانيته وكيف شنت النخبة المنتخبة من الرجال في اليوم السادس من مايو (أيار) سنة ١٩١٦. فتحول جعفر باشا هذه الأنباء فجأة، وأقسم بشرفه العسكري أن يتقم لإخوانه الشهداء وفي مقدمتهم سليم بك الجزائري، وقد بر يمينه. وبعد حين كان بين القواد البارزين في الجيش العربي الشمالي. ففي هذا الجبر المنمضي البسيط ما يكمل أفواه الذين قالوا إن الجيش العربي مجموعة أفراد من المرتزقة.

وفي هذا الجيش، وما لا بد فيه من الاختبارات المتبرعة، والحاجات الشديدة إلى المزايا العامة تكاملت خصمال الراحل الكريم وانجلى نواحيه فكان القائد البارز الذي لم يفكر أحد في منافسته تفكيراً جدياً، وإن حدثت شبه حادثة من هذا النوع فلا يؤبه لها، ويرجع إلى هذا الجيش الفضل الأكبر في تخفيف المظالم الاتحادية في سورية، وإخراج طائفة الاتحاديين من تلك الانحاء وتظهرها من زبانية وسماله. لا حرم إن، لما دخل الشام استقبله أهل البلاد استقبال القند وعذره منحة من السباه جادت به عليهم لتحقيق أمانتهم القومية والانتقال من ضيق الترح إلى بحيرة الفرح.

ولما عقد مؤتمر السلام في (فرسي) انتدبه والده ليمثل الحجاز فيه فمادر سورية في أوائل سنة ١٩١٩ والتقى هناك بأعظم الرجال، وظهرت لهم مواهبه إذ كان يدافع عن حقوق العرب ويطالب باليهود التي قطعها الخلفاء لوالده، وقد سئل يومئذ عن رجال السياسة والأثر الذي تركوه في نفسه فقال أنهم مثل الصور البراقة المعلقة في الدهايز يجب ألا تترك في نفسه فقال وكان الدكتور ولسن وعقبته يكران من النظر إليه كثيراً ما قال الدكتور إن طلعت تنبه طلعة المسبح.

ولما عاد إلى سورية استقبل استقبالاً فخياً لم تعهد الشام مثله منذ زيارة الامبراطور غليوم، وكان مما فعله أن نشر بياناً في الصحف قال فيه أن مبدا الاستقلال قد تقر، وأن لجنة دولية لاستفتاء الأهالي في مصيرهم ستقيم

استطاع أن ينجو بنفسه من طائفة الاتحاديين أحد جال باشا وعمل أخطر أوار الثورة، ولا سيما بعدما جاءت التقارير الرسمية السرية من نصري باشا حاكم (المدية) وفيها إيقاظ الحكومة من غفلتها وتنبهها إلى الطوارئ الخطيرة المترقمة من الحجاز؟

وفي الجواب عن هذا السؤال ما يدل على ناحية أخرى من نواحي اللقيد وهي قدرته السياسية وحكمته وغازة حيلته، فقد اتفق مع والده على أن يحجى إلى دمشق بهمة، فظهرها تقديم جيش من متطوعة الحجاز ليلامعة الجيش العشائي الرابع في هجومه الثاني على مصر، وباطلها درس الأحوال في سوريا عن كتب والأطلاع على خطط الحكومة الاتحادية نحو العرب، والاتصال بالعمالين من أبناء البلاد. فلما اشتدت المظالم الاتحادية وأصبحت لا تطيقها الأنفس الأبية ابتكر طريقة للنجاة من أيدي الطغاة، فاقترح على جال باشا أن يرسل وفدا لاستقبال الجيش الحجازي وإن يكون هو - فيصل - على رأسه فيقبل الطائفة الفزاحة، فلما بلغ الوفد المدينة واتصل فيصل بالجيش الذي أوفده والده إليها أشار على الأعضاء الترك أن يعودوا إلى جال باشا ليتفقوا معه على طريقة نقل الجنود إلى سورية، واتخذ هو هذه الفترة فأرسل إلى دمشق رجالاً من السوريين لينتقدوا من بقي فيها من أبناء عمه الحجازيين وأصدقائهم من الوطنيين. أما أنا فكنت وصديقي المرحوم توفيق الحلبي قد سبقنا إلى معرفة الخطر الداهم فتجونا بأنفسنا بطريق البادية إلى العراق، وبقينا حيناً في مصر قبلما أعلنت الثورة العربية في مكة والمدينة.

أخذ الملك الراحل على عاتقه قيادة جيش الثورة الشمالي فصار على ساحل البحر الأحمر وغادر (المدية) محصورة يحيط بها أنواء الملك علي والأمير عبدالله. وما زال يسير موقفاً بين القبائل والمدن حتى دخل دمشق الشام في اليوم الأول من شهر أكتوبر - تشرين الأول - سنة ١٩١٨ وسجكون تاريخ هذا الجيش بداية تنظيم النهضة تنظيمياً عملياً حديثاً لأن نخبة منتخبة كانت من قادة هذا اللواء. فمهمهم جعفر باشا العسكري مثلاً فإن روايته إنفصامه إلى الجيش العربي الفاتح يجوز أن تتخذ نموذجاً للبراعت التي كانت تدفع بعض العمالين إلى التطوع، فقد خدم جعفر باشا الدولة العثمانية في طرابلس الغرب

مدينتين حرتين ، وسحب الجيوش الفرنسية من سورية الى كيليكيافاذا انتفضي الأمر استعلاء هذه الجيوش مرة ثانية فلا يكون ذلك إلا يطلب رئيس الدولة السورية واتفاقه مع القرض السامي ، اما المستشارون الفتيون فيوضعون تحت تصرف الحكومة السورية ومنها يتسلمون وظائفهم ويستمدون قوتهم التنفيذية بموجب عقود فحدث بينهم وبين الحكومة خلاف فقد أصر العقيد على ان يحل ذلك في مجلس الوزراء السوري لا في فرنسا كما أصر السيو كليمنصو . وتكون دمشق عاصمة البلاد وحلب مقر المندوب السامي واللغة العربية لغة البلاد الرسمية .

لقد أوردنا هذه الخلاصة لبيان الأسباب التي حلت الأمر فيصلا على قول هذا الاتفاق وإمضائه بالحروف الأولى من اسمه كما أمضاه السيو كليمنصو وكيف كان راضيا به، لكن دعاية شنيعة بثت عليه عندعودته، فتراجع من غير نظام لأنه كان لا يزال حديث عهد بالشؤون السياسية والحملات المديدة، بالرغم من جميع تلك الاختبارات البالغة التي مرت عليه ، ولرأه وقف موقفًا ثابتًا ودافع عن آرائه بحل الطريقة المديدة الحاذقة التي سلكها في العراق فيما بعد لوجد من المعتدلين أنصارا يؤيدونه ويقفون في وجه مناهقيه . ولا يدري أحد ما عسى ان يكون التدرج في ديار الشام لم تم هذا الاتفاق وبقي فيصل السياسي الممتاز ملكا على سوريا . وما لا شك فيه مطلقا أنه كان في نفسه راضيا عن هذا الاتفاق ولم يظهر لي ذلك منه في إبان وزارتنا فقط بل في بغداد أيضا في سنة ١٩٢٦ فقد ذكره لي بشيء من الأسف الصريح، وزاد أسفه للحالة المذكرة التي وصلت اليها سورية . وما قاله السيو كليمنصو لفصل عند البحث في هذا الاتفاق : «إن هذا الشعر الشائب الذي تراه في شاري وفودي قد أبيض من معاناة السياسة في هذه البلاد ، وأنا لست استعماريًا ولا أعتقد بالاستعمار . رائني أعرض عليك معاهدة لن تحدد سياسيا فرنسا مسؤولا من بعدي يعرض مثلها ، ففكر في الأمر مليا وأنا انتظر جوابك » .

وفي عقيدتي أن هذه الحادثة وإضرابها، من الحوادث التي جرت في سورية، نفتت ذهن النابغة الكبير وأيقظت مواهبه ودلته على الطريقة التي يستعين بها

البلاد ، وفي شهر أكتوبر ( تشرين الأول ) من تلك السنة تلقى دعوة من الحكومة البريطانية للبحث معه في الشؤون السياسية التي استجذبت وذلك لأن الانجليز والفرنسيين كانوا قد اتفقوا في منتصف شهر سبتمبر - أيلول السابق على ان تتسحب بريطانيا بجيوشها من المنطقة الشرقية وتبقى الجيوش الفرنسية حيث هي في المنطقة الغربية، وعين الجنرال غورال يرموند مندوبا ساميا على لبنان وسورية، والسير هربرت صموئيل على فلسطين . فركب العقيد نسافة بريطانية أقلته الى اوربا فتأخرت على الطريق لمصل طرأ عليها، قبل انه مقفل بقصد التأخير . حتى اذا وصل الى لندن يكون كل شيء من الاتفاق قد تم بين الحليفين . وكذلك كان الأمر لأن الدلائل دلت على أن الفرنسيين والانجليز وجدوا طريقة لا تقسم الأسلاب فلم يبق أمهم إلا تبليغ المهربين القرارات المتخذة بحقهم ، ويؤيد ذلك ما ذكره لي السير تشارلس كراين رئيس اللجنة الاميركية التي آمنت سورية في صيف سنة ١٩١٩ لاستفتاء أهلها في تقرير مصيرهم بقوله : «إننا لا نخرجنا من اوربا في مهمتنا كنا كلنا آمال كبار فلما عدنا اليها كانت نفوسنا طالعة بالحية ، ذلك لأننا رأينا سورية قد بيعت في أثناء غيبتنا بيع السلع . . . بيعت بأبار المروصل» . وهذه الصيغة تمت في مؤتمر أيلول ( سبتمبر ) المذكور الذي قرر ان تكون المروصل في منطقة الانتداب البريطاني . وقد باعها حكومة السيو كليمنصو من غير ان تنبه الى الثروة التي تفيض من أحشائها، فكان من نتيجة الغبن الذي أصابها تلك الحملة القاسية التي نزلت بالسيو كليمنصو ورجاله .

أفهم الانكليز فيصلا بصورة صريحة ان فرنسا أصبحت الآن صاحبة الشأن في سورية، فعليه ان يتفق معها مباشرة وأنهم لا يجمعون ان يكونوا وسطاء خير . فسافر الى باريس حيث اجتمع بالسيو كليمنصو ودخل معه في مباحثات بسط له فيها حرص الأمة السورية على وحدتها واستقلالها فكان من نتيجة هذه المباحثات وضع أسس الاتفاق ( في ٦ يناير سنة ١٩٢٠ ) الذي أطلق عليه اسم ( اتفاق كليمنصو - فيصل ) وخلاصة هذا الاتفاق الوحدة الشاملة للمعربين وجبل الدروز . وجعل بيروت والاسكندرية

الشؤون من غير ان يعرف في التفاصيل ويرتلك بالشؤون العرضية الثانوية مشغولا بها عن الأمور الجوهرية الأولية . فقد كنا ذات يوم في مجلس الوزراء نعالج مشاكلنا مع الفرنسيين كالمعادة ، ونسعى بكل ما أوتينا لدفع كارتهم عن البلاد ، ولم يكن في الأفق السياسي حدث جديد يدعو الى الاضطراب فدخل علينا الملك وعليه علائم الاضطراب والقلق كأنه يتوقع بلاء ثم قال : إني لأخشى ان تسير أمور الدولة من الآن فصاعدا في الوعر وان تتكوم العقبات أمامنا . فقلنا ما الذي حدث ؟ فقال : ان الفرنسيين عقدوا اليوم أسس اتفاق مع الترك وستفرضون لمعالجة القضية السورية لأن اتفاقهم مع الترك يعني توفير جيوشهم في الشمال لمحاربنا في الجنوب . وقد صدق ظنه وجاءت النتائج طبق ما توقع لأن الجنرال غورو حلالا حصل على هذه الراحة في الحدود الشمالية تنمر وكثر عن نابه . ولو أوقف الملك الخلل جزما على قدر فطنته وبعد نظره لشمكن من استقلال ضعف الفرنسيين لمصلحة سورية عندما كان يعصرهم الترك عصرا يقطع الأنفاس في جهات أورفه وماددين وعيتاب .

ولما تنفس الفرنسيون الصعداء من بعد هذه الراحة أسرعوا فأرسلوا إنذارهم الدماغي المشهور الذي قدموه يوم عيد جمهوريتهم ، ومن البواشع الكبرى التي حملتهم على هذا الطيش السياسي وما جر لسمعتهم الأدبية من ضرر . اعتقادهم ان فيصلا عامل انكليزي وأن وجوده في الشرق على رأس حكومة سورية هو إنخفاق لسياستهم وانتصار للسياسة البريطانية ولكن الشيء الذي لم يروه ورأيته بعيننا ولم يلمسوه ولسناه بأيدنا أنه من بعد عودته من أوروبا في المرة الثانية وخيبته من حلفائه السابقين كان أقرب الى الكولونيل كورس والكولونيل طولا عملي فرنسا في دمشق منه الى الكولونيل ايستن عمل بريطانيا . وكانت النقمة في نفسه وفي نفس كل واحد منا على انكلترا لانكارها عهودها العريجة في ساعة الشدة أضعاف ما كانت على فرنسا والذي فات الفرنسيين ان فيصلا هو وطني أولا وسياسي ثانيا وقد أوضح هذا المعنى إضاحا يتم على ما في قلبه يوم قال لمحرر جريدة ( الانفورماسون ) بتاريخ ١٢ شباط - فبراير سنة ١٩١٩ ( يجب ألا تكون الإعانات التي نتناولها من انكلترا للمحاربة الى جانبها وإلى جانبكم حجة

لتأييد مذهبه ، والثابثة مثل الدليل الحافق يحتاج الى شيء من التمرين العملي قبل أن يصير رائد القوم .

لا جرم أن يقول أبناء سورية عن فيصل بن الحسين إنه درس في الاستانة وتقرن في الشام وطلق في العراق .

وفي هذه الأثناء ارتأى بعض الوطنيين ان يواجها فرنسا بالأمر الواقع فاشاروا عليه ان يعلن استقلال البلاد تحت لوائه ويتأييد صولجانه فوافقهم على ذلك ، وفي اليوم السابع من آذار ( مارس ) سنة ١٩٢٠ اتخذوا قرارا السوري قرارا بإعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية وقليل الأمير فيصل عليها . فاحتفلت الأمة في اليوم التالي في دار البلدية بدمشق احتفالا عظيما بإعلان هذا القرار وبمبايعة جلالاته ، وإن أس لا أس وقفته على الدكة يصافح المايهين من ( أهل الحل والعقد ) واحدا واحدا ، ولولا كسوة الملك البراقة على جسمه النحيل وهو امام العرش ، لم تكن هيئته يومئذ لتختلف كثيرا عن هيئته لا رآه الكولونيل لورانس لأول مرة في ( وادي الصفراء ) على طريق المدينة فقال عنه متنبئا : «وعلى الجانب الأبعد من ساحة الدار الداخلية .. . وقف شبح أبيض ينتظرن بلهفة وشرق ، ولما وقعت جنبي عليه شمعت بأنه الرجل الذي قدمت الجزيرة العربية في طلبه - شمعت بالزعيم الذي يستطيع توحيد الثورة العربية بإكليل الظفر ، وظهري وهو بكسائه الحريري الأبيض وكوفته المعقودة بعقال ذهبي قزمي لامع ، طويلا جدا كالعمود ونحيفا للغاية ، وكانت عيناه الداببان ولحيته السوداء ووجهه الشاحب أشبه بالفتاح مسدولا على جسمه المثني انتهاها ساكنا عجيبا . وكان متكئنا ويداها على خنجره فسألني : هل أحببت مكاننا هنا في وادي الصفراء ؟ فأجبته نعم . إلا أنه بعيد عن دمشق الشام» .

وفي اليوم الأول من مايو ( أيار ) سنة ١٩٢٠ دعيت للاشتراك في الوزارة الأتاسية فقبلت وزارة الخارجية فيها ، فأتيت لي أن أرى جلالاته يعمل في أعصب الأوقات وقد كان على اتصال تام بملائق الدولة الخارجية الأختلة في النمو ، وأذكر هنا حادثة تدل على ما تحل به من الموهبة السياسية وكيف كان سباقا الى رؤية الخطر المدهم ومحيطا بالقواعد الأساسية التي تسير بموجبها

يوسف بك العظمة وزير الحربية ، فقد توترت العلاقات بينها قليلا في اواخر عهد الحكومة العربية . لأن يوسف بك كان يتوسل بالشدّة والمليّك كعادته كان يتوسل بالكياسة خصوصا بعدما تلقى من بعض الأمراء المسكرين احصاء بالبنادق والمدافع والعتاد في الجيش العربي دهشنا جميعا للتقص الذي يدل عليه . فبقينا مدة مشغولين بإصلاح ذات البين ، لنحول دون استقالة وزير الحربية ، لأن استقالته في تلك الأيام العصيبة تدل الأعداء على عورائنا وموضع الضعف منا .

وأخيرا قضى الأمر ووقعت الحرب - إن صح أن تدعى حرباً - بين طلول جيشنا المروح وبين آلاف مؤلفة من الجنود البيض والسود التي جمعها غزوه مثل أعظم دولة حربية لسحق أحدث دولة سلمية . وعندما خرفوا الجبهة حيث استشهد البطل يوسف بك العظمة في الصف الأول طوعا واختياراً ، وقتل القومندان اربابوس الأسرى العرب من فرقة مزروق بك التنجي في (ميسلون) ، دخلوا دمشق الشام في عصر الأحد الواقع في السادس والعشرين من شهر تموز - يوليو - سنة ١٩٢٠ ، أما الملك فكان في اليوم السابق قد غادر دمشق على سيارته الى قرية قريبة تدعى الكسوة ونحن تبناه اليها في القطار ولم يتخلف من الوزراء إلا واحد أو اثنان ، وعندما قاربت الشمس أن تغيب هب نسيم عليل يحمل رائحة الشيع والقيوم فأعاد ذكريات الثورة العربية الكبرى في نفس الملك ، وكان مستندا الى الأحجار السود فقام ونزل الى خندق في الأرض طيحي وصار يتعرن على بنديقه كانه جندي بسيط يستعد للطوارئ . ولما أظلم الليل قما الى المركبات التي ألقينا وكانت واقفة في المحطة ، فتناولنا عشاءنا من خبز وكعك وفتح معقن منظر غريب ، ملك ورجاله وحاشيته يبيتون على الطوى وهم على أميال من عاصمة ملكهم وعاصمة البلدان العربية ، أين تلك المهرجانات أين تلك الأعياد أين تلك الإحتفالات ، أين رمضان بباليه والبلاط بجدعويه ، أين تلك الاهاريج والزغاريد للمناجح العظيم منقذ سورية ؟ ومن حسن حظ الملك أنه (ديمقراطي) حتى بين (الديمقراطيين) تستوي في نظره الومائد والأحجار وقطع اللحم وكسر الخبز والركوب في السيارة والشبي على الأقدام ، وقد تعود في الثورة شغل العيش والبيت على الطوى لادراك آمال وتحقيق

تخذ على تصويري بصورة داعية انكليزي . . . يمكنكم ان تصرحوا على رؤوس الأشهاد بأنني لا أعمل أبدا لا للانكليز ولا لفرنسا بل للعرب وللعرب فقط .

وكان الملك شديد التأثير بكل ما عليه مسحة من الوطنية او يطن أنه من عقيدة الوطنيين الصميمة ، الى أن حلت الكوارث أخذة بعضها برقاب بعض فتمرن على التفريق في الوطنيات بين الأصلي والمقلد والصحيح والباطل والنافع والضار ، حتى إذ صار ملكا على العراق كان ثمرة فائدة ، فمن جردوس تلك الأيام العملية ان الجزائر اللني أبلغه برسالة تاريخها ٢٧ نيسان - أبريل - سنة ١٩٢٠ باسم الخلفاء أنهم اجتمعوا في (سان ركو) وقروا إعطاء الفرنسيين الوصاية على سورية والاكليز الوصاية على العراق باعتبارهما دولتين مستقلتين وطلب فيها الى الراحل الكريم بالخارج المخرج الى أوروبا ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد وخصوصا حقوق ملكيته لأنها لا تنقر إلا في مؤتمر الصلح ، وكانت الفوضى بين الخلفاء تفسح مجالاً كبيراً لظهور كياسته ومقدرته السياسية لو لسي الطلب من غير تردد ، لكن دعابة بثت عليه في المؤتمر السوري حالت دون إقدامه على السفر في الوقت الموفق ومضمون هذه الدعاية ان الملك مسافر لتنفيذ معاهدة سرية بينه وبين فرنسا .

وليس في الملك الراحل قابلية الاستبداد الاوتوقراطي بل ميزته هي الكياسة والسياسة وحسن التخرج ، ولولا الميزة ما استطاع العراق ان يسير الى الامام بجمل هذه السهولة ، والراجب ألا يغرب عن بالنا ان البطولة في الرجال هي صفة نسبية تتعلق بالزمان والمكان ، فلو أحلنا للملك الراحل محل موسوليني أو أحلنا موسوليني حله لكانت النتيجة هلاكاً محتماً . قضيصل بطل في البيئة التي تتطلب مرونة ولباقة ودهاء وغاندي بطل في البيئة التي تتطلب اندثاراً وروحاً وفداء . ولو كان غاندي في سوريا أو مصر أو في العراق وأراد أن ينجي هذه البلاد بطريقته الروحية من صلاة واعتكاف والندثار وعدم المقاومة الايجابية لباء بالاخفاق المريع . والدليل على بعد النفيد يومئذ عن الاوتوقراطية الموقف اللين الذي وقفه امام مجتمعات المرحوم

السابقة سوى ثلاث ساعات وأنه جاء على متن الطائرة الى القاهرة من غير راحة، فركب القطار الى الاسكندرية وأنه يستقل الطائرة ايضا الى اوربا بُعيد الفجر. فخنق هذا الحديث شيئا من قلقي ودرجوت ان يكون فيه التعليل الكافي للتعيب البادي على عيائه والشحوب الظاهر في لونه . وفي الخلاصة الآية للحديث الذي جرى بيننا، وهو يا للأسف، آخر أحاديثنا ما يدل ايضا على شيء من التدرج الحثوي في التقيد وعلى قابليته للأخذ بما تحليه التجارب وتقتضيه سياسة الدولة .

جرى ذكر الفتنة الاثورية الأخيرة وكيف أدركنا نازها الذين يسوءهم من المجاورين، ان يسير العراق الى الامام وكيف بقيت الدول الاستعمارية حتى الستين الأخيرة تعتمد على الاقليات الدينية والنعمرات المذهبية لاثارة الفتنة فقال : «ان مسألة تدعى المسألة الاثورية لم تعد من مسائل العراق». فقلت أريد ان أحصل على جواب أطمن اليه عما ذاع عن مظالم الجيش العراقي، فطمأنني بما لا يدع شكاً في نفسي حتى اذا حدث شيء من هذا القيل يكون قد جرى على رغبته ، وتقاليده العرب في هذا الشأن لا تزال مقدسة مرجحة الجانب . أما الذين حللوا السلاح وهددوا سلامة الأمة فقال انهم لا قوا جزاءهم ، ثم رأيت من واجبي أن أزيد الموقف وأظهر شعوري وشعور اخواني بما يدعم جلالته فقلت «ولئن جاز لأهل البسطة السياسية والتوسع الاقتصادي ان يتوسلوا بحل هذه الوسائل الجائفة - من تحريك الاقليات الدينية - لتحقيق غايتهم المادية، فمن دواعي الحزن والأسى ان ترضى بعض تلك الاقليات ان تكون مطايا المنافع الاستعمارية الحثيرة ، ومن عادة اوربا ان تعترف بالامر الواقع متى كانت هنالك قوة تدعمه ، وان جواب مصطفي كمال باشا للورد كرز في مؤتمر لوزان عن الاقلية اليونانية في الأناضول معروف لدى جلاتكهم . ولنا عبرة بالغة من سيرة الملك أمان الله فهو مصطلح ويجدد وطافح بالاخلاص . ولكنه بدأ عمله معكوسا فبدلاً من ان يبدأ بالقوة ليباشر الاصلاح باشر الاصلاح من غير قوة فاضنق إحقاقاً مريعا». هنا استوقفني الملك العظيم قائلاً: ويكاد كل عضو في وجهه ينطق، كن مطمئناً فسترى جيشنا في العام المقبل مؤلفاً من أربع . . (وذكر

أحلام .

كانت في تلك الأيام ثورة في العراق شغلت بال الانكليز وداثهم على ان ادارتهم العسكرية القاسية في تلك الربوع محفوفة بالأخطار، فقررنا ان يستفيدوا من المواهب العظيمة التي يتحل بها من أخرجته فرنسا من أحن البلاد اليه ( بالحديد والنادر ) فعرضوا عليه فاتح العراق ، وكان الفصل الأكبر للمستشركة ( الخاتون ) أو الس ( جرتوبل ) في توجيه أنظار الانكليز اليه فساووا الى القطر الشقيق ونزل على الرحب والسعة بين أهله وإخوانه . وإذا أردت أن أريجز سلوكه في بلاد الرافدين باعتباره ملكاً عربياً سياسياً فابغا فارجزه بالجملة الآتية : ( لقد اتخذ فيصل على عاتقه في بغداد أن يخدم القضية الوطنية بجمعه قطع الجبل بين الوطنين والبريطانيين الى أن يصير العراق قادراً على الدفاع عن نفسه ) . وقد نجح في هذه اللحظة نجاحاً اثار الاعجاب ، ونظرة واحدة الى العراق وما حوله من الاقطار الشقيقة تكفي لجعل أبعد الناس شكاً أقرهم الى الاجبان . ولم يكن فصل من الملوك الذين يلتفتون الى اكتناز المال او يعنون بجمع الثروة ، فلما زرت العراق في سنة ١٩٢٦ علمت من المصادر الخاصة ان راتبه وأعطيه يبلغ يومئذ خمسة وسبعين الف روبية في الشهر يوزع نحو نصفه على المحتاجين من أهل وغرباء . ولا ذهب يوسف بك الى الجبهة للشهادة في سبيل الوطن استودع الملك فيصل ابنه الصغيرة فقام بخدمتها والمعانة بشؤونها الى ان استقلت في معيشتها. وكان ممتازا بين الملوك الشرقيين وبقابليته للتجدد الصحيح والأخذ بمقتضيات النظريات الثابتة ، وقد نشر قليل وفاته حديثاً عن المرأة طريفاً تناقلته الصحف، وكان مثار اعجاب الاخصائيين من النقاد الاجتماعيين .

وفي مساء الجمعة الواقع في أول الشهر المنصرم ( سبتمبر ) تناولت بطاقة الاجتماع الأخير من القنصلية العراقية في الاسكندرية تقول ان صاحب الجلالة الهاشمية قادم

في قطار الليل من القاهرة متكرراً وهو في طريقه الى اوربا ويريد مقابلتك . فلما اجتمعنا رأيت وجهه شاحباً وجسمه هزالاً فساووني القلق عليه لكن نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق أخبرني ان جلالته لم يتم في الليلة

## الرحمة والتجوز

(هذه صفحة من مذكرات الزعيم السوري المروف الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقد تضمنت ذكرياته عن مسألة الوحدة والتجزئة في القطر السوري أيام كان من أركان الحكومة الفيصلية. ويبدو أن ما كتب في هذه الصفحات هو للتاريخ وحده وليس لنا رأي فيه).

كان الفرنسيون في سنة ١٩٢٠ مشبكين مع الترك في حرب عبوس ، فأرادوا ان يستخروا السكة الحديدية من (رباق) الى حدود (الأناضول) لتقل جنودهم وأعادهم ، وكانت هذه السكة في منطقتنا ونحت تصرف الحكومة الوطنية بدمشق وقد اشتدت حاجتهم اليها باشتداد الضمط الذي أتاخ على صدورهم من المجاهدين الترك ، فقلنا في أنفسنا فرصة سانحة لسر غور الفرنسيين ومعرفة ذمتهم ومدى الاستعداد الذي في نفوسهم لتحقيق العهد التي قطعوها لسورية . ففتاح جلالة الملك الكولونيل (ظولا) مرافقة - وهو من ضباط الارتباط الفرنسيين - بالموضوع فسانف هذا الى بيروت ، ومن ثم عاد بعد بضعة أيام يحمل نسختين من صورة اتفاق ، الواحدة ليوقعها جلالاته والأخرى لتوقعها الحكومة . وبعد أخذ ورد طال أمدها أدخلنا التعديلات التي لا بد منها لضمانة حقوق البلاد . وانني لا تخفوني صورة من هذا الاتفاق ، ولكن خلاصته هي أننا نسمح بإمرار الدخائر والراد وبعض رجال الجيش بشروط معينة .

(الأول) الاعتراف الصريح من الحكومة الفرنسية باستقلال سورية استقلالاً تاماً .

كلمة لم تبق في بالي وهو على أتم نظام وأحسن عتاد وأهل لتحقيق الغاية الكبرى التي وضعناها نصب عبوتنا . وقد سرني هذا الجواب منه كثيراً لأنه دلني على ان هذه الاختبارات المديدة الأليمة أفتتته ان القوة ولو لم تستعمل هي شرط - في أكثر الأحيان جوهرية - لنجاح السياسة والكياسة ثم ذكر فلسطين فقال إنها قلب البلدان العربيّة وموضع حرمتها وجلالها وذكر سورية بتألف شديد ثم بدت على وجهه ابتسامة شرحت لي ما في أعماق نفسه وقال : «لقد أعطتنا فرنسا بما أقدمت عليه في الفترة الاثورية فرصة لفتح القضية السورية على مصراعها، وبسمع العالم في الشهر الحاضر حجة العراق في الدفاع عن مصالحه ومصالحها المشتركة، فها قطر ان يتجم الواحد منها الاخر» . فقلت بل العراق من غير سورية قصر بلا بلب وسوريا من غير العراق بلب بلا قصر .

ولا انصف الليل قمتا وتضافنا وكلنا أمل ، ولم يدري خلدي ان تلك الجلسة كانت آخر جلسائنا ونختم جلساته في الشرق .

وما لا شك فيه مطلقاً أن إطفاء الفتنة الاثورية بهذه السرعة وهذا الحرم زاده مقاماً في أعين أهل العراق وسائر البلدان العربية وقوى الروابط بينه وبين رعيته فلما نزل به القضاء المبرم كان بالغا ذروة المجد فلا عجب ان تصعق، البلاد لعيه المفاجيء وأن يعد فقدمه كارثة عربية قومية من الطبقة الأولى .

إن آخر جملة نطق بها وهو يجرد بنفسه على فراش الموت قوله : «أنا مرتاح . قمت بواجبي، خدمت الأمة بكل قواي ، لسير الشعب بعدي بقوة واتحاد» أما نحن فلسنا مرتاحين لأننا دفنا في اللحد، الذي توارى فيه، حلماً ذهبياً عظيماً عشنا على أمل تحقيقه كل هذه السنين الطوال .

عبد الرحمن الشهبندر  
مجلة القطف اكتوبر ١٩٣٣



المرحوم يوسف بك العظمة . فانه لما كان وكيلًا للحكومة الوطنية في بيروت زار الجنرال غورو فقاما يتمشيان في قاعة القصر وكان على مائدة الجنرال كتاب بقلم المسو روبر دي كاي أستاذ الاستعمار في مدرسة العلوم السياسية في باريس - وهو اليوم وكيل فرنسة الرسمي في عصبة الأمم عن بلاد الانتداب في الشرق فأطرى الجنرال الكتاب إطرأ عجيبا وأشار على يوسف بك ان يتصفح ، فلما قلبه المرحوم وجد علامة بالأجر على احدى صفحاته فقرأ تلك الصفحة بإمام نظر فإذا هي خطة عملية قائمة على تنفيذ بعض القواعد السياسية في شمال افريقيا ، منها تشجيع المادرات المحلية والتقاليد القبلية والأخذ بانصر اللغة البربرية في وجه اللغة العربية - والخلاصة هي خطة ( الظهور البربري ) المعلوم .

وأكد لي هذه البرادر بصورة رسمية ما صرحت به الوزارة الفرنسية في أرائل سنة ١٩٢٠ على لسان رئيسها المسو (ميليران ) من القول إنها إنما جاءت سورية للأخذ بانصر الشعوب ( بصورة الجمع ) الناطقة باللغة العربية في الأراضي السورية ومساعدتها على الاستقلال .

لا جرم أننا بعد هذا البيان الرسمي وما يتبعه من الملاحظات الدقيقة قررنا ان نجعل وحدة البلاد شرطا جوهريا لاستقلالها . لأنه من الميث أن نضمن الليت الذي يعيش فيه أبناء الوطن راحة وهناء وهو مقسوم على نفسه .

هذه هي خلاصة الشروط التي اشترطناها ، ولكي كنت قائما في نفسي برفضها ، لأنني عرفت من الأخبار التي ترامت إلي أن المسو روبر دي كاي مسار الى فرنسا لاتقاع أولي الأمر بضرورة تجهيز جيش لاحتضار سورية ، حتى انه سيلج الوزارة الفرنسية ما يشبه الانذار بقوله إما ان ترسلوا جيشا يقبل الموقف ولما أن تعفوا الجنرال من هذه الخدمة بتاتا .

وزاد في اقتناعي ما وصل الينا يومئذ من ان الترك بلغوا في مقارعتهم التهديدية مع الفرنسيين ما يشبه الاتفاق، بما يجتف العبء عن كاهل الجيش المحتمل في الشمال ويعطيه الحرية في التنقل والارتكاز .

( الثاني ) الاعتراف بوحدة الشعب السوري والمملكة التي يقيم بها .  
( الثالث ) ان تأخذ حصتنا من المكس التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر ( حيفا ) .

وبلغت هذه الخصة يومئذ زهاء خمسين الف جنيه مشاهرة . وموارد المكس لا تزال منذ الاحتلال الى اليوم في قبضة الفرنسيين لا يعرف أحد بالعبط طريقة التصرف فيها . ولكن الاحصاءات عن السنة الماضية دلت على ان جيش الاحتلال وموظفي القرضية والمائتين الأورورين وجاهلين من الفرنسيين يأخذون ثلاثة أرباعها . فقد كان دخل ما يدعى ( المصالح المشتركة ) لسنة ١٩٣٢ - وأهمه موارد المكس - ثمانية ملايين وستمائة الف ليرة سورية ، أو نحو مليوني جنيه استرليني بالسعر الحاضر ، وصرف منها على الجيش المحتل أربعة ملايين ونصف مليون وعلى موظفي القرضية ثلثمائة وخمسون الفا ، وذهب منها الى الديون العامة - التي حل بنا عقابها ونجا من مظلمة الترك مقترفوها - مليون وثلثمائة وخمسون الفا ، وبسد عجز موازنة السمكة الحديدية بتسعمائة الف ، وما بقي وهو مليون وخمسمائة الف ونزع على الدويلات السورية .

وما قلنا في جربنا عن حصتنا هذه يومئذ : إنكم تمنعون لأننا لا نعاملكم معاملة الخليف في السماح لكم باستخدام سكاننا الطيدية لمحاربة جيراننا ، مع أننا أحق بهذا المنعجب ، لأنكم بملككم هذا لا تخوموننا فقط حق الخليف بل تخوموننا حقا صريحا من مواردنا تم الاتفاق عليه في المؤتمرات المشتركة التي عقدناها .

والذي أريد أن ألفت اليه نظر القراء خاصة هو النص المتعلق بالوحدة السورية وهو ما يقيم البلاد ويقدمها في الأوتة الحاضرة ، فقد شعرنا حتى في تلك الأيام البعيدة ان الفرنسيين عازمون على تطبيق مناهج تجرئي في البلاد ، وهو مناهج على ما أرى من أعظم الأسباب التي زرعت بذور الانتباه في قلب أبناء البلاد وولدت سوء الظن حتى في نفوس من تربوا على طريقة القرون الوسطى .

وكان من البرادر التي دلت على هذا الاتجاه ما قصه علي وزير الحربية

قوى متكافئة بحيث اذا حدثت لها كارثة من أهل البلاد تقف هذه القوى الواحدة في وجه الأخرى وتبقى يدها ميزان الأريحية فتتزل هذه الكتلة او ترفع تلك عند الحاجة بأقل ضغط . فقد جيشت في سنة ١٩٢٦ جيشا من النظرعة الشركس من ( القنيطرة ) والأرمن اللذين نزلوا ضيوفا بسورية والاسماعيلية في ( حماه ) وحاربت مع المجاهدين السوريين قتالما يوظفهم بكل جرأة .

وزاد يومئذ في خوفا من الجزئية ما عرفناه من ان تحريك العمرة الطائفية - إذا اراده أصحاب السلطة - ليس متيسرا فقط في منطقة بسيطة كجبال العلويين بين أهل السنة والنصيرية مثلا بل هو متيسر أيضا في جزيرة أروبية راقية كالبرلندة بين أهالي ( بلساست ) البروتستانت وأهالي ( بلن ) الكاثوليك .

ولا شك ان فيلسوف القرنين الاجتماعيين (أوغست كوتل ) كان واهما يوم ظن ان البشر قد جازوا العصرين التمهيديين الباليين - العصر الخرافي والعصر الكلاسي - إلى العصر الثالث وهو عصر التحرر المبني على الملاحظات والتجارب والاستقراء فوضع القواعد الكلية ، لأن دول البسطة السياسية والتوسع الاقتصادي لا تأتي في القرن العشرين أن تستعين حتى بالوسائل التي استعان بها شيوخ القبائل في الثغابات لتأييد سلطانهم قبل عصر التاريخ ، ومن دواعي الأسف أن خدمة النظريات (الوسطية ) كثيرون في كل مكان وهذا ليس بالمعجب لأن العقول في سواد الناس لا تتحرر ، وأما المعجب كل المعجب أن تتزل الدول المظلمة فيها يدعي (عصر النور ) الى الأخذ بهذه النظريات العتيقة والاحتجاج بها لمرقلة التحول العقلي المنشود .

وكم تساءلنا في أنفسنا في تلك الأيام المضطربة التي لم يهدأ لنا فيها بال : ماقول فرنسا لو احتل الألمان بلادها مثلا فزأوا لأجل تنريق وحدتها ان يحتجوا ببعض الفوارق الجنسية واللغوية الموجودة بين عناصرها حتى هذه الساعة ، والتي ليس عندنا ما يضارعها فخلقوا على أنقاضها دوليات صغيرة في (بريتاني ) و (دوركوك ) و (البرنية الشرقية ) وبلاد (الباسك ) وجزيرة

وقد صحت هذه المقيدة لأن الجنرال أرسل الى الملك رسالة يرفض فيها الشروط المبرومة ويقول إنه يكفي بالتصريح الأول الذي صرح به (ميليران ) عن استقلال الشعوب (كدا ) الناطقة بالبرية في الأراضي السورية ، وأن حكومته لا تسمح له بتغيير شيء ما ورد في هذا التصريح . وليس من الممكن أن يكون الكولونيل (طولا ) مطلقا في كتابة ذلك الاتفاق الذي أنانا بنسختين منه حتى يصبح أن يرفضه الجنرال وإنما الذي حدث وغيره في نفس الجنرال هو ما تناوله من الأخبار المشجعة المتعلقة بسفر السيو (روبردي كاي ) الى باريس من جهة ، ومن تقدم المفاوضات مع الترك من جهة أخرى ، وقد انتهت هذه المفاوضات في نهاية الامر بانسحاب الفرنسيين من (كيليكيا ) بتاتا وخروجهم من (كلس ) و (عيتاب ) و (أورف ) وغيرها من المدن التي استسلم في الدفاع عنها الكماليون . فقد أذاع قلم المطبوعات في (بيروت ) في اليوم الماشر من شهر حزيران - يونيه - سنة ١٩٢٠ البيان الغريب الآتي :

« إنه على إثر فوزنا في عيتاب بعد كسرنا عصاة الترك شر كسرة - وهو فوز قد أتاح لنا ان نضمن المواصلات بين كلس وعيتاب وأن نظهر المنطقة من عصاة النهائيين - بات ممكنا للحكومة الفرنسية ان تعقد المسألة التي يتمناها فريق من حزب الترك الوطني .

« ولا شك أن الحكومة الفرنسية تعقد شأننا على عودة الملاقاة الحسنة ، فقد كانت هذه الملاقاة من التقاليد المرمية بين فرنسة وتركيا . ولاعادة هذه الملاقاة ولتبع إهراق الدماء ولصيانة هذه المناطق الغنية من أهوال الحرب لم تتردد الحكومة الفرنسية في إقامة هذه الملاقاة بينها وبين مدبري الحركة الثورية . وقد عقد الاتفاق مباشرة مع مصطفى كمال زعيم هذه الحركة ، فوافقت الحكومة الفرنسية في ٣٠ أيار - مايو - على إيقاف القتال » الخ .

وليس من المعذر على الباحث ان يعرف الأسباب التي حدثت بالفرنسيين الى الاصرار على مناهج التجربة والتمسك به الى النهاية ، ذلك لأن هذه التجربة قائمة على مبدأ له شأن عظيم في الأعمال الاقتصادية وهو (الخصول على الأكثر بأقل جهد ) يعني ان فرنسا تريد ان تؤلف من السوريين أنفسهم

فهم أهل لأن يصنفي الى حديثهم . وأما خيالات الظل الذين يرقصون على كل لحن يسمونه، ويقولون بكل عقيدة يافتونها من وراء الستار ، فهم أهل لأن يمزقوا ويوضعوا في سلة المهملات .

عبد الرحمن شهيد  
مجلة الهلال جزء ٦

(كورسيكا)، وأخذوا بنصرها وتقوية شقة الخلاف بينها للقضاء على المنصر (الغالي) التغلب فيها ؟

ولا مشاحة في أن تسلك الفرنسيين بنظرية التجزئة التي وضع تصميمها المسيو (دوبري دي كاي) على عهد الجبرال (غورو) قد أدى الى هذه الفكرة التي نراها في أبناء البلاد الماملين، والتي تنبأنا بحدوثها منذ شعرنا بتطبيقها . لا جرم أن المسيو (برنصو) لما أراد ان يعقد معاهدة مع الحكومة السورية الحاضرة على أساس هذه النظرية هب الوطنيون في شهر فبراير - شباط - الماضي فمقدروا مؤتمرا في حلب قرروا فيه اعتبار كل مفادضة لا تقوم على أساس الوحدة لاغية .

وما تجب ملاحظته ان الاصرار على التجزئة نبه الأذهان حتى في الذين لا يفكرون تفكيرا سياسيا، الى الأخطار التي تحق بالبلاد من جراءها . بل عمل رد فعل في الناس فجدد الدعوة - على عيار واسع - الى (الجامعة العربية) التي كانت أمنية الشعب قبل الحرب العالمية والتي ذهبت النخبة المنتخبة من السوريين الى مشائخ جبال باشا في سبلها ، وفرنسا هي أدرك الأهم بشأن هذا الاتجاه وقيمته السياسية في الشرق الأوسط . وان هذه الأمنية الغالية التي تزداد رسوخا في العاملين يوما فيوم هي التي حملت (المؤتمر السوري) الذي عقده في الشام على عهد الحكومة الوطنية على القرار الآتي، في مساء السابع من آذار سنة ١٩٢٠ وهو :

«ولما كانت الثورة العربية قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك وكانت الأسباب التي يستند اليها، في إعلان استقلال القطر السوري هي ذات الأسباب التي يستند اليها في استقلال القطر العراقي . وبما أن بين القطرين صلات روابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجسدية تجعل كلا من القطرين لا يستغني عن الآخر . فنحن نطلب استقلال القطر العراقي مستقلا تاما على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي» .

ونغي عن البيان ان الذين هياوا الأفكار لاتخاذ مثل هذا القرار التاريخي هم الذين صودروا وطوردوا وعذبوا وشقروا في سبيل عقيدتهم الوطنية . إذن

## هل ديس أم للشرب أن يستعير مجده

المجد الشرقي القديم هو مثل النسب الشريف الذي يتغنى به العظماء، لا يجلب لأصحابه منفعة ولا يدفع عنهم ضرا ما لم يتعهدوه بأسباب الحياة ويفقدوه بالعناصر التي تنميه وتبعث فيه روح الارتفاع . وكما يكون التحدث عن شرف الأرومة وطيب المجدد في الأسرة العظامية الحاملة التي فقدت كل شيء سوى التشويق بعظم الآباء وفخر الجدود ، سببا للسخرية والازدراء، كذلك الطعنة بذكر المجدد الشرقي الرائع والبطولة الشرقية الخالدة، مع بقاء الشرقيين في رتبة الذل، وأغلال الجمود، هو مدعاة الى الاستمزاز أيضا .

ثم إذا ذكرنا المجد الشرقي القديم فأني مجد نعي ؟ أنعي مجد الحثيين والفراعنة والاشوريين والبابليين والكلدانيين والفينيقيين ومن هذا حذرهم ، وكلها أم قد خلت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ؟ ولا أدل على زوالها من أن اللغات التي نطقت بها أصبحت حشو لقائف البردى ونحت انتفاض الطابق أو رهن التحقيقات الأثرية . واللغة هي الصورة الملصق الدال على تفجر الحياة والأمة تكون حية على قدر حياة اللغة التي تنطق بها .

أم نعي مجد البيت وكوريا والصين ؟ وهذه أم بعيدة عنا ولم تتغير في نظري كثيرا عما كانت عليه منذ ألوف السنين . فإذا كان لها مجد غابر فإنما هو بالنسبة الى ما كانت عليه الأم الأخرى، والمجد الذي لا يجري مع الزمن هو مجد متراجع لأن دستور الحياة ان الذي لا ينمو يموت . ووفق ذلك فالطوارئ التي تطرأ على مدنيها لا تؤثر في مجتمعا مباشرة .

يزالون يذبحون على الطريقة القديمة بالسيف وينحرون بالخناجر وهذه طريقة قليلة الجدوى لا تأنف مع الارتفاع الفنى الحاضر . لذلك أصبح جدهم مثل آلتهم عتيقا - وما لم تعلموا على الطريقة الحديثة فيدكو جفرفة واحدة قصرا ويلغم واحد سفينة ويقتلوا بقبلة واحدة ألفا . ما لم يتعلموا ان يستخدموا أحدث الآلات المتقنة التي تعطي أطيب محصول بأقل مجهود ، أنكرت عليهم أوروبا ، ليس حق المجد فقط بل حق الحياة .

ولكن الشرقيين أخذوا أخيرا يتعلمون بسرائرهم ، لأن سني الشدة التي عاشوا فيها ردها من الزمن نهبت قابليتهم ، حتى أن أشد المتعصبين للغرب عن يقولون بالسلالة الآرية وحدها وأن من بعدها كذب النسابون ، ولكن يتصبون الحواجز الجنسية عالية لتلا تندنس السلالة الآرية بالاتصال بالسلالات الأخرى ولو كانت آرية شرقية - إن أشد المتعصبين مثل هذه المسخافات البالية مرغمون على الاعتراف بأن المجد لم يعد وقفا على أبناء جلدتهم . وأن الشرقيين حتى الموزيليين منهم يستطيعون - إذا شئوا عن مساعد الجد - ان يساهموا في هذا المجد وحسبنا ان تضرب على ذلك مثلا عما عمله اليابانيون في بداية القرن الحاضر وهم من صميم المنول وما عمله الزراء عقب الحرب المالية وهم من السلالة الطورانية . لبيان ان الثقافات الشرقية حتى التي لا تمثل أرقى النماذج ، أو التي لا تمت إلى الثقافات المشهورة بعرق بعرق - في مقدورها ان تنازع الغربيين جدهم وأن تقل حديدتهم بالجديد الذي طبعته على غرارهم .

ما بذلك على الممجية التي كان عليها اليابانيون إلى عصر متأخر ان الذين كانوا يلبسون الزرد منهم على قيد الحياة ، ولم يتقضى بعد جميع أفرادهم من الدماء الذين كان عليهم إذا ما الشريف من أمامهم ان يسجدوا له وإلا مرقهم حراسه من طبقة ( الساموراي ) شترق . وقد بقيت اليابان إلى سنة ١٨٦٩ - وهي سنة تغلب الميكادو على حكم الاقطاع وأمراءه - تتخط في خزجلات القرون الوسطى وتتأزعا أيدي الشقاق الداخلي والتارات لثدءاء المسفكة ويتحكم فيها نفر من أهاليها لا يتجاهرون الخمسة في ثأته . مؤلفون من الإشراف ويطأنتهم ( الساموراي ) وهم المحاربون الذين

وفي الشرق أقم أخرى غير من ذكرنا إما أنها ليس لها مجد غابر فتستعده أو كان لها مجد ولكنه ليس من وضعها ولا مطبوعا بحاتها . فلم يبق وحالة هذه سوى مجد الثقافة العربية وهذا ما أظنكم تقصدون في السؤال الذي اقترحوه ، وهو مجد تلك الثورة التي انبثقت في القرن السابع للميلاد وانتشرت لورتها في أقل من قرن من المحيط إلى المحيط . فهذه الثقافة ثقافة حية ، تعيش في أجوائها وتفرح في أمواتها ويبتدى بأوارها . وكلما حاول أناس من المبشرين أو المستعمرين أو المتعصبين أو الهدامين ان يطفئوا هذه الأنوار بالدمعة إلى العربية الدامية ، برأوا من حرص المتسمكين بالنصحي على الجامعة العربية ما يقف سدا متيعا في وجوههم ويرد كيدهم إلى نحورهم ، إن هذه الثقافة هي دوحة ريانة جلورها ثابته في تربة القرون الوسطى واضعابها تمايل في سماء القرن العشرين .

ثم ما هو مقياس المجد يا ترى ؟ هل هو العلم والمعارف والأخلاق والخصارة وحدها وقد رأينا أهل سويسرة والبلاد السكندنافية مثلا يتالون الشطر الأوفر منها وهم مع ذلك في هذا المجد دون الأمة الإيطالية التي لم تبلغ من أسباب الارتفاع شأوهم ؟ ويتجلى هذا التباين في تقدير المجلن بما للاطليان من المقام الدولي المحمود بالنسبة إليهم ، فلا يجلم أحد من السويسريين أو السكندنافيين ان يكون في تلك المهنة الدولية التي تدعى ( صعية الأمم ) سيما ناقد الكلمة مثل زميله الايطالي ، والسبب في ذلك ان المدنية الأوروبية ، لسوء الحظ اعتقدت بما تشتهر الأمم من مشرفيات طر الرقاب أكثر عما تقبض على مشارط لبط الأوجاع ، وبما تحمل من بنادق لحرق القلوب أكثر عما ترفع من مصاحف لشرح الصدور ، وبما تنصب من ألغام لاغراق المدرعات أكثر عما تنشيد من منائر لهداية السفن ، وبما تنشر من غاز خائق أكثر عما تلهم من وحي منش . ان الناس في المشارق والمغرب عاينون الاصغاء إلى أبرز المقذوفات أكثر من همس الضمائر فاذا كان مقياس المجد عند الدول حتى في القرن العشرين لا يزال الحديد والناار فالحليل الوحيدة إلى المجد هي وبه للأسف اتفاق فن النايح على عيار واسع . ومن سوء حظ الشرقيين - أو من حسن حظهم - ان معظمهم لا

مثل الشروط الذي قطعته اليابان . فقد كانت سنة ١٨٦١ أمة (تروسطية) أو صورة هزلية وهيمية لأشد النظم الانقطاعية تطرفا فأصبحت بعد جيل واحد فقط على مستوى أرقى الدول الأوروبية وهي تفوق الروس الى مدى بعيد . وقد قضت قضاء مبرما على تلك الأسطورة الخرافية التي تزعم أن آسيا لن تبلغ شأن أوروبا . بل ان اليابان أظهرت للملأ ان الارتقاء الذي تتدرج عليه أوروبا هو ارتقاء يعطيه وكأنه لا يزال في طور التجربة ) .

وسم العالم العربي المتحفز للبهوض ان يعرف شأن الرجل البارز في تكوين الأمة وكيف ان فردا واحدا من أفراد اليابانيين يعود اليه الفضل الأكبر فيما بلغته أمة من المجد الطريف . وهذا الفرد هو البرنس (ايتو) المتوفى سنة ١٩٠٩ فقد كان الروح للمهمة والقوة المحركة التي دفعت باليابان الى الامام . وتتصل نسبة بطيقة ( الساموراي ) التي ذكرناها وهي طيقة البجود، حراس الإشراف، وهو فرد من أفرادهم المعادين . وقد أدرك منافع المدنية الغربية من أوائل أمره ، واضطر الى معاداة بلاده والسفر الى انكلترا مع أربعة آخرين فرارا من الموت . وحسبه شرفا أن بلاده كانت كلما وقعت في ورطة أو شعرت بحاجة الى بعثة حكيمه تتطلب الحزم والعزم والبذل وبعد النظر ودقة التفتيب ، كان اليابانيون يشيرون اليه ( اشارة غرقى الى الساحل ) .

ومن المشهور أن ( الشنتوية ) هي عقيدة اليابانيين الدينية الاصلية قبل دخول الكونفوشيوسية الى بلادهم . وهي مزيج من عبادة أرواح السلف ونظمهم الملوك . ولا يجوز ان تعد دينا بالمعنى الذي نفهمه لأنها خلو من الفكرة الاخلاقية . ويحافظون عليها عاقلة القبائل البدوية في بلاد العرب على عاداتهم . فمن التقاليد اليابانية التي كان لها اثر ماض في تدرجهم الوطني الحديث عقيدة عملية تدعى ( البرشيدو ) واليها يرجع الفضل الأعظم فيما أظهره من بطولة خالدة في حزمهم مع الروس . وهي قائمة على شعور عميق بالآباء وبالواجب الذي يقتضيه الشرف . وتتطلع الى الفقر بدلا من الغنى ، وإلى التواضع بدلا من الكبرياء ، وإلى الكتمان بدلا من الثروة والتبسط ، وإلى البذل بدلا من الاتانية ، وترفع مصلحة الدولة فوق

يقومون بحراستهم .

لكن اليابان أصبحت بعد الحرب العالمية احدى الدول الخمس العظمى القابضة ناصية الدنيا بأجمعها . وهي التي حسب لها أكبر حساب في مؤتمر واشنطن البحري من بعد اميركا وانكلترا فقط . وأصبح عملوها يتأسسون في بعض الأحيان عصبة الأمم في جنيف أو يدبرون لها ظهورهم مديرين اذا رأوا منها قلة اكتراث بمطالبهم التوسعية والغارات التي يتنون شنها على جوارهم . فما الذي حدث يا ترى ؟ وأي حديث عن الجان كما تسأل ( جارفون ) أو أية خرافة من الخرافات تفوق هذه الأعجوبة التي تمت في زماننا ؟

إن الذي حدث فحمل المتصمين للمدينة الغربية على تعديل نظرتهم في الشرق ان اليابان حاربت الصين في سنة ١٨٩٤ فقهرتها وهي لا تكاد تبلغ السمس من سكانها . اذا كان هذا البرهان ناقصا لان الحرب وقعت بين شعيتين شرقيين موزولين لا يكسب الظاهر منها فيها إكليل المجد فهل يستطيع هؤلاء المتصمين أن يجروا اليابان منه من بعد إعلانها الحرب على روسيا في سنة ١٩٠٤ وما قدمت فيها من براهنين قاطعة على أنها لا تفوق الصينيين الشرقيين فقط في جز الرقاب ويقر البطون وهدم المدن بل تفوق الأوروبيين أنفسهم ، كما هو ظاهر من المعارك الثلاث الآتية : (الأولى) - (لياو - يانغ) والأربعون ألفاً من القتل والجرحى الروس للذين ذهبوا فيها ، (الثانية) معركة (موكدن) والألوف المائة الذين سقطوا في الميدان بعد انهزام قائدهم (كورونايكين) شر هزيمة (الثالثة) معركة (تسوشيما) البحرية وضمحلل الأسطول الروسي بتأبا فما سلم منه من الغرق جره الأميرال (طوغو) بسلاسل الأسر . وكان هذا الانتصار الياباني أعظم انتصار بحري وقع منذ معركة نلسن في (الطرف الآخر) .

وليس في مقدور أمة شرقية ان تدلي بحجة أقوى من هذه الحجة أو (الحجج) على حقها في المجد . حتى ان كاتيا أوروبا اشتراكي التبعة يكره الحرب وما تجره من ويلات مثل (تش . جي . ولز) اعترف لها بهذا المجد مرغا بقوله ما خلاصته : ما رأينا قط في التاريخ أن أمة قطعت شوطا بعيدا

لاسترضاء العرب، وهم يتجاوزون نصف المملكة، حاولت تبريكتهم وان تعلمهم لغتهم العربية في عقر دارهم بكتب تركية . فكان ما كان من ابتداء ذلك التصديق المريع في بناء الدولة الى ان اتقه احمد جلال باشا واعوانه من السفاحين بنصب المقاتل للنجبة المنتخبة من أبناء العرب . وهذه أخطاء في الادارة لا يرتكبها صبيان الأتمة، وقصارى القول إن أفراداً من هذه العصبية تأمروا على سلامة الدولة فساوقوها رغم أنها الى حرب سنة ١٩١٤ . وبدلنا على مقدار الشر الذي أصاب الترك منها قبول الخليفة محمد السادس وحكومته والمجلس الأعلى الذي عقده في ختامها معاهدة (سيفر) القائنة على الاسس الآتية :

- ١- تخفيض الدولة العثمانية من ٦١٣٥٠٠ ميل مربع و ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة في سنة ١٩١٤ الى ١٧٥٠٠٠ ميل و ٨٠٠٠ ٠٠٠ من السكان .
- ٢- ألا يبقى للترك في أوروبا غير القسطنطينية مع شقة رقيقة لحماية .
- ٣- السماح لليونان بالاستيلاء على الجهة الأوروبية من الدردنيل وادراجها باسم لجنة خاصة .
- ٤- السماح لليونان بالاستيلاء على أزمير وداخليتها الى ان يقر مجلس عصبة الأمم ضمها الى اليونان نهائياً .

- ٥- منح الأرمن استقلالهم وتأييد دولة في الأناضول منهم .
- ٦- ألا يكون لتركيا أسطول بحري أو جوي وان يخفص جيشها الى شرطة فقط .

- ٧- أن تعود الامتيازات الأجنبية الى سالف عزوها قبل النافها في أرقايل الحرب .

- ٨- أن تؤدي تركيا غرامة باسم تعويضات وغيرها من الأعباء المالية والاقتصادية عما يجعلها في الرق الى الأبد .

وأضمت في تلك الغضون انكلترة وفرنسا وإيطاليا اتفاقا لحماية مصالحهن الخاصة قسمن فيه ما بقي من تركيا الى مناطق نفوذ .

وبقت الموافقة على معاهدة سيفر هذه في اليوم العاشر من اغسطس سنة ١٩٢٠ ووضعت أسسها موضع التنفيذ منذ شغل اليونانيون في تلك السنة

مصلحة الفرد ، ونزكي ناز الحماسة في الأفئدة وتبعث على الشجاعة وتقابل المروت وجها لوجه . وشعارها ( النار ولا العار ) وتتطلب تدريباً رياضياً وعقلياً دقيقاً . وتنمي روح الجندي ، وتوصي بالأقدام والأمانة والعزم وكبح جراح النفس ، وتدريب المسالين كما تدرب المحاربين ، وتزوي النساء كما تزوي الرجال .

هذه هي ( البرشيدو ) التي تتفق والشيء الكثير عما ورثناه من تقاليد ( الفروسية ) العربية منذ الأزمنة الخالية . وهي تقاليد لا يقتضيا إلا تيميمتها والغرب على نعمتها حتى ترسخ في الأذهان .

هذه هي اليابان وهي لا تحتل أرقى السلالات الشرقية . وقد ضربناها مثلاً واحداً من ملايين على ما يمكن ان تبلغه أسمى الشرق حتى شمرت عن مساعد الجبد وغيرت اتجاهها في فهم الدنيا فأهملت المباحث العقيمة التي لا توصل الى شيء وانصرفت الى ملاحظة الشؤون العملية ودرستها درساً تجريبياً قابلاً للتطبيق . أما المثل الآخر فهو سلالة شرقية أيضاً قامت بأخطر الأدوار بعد الحرب العالمية . على أنها ليست لها ثقافة خاصة مطبوعة بطابعها القومي بل كانت ثقافتها في معظم النواحي عربية ، وهذه السلالة هي تركيا الطورانية الحديثة .

تركيا

ليس القراء بحاجة الى من يذكرهم بتركيا قبل الحرب ولا الى العصر الحميدي وجواسيسه وجهائه وزرعاته حتى صارت ادارته مثلاً شيزودا في الفساد . ونحن الذين رأينا رؤية العين شواهد على أعماله تفصحك التكلل لا تزال على قيد الحياة . وفي العصر الحميدي كان الأجانب في المملكة يتمتعون بامتيازات أجنبية جعلتهم سادة البلاد مستقلين كل الاستقلال يفعلون ما يشاؤون ولا منازع لهم . ولكن بطش السلطان كان مطافاً في الرعية لا حد له . وعاطفة واحدة في الكلام أو في الفصح كافية لإلقاء صاحبها في غياهب السجن . ومع ذلك فمثل هذا السلطان كان يدعى من على سدة المنابر ( سلطان اليرين وخاقان البحرين ظل الله في الأرض ) .

ثم جاء اندور الاتحادى فتربعت على دست الحكم عصبية من الأغرار جهشت أصول الإدارة الابتدائية ، وأنها بدلا من ان تصرف جهدها

مصالح بريطانيا وطمعها في الاستانة ومضائقها . وكان سرور إيطاليا عليها أيضا ان تعقد في تلك السنة اتفاقا مع الترك أخرجهما من الرقعة التي ألقتهما أطماعها فيها، واعتزف الكونت (سفورزا) وزير خارجيتها بأن مصلحة إيطاليا الخاصة أن تجد لها في تركيا المسلمة سوقا لتجارها وبحالا لمشروعاتها . وقد تهددت إيطاليا في هذا الاتفاق أن تزيد السلطان القوي التركي تأييدا تاما وأن تعيد الى قبضة يده ترافيا في أوروبا وأزير في آسيا الصغرى ، وكذلك عقد الكماليون في تلك السنة اتفاقا مع البولنديك على أساس الاعتراف بحق المصير .

بقي اليونانيون يطرحون في الأناضول بتشجيع بريطانيا الى ان وصلوا الى (صقارية) و(كوك صو) كما ذكرنا فكثر عليهم الترك وحلوا عليهم تلك الحملات الصاعدة التي كان لها دوي هائل الى ان جرفهم جرفا وأرجعهم بقضهم وقصيصهم الى أحضان الملك قسطنطين في أقل من ثلاثة أسابيع . فلم يبق شك، من بعد تلك الدماء اليونانية المهرقة، في حق تركيا في المجد . ولا جرم ان الحلفاء في الثالث والمشرين من سبتمبر سنة ١٩٢٢ دعوا اقترعة للمفاوضة في عقد معاهدة على الأسس الآتية :

- ١ - اعادة ترافيا الشرقية الى الترك .
- ٢ - انسحاب الحلفاء من القسطنطينية .
- ٣ - ضمان حرية المضائق .
- ٤ - حماية الأقليات القومية والدينية .
- ٥ - دخول تركيا في عصبة الأمم وضرب ذلك .

قال الاستاذ (فيليب برون) : (وهكذا نرى الترك بعد مرور أربع سنوات على هدنة (موزوراس) المزرية التي عقدها في اليوم الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩١٨ قد خرجوا ظافرين في هدنة مودانيا) .

ولا عقد المؤتمر الرسمي في لوزان في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ لبحث هذه الأسس وإعادة السلم الى نصابه كان الكماليون قد استولوا على أهم المواقع الحربية وكانوا هم وحدهم - كما قال الاستاذ برون - مستعدين للحرب اذا اقتضت الحالة للدفاع عن القواعد الأساسية . لذلك وقف عصمت باشا

خط بورصة - عشاق على غير المندرس حيث ساعدتهم الايطاليون بجيوشهم عند الجناح الأيمن . ثم سقطت أدريّة وأُنزل الأسطول البريطاني قوة بحرية معها جيش يوناني في رودستو في ترافيا وباندرمه وآسيا الصغرى . وفي شهر يوليو من السنة التالية وهي سنة ١٩٢١ استولى اليونانيون بمعية اكلترا ايضا على آقيون قوة حصار وكوثامية وأسكى شهر وواصلوا زحفهم الى بحر صقارية وكوك صو .

ولكن بطل تركيا الحديثة ومقد شرفها الحربي من العار الغازي مصطلقى كمال باشا كان قد اعلن في الثلاثين من يناير ١٩٢٠ ان حكومة اقترعة هي وحدها الحكومة المسؤولة عن الشعب التركي . لا جرم أن الوطنيين الترك تنفيذاً لميثاقهم الوطني المقدس أعلنوا أنهم لن يرضوا بمعاملة سيفر ولن يخضعوا لشروطها . أما ما حدث من تقدم اليونانيين وحلفائهم فلم يفت في عضدهم ولم يصفهم الجحائم بحق الحياة . وزادهم لها أن يستعين اكلترة بشعب كالشعب اليوناني بقي خاضعا لتركيا مئات السنين لإرغام أنفسهم . وهذه خطية في السياسة تعد من الدرجة الأولى وإذا أراد شرقي ان يعرف كيف يستطيع الشرق ان يستعيد مجده فليقرأ بإنعام نظريات تاريخ الحرب التي استعرت في الأناضول بين الكمالين واليونان وكيف برهن الترك على أنهم أهل للمجد والاحترام بما أتوه من ضروب البطولة والاستماتة في الدفاع عن الأوطان . الى ان اضطرت أوروبا وعلى رأسها اكلترا الى الاعتراف بالأمر الواقع، وأخذت الدول ذات المصالح المتباينة تاتي الى الترك تحطّيب دهم . فمن ذلك ان الفرنسيين لا شعروا بوقفتهم الخرج في سورية وحاجتهم الى الجند في احتضاعها اسرعوا فسحبوا من كيكيا جيوشهم التي ساقوها على الترك لانشاء الدولة الأرمنية . ومن ثم عقد لهم المسير فرانكلن بويرن معاهدة اقترعة في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١ فتخلت بوجيتها فرنسة عن كيكيا جميعا بعدما ذاقَت أكران العذاب . وعن حلفائها الأرمن وعن الدولة التي حملوا بها . بل لم تنس بيت شقة لا طردهم الكماليون من الأناضول طردا لا رجوع بعده . كانت بطولة الترك الوطنيين هذه هي التي فتحت عيون الفرنسيين الى رؤية مصالحهم الخاصة وإلى الاعتراف بأنها لا تتفق مع



## في ضلالت العرب

أول معرفتي بالبدو وصراحتهم كانت على عهد جمعية الاتحاد والترقي في صراخه البدو سورية في سنة ١٩٠٨ فان هذه الجمعية دعت الشيخ قواز شيخ قبائل بني صخر المشهورة بأسرها والضماربة في البادية الى الشرق من عمان، أن ينخرط في سلكها عملا بالقاعدة التي اتبعتها من وضع كبار الرجال في صفوفها. وتذكرون - ولا بد - أن هذه الجمعية السرية كانت على عهد ظهورها تحرك بجزويتها أركان المملكة العثمانية التاسعة وتز بقرتها عرش السلطان عبد الحميد القاهر، فلما دُعي الشيخ قواز الى الهيئة المركزية معصوب المينين ليقسم تحتها المنطقة على السيف والمصحف فيقول بحضور بعض الأمراء العسكريين وكبار رجال المملكة من أعضائها: « أقسم بالله وبدينني وبشري أنني لا أفارق بين العناصر العثمانية » الى آخره وجد هذه اليمين طويلة وثقيلة على طبعه فانتقل المصاية عن عينيه بحدة وشدة وقال: « والله لا أقسم هذه اليمين أبداً لأن قلبي لا يطيقها. ولكنني أقول لكم: والله إن صدقت صدقتا وإن بقتم بقتا » ومعنى البرق عند البدو اليوم هو كما عند أجدادهم في الجاهلية « الغدر ». وهكذا دل هذا البدوي الصريح بالشرط الذي اشترطه والتعفظ الذي أبداه على بعد نظر وسلامة ذوق أكثر منا معاشر الحضر من العلماء ومتخرجي الجامعات، فأوجد لنفسه خلاصاً من مثل هذا القسم عندما غدر الاتحاديون بإخوانه وأبناء عمه.

وتحمد مثل هذه الصراحة ولو في مناقضة أعظم الآراء وأقدس العقائد. ولدتنا الجواث على أن العداوة الصادقة خير من الصداقة الكاذبة، والأكابر الصريح خير من الايمان المنافق.

مندوبهم كالجبال الراسيات في الدفاع عن الميثاق القومي. وحاول اللورد كروزن بكل ما أوتيته من قوة سياسة - بالتهديد تارة وبلاستعطاف تارة أخرى - أن يجمله على إعادة الامتيازات الأجنبية الى تركيا فلم يلاق غير الخيبة لأن تركيا الحديثة لا تسمح لها شرفها أن تحقر في عقر دارها - لقد قبل الوطنيون الترك ان يكون الأوروبيون أسانذتهم ولكنهم لم يقبلوهم أن يكونوا أسيادهم. وقد سمحوا لهم أن يكونوا ضيوفهم ولكنهم لم يسمحوا لهم ان يتلوكوا بيوتهم. وقد رضوا ان يستدينوا منهم ولكنهم أبوا أن يسجدوا لهم. وقد برهنوا لكل أمة تطلب الحياة على أن درهما واحدا من العمل خير من قطار من الثروة.

هؤلاء هم الترك الذين عشنا وإياهم قورنا متوالية. وكثيراً ما كنا نفتخر عليهم بلغتنا وثقافتنا وعلماؤنا وتفوق أبنائنا في نفس مدارسهم الحربية والملكية والفنية. ولئن سبقونا اليوم في مضمار العمل فقد برهنوا لضعفاء الايمان منا على ان في طاعتنا اذا بدلنا ان نستعيد مجدنا.

وانني أرى برادر مجد العالم العربي قد بدرت في غير قطر واحد من أقطاره. وإذا كان أحد من أبناء العربية في شك من المقام الرفيع الذي سيشغله عالمهم في النشوء الدولي المقبل فليتناكر أن الغرب يحسب حساب العرب منذ الآن قال الاستاذ (اوسكار برونيتج). يسيطر الأوروبيون اليوم مباشرة او بالواسطة على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية. ولكن خصمهم اللدود هو العرب وسكان آسيا الشرقية فقط.

مجلة الهلال ١٩٣٢

البادية إليها السادة بحر من أرض يابسة ليس لها آخر وتختلف عن المحيط بتغير شكل سطحها. وهي تنبئ كل الشبه الصحراء الممتدة من هنا إلى السويس وممشتها

ومن يركب مها يعقد الأمال كثيرا ويقطع الرجاء كثيرا. وربما كان السراب الذي يجلا النفس أملا عن بعد فلا يلبث أن يجف آخر ذرة من الرجاء عن كذب هو مثل من أمثال تغلبات الصحراء. فقد مرت في قبط سنة ١٩٢٦ في بادية بباد إلى الشرق من عمان فرايت عن بعد واديا جميلا فيه الخصال ملققة حول قصر يدعى فراخي المنظر فقلت لرفقائي: «هيا بنا إلى القصر؟» فإذا نحن في غابة موحشة لا تكاد نسمع فيها غير حفيف الشجر وكشيش الأفاخي وعراء الذئاب وفي الوسط قصر مهجور قديم تعجرون كل العجب لمن بناه في هذا المنقطع من الأرض اللهم إلا إذا كانت الأحوال الإقليمية قد تغيرت منذ بنائه إلى اليوم. تدل ضخامته والتمثيل على بابه وصور الوحوش الملوثة على جدرانه والعيادون بالفوس والنشاب من حولها على أنه كان مسكن الملوك ونزهة الكبراء. وقد حارنا أن نجد فيه قطرة من الماء نبل بها أنوارها فعبثا حاولنا، لأن آثار المياه فيه قد انطمت فلا أثر ولا مصنع ولا حوض، واسم هذا القصر «عمرة» وعُرت في دار الآثار العربية في القاهرة عن كتاب لأحد علماء الآثار من الأوربيين زاره فوصفه وصفا علميا دقيقا وشرح التماثيل التي على بابه.

وعلى بعد نحو عشرين ميلا من هذا القصر قصر آخر أفرع أجرد تكاد الشمس المحدرة من جوانبه تحرق جلدة الرأس والأرض المحيطة به بلقع لولا قبور إلى غربه يدل الرسم المطبوع فيها على قبائل اللوق المدفونين تحيها. وزاد في وحشة هذا القصر أن الطبقة الثانية منه وقد عفت آثار السلم الموصل إليها إلا قليلا - اتخذها البدو مرقدًا لموتاهم فترا أرضها مفرشة باللحف البالية وعليها بقايا الخبث<sup>(١)</sup> وهي كثيرة في تلك الأنحاء، ويظهر لي أن بناءه من عمل الأمويين بالنظر إلى بعض الكتابات الكوفية القديمة المحفورة على أحجاره. وكانت الطبقة الأرضية منه اسطبلًا لخيولهم ربما أنوا بها للارتياح وأن أبناء ملوكهم على مستونها للتمرن على الفروسية والفصاحة

(١) كانوا أشلاء الموماء ويدعى هذا القصر قصر الخزانة ولعله (الخزانة) نسبة إلى صغار الأراب.

وحدث لي في سنة ١٩١٤ عقيب اعلان الحرب العامة أن ذهبت إلى جبل الدروز في خدمة الحكومة عثمانية، وكان المرحوم يحيى بك الأطرش يورثني قد عاد من منفاه. فدعاني لزيارته في قرية «عري» وفيها أنا على الطريق أبصرت بقعة بيوت من الشعر فقلت لرفقائي: «هيا بنا نشرب القهوة» فزنا فرأينا نفرا من البدو بينهم شيخ طاعن في السن بلحية بيضاء أكسبه جلالا وأسائير في الجبهة دلت على ماض طافح بالحوادث فقلت: «من العم؟» فقال: «من بني الحسن»، ثم أخذنا نتجاذب أطراف الحديث، فسأته: «من هو السلطان الحاكم على المملكة في تلك الأيام» فقال: «الله يعلم هو السلطان عبد المجيد ﷺ» فاستمت فادرك من ابتسامي خطاه فأراد اصلاحه فقال: «لا... لا... الله يعلم هو سامي باشا؟» يريد المرحوم سامي باشا الفاروقي القائد الذي أخضع ثورة جبل الدروز في سنة ١٩٠٩. فقلت: «وأي مسكنه؟» فقال: «في الزنبرل» فقلت: «وأي؟» فأشار بيده إلى جهة الشمال وقال بصوت ناعم للدلالة على القرب: «من غاد... من غاد...» كان القسطنطينية على مرمى حجر.

ثم انتقلت إلى ذكر الدين كما هي عادي مع البدو لمعرفة تصوراتهم الروحية فقلت: «وما هو دين الشيخ؟» فقال: «وشن هي الآخرة؟» فلذكرت له الموت فالتفت فالتكلمين فالتمخ في الصور فالبعت فاليزان فالصراط فالجنة أم النار. فالتفت في الأرض فالتفت في الأرض مليا ثم لحن بيده النحي مستكرا وقال: «لا والله ما في آخرة» قلت: «اذن ماذا يصير بنا بعد الموت؟» فقال: «نصير نرابا!».

هذه خلاصة رأي الشيخ البدوي في السلطان والمصحة والآخرة. وفي وسعي أن أقول إنها تفرج ينطبق على تصورات البدو في السياسة والجغرافية والدين اجمالا إلا من اتصل منهم بالخير أو وصله دعوة دينية أو قومية جديدة.

وأرجو ألا ننظروا أن مثل هذا التناقض في العقيدة خاص بالبدو، بل هو عام يشمل جميع البشر إلى درجات متفاوتة، لكن البدوي ماء ضحاح، والخصري لجة عميقة. وأعرف مبشرا ورعا يؤمن بالتوراة وينظرية الشوء معا، وآخر مسلما قسا يدعو إلى الشيوعية.

النظر. وأما إذا ضفتهم فاكلت خبزهم وملحهم امتدت هذه الحماية الى مسافة ثلاثة أيام فلو أصابك ضيم وأنت في ضمن هذه المضافة فهم ملزمون بالأخذ بتأصرك وإعادة ما سلب منك والتأثر لملك لأن الأخوة التي عقدت بينهم بسبب الزاد هي أخوة مشدودة الأواصر وفيها تبعه الأخ نحو أخيه.

وزلت في سنة ١٩١٥ على ماء بالقرب من « دير الزور » يدعى « بقاب » فأمسك بيدي الشيخ صالح خويلد شيخ القافلة التي كنت فيها وأخذني الى (ميرك) بجانب الماء فقال: « اسمع حديث هذا الميرك: فقد حدث منذ حين أن بدويا من قبيلة عزة » ضاف بدويا آخر من قبيلة تنزل بهذه الديار اسمها قبيلة « ابن جلد » وكان العنزي راكبا فرسا شقراء من كرام الخيل، فطمع فيها المضيف المحتلادي فلما أن غادره المضيف خرج اليه صاحب البيت فربط له على الطريق ثم طلب منه الفرس فعنفه العنزي على بوقه. ولما رأى أن لا فائدة من التعنيف قال: « هاك خذها وموعدنا القاضي » وفي الربيع القادم حاكمه الى ثلاثة من التعنيف قال: « هاك خذها وموعدنا القاضي » وفي الذي تحدثنا عنه وهم شيخ عزة وشيخ الرولا وابن مجيد فحكموا له بالاجماع أن يسترد فرسه، وأن يعاقب البائث على غدره بالانزوال عن القبيلة مدة خمس سنوات، فلا يختلط في خلالها بالمعشيرة، بل يعزل عنها بعيدا على مسافة معينة، ولا يتبادل مع أحد منها السلام، وأن تمنع المصاهرة أو المناسبة بينه وبين غيره منها باتا، وهذا لعمرى أشد من الحرمان البابوي الذي يصدر بحق المرافقة من المائيكان.

وأما بيوت الشعر ورساطتها فحسبي أن أقول فيها لقد انغمسنا معاشر حرية الحضر في البلخ واللهم حتى صار بيننا وبين المعيشة الأولى الساذجة هوة عميقة لا يستطيع اقتحامها، وعبدنا في مطابخنا الماعون ونفسنا في بيوتنا آلهة من الرياش وأصنامنا من الزخرف حتى كدنا ننسى روح الطبيعة وجعلنا الفنان... نعيد الثروب وقبل الشروق يزدان الأفق في الجراء بالوران تترى بالقصور وأنوارها وفي الخلدس تتلأل السماء بالكواكب فيبدو لك الجمال والجلال بما يصغر في عينيك الثريات المذهبة والمستضيئين بها. وأن أرضا من الرمل النقي الذي طهرته عين الشمس منذ آلاف السنين لأجل وأنظف من

وشغلت العيش كما ذكره المؤرخون.

وكان معنا في زيارة هذا القصر شيخ الخرشان من بني صخر، وهو الشيخ حديثة الحريشة، مثال العروبة في الصدف والشجاعة والكرم. فسألناه عن الماء: « توجد في هذا الوادي، » شمائل « هلموا بنا نبحت عنها » فتبعناه في واد قاحل وعلى بعد نحو ميل من القصر وجدنا رباوة من الأرض كانها كتيب رمل فصعدناها ونش قمتما بأصبعه ثم كس التراب بطرف يده حتى كون حوضا صغيرا بقدر راحة الكف فرشح اليه الماء وقال هذه: « هذه ثمينة بروي ماؤها قطعيا من النعم » - والتميلة بالبرية القصصى الحوض من الماء أو غيره - وبعدما ارتويتنا من ماء قراح لا عيب فيه الا ما يثوبه من كدرات الرمل بالنظر الى صغر الرعاء الذي هو فيه أعاد الشيخ التراب يده الى ما كان عليه. فسألناه عن السبب فقال « لا تخفي الماء عن عيون الأعداء الذين يشنون الغارة على هذه الانحاء »

وهكذا ظهر لنا في ناحيتين متجاورتين من الصحراء كيف يتحول الرجاء قنوطا والقنوط رجاء.

ولا أدل على ارتباط الأقوام بالبيئة التي يعيشون فيها من ارتباط البدو بالصحراء. فمعيشتهم وعاداتهم وأخلاقهم وشرائعهم وعقائدهم بسيطة طبيعية جافة تتناسب مع الأبل والكلا وموارد الماء الشحيحة التي يردونها وتنطبق عليهم القواعد الاجتماعية التي تنطبق عادة على كل قوم يتبعثرون وهم قليلو العدد على سطح واسع مترامي الأطراف، والقللة في المادة الى القلة في قواعد التعامل وأصول العلاقات.

ففي البداية تنمو روح الاعتماد على النفس والفروسيّة القائمة على أوضاع لا يجوز الخروج عنها. ويصفع الرائد الثاكل حتى عن قاتل ابنه إذا احتنى « بالخرم ». وللبدو كرم صار مثالا في المشرق والمغرب. ومن عاداتهم أنهم إذا قالوا لك: « السلام عليك » فإنهم لا يقصدون بكلامهم مجرد التزيق والمسايرة، بل يقصدون أنك حقاً أصبحت بأمن من الشر لثوب السلام الذي اكتسبت به من تحيتهم، وأنت إذا مرت بيت من الشعر فشربت من مائه صار لزاماً على أهله أن يحمرك على مسافة بعد

رجل سردي من قبيلة القتاتل فقام الخادم يدبر علينا فتاجين القهوة فلما وصل الى السردي صب قهوته في الفنتجان ثم سفحها على الأرض كناية على احتقاره كأنه أراد أن يقول له انك لا تستحق ان تشرب قهوتنا لأنك من قوم يعرفون اخوانهم ولا يراعون ذمة الضيوف . لكن جرائم البدو في سبيل المال هي على كل حال جرائم ظاهرة وجرائم الخضر وبها للأسف جرائم مستتر: أفلا تقرأون كل يوم أنباء تلك الحرائق المصطنعة التي ترتكب في عواصم الحضارة لابتزاز الأموال من شركات التأمين فلا يلتفت الجناة فيها الى ما قد ينجم عنها من المآل الكارثية في الأرواح؟

ولدرس البيداء فائدة اجتماعية جريئة وهي أنها تربك المجتمع في حالة درس البيداء بسيطة يسهل تحليلها خصوصاً لظهورها من عوامل الترويق والبيداء مثلاً هي في حالة حرب مستمرة . فقد حدث لي في صيف سنة ١٩٢٦ أنني كنت نائماً على سطح في قصر خراب يدعى ( الموقر ) وكان معي عدد من الأتخون المجاهدين منهم تزيه بك الزيد العظم ومعنا رجال من البدو بينهم الشيخ حديثة وابنه فافقنا قبيل الشمس على طلاقات النار، ذلك لأن الشيخ عندما فتح عينيه وجد جماعة من البدو يقربون من القصر فلأفاهم بوابل من الرصاص فقابلوه بالبلل . ولما قمنا نحن عملنا عملهم ايضاً من غير تفكير وبقي تبادل العيارات النارية بيننا مستمرا حيناً من الزمن الى أن صاح واحد منهم « يا حديثة! يا حديثة! نحن ربك نحن صخور، حيثما تحول ضرب الرصاص الى عناق . ألا تعيد هذه الحادثة الى المخاطر ذكريات دولات البلقان على عهد الدولة العثمانية وكيف كان الذي يتجاوز الحدود يقابل باطلاق النار؟ بل إن هذا التوتر في الأعصاب لا يزال نجياً على حدود بعض الدول العظمى، فأقول بأدرة تقابل بالشدة المتناهية ولو كانت من طائفة طائفة تطير على غير هدى ».

وعند البدو قاعدة يبيحونها لانفسهم تسمى « الثيب » وهي أن يفاقتوا بيتاً على الخيرة يورون به ليلاً فيمسحونه مسحاً من غير نظر الى صاحبه سواء أكان صديقاً أو عدواً فيأخذون جميع ما فيه « على بركة الله » حظاً ونصيباً! عما يعيد الى المخاطر مهاجمة ايطاليا لطرابلس الغرب في سنة ١٩١١ ومهاجمة ألمانيا للبليجيك في سنة ١٩١٤ .

هذا السجاد المعجمي القاتم الذي ينقل الادران من دار الى دار ومن جبل الى جبل ، ولنظرة الى جوانب الخيمة تلعب بها الرياح أحب الى القلب من تلك الاسوار الناعمة التي تحكم ساكني القصور بالسجن المؤبد .

أنت في بيت الشعر ابن الطبيعة لأنك اقرب الناس اليهم وأشدهم اتصالاً بروحها الجذابة ، وقد حلت رجلك من جميع القيود المصطنعة النقية التي تشل حركات وتجعلك عبد الماديات البالية وأسير الآراء السخيفة .

ليس في الصحراء حاكم لتفصل في قضايا النوازل وارتفاع الواجهات ويزور الشرفات وعرض الحيوان وضيق المجاري وسد المناظر ومنع النور وحسن الهواء ، لأن الناس جميعاً يتمتعون على السواء بهذه النعم الطبيعية الجزيلة - وليس هناك أجور عمال واعانة عاطلين ، بل ليس هناك رسم خفر ودراتب موظفين لأن الجميع يعيشون على السواء عما تبت الأرض من كلال وما تحمل من سائمة . وأما القاهي والقامر والحانات وغيرها فقد تركوها زينة لمواصم القرن العشرين . وعندما أن بيوتاً عملت من جبالك الشعر يعيش تحتها أناس لم يملطخروا بعروب المدينة أو حطة أخلاقها أسمى وأشرف من قصور شيدت من قطع الصخر تعيش في أكافها الجراثيم الاجتماعية القتالة . وإذا كان لا بد من التفاضل بين الإنسانية والقصور ، فخير أن يكون هناك بشر يعيشون في العراء من غير قصور من أن تكون هنالك قصور من غير بشر .

على أن للبدو عيوباً لا يسع الباحث انكارها فهم يحبون المال جبا جبا ، وقد يرتكبون في سبيل الحصول عليه أفظع الجانيات . كما حصل للمرحوم سعد الدين بك الزيد العظم ، وهو أحد الرجال الافئدة الذين أسسوا الثورة السورية وحضروا معنا مجالسها الأولى . فقد أراد الذهاب الى شرق الأردن مع رجل من « السردية » خاواه ليلته على الطريق وفيما هو نائم في حظيرة على الحدود قام اليه السردي وفتح رصاص البندقية في رأسه طمعا في ماله . وقد كان هذه الحياة العظيمة رثة أسمى في مضارب البدو ، وقد شهدت في صدها مشهداً بليها فأننا كنا نازلين عند أبي علي حديثة ومعنا

ونجح وتركى. فإذا كانت اجربتك صحيحة فمت اليك وعانتك عناق الأخ لأخيه وقد عففت عن النساء بيتانا، والمرأة عدنا صارت تغطي وجهها بالثياب لأمر ابن سعود الذي يسمي الوجه عورة ومكتوبه يقول:

يا ولي العرش يا مدير الحباب<sup>(١)</sup> ساعن بالي مضي بالجاهلية يسأله اني تسابسا لك ثم تساب من حرام البيض<sup>(٢)</sup> لا يكتب علي لا بد من حطة رأسي تحت النصاب<sup>(٣)</sup> ينشئون الغوش من ترب علي وقد سألناه عن الصلاة فقال: «أصلي على طريقة ابن حنبل» وسألناه عن ابن تيمية مؤسس الطريقة السلفية فلم يعرفه بل اعترض على قلة الخطباء عندهم وهم الفقهاء ولكنه قال: «والآن ابتدأنا يصير لنا خطباء ماهرون فإذا حضرننا معهم صلاة الجمعة لا تسمع إلا نهيمننا (بكلمنا) وكنا من قبل لا يتزوج الحرامنا عبده أما اليوم فلا كبرية (تكبر) بيننا» ثم سألته: «ولو قلت لك انني نصراني فماذا تفعل؟» قال: «أخذك الى الشريح لا سمح حكمه فيك فلو أمر بقتلك قتلتك والا تركتك حرا طليقا».

انهى حديثه بقوله: (كانت البلاد غزوات من اوهلها الى آخرها لكنك اليوم لو ضاع منك بعير لبقى ملكا لك أربع سنين، ولو سقطت منك هذه النظارة التي بيدك في القفار لبقيت السنين الطوال في موضعها. كنت قبل التدين لا اعرف غير سورة الفاتحة أو لا اعرفها. اما اليوم فقرأ الفاتحة (وقد قرأها مخلوطة قليلا) وأقرأ الصمدية وهي (الله أحد لا من يولد ولا هو يكفو احد) وأقرأ سورة الناس وهي (أعوذ برب الناس الخناس وعن الوسواس وعن الذي قرأ يقلرب الناس) ثم قرأ سورة العاديات بتحريفي مدمش وزادات مستغربة فاعاد الى خاطري سورة تلاها علي بدوي (عسري) على حدود العراق سنة ١٩١٥ وزعم أنها من القرآن وهي (عفرت خدي تبارك ابغي ثوبك لا حول الا بك الله اكبر).

(١) الرساح

(٢) النساء البيض

(٣) النصاب والأحجار والصراع هو كناية عن الملت

وقد يؤذي درس الدين في الصحراء الى بعض النتائج المهمة. فالروايات مثلا هي دعوة دينية اصلاحية جديدة بين قبائل البدو وقد انت بعض الثمرات، لكن الانقصار فيها على الاصلاح الروحي لا يكفي لانتشارها، بل لا بد من الاستعانة بأموال المشركن لادكاه نيرانها في الأفئدة هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فحجرات عدن تجري من تحتها الأنهار. لا حرم أن البدوي الرواهي يقتحم النار لمحاربة من يعدهم مشركين من قراء الفواحش على القبور والمستعنيين بالأولياء والصالحين للشفاعة عند الله، فإذا فاز عليهم استباح أموالهم وإذا مات فأتا بموت شهيدا في سبيل الله.

وانني أقرأ لكم من مذكراتي أخباراً قراءت منذ حين خلاصتها على بعثة جامعي اكسفورد وكامبريدج لا فيها من وصف المادية والانتقال من الكفر الى الايمان كما كان يحدث في عهد النبوات، وداريخها - الازرق في ٢٧ أيلول - سبتمبر سنة ١٩٢٦: اجتمعنا هذا الصباح بديلم بن علي الشراي وهو من مواليد المغيرة في وادي السرحان وعمره خمس وأربعون سنة تقضى معظمها في الجوف وغزا حتى بلاد الشبل ووصل الى الكركيت ورأى البحر المحيط وغزا بني عطية وكاد يصل الى مدائن صالح. تدن - أو دخل في الوهاية - منذ عام واحد وقال عن نفسه كان حالي قبل التدين أسلب أعبي اذا صادفته وما عرفت وجهه ولا أترك عليه الا ما يستر عورته وأزني بالرة في فراشها وأقل بالبنقية النائم بجانب بعيره لأخذه منه. وعادتنا انالمنع، وهو الذي يدخل في حايينا لا يقتل بالدموي وهو الماطح بالدم يقتل على أي حال. وما كنت أصيب الله على بدني للتطهير أو لغيره أبدا بل كنت ختيرا محتونا. وما كنت أصلي بل أصوم دائما مثل أكثر الشرايين. والذين يقرأون ويكتبون منا هم اقل من واحد في ألف. واليوم أوصا وأغسل ثوبي كل يومين مرة. ومنذ ما تدينيت ما سلبت أحدا مسلما الا من كان مثل صاحب الذلول (وأشار الى بدوي بجانبنا) وهو من السرحان. فهو لا ليس لهم ذمة بل يقتلون انهم يدخلون الجنة على ظهور الجبل. أما أنت فلو صادفتك على الطريق الى الجوف «النجف» لانتخت بعيرك وسألتك عن سفرك وهل انت عان يعني تقصد احدا وما هو دينك فإذا قلت الاسلام سألتك هل تعصني وتصدروم

جسدان بخر بحر ت الي بعينها يا عين شهانة صل شف صفار  
أي يا جسدان أنظر فقد نظرت الحبيبة إلي بعينها. وهذه العين كأنها عين  
الشاهية أو الصخرة على كف الصقار.

مثل البوارق يوم ترمي جيتها بروق الثريا حين طيحات الأمطار  
أي أنك يوم تنظر جيتها تراه مثل البوارق وهي بروق الثريا حين  
تطل معها الأمطار

وتهد ما مصها براطم جيتها حر ثمرهن يفض يا زيد وصغار  
أي تهدها ما مسها قم الطفل فهي حر وثمرها أبيض وحجمها صغير  
صحفتين ما هي خطاة البدينه سيحان من تحت الركب تقل جدار  
أي هي سخيفة أو نجيفة ليست مصابة بعلة السممن ولها سيقان من  
تحت الركب مثل الجمار

من طلعي ما شفت حسنها وزنها من التمام لليلقا لسونس لستجار  
ومن أمضي المآسي والدعها ما رواه لي كريم خطيب الخرشان عن عرار  
ابن القيم وكان من كبار الفرسان فانه غزا بلاد الفرات وفي أثناء غيابه خرب  
السل بيته بالحريم والأولاد فلم يبق منهم اثرا فلما عاد من غزوه طلب من  
رجال القبيلة أن يدلوه على المكان الذي كان فيه البيت ويجري فيه السل  
المشروم فدلوه عليه فوقف مطوقا الى الأرض ثم أنشد:

يا دار ما أنت دار العام الأولى بقتينا الله يسوقك دار  
أي يا دار أنت لست دار العام الأول لقد خنتا خناك الله من دار

ذا مريب المشهور وذا مركز الفتنا يا نقرة الخطار مابش نار  
أي هذا هو مريب حصاني وذا مركز الريح. ولكن يا حفرة الزوار ليس  
فيك نار

ولذي التبع في الصحراء على أن الدين الجديد قد لا يقتلع العادات  
والعقائد والمعتقد القديمة جميعا، بل ربما كانت نتيجة ادخاله المرح  
والاكتلاف كما هي الحال في الاقطار المدنية فلاسلام لم يقص مثلا على  
عادات المصريين في نصب المآتم وسكن المقابر كما كانت الحال في عهد  
الفراعة ولم يتغلب على عادة الفندوس في تحريم زواج الأرملة، والبدوي  
الحر لا يتزوج بالأماء من خادمة أو عبدة أو عموكة، أو بالمرأة الأخ وبأبنة  
العم اللح اجالا ورمي (المصحور) بعض العقائل بقولهم ان المطلقات في  
بناتها لا تمسك المدة وضربوا على ذلك الأمثال.

اللغة والأدب ولا شيء يخلو للاسماح في البداية مثل اللغة فهي حية متحركة لها نبرات  
تربل عنها وصمة الجمود أو النطق على وتيرة واحدة، وفيها أوزان خاصة غير  
مالوفة كقولهم للبيت ذي العمودين (مدول) ولذي الثلاث (مثرلث)  
ولذي الأربعة (مروبع) وهلم جرا ولا أدري من أين أنت (مدويل) ولعل  
ها علاقة بكلمة (دويل) الأفرنجية التي تعني المضاعف، ورأني بدوي اسمه  
صقر من عربان نجد وكانت يبدي نظارة (زابس) فقال ما هذاالمنظر، بوزن  
اسم الآلة،وكان قد رامها لأول مرة وحذرني البغيبي الذي كنت نازلا بيته من  
طفله الصغير فقال هذا ولد (خربان) يعني غيابه فقتل لي (مدنق) كأنه مصاب  
وسألت عن علي بن حديد وعن سبب غيابه فقتل لي (مدنق) كأنه مصاب  
بحصى الدنج. ولا أثر لكلمة قم عند بني صخر بل يقولون (اتم) ولا شفاه  
عندهم بل (براطم) والباسم هي البراطم الجيدة، ولم اسمعهم يستعملون  
الشي بل يقتصررون على الفرد والجمع ويستعملون نون التانيث خصوصا في  
الشعر وكذلك التثوين خاص بالشعر تقريبا للرنه الثنائية التي يكسبها  
للكلام الموزون. وسقطت أحرف كثيرة في كلامهم منها حرف (بل) وفاء  
(الثقية) ولكنهم يقولون بدلا منها فقا نحو جاء عمدا فقا خالد. وعندني  
أن هذه الفاء هي مختصر فقا اختصرت لكثرة الاستعمال وقد احسن النحاة  
بسميتها فاه الثقفية وسمعت لهم شعرا في التثنيب يدل على نفسيهم وعلى  
البيئة التي يعيشون فيها والعادات التي نشأوا عليها وهو كلام موجه الى رفیق  
اسمه جسدان للفت نظره الى محبوبة الشاعر:

## الضحك واللبا، نفس ليلها ومزاجها

في معارج اللغة العربية أن الضحك ضد البكاء وهذا تعريف ناقص لا يفيد كثيرا ولا اخال أهل اللغة اقتصروا على هذا التعريف الا لا في تحليل النفس عند الضحك من المشقة العقلية. والاصح أن يقال مثلاً: اذا طابت النفس وشعرت بما يثير الفراء والسخرية أو احست بالاستياء وهو ما تحصل عليه من الكفاية في المادة أو في المعنى فاضت هذه المشاعر على الوجه بتغير الملامح من ابراق الاسادير ولعان الميون وحدوث تبدل في عضلات السحنة خصوصا عضلات الفم، واندفاع اصوات جلية وأخرى مهمة تنشأ جميعها عن زفريات قصيرة من اهتزازات في أوتار الصوت وانسجة المنجزة والخلق. هذا هو الضحك من وجهيه العقلية والجسدية وهو من الأساس عمل غريزي كالرضاع أو (الزواج) تنطق عليه قواعد الغرائز اجمالاً فهو: أولاً: عالم بين افراد البشر الا المرضى من بعض ذوي المعامات المعصية. ثانياً: انه فطري غير مكتسب بل يولد مع الطفل، وان اختلفت الأقوام في الاستمتاع منه، فالبعض مقل والبعض مكثر، ولعل للتربية اليبية والشؤون الاجتماعية والاظعمة والادوية علاوة على الخصائص الجنسية شأنًا في ذلك.

ثالثاً: انه ينبعث عن دافع يشعر به المرء ولا يكون تقليده الا ناقصا لفقد الروح التي تشبهه.

رابعاً: انه في ابان حدوثه يحول دون سائر الاعمال الجسدية والعقلية، فالرجل الذي يضحك مثل الطفل الذي يرضع يكون متفانيا في

أي أنا كالطير مقصص بين ريشه يراعي بعينه كل طير طار  
انا كما هرش على السدار بارش يحن اذا مرت عليه بكار  
أي أنا كالجمل المتيق البارك على الدار يحن إذا مرت عليه صغار الإبل  
ثم سحب سيفه من غمده وأدخله في أحشائه وهو يقول:

يا قاعدا على الدال وأنت تشموها انت حمار ما وراك حمار  
أي أيها القاعد على الدال وأنت تراه إنك لحمار ما بعدك حمار

وجعت من رجال الخرشان كريبا الخليل ورجلا آخر اسمه البغلي وثلاثة آخرين وسأتهم لو عدتم الى عالم الذر في بطون امهاتكم وخيرتم قبل مجيكم الى الدنيا، فأني حياة تحيون البدوية أم الحضرية؟ (فاجعوا من غير تردد على ان البداوة إذا كان وراءها كفايتها من الإبل والرعى هي خير من حياة يتمنونها لأنها كما قالوا تضمن للمرء استقلاله وحرية في التنقل من غير أسر لأحد).

اما نحن يا من نعيش في أوج المدينة ونتمتع بهذا العمران المستقل من قصور شاهقة وأشجار باسقة وزركب القطارات ونسبح في العليات ونستخدم السلوكي واللاسلكي والهاتف والراديو وسائر أنواع الكماليات، لو وضعنا في الكفة الواحدة هذه النفائس الرفهة وفي الكفة الأخرى الحرية المفقودة التي تغني بها كريم والبغلي واخوانها من بسطاء البدو أفلا يكون جوابنا من روح جواب عرار بن الضميم وعلى خطه (يا قاعدا على الدال وأنت تراه وصابرا على الضميم وأنت تعابه، أنك في الجهالة لا تجارى وفي العبادوة متقطع النظر).

مجلة الهلال. ١٩٣٦

يتخلص المحجوب الحاجر - وهو جدار من عضلات بين الصدر والبطن - تقلصا تشنجيا فجائيا يثير شهقات فجائية مع أصوات أخرى تتولد في الحنجرة والحنجرة. ويلاحظ المرء أبلغ أنواع البكاء عقيب خلو التزل من الميت عند الأمل والتكامل وبين الأيام وأما الذين عضفهم الدهر بناه بعد رخذ من العيش فان بكاهم مثل في الشدة والاستمرار.

وعا يدل على ارتفاع اللغة العربية - وكانت لا تزال في نشأتها الأولى - ارتفاع لا تقصدها فيه اللغات الأخرى حتى التي صقلها العلم الحديث وزينتها الكليات الجامعة، ما نشاهده فيها من اختلاف الكلمات للدلالة على التغير الدقيق في المعنى الواحد فقد قال العرب لن رفع صوته بالبكاء نجب، ولن تردد البكاء في صورة من غير أن يظهر، نحط، وللصبي اذا انقطع صوته من شدة البكاء، فحم، ولرجل اذا تبها للبكاء، أجهش، والشهيق عندهم تردد البكاء في الصدر، والتفويض ان يرد الانسان البكاء فلا تحييه العين.

وقالوا لن يكثر من البكاء بكاء كما قالوا في معرض الملح لن يكثر من الضحك ضحكا وفي معرض الدم ضحكة، والابتسام الضحك من غير صوت، والافتقار الضحك اللطيف الحسن. وقلدوا الصوت الطبيعي فقالوا قه لن اشتد في ضحكك لأن « قه » هي حكاية صوت الضاحك فإذا تكرر الله صار قهقهة. وقالوا كركر لن رفع صوته بالضحك، وحث الضحك لن وضع يده أو ثوبه على فمه ليخفيه، وانتخ لن ضحك باستهزاء والفرقة حكاية الضحك المستغرب والخطخة أفتح أنواع الفقهة. و « إهاها » و « نفن نفن » و « قفن قفن » حكاية للضحك بحسب الأصوات الصادرة عنه. عا يذكرني بـ « احم احم » في لغة أهل الشام للتلميح والاستهزاء. وتطبق قواعد الفريزة مع شيء من التعديل على البكاء اجمالا مع مراعاة الانضاد بينه وبين الضحك طبعا. ويشعر بعض الناس ولا سيما السيدات باستنفاء وراحته عظيمة بعد البكاء في أحوال خاصة. ويلا المولود حجرة أمه النساء وعي قبل أن يفتر بالابتسام كأنه عالم بما تحيى له الأيام. ومن الناس من لا يرى بايا الا بكى ولا سمع شاكيا الا شكى:

عمله غير ملتفت الى غيره، وقد يبلغ من الشدة أن يوقف الماشي عن مشيته أو يشل البدن والرجلين أو يفلج عواصر الجسم خصوصا في ضمضاء الاعصاب. ومنهم من يستلقي على قفاه من شدة الضحك وأعرف رجلا أصيب بفتق في حاله عقيب نوبة من الضحك. خامسا: يصاحب العلامات الظاهرة الدالة عليه شعور بالسرورة والابتهاج. ويزداد المباحث الذي يدعو الى الضحك شدة كلما حاول المرء قمعه. لذلك عد الضحك من الاعمال غير الاختيارية التي قلما تسلمت عليها ارادة المرء.

سادسا: لا يتولد هذا الابتهاج في النفس بمجرد منه من المنبهات المادية الطبيعية، بل بواسطة ادراك أو فهم لحالة طارئة ذات صبغة خاصة. فالضحك له مواضيع تدل على ادراك لشؤون واقعة ولو في الخيال ولا صدق فيه قول العرب (الضحك بلا سبب يدل على قلة الأدب).

سابعا: اذا رأى الانسان غيره ضاحكا بطريق العدوى لغير ما سبب، وهذا ما يدعى في علم النفس « بالعطف السلي » بين الأفراد. وهو عطف يفسر كثيرا من الأعمال الاندفاعية التي تنتقل بالعدوى بين الناس.

أما البكاء فهو اظهار كرامن الاسى ولواعج الانفعال بسكاب الدموع مع تغير في الملامح وعضلات الوجه، هذا هو البكاء الصامت وقد يكون من أبلغ أنواع البكاء كما فعل مؤسس جدد العرب يوم رثى ابنه فقال:

« ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لحزونون ».

أما البكاء الناطق فيضاف فيه الى ما تقدم شهقات قصيرة عميقة وزفرات طويلة تكون الفتحة فيها بين الأوتار الصوتية مغلقة. وإذا طال أمد البكاء صار تنهدا يكاد يفص صاحبه به من شدته وفيه



جاره، وذلك فيمن كانت هذه المخازن فيهم مشبعة بهذه القوى مع ضعف شديد في قوة الإرادة التي تقوم بحراستها والاشراف عليها والجلولة دون تدخل بعضها في بعض. فقد يحدث لبعض النبات عند البلوغ مرض يدعى « الاختناق » فتغلب فيه الانفعالات على الإرادة تغلبا تحكميا حتى تصبح البنت فريسة للبكاء والضحك في لحظة واحدة. وربما فسرت هذه النظرية ما هو مشاهد عند بعض الاندفاعيين والثورطين من الانتقال السريع من طرف الى تقصصه، فكلم من صالح متورع مترعد انقلب بين عشية وضحاها الى طالع اباحي لا يعرف شيئا من الحلال والحرام، والعكس بالعكس، حتى حرم بعض الفقهاء الحكم على مصير الفرد بعينه. واعرف رجلا كان حتى الحرب العامة عالما في الوطنية العربية فاصبح ركنا من أركان الاحتلال. ويدهني ان مثل هذا الانقلاب الرابع في المبادئ الأساسية يدل اجمالا على مجموعة عصبية خالية من الانسجام والتوازن. وهذا لا يعني أن بعض كبار الرجال لم يكونوا ثم يضحكوا على الأثر لانفعاليين متناقضين يحددان عقب التفكير العميق، بل ان هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من تجاوز هذه المخازن وتناوبها حتى فيمن كانت الحواجز الانفعالية بين اعصابهم متينة وفضيلة، وقوتهم الارادية توحزح الجبال. قال هيرودوتس في تاريخه ان ( زركير ) ملك الفرس المشهور باده وتربيته لا كان في طريقه لغزو بلاد اليونان عرض جيشه اللجب هو يعبر ( الدردنيل ) فلما رأى البحر مغطى بسفنه وشطوط ( ابيدوس ) مكثلة برجاله أعلن فرحه الشديد ولكنه ما لبث ان بكى بكاء مرفسا له ( ارتبانوس ) عن سبب هذا التناقض الغريب فقال الملك : « نعم لأنني بعد الحساب شعرت بشفقة وحنان من الفكرة التي دلتني على قصر حياة الانسان وبعد ذلك عندما رأيت ان من بين هذه الجماهير العظيمة لن يبقى فرد واحد على قيد الحياة بعد مرور مائة سنة ».

وقد يحل الضحك محل البكاء والعكس بالعكس. فالعصبية التي تقض المضاجع قد تولد في احوال خاصة نوبة من الضحك - « الصغراوي » - لا جرم أن العرب قالوا في أمثالهم « وشر المصاب ما يضحك » وانك لتقف في محطة السكة الحديدية على الرصيف الواحد فتجد قطارا مسافرا والدموع تنهمل من عين الوالدة من لوحة الفراق. وترى على الرصيف الآخر قطارا

ولكن بكت قلي فذاكرني البكا بكاهما فقلت الفصل للمقدم ومنهم من تنشق جروحه ويحسب الدمة يسكبها الناس كأنها يسكبونها على قبر مجريه لان العصبية جامعة شاملة:

فقلت انركوني فالأسي يمش الأسي وهذا جيماً كله قبر مالك

ونذكر ( توماس هوبس ) الكاتب الانكليزي المشهور البواعث التي تثير فينا الغم والسخرية عما يؤدي الى الضحك فقال انها بالاجمال نكبة بسيطة تعيب غيرنا فتحملنا على الضحك، واننا نشعر حينئذ بلذة لاننا نحسب انفسنا ارقى من الذين اصيبوا بتلك النكبة لجليلهم وحقيهم. اذن فالضحك عنده هو ( المجد الفجائي ) الذي يتخلله المرء في نفسه. ولكن الاستاذ ( برجسون ) نسب الى الضحك وظيفة اجتماعية مهمة غير اللذة، فقال اننا بالضحك والسخرية نقوم اعرجاج الذين نضحك عليهم. وهي طريقة كثيرة الانتشار عند الفرنسيين في بيوتهم ومدارسهم وجمعياتهم. والتكتيك للاصلاح طريقة مألوفة تسلكها الصحف اليوم خصوصا ذات الصور الغريبة منها.

غير انني ما زلت انظر الى الضحك انه ظفح، او فضان من قوة اندفاعية مخزونة في الدماغ متى بلغت حد الاشباع فاضت ولو لآل باعث. فيكون هذا الباعث شبيها بالزر الكهربائي متى دار سالت الكهربائية بواسطة من مخزنها وجرت في سبلها الطبيعية. وهذه القوة الاندفاعية مثل سائر القوى الكامنة في النفوس تريد وتنقص ويحوز الافراط فيها على حساب غيرها، بل قد تكون مفرودة كما يفقد بعض الناس قوة حيوية من قواهم الخلقية. والفوائد التي تنجم عنها للانسان هي فوائد صحية وعقلية من تنبه وسرعة تنفس واشتداد في الدورة الدموية وشعور بالكفاية والاستيفاء مع التسلي وتحويل النظر وتوقيف مجرى الافكار وهذا كله رياضة مادية معنوية. ويؤيد هذه النظرية ما يلوخ لي من أن غارن الانفعالات من حزن أو فرح أو بكاء أو ضحك أو زهد أو خلاعة مثلا هي في الدماغ متجاوزة او متصل بعضها بعض، بحيث يحل الواحد منها محل الآخر أو يمتزج الجار

الرجعي المزوج أما أصحاب التلين الدماغي فهم كالعصبيات من النساء تنهمل دموعهم لاقول حادث.

وقد يا أئذ الحكماء من يضحكون كثيرا بأنهم سيكونون كثيرا، كانوا عروفا أن كثرة الضحك تدل على الاستخفاف بما مضى وقلة الاكتراث لما هو آت. ومن عاش في الدنيا غير مبال فعليه أن يتحمل في آخر الأمر تبعاته، وإن ييكي بكاء مرا. على أن الطبيعة الانسانية في حالة الصحة حريصة على الاستمتاع من الضحك كلما حانت الفرصة، بل هي تضحك وتستر عن تعلب حالهم المرارة والعطف والاشترار في التألم معهم. وهذا لعمري لتخفيف اعباء هذه الحياة الحافلة بانواع الحزن والبلاء. الا لو بكينا دائما وما ضحكنا ابدا لارددنا شقاء على شقاء. ونحن اذا ما شعرنا بالفتور في العزبة والحمل في الافكار فكثيرا ما روحنا عن أنفسنا بحضور الروايات التمثيلية الغزلية واستأنسنا بجالس اهل النكات والادب.

وكما يعرف الفرد بلهجته ونبرة صوته كذلك يعرف بشهيقه وزفيره في ضحكه او بكائه، بل قد يكشف التبع الدقيق وتحليل الاصوات والانغام بالطرق العلمية الفية بعض الميزات الخاصة في الفقهية والخطبة والحوار والنحيب عند الجماعات والاقوام مما يساعد كثيرا على تقسيم البشر وتوزيعهم واطهار العلائق بينهم. ولا شك ان في ضحك بعض الاقوام في الغثرة ما يقابله من النعومة في الاقوام الأخرى.

وذهب بعض العلماء الى أن الضحك والبكاء من الغرائز الخاصة بالانسان، ولكن المراقبة الدقيقة للفرد دللت على خلاف ذلك. فان الاستاذ (بركس) اثبت ان دفعة البغام وهو الفرد الشيمبارزي على سبيل المثال والمداية تثير فيه علامات الضحك الابتدائي من تغير في السحنة وظهور اصوات من الحلق متقطعة. ولا حظ الاستاذ (مكدوجال) مثل ذلك في فرد الجيرون في ادغال (بورنيو).

وقد شاهدت ابتسامة لطيفة على وجه (العولة) وهي من قود البغام في حديقة الحيوانات في القاهرة وذلك عندما اقترب منها الحارس وداعبها فكانت تأتي بحركات غاية في التيه والدلال.

قائما والدموع تسيل على خد الوالدة الأخرى من فرح اللقاء، ولسان حالها يقول:

همج السرور عليّ حتى أنه من فرط ما قد سرني أبكاني

ولا يستطيع مجلس مها بلغ من الحشمة والوقار ان يحول دون النكتة التي تؤدي الى الضحك، فقد يضحك الناس مرغمين ولو في مجلس التمرية او على الطريق الى المشائق. وقد أخبرنا اللغات أن جال باشا السفايح للأمر بشتق شهداء العرب في اليوم السادس من مايو سنة ١٩١٦ قسمهم الى قافلتين: قافلة ارسلها الى بيروت، وقافلة الى دمشق. فكان في الأولى المرحوم جورج حداد الأديب الصحفي المعروف. فمثل لماذا كان نصيب الساحل وهو يعيش في الدناخل فقال: «لأن جال باشا اراد التوازن وتطبيق العدل بين اهل الكتاب فارسلني الى بيروت وأرسل زميلي توفيق سلمو الى الشام» فاذى هذا التكتيك الرهيب الى الابتسام في تلك الساعة العصبية.

وروى لي بعض الأصدقاء ان قسيسا في طرابلس الشام أصيب احد اولاده بدمان السكرات فلجأ الى احد اصدقائه من أهل الحشمة والكمال والدين ليساعده على انقاذ ابنه. فعقد الصديق مجلسا من الامل ودعا اليه الولد واحضر امامه دلوين - جردلين - فارغين وقال له واعظا ومؤنبا والناس كلهم سكوت: «لو ملأنا واحدا ماء وملأنا الآخر خرا واحضرنا حارا فمن أي الدلوين يشرب؟» فقال الولد من: «دلو الماء» فقال الراعظ. «ولماذا؟» فقال الولد: «لانه حار» فانقلب السكرت المحشم الى نوبة من الفقهية بعد هذا الجواب المجيب.

وقد يعتري الانسان بعض الامراض فيضحك من غير ضحك ويكي من غير بكاء فيقطن الناظر الى وجهه ان العلامات الظاهرة تدل على هجة او أسى، في حين ان المرض العضال هو السبب المباشر كما هو الحال في الضحك الكاذب في مرض الاستحالة العدية الدماغية وهو مرض عائلي معروف، والضحكة الصغراوية في المصابين بسم الستركنين او بالكويز مشهورة في عالم الطب وتبدو الكتابة الظاهرية على بعض المصابين بالفلج

يحرمون الصهباء على الناس في النهار ليجسوها في الليل وبالرجالين الذين يصيحون باسم الدين ليمتعوا بأسباب الدنيا. وبالشعوب الذين يتخفون من تعصب العامة سلما للصمود على ظهر الخاصة:

ضعفكم فكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يكونوا

فاكل ابيكوريوس هو مثل شرب الخيام، وبكاء المري صادر عن فؤاد مكلوم ونفس عميقة حساسة ولا تزال الرواية الغزبية والنأساة المفاجئة في المسارح والسنيما والكتب مثارا للاشغالات المفرحة والمحزنة في المشاهدين والقراء من سواد الناس. ويتسابق الكتاب المبرزون في إثارة هذه المواقف ولكن الرجل الكبير سيبقي أبدا مثارا في الدرجة الأولى بالمواقف التاريخية العظمى ولا سيما تلك المواقف التي يفوز فيها المبدأ أو يستشهد في ساحتها البطل. ومن ذلك ما رواه الطبري في « تاريخ الرسل والملوك » عن الحروب التي أشعلها وقادها عبد الله بن الزبير وأظهر فيها من الشجاعة في انقاذ الخلافة الاسلامية من الامويين ما ظل حديثا يتناقله الخاصة والعامة من بعده الى ان تالتت عليه الحوادث فاجتمع بوالدته أسماء بنت أبي بكر يستشيرها في الامر فدار بينهما حديث خطير معها حاول النقاد أن يعدلوه أو يحدفوا منه الى ان تالتت عليه الحوادث فاجتمع بوالدته أسماء بنت أبي بكر يستشيرها في سبيل مفخرة من مفاخر الاخلاق العربية المصمم وفيه الدلائل البارزة عن ما ورثته من الحرم والحرم عن أبيها حكيم العروبة وأول الخلفاء الراشدين.

قال عبد الله بن الزبير: خداني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي الا اليسير من ليس عنده من الدفح اكثر من ساعة، والقوم - أي بنو أمية - يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

أسماء بنت أبي بكر: أنت والله يا بني أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه اصحابك، ولا تمكن من رقبك غلمان بني أمية فيتلعبوا بك، وإن قلت إنما أردت الدنيا فبئس البسد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك. وإن قلت كنت على حق ومن اصحابي ضعفت فهذا ليس بفعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن.

والحمام اذا عاد الى عشه فوجدله خالوا خاليا أو اذا فقد اليقه نأخ نواحا مؤثرا على نعمة تقارب لفظ ( غور. غور. غور. ) وظهرت على وجهه امارات اللهفة والاسى. حتى صار ترجيع الحمام عند العرب مثالا شرودا في التوجع والحزن. واذا اشتد عليه الوجد ودامت الوحدة فقد هجر المكان الذي عاش فيه ردها من الزمن الى مكان آخر كان فيه من قبل مع الاحباب والاصدقاء.

ومن الادلة الوثيقة على الذهنية الاجتماعية العامة في الاقوام نوع الطريقة التي يسكنونها في تربية أطفالهم، فعندما كانت الفكرة المنتشرة بين الناس ان يكون المبرود متجلبا بجباب الحاكم المطلق والقاهر الذي ينفذ مشيئته بكيفية لا ضابط لها ولا رابط، كان من المنوع على الصغار خاصة الضمك في مجالس الآباء والجود لأن واجب الاحترام عندهم كان يقتضي ذلك، وكان الملل الأعلى المطبوع في ذهن الولد الناشئ أن يكون في تلك المجالس بشكل صنم مطرق الى الأرض. وكان موقف الرجل الصالح تجاه مبروده نسخة طبق الاصل عن موقف المحكوم الضعيف امام الحاكم المستبد. وللموقفين تأثير نافذ في طريقة التربية التي ينشأ عليها الاحداث في بيوتهم وفي مدارسهم.

وقد يلوح للتأطر تناقض شديد بين بعض الطرق الفلسفية المشهورة فيظن أنها لا تلتقي كما هو الحال مثلا بين المذاهب التي كان عليها ( ابيكوريوس ) و ( عصر الخيام ) و ( أبو العلاء المعري ) في حين يتلاشى معظم هذا التناقض عند التمهيز الدقيق والبحث في الاسس التي قامت عليها تلك المذاهب. فايكوريوس قال: « نأكل ونشرب لاننا غدا نموت » وعصر الخيام قال: « لنشرب ولنطرب غافلين في الخمر الى الركب لان هذا كل ما نريعه من هذه الحياة الفانجية »:

ارتشفها فانت من بعد حين في حفير تحت الثرى تنهيب  
لست تدري من أين جئت الى الدنيا ومنها يوما الى أين تذهب  
والمري بكى وأن واشتكى من هذا المجتمع الأهل بالمناقين الذين

# الرأي العام والمجتمع

(أقيمت في دار ثقافة المواطنين)

من النظريات الشهيرة التي وضعت لتعليل المجتمع وتفسير حوائده وأطواره النظرية الحيوية « البيولوجية » وهي اعتبار الجمعية البشرية جسدا حيويا خلاياه مؤلفة من الأفراد وله وظائف معينة تقوم بها أعضاء خاصة تماثل الأعضاء في الحيوان فمن هذه الوظائف الفسيولوجية الرأي العام وهو كناية عن عقل اجتماعي مؤلف من عقول فردية .

وقد ذكر الأستاذ ( ديلي ) الرأي العام ونفوذه في النفوس فقال فيها قال عنه : « انه ضغط شديد ناشيء عن تأثير العقل الاجتماعي الشامل في الفرد بحيث يذهب بشخصيته الذاتية المتفردة المنعزلة بمجرد ثقله . وهذا مصداق القول المأثور ( أصوات الحلق ) فحتى نطق الصوت وبدرت الإرادة تلاشت المخالفة بسرعة البرق امام هذه القدرة القاهرة » .

« وكل رجل سليم مقطوع على الرغبة في أن يقوم بقسطه من الخدمة في الحياة الاجتماعية المشتركة وان يثمر بأهليته لثناء اخوانه عليه ، وما من رجل يستطيع مقاومة الرأي العام الصريح ، بل غاية ما يبلغ انه اذا سخط عليه الرأي العام أن ينضم الى أمثاله من المغضوب عليهم فينال استحسانهم » .

وللرأي العام علينا فضل لا يحصى حسابنا ولا يستوعبه اصطلاحنا ، لأن اوضاعنا الحلقية وعاداتنا الاجتماعية قد اتخذت شكلها الثابت بعطرقته ، ونحن نجل الصديق مثالا لأن الرأي العام يحقر الكذابين ، ونحب الصراحة لأن الرأي العام يكره المواربين ، ونستعظم الاستقامة لأن الرأي العام يستعمر الموجهين ، ويقدم الوطنية لأن الرأي العام يستقذر الخائنين .

عبد الله بن الزبير: ما ركبت الى الدنيا وما أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله أن يستحل حرمه ، فانظري يا اماء فاني مقتول من يوتي هذا فلا يشتد حزرك وسلمي لامر الله . . . . .  
أساء بنت أبر بكر . . . من قتل على باطل فقد قتل على حق ، اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النجيب والظلم في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبني . . اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت لما قضيت فأثني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . انتهى

ولكن الحجاج كمعظم الطغاة لم يرجعه عند القدرة بل تمادى في الانتقام منه حتى انه سلخ جلده وحشاه تبنا .

هذه هي المواقف المشرفة التي تؤثر في الرجل الكبير وتستند دمه المهطل لا بما تدل على اباء وشمم وعلى مبدأ يقتل صاحبه في سبيله بحرية واختيار وهو يتنادي « المنية ولا الدنيا والنار ولا النار » .

مجلة الهلال ١٩٣١

ثم في سورية زمن السلطان عبد الحميد الى اليوم ، ودل هذا التدرج على تغير في الذهنية مقايسه نوع الدعاية المنتشرة بين الاهلين .

فقد ابتدأنا حيث كان رجال الاصلاح منا أمثال استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري يرمون بالاحلاد وبحب الحرية وعداء امير المؤمنين . ثم جاء دور الدستور فانقلبت الآية وصارت الدعاية الرائجة على الاعداء الاتهام بالتعصب والاستمساك بالرجعي وبالاخلاص للسلطان المخلوع ، ثم هبت الفتنة المعنوية آثارها فتبان الاتحاد والترقي فصارت الدعوة با لفلان وبا لفلان . وجاءت الحرب العامة فجددت الدعوة الى الخلافة والجامعة الاسلامية ، ارضاء للالان وذهب فتبان العرب الى الملتقى بحجة الانتفاض على الخلافة ولكن الترك أنفسهم بعد ثمانى سنوات انفروا الخلافة وطردوا الخليفة وآل بيته ثم شقوا انصاره؟ وفي نهاية الحرب العائسة أتيح لنا أن نؤلف حكومة عربية وطنية في دمشق فكان الرجل اذا أريد إتهامه وثارة الحفاظ عليه ان يقال عنه انه مشترك ، وعقيب هذه الحرية التي نهبت الاذهان وهذا الاستقلال الذي احيا النفوس جرد الفرنسيون على سورية حملة بقيادة الجيرال غورو واعادوا لها من الدعاية بالرخاء وغلاء ثمن الارضين وازالة الضرائب عن الكواهل ما عاد بالحقية على مشيرها عندما حق الحق وانكشف الصبح لذئ عيتين . لكن الجوايسيس في دور الاحتلال اخذوا يتهمون الناس بجهنم للربية وانصارهم للاستقلال حتى خاف رئيس بلدية دمشق ان يدعو للغة العربية عربية فدعاها اللغة السورية؟

لكن الاختبارات هي التي تعلم الامم كما تعلم التجارب أسئلة المدارس في المخابر . لا جرم أننا اليوم اذا أردنا ان نضمن الرجل في الصميم ان نقول عنه في حلقائنا الخاصة انه ابتدائي يجاري السلطة المحتلة على وطنه وبنائه عمه . ومعنى ذلك انه يقاوم بلاده في مقومات حياتها . ولمعري أن الاعيان القائم على المسائل الجوية والقضايا التي تتعلق بسلامة الأمة في أكليها وشربها وعقيدتها ولغتها وحريتها هو ايجان الباليغين الراشدين لا ايجان صبيان الازقة او المعجائر والمخرفين .

وربما عادت الدعاية الكاذبة على مشيرها بأفصح النتائج ، حتى اذا هم أرادوا ان ينقلوا بالصدق توقف الناس عن سماع حديثهم . فقد حدث في إبان الحرب العامة ان اشاع اللورد سالسبوري وهو ابن المركز ووبرت

وقصارى القول إن الرأي العام هو العامل الذي أوجد فينا هذا الوجدان الرقيق الفاصل بين الحق والباطل والذي حارت في تعمله كتب الاوائل والأواخر ، وحيثما ارتفع الرأي العام أو انحط ارتفع الوجدان أو انحط أيضا . ولنضرب على ذلك مثلا من أهل جزائر ( فيجي ) في المحيط الهادي ، فانهطاط الرأي العام في مجتمعهم كاد يذهب بالوجدان في أفرادهم فهم يمدون السرقة نجاحا والغدر فخرا والقتل فلاحا ، وأول درس يلقونه أطفالهم أن يصنع هؤلاء أمهاتهم . وهم يقتلون الرضى والمعمدين ، وإذا مات أمير من أمرائهم دفنوا معه نسائه وعبيده وجواريه أحياء . وإذا أنزكوا الى البحر قارباً دشنوه بنبح عدد من خدامهم . ودنى والد ولده فقال على قبره مادحا ومؤثرا : « انه ولد لو أغضبته نساؤه لقتلتهن ثم لأكلهن » . فنعم الولد ونعم الوالد؟ وقطع ( طائوا ) احد امرائهم ذراع ابن عم له وشرب دمه ثم طبخ الذراع وأكلها في حضرة صاحبا وبعد ذلك أجهز عليه وقطعه اربا اربا . وألفتهم مثلهم بأخلاقهم وكأثم قدوا من أديم واحد . فمن الاقارب التي يطلقونها على هؤلاء الالهة قورهم : « القتال » « الراني » « السارق » « اكل الدماغ » « باقر البطن » وغير ذلك من الأوصاف المستهجنة في جميعها ( فولتير ) الآية في الكتاب المقدس مشهورة يوم قال : « وخلق الله آدم على صورته » يجعل أبي البشر فاعلا لا مفعولا .

ومن دواعي الاسف أن تكون الدعاية ضرورية لاكتساب الرأي العام وان يحتاج الحق الناصح الى الاعلان والبصائع النفيسة الى العرض في الواجبة . ولكن ما العمل وسواد الناس في سبات عميق لا يتهنون من غير ايقاظ ولا يرون من غير نور ساطع .

وبالبلاء ان تحتاج الامم في بعض الحالات الى انواع الدعايات وشقي الاداعات حتى الكاذبة منها ، وذلك في المآزق المخرجة وللضرورة في الازمات ، وعندئذ أن أسرد الحقيقة ناصمة هو خير دعاية يقوم بها الرجل الحر الصادق . ومكنا أن نعرف الدعاية بأنها طريقة اقناعية يجاوب بها الناس على قدر عقولهم ، فالبدوي الذي برعى الابل يحتاج الى لغة في التفاهم غير اللغة المستعملة في المجالس العالية والمدارس الجامعة ، والدعاية الرائجة هي مقياس مضبوط لعقلية الأمة . وقد رأيت بعيني ولست يبدي التدرج الذي

بجواب الملك الأخير عن هذا الاحتجاج بحذف بعض العبارات منه عما يجعل نهايته على النحو الآتي: «وعندئذ رفض صاحب الجلالة - ملك بروسيا - أن يقبل في حضرته سفير فرنسا مرة أخرى وأبلغ حاجبه أن يقول له ان صاحب الجلالة ليس عنده شيء ليلغى السفير».

ولما انتشرت هذه العبارات الجافة في اليوم التالي في فرنسا وناذى باعة الصحف في شوارع باريس كيف رفض الملك البروسي مقابلة السفير الفرنسي، وكيف لم يتنازل الى جوابه قام الفرنسيون وقعدوا واصبحت عاصمتهم شعلة من نار مما أدى الى الغاية التي توجهاها داهية الالان، وجاءت طبق الحساب، فاعلنت الحرب وانتهت بظفر الالان واعلان امبراطوريتهم في باريس. وقد دعا ليكنخت هذه الرسالة التي اداعها بسمارك برفقا «جريمة لا تكاد تضارعها جريمة في التاريخ» لكن العتب ليس على بسمارك كما قال (اميل لدفيك) بل على العصر الذي عاش فيه بسمارك فقد كان المجتمع والحكومة يرمقن على شكل يسمح لمصايبه مؤلفة من رجلين أو ثلاثة أن يعلنوا حربا من غير أن يستفوا الشعب أو يستندوا الى ارادته.

وما يعني أن ألقت الانظار اليه ان الشأن في الانقلابات للمقيدة لا للحقيقة. فكلم حدثت في الدنيا مجازر بعدها اليوم في منتهى المسخافة ونظم يقينا أنها لا تتفق والواقع، بل نعلم أن بعضها كان افكا وتزويرا. ونتيج كثير من رجال السياسة الدعاية الكاذبة لاجتياز الازمات كما قلنا وللمرور على الجسور. لكن اجل هذه الدعايات محدود وجلبها قصير وعندما يكشف الغبار وتزول الغشاوة لا يصح غير قول ابراهيم لنكلن رئيس الولايات المتحدة: «تستطيعون ان تخدعوا كل الناس بعض الزمن، وتستطيعون ان تخدعوا بعض الناس كل الزمن، ولكنكم لن تستطيعوا أن تخدعوا كل الناس كل الزمن».

ومن الدعايات الكاذبة التي يبيها في الشرق حاة الاستعمار قولهم «عبه الرجل الأبيض» كان الله بعثهم لاصلاح الاخلاق وتطهير الاعراق كما بعث الرسل من قبلهم. وقولهم «حقوق الاقليات» ووجوب الدفاع عنها أكثر من الاقليات نفسها وقولهم «حماية الكنائس في الشرق» حتى اذا سئل زعيم

سالموري السياسي الانجليزي المشهور ان الالان الجانيهم الحاجة الى استخراج الدهن من جثث قتلاهم، فعابه الكونت مورتليج رئيس الوزارة الالمانية على هذه القرية عتابا مرا، وقال ان رجلا مثله نرى في احضان والده الكبير واطلع على الشؤون الخارجية لا يلقى به ان يجاهل آداب امة في حوار انكلترا وقت اليها بالنسب، وانها لأرفع من ان تهين جثث ابطال ها ماتوا في ساحة الشرف للدفاع عن مهد الآباء والجدود. وقد أتى هذا الرد صدمة عنيفة على جميع ذلك التنظيم الذي احكمته الابدي في الدعاية على المانيا.

ثم ان الخلفاء صرخوا جهود الجبارة لاقناع العالم بأن جريمة الحرب عاقلة بوقية المانيا وحدها، لكن المؤرخين والسياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين لم يقبلوا هذا الكلام على علاته ولا هذا الاخلاق من غير تقييد. قدرسوا ويديروا وقسموا وقابلوا واستقروا واستتجوا فبين لم ان دولة الصرب لم تكن تجهل المؤامرة على الارشيدوق فرانس ولي عهد النمسا ولا السفارة الروسية في بلغراد تعزل عن المجرمين وان للمسور بونكاره في زيارته لبترسبورج قبل الحرب من الأعمال والاقوال المروقة ما يجعله مؤاخذا امام التاريخ وأن... وأن... عا لا يتسع له هذا المقام. ولكن ما لنا ولكل هذه المجادلات ونحن نعرف ان جريمة التسليح كانت عاقلة بالجميع على السواء، وأن الجيوش والاساطيل كانت تنظم وتعمل على درجة متقابلة، والاتفاقات السرية الهجومية تعقد في الجباين ومضى كثرات المسدسات في أيدي المتخاصمين المتحيزين انطلقت منها النيران خفا.

ويكمن باسم ناشئة مثل انما في الشرق المتوسط ان تتروى كثيرا في تلقي الاخبار لأن الخصم قد يذيع خبرا مكذوبا لاثارة غضبنا ودفعنا الى العمل من غير روية ولا عقل، كما حدث بين الالان والفرنسيين قبل حرب سنة ١٨٧٠ فكان سببا مباشرا لايقاد نازها وخلاصة ما جرى ان بسمارك كان يضمم الشر لفرنسا وكان عالما بفقور امته الحربي عليها ولكن ملك بروسيا يرمقن وهو ويلهم فوردريك كان مسائلا الى درجة التطرف فحدثت مسألة في السياسة الخارجية تتعلق برشيع احد الاعراء البروسيين لمرش اسبانيا عما أثار غضب فرنسا فاحتجت لدى البلاط البروسي فاجابها الملك معتبرا لكنها عادت تغالي في الاحتجاج فانخذ بسمارك من عملها هذا فرصة للتلاعب

الاجرياء الذين لا يحفلون بالرأي العام الفطير، هم الادلاء الى الاصلاح، هم الحكماء هم الزعماء هم الذين يفتحون صدورهم لمجتمعات الغوغاء. هم الذين يقفون في وجه الناعمين وتابعهم، هم الذين يتقبلون بالجميع الى الامام ولو تحملوا في سبيل ذلك اذى القائلين مثلا بان الارض مسطحة أو هي قائمة على قرن الثور، فدوسوا بارجلكم العادات البالية وابتدوا وراء ظهوركم العقائد السخيفة ولو تعرضتم للرأي العام الفطير مؤقتا لان الارتقاء هو التصادم بين الفرد والحق والاندماج الباطل، بين الاستقلال الشخصي الصحيح والمجاعة العامة الكاذبة.

مجلة الهلال ١٩٣٢

من زعمائهم ما بالكم تضطهدون رجال الاكليروس في بلادكم وتؤبدونهم في الخارج أجاب « هذه بضاعة برسم التصدير » وأما عصبة الامم وما أدراك ما عصبة الامم فهي ثلاثة الاتافي ورمز السياسة الاوربية الحاضرة والسجل الشرعي الذي تدون فيه اعمال المستعمرين.

واسمعوا لي الآن وقد وصلت بكم الى هذا الحد أن أعرف الرأي العام بأن عقيدة شاملة تستولي على عقول الافراد فتسوقهم الى العمل المشترك، وعندي أن الفرق الجوهرى بين الرأي العام الفطير والرأي العام الصغير أن ذلك امرج كالعاصفة تقتلع الأشجار المثمرة من جذورها والبيرت العامة من أصولها، وأما هذا قوة محرقة مضبوطة لها غاية تثير الشوارع وتدير المصانع وإذا اتلمت شيئا فانما تقتلع الاشراك وتهدم صروح الفساد. ذاك يكون كالسيل العرم يخرف ما يقف في سبيله من خير أو شر، وهذا يكون كالفيضان الذي تكبح جماحه السدود فتوزعه الامة على مزارعها في وقت الفيض ويحسب الحاجة.

الرأي العام الناضج مقص اجتماعي في حديقه الامة تقص به كل فرع تحده نفسه بانتطاول على اخيه والطغيان على غيره.

الرأي العام الناضج سوط عيك من غضب الافراد العقلاء ليضرب به من يخرج على الجماعة.

الرأي العام الناضج عرش عمول على الاكف ليجلس عليه خدمة الامة الامناء.

ولا يتم الرأي العام الناضج الا على أيدي الطبقة المختارة وبارشادها فهي قوة غائية لتنوير الشعب في الاقتصاد والسياسة والعلم والفن والدين، وأهم من ذلك كله أن تربي الامة اخلاقيا وتفهيمها ان مصيرها بيدها وان آخرتها تتعلق بالرأي العام الصحيح الناضج الذي عليه عمور اعمالها.

وهنا أنا قد ظهرت أمامكم حتى الآن رجلا خاضعا لحكم المجتمع خانما لشركته كاتفي عاجز لا أستطيع نقدا ولا اعتراضا، فإذا قامت في انفسكم هذه الفكرة عني فهي خطا مروع، لانني حتى الآن لم أظهر لكم كرامن نفسي النائرة على الباطل، ولا حرمي الحارقة للمستعمرين من كبار الرجال. فانا اعتقد ان هؤلاء الشاذين النافرين في افكارهم وعاداتهم هم

## لورا ستيفنسون تعلم العزف

لم تستطع الدعوة الى الاخوة البشرية - على ما فيها من نعمة عليية جذابة - ولا المذهب الاشتراكي الحر - على ما فيه من قواعد معقولة مقبولة أن يحيا معالم القومية الجنسية، أو يذهبها بالفوارق اللغوية الثقافية، فالعالم لا يزال مقسوما الى انكليز والمان وفرنسين وطيان وعرب واسبان وما الى ذلك من اقوام وشعوب، ناهيك بتلك الاضطهادات الجنسية الحادة القائمة مثلا على زعم النازيين الا ان كان بان دمهم لا يجوز أن يختلط بدم اليهود أبناء سام؟ وما نزال نقرأ في العلوم الاجتماعية والتاريخية شأن الثقافات الاغريقية والرومانية والعربية والجرمانية والانيولوسكسونية واللاتينية، وقد استجد اليوم شأن الثقافة التركية وقول المحمسين ها ان مدنيتهما هي الاولى، وان لغات العالم كله مشتقة من لغتها لأبها « لغة الشمس ».

لا غرو أننا نجد الشعوب النازلة بالعالم العربي، والتي شرعت بالرباط الثقافية الاجتماعية الاساسية التي تربط بعضها ببعض، تهب من رقلتها فتجد في هذه الروابط من عوامل التعاون والتضافر والاتحاد ما يعد فاتحة انقلاب سياسي خطير في تاريخ القرن العشرين.

وقد تجلّى هذا الشعور بعض التجلي بما فعله أبناء العرب لفلسطين، على ما فيه من نقص واباء، فقد تضافروا في افريقيا وآسيا على مديد العروة لاخواتهم الفلسطينيين في جهادهم الوطني، فتتألف في العالم العربي للجان لتنظيم الاعانات المالية، ونشر الدعاية الفلسطينية، وغير ذلك مما كان له الاثر الطيب، وكان نداء ملوك العرب مسك الختام تجلت فيه بوادر التنظيم السياسي من ناحية الملوك والأمراء العرب بتوسطهم، ومن ناحية الشعب الفلسطيني بتزوله طائعا مختارا على هذا التوسط.



ونظرة واحدة على المصور الجغرافي، تدل على المقام الرفيع الذي يتمتع به عالما العربي. فهو يقف جبهة واحدة منضمة متشابهة من خليج الاسكندرية في الطرف الشمالي للجانب الشرقي من البحر المتوسط الى مضيق جبل طارق في الغرب حيث يتصل البحر المتوسط بالبحر الاطلسي فتشتمل هذه الجبهة سورية وفلسطين وسيناء وقناة السويس ومصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش والمغرب الأقصى. وحسبك من هذه الاقطار أن تذكر اسمها فقط لتعلم أنها أقطار تجمع بينها أوامر اللمة والمعقدة والتاريخ والنشيء الكثير من لحمة النسب، وهي تعلم أن ماضيها متشابك ومستقبلها يدور حول مركز واحد. وقصارى القول إن هذه الأقطار لو أرادت أن توتسس امبراطورية أو أن تزلّف حلفا ما كان الأعضاء الداخلون في هذه الامبراطورية أو هذا الحلف أبعد عن الروثام والتشابه من أعضاء « الامبراطورية البريطانية » أو ولايات « الولايات المتحدة في الشق الجنوبي من البحر المتوسط أمريكا. أين هذه الجبهة المتشابهة المتحدة في الشق الجنوبي من البحر المتوسط من الجبهة المخروقة الممزقة المتنافرة في الشق الشمالي التي تتحدى من الأناضول وتنتهي بكجبل طارق فتشمل الترك، وهم في وضعهم الحاضر مثل شجرة القرآن لا شقوقون ولا غريزون، وتشمل كذلك الصرب والألبان والكرواتين والفينيسين والاطالين والفرنسين والاسبانين.

ان هذه الجبهة العربية التي تستقل بالنصف الجنوبي من البحر المتوسط هي المر الطبيعي لكنوز آسيا وأفريقيا الى أوروبا. وهي نفسها تفيض بالجزرات والبركات، ففيها منابع الزيت ونباتات القطن وحقول الجريب ونباتين الثمار وحدائق الأزهار، وهي ورثة الامبراطوريات القديمة وفي ظلها الرواف تم الاتصال بين الثقافات الحالية والمدنية الحاضرة. فاذا ما قدر لأهلها أن يحصلوا أولا على حريتهم الموضعية ثم على تعاونهم الشامل فان قسطاس السياسة العالمية يصبح بيدهم لأنهم يتحكمون حينئذ في حوض البحر المتوسط ومن تحكم فيه تحكم في العالم اجالا.

ونحن معاشر العرب مع اعترافنا بقصورنا وانهمالك كثير من أقطارنا في الشؤون الموضعية البحت وغفلة زعمائها عن قيمة هذا التعاون الخطير، نقول لقد صار للمروية كلمة صريحة في السياسة الدولية والقابضون على أزمه

وفي الحق أن هذه البادرة الإيجابية، بينما معاشر العرب الاحتفاظ بها، وان حاولت أوروبا أن تقل من شأنها، وهي في الخطورة ثاني في الدرجة الثانية فقط عن البطولة التي أبدأها الفلسطينيون مع اخوانهم الذين أتوا ليجدتهم من سورية ومن العراق.

والآن نرى أوروبا تنقسم الى معسكرات، ونجد التناحش بين البلشفية والفاشيستية والديمقراطية بالغا أشده، وعصبة الأمم تحسر ما بقي لها من أثر ضئيل، والمغامرات تصبح قصاصات ورق، وآخر الدول التي تنفض عن نفسها الجبار المكس فوقها، دولة بلجيكا - فبعد هذا كله وبعد تسابق القابضين على زمام الممالك الى الاستعانة بالاقوام الناشئة، ماذا يحدث يا ترى لو هبت هذه الروح التي نجدها في فلسطين اليوم كما وجدناها في العراق سنة ١٩٢٠ وفي سورية سنة ١٩٢٥ فعمت جميع بلدان العالم العربي، وظهرت البطولة الكاملة فيه كما ظهرت في نابلس والمخيل والقدس ويافا وجيفا وغزة وشر السبع وسائر تلك البقاع التي سيردد ذكرها الاحفاد كما يرددون ذكر المارك « الزرعة » و « العروة » و « الحاضر » في سورية الشمالية.

ان هذا يعني أمرا واحدا وهو ان هذه البلدان ستسير في سبيل الحرية، شاء الذين يستخربوها للأغراض الخطيرة أم أبوا، فلا يمضي حين من الزمن الا وهي تتمتع باستقلالها الذاتي والأمم مثل الأفراد متى انتهت من مشاغلها المحلية وتدير امورها الداخلية انصرفت الى علائقها الخارجية ويبحث عن المنافع التي تصيبها من الثرى المحيطة بها، فكما أن الأخ يبحث عن أخيه كذلك القطر الشقيق يبحث عن شقيقه، وهكذا تسير الأمور نحو التعاون المنتشور بين بلدان هذا العالم.

فاستقلال العالم العربي استقلالا متفردا عمليا كما تبدو بوادره في هذه الأيام، ينتهي ان عاجلا أم آجلا الى نظام يشبه نظام عصبة أمم شرقية عربية مؤلفة من بلدانه، ويشهد التعاون الوثيق بينها على قدر الثمار التي تقتطفها من هذا النظام، ولا سيما متى أصبحت حوزتها الدولية مضمونة بحمايته ونحت رعايته من الصولات الاستعمارية التي يصولها الغرب للسيطرة السياسية والاقتصادية.

## الفصل الثالث

### من خطاب الشهابي

الممالك يتسابقون الى خطيب ودها، فهي ذات نفوذ في لندن وباريز ورومه  
ولن يكون اليوم بعيدا الذي يعترف لها فيه بشأها في حل المضلات المالية.  
وهذا كله يتوقف على تنظيمها تنظيما جديدا، وتسليحها بجميع الوسائل التي  
تجمل جانبها عزيزا وكرامتها موفورة.

الهلل نوفمبر ١٩٣٦

## من خطبة الشَّهيد

الخطاب التاريخي الذي ألقى في حفلة افتتاح حزب الشعب في أوبرا العماسية بدمشق يوم الجمعة في ١٤ ذي القعدة ١٣٤٣هـ / ٥ حزيران ١٩٢٥ .

وكان من أعضاء مجلس إدارته كل من السادة فارس الحوري ولطفي الحفار وجبل مردم وتوفيق شامي وسعيد حيدر وحسن الحكيم وغيرهم كما أشرنا الى ذلك في موجز ترجمة الزعيم .

من دواعي التفاؤل أن يرى المرء هذا الجمع المبارك ليحيي فيه أول كلمة وطنية انتظمت انتظاما علينا لخدمة البلاد وثايدها في جهودها بعد احتلالها .

إن هذه الخطوة الجديدة في حياتنا السياسية هي خطوة واسعة لأن البلاد التي ليس فيها تنظيم يجمع كلمة أهل الشأن ، هي بلاد مشقة لا رأي لها ، ومن لا رأي له حري بأن يعمل ويلقى جانبا .

قد حل علينا كتاب الغرب حلة شعراء يقوهم ، ان العرب - وهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن النية - عاجزون عن التعاون والعمل المشترك بلوغ هدف معين ، وربما توقع بعضهم جريا على هذه القاعدة ، ان يذب الخلاف الى هذه الكتلة وهي في مهدها ، بيد أن علينا ان نبرهن لهم ، ان الحوادث قد علمتنا ، وان الضغط الخارجي الذي تلاقيه أمتنا أقوى من أن يسمح باستمرار هذه النقيصة فيها .

يتناز هذا العصر تيزات جمة أوضحها من الوجهة الاجتماعية تنظيم

السياسة المنحطة لا يخلو من الفشل الذي يصيب اتخاذ الشرف أساسا لتقسيم الأسلاب بين المصورين .

من منا يشك مثلا أن الاستمرار على الاستعداد للحرب بالتواصلات والطائرات والذبابات والغارات الخائفة سيؤدي حتما إلى الحرب؟ هل بقي أحد من أهل الصحافة يؤيد تلك ابتداءه القائلة أن التسليح هو خير ضمان للسلم؟ أليس شحذ المدي بأيدي المصناعات المترجئة وغمس الحراب بالسموم البتابة برهانا على قرب وقوع الكارثة؟ وأنه لأسهل على عصبة الأمم، وهي يحجزها الحاضر، أن تحول دون الخصام بين المترجئتين الضمائم من أجل أن تحقق الدماء بين الدين أخذوا أسمى آيات العلم والفن وسيلة لأهدافها .

يجل هذه القواعد التي كُتبت العلم وأثبتها الاختبار أريد أن استرشد في تقرير مصير البلاد التي تغذينا بلبائها وعلى جبهاتنا وفي جبهات غوت .

المعامل  
الجغرافي

قال لي الدكتور ( لاد ) وهو من الأساتذة المعروفين في نيويورك « الستم كمن يقطع الصحخر الأصم في مقاومكم الحال الراهنة في بلادكم؟ » « قلت له هلم بنا إلى المصور الجغرافي علنا نجد فيه ما يشغلنا » قمنا إلى مكتبته الجميلة وعلى أحد جدرانها مصور آسيا الصغرى وبلاد العرب فأثرت إلى سورية بسباني وقلت هنا باب الغرب إلى الشرق ، وباب الشرق إلى الغرب ، وسيكون هذا المر من الوجهة البرية عند الدول صاحبة الشأن أعظم من ترعة السويس من الوجهة البحرية . ثم ذكرت له أنني قضيت شهرين اثنين في سنة ١٩١٥ في الصحراء قبل أن أبلغ شط العرب ، ولكن بعد اكتشاف طريق السيارات في بادية الشام صار من السهل اجتياز هذه المسافة الشاسعة في أقل من يومين ، وهكذا أصبح البرء بين عشية وضحاها يتقل من شواطئ البحر الأبيض إلى لب بلاد الشرق . والسبيل الوحيد للمساواة في مراعاة المصالح الدولية فيه هي تسليمه لأهله بحيث يكون بابا مفتوحا للجميع ، وثم أن هذه البلاد يحدّها من الشمال والشرق والغرب دول شرقية مستقلة أو شبه مستقلة ، وبعضها ذات لحمة واتصال بأنساب أهلها ، أفلا يتعذر الدفاع عنها ما لم يكن هؤلاء الأهل عاملا أصليا في هذا

الجماعات إلى كل متجانية في مساعيها وغاياتها . فالتجار والصناع وأصحاب الحرف مثلا تجمهروا إلى نقابات ، وجملة العلم وأهل الفن ورجال السياسة إلى جمعيات وأحزاب ، والدول إلى متفقات وأحلاف ، كل ذلك في سبيل التعاون وجعل النتائج نافذة لا تضمحل أمام الصدمات . ان وقع الأقدام منتظا على قياس زمني مضبوط يحد الجسور الفسخة ، بالاجبار ، لأن في التجميع والتنظيم من القوة النافذة ما لا تحلم به الفردية المبعثرة والفوضى المنتشرة ، وطابور واحد من الجند المدرب خير من الألوف وعشرات الألوف من أولئك المصح المتشتتين الضارين في الفياق الذين لم يتعودوا الانضباط في خيابهم ولا ألّفوا الانقياد في حركاتهم .

ومن سوء الظن الذي لا مبرر له أن يدعي المرء ، أن الأمة قد قصرت في تنظيم نفسها حتى الآن ، أئلام الجنين إذا لم يتفلس ، والكليل إذا لم يتخرج؟ ألا تجعل تلك الكمامات الموضوعة على الأفواه ، والأغلال المنفوقة على الأعناق مثل هذا التنظيم متعذرا؟ على أن الاعتراف بتأليف حزب علي سداه المطالبة بالسلطان القومي وجمته تأييد الوحدة في البلاد هو ولا شك طور من الأطوار الجديدة في تاريخ الحياة السياسية في سورية .

تقرير المصير

راجت على الألسنة في غضون الحرب العالمية الفاظ سحرية كثيرة اتخذها المحاربون أحبولة لصيد الأمم الراجحة ، فقوّم ، حرب الديمقراطية ، وحرب التحرير ، وحرب الأقوام ، ولا غرم ولا غم ، إلى آخر ما هنالك من الألفاظ الجذابة والمعاني الخالصة ، التي لا تزيد الخوف في البحث عن إخلاص واضعها ، ومن أجلها وقعا في النفوس قوّم ( تقرير المصير ) إذ أرادوا به أن تكون إرادة الشعب باعتباره وحدة حرة ذات كيان خاص ، هي الحكم الأخير في تقرير مصيره والبت في أمره ، بدلا من جملة سلمة تنهله الأيدي العاصية ، وبيعاً تعرض في أسواق الاستعمار للمساومة والمقايسة .

حقا إن فكرة ( تقرير المصير ) فكرة سامية تدل على علو كعب المرحن بها ، بيد أن هذا السمو نفسه كان عقية كؤوداً في سبيل تحقيقها ، لأن السياسة إذا لم تمتد دائما وراء الأبالسة الماكركن فهي قلا تحبذ باللائكة المطهرين ، ولا نبالغ إذا قلنا إن اتخاذ السمو قاعدة لحل الخلاف في البيئة

ملاحنا ويلاشوا الروانا وتقطيع وجوهنا وقاماتنا وشكل شعورتنا من أن يزيلوا هذه الجزيرة من نفوسنا ، وقد رأيت بعض الأزياء يجالسون غمط هذه القفيلة بفرحهم الأمان على استبعاد الترك أحقابا في بلادنا .

ان الترك لو لم يستعرض في عاداتهم وتقاليدهم ومعاملوا الأهلى كما يعاملون سكان الأناضول أنفسهم لا استطاعوا ان يؤسسوا لهم في بلاد العرب عربا ثانيا ، ومنذ خالطوا أوروبا ودرسوا طرق استعمارها ودار في خلداهم أن يجعلوا الجزيرة مستملكة والعرب أتباعا وان يقضوا على اللغة العربية وكنزها التي لا تقنى ، منذ ذلك اليوم تقدمت شهادنا الاشواوس الى الشائق برؤوس مرفوعة وصدور رجبة تثبت للعالم أن تحت الرماذ الذي ذره الترك حجرا يلهيب من رضا الحورية .

تكاثر تكون جميع الانقلابات التي حدثت في عصر التاريخ ناشئة عن العامل الاقتصادي ، والشقاء الذي أناخ بكله على سواد الشعب الاقتصادي الأفروسي في أواخر القرن الثامن عشر ، كان مثل البؤس الذي خيم على الفلاح الروسي في أوائل هذا القرن وفي كلا البلدين انتج استثمار الطبقة الارستقراطية للطبقة العاملة نتيجة واحدة هي الثورة .

إن كان أوروبا يهدد في يومنا هذا في حرب عوان تدعى (حرب الطبقات) وخلاصته ، ان تسعة اعشار الأمم الغربية ، وهم العمال يشتغلون آباء الليل وأطراف النهار لانشاع العشر الباقي وإملاء جحشهم وهم الممولون ، ان منافع المولدين في البلدان المختلفة تنضارب فتتصر لها الطبقات التي تعيش على فضلاتها كالتبقات الملكية مثلا ، مما يؤدي الى نزول الكثرة على رؤوس العمال المساكين فتراهم يساقون الى المجازر سوق الأنعام من غير ذنب اقترفوه ، وقد كانت نتيجة الصراع الأوروي الأخير ان نحرا من ثلاثين مليونا من أفق البشر وجعلهم من الطبقة الثالثة ذهبوا على مذابح الأطماع المالية ، فهل يعادل الشرق الأوسط جميعه بما ترى بما فيه الأناضول والاستيلاء دية هؤلاء الرحلين البائسين ؟

لو أمسكنا عشرة من المارين في أي شارع من شوارع العواصم الأوروية لرأينا تسماً منهم يستكثرون الحالة الشرسة التي عليها معظم الحكومات

الدفاع ؟ وما لم يكونوا راضين عن الحال في بلادكم فكيف تستطيع قوة أن تغيرهم على الدفاع عنها دفاعا من صميم أقدانهم ؟ الا يجب حينئذ تطبيق نظرية (اسماعيل فاضل باشا) وخلاصتها تطبيق سورية : نطاق من قلاع صغيرة (بلوكوسات) تقام على أبعاد متقاربة لحماية من نفسها ومن جيرانها ؟ اننا نتناقل من مشينا من غير هذه الاحمال الثقيلة فما بالك لو وضعناها ؟

المعامل الاجتماعي  
يحمل هذا من غاس الشعوب واتصالها بعضها ببعض وهو أشد فعلا في تطور الأمم من العامل الجغرافي قد تنجح طريقة الجوارات وقائمة السدود على طريقة (السد الصيني) في منع الغزاة من الدخول الى البلاد التي تباهم حكوماتها ولكن ، ما من سبيل الى منع الأفكار الجديدة من التسرب الى الأذهان المستعدة ، خصوصا متى بلغت الأمة درجة من الوعي العام يتفرد معها إسداد الستائر على الأفهام ، هل يتوصل الدهاء السياسي يا ترى الى إقامة حاجز ضيق بين العراق والأناضول مثلا بحيث يتمكن الأذلاء والماجورون والجناسيس وأسيادهم من اقناع المراقبين أنهم متمنعون باستقلال تام ناجز كما يتمتع الترك ؟ ان الأمراض الاجتماعية التي تنزل بالامة الواحدة كالمرضمية مثلا يعجز الجوسمعي عن منعها من الدخول الى الأمم الأخرى ، فهل يعقل ان القسو ووسائل الارهاب مع التدجيل تستطيع الوقوف دون تسرب الفضيلة ، ولو قدر لبشر أن يقف سدا دون الحرية فما أخرى بالسلطان عبد الحميد الثاني أن يكون ذلك الرجل ، ولكن حكمة رجال (المالين) ودربة رجاله الجواسيس وراء ذلك دروس (ماكافلي) التي كان يلقيها عامل بلديز على أعوانه مرتتها رباح الحرية لا هبت في سلائيك .

ان رؤوس الأصنام في المعابد هي أول من هتز لصوت الأبناء لان الجدران معها كانت ممتعة لا تقوى على صوت الحق .

المعامل الجبسي  
ان سكان هذه البلاد على اختلاف العشيرة يتون بأصوهم الى الجزيرة العربية ، ومهما كانت عبير هذ الجزيرة فان فضيلتها البارزة هي أنها تطلع أبناءها على الحرية ، فالحرية هي غريزتنا ، ولاهون على البشر أن يخفوا منا

والتكيف بحسبها ، فإذا وجد طريقان يؤديان الى الطاحون أحدهما سهل  
حدر والآخر وعرة قرد ، فمن البلاء ان يرغب الطحان في العرة عن  
السهول إلا إذا كانت وجهته غير المصلحة .

إن الليالي جبال والمستقبل حافل بأنواع الاحتمالات فعل الأقوام  
الظلمة التي تطلب الهواء العلق والنور المشرق والحياة الرفيعة ، أن تجعل  
لكيانها قيمة مادية في الميزان الدولي ، وأن تبقى قيس القومية مستعملاً دائماً  
اشتغال نار فارس لتستضيء به في المصلحة القادمة ، إذ يكون الظلام دامساً  
والدليل حائراً ، والغلبة يومئذ للمتقين .

الغريبة ، وهم إذا ما سمعوا بالظالم والمغالم التي تحكي باسمهم قالوا ليس  
بين شعوب الأرض شيء من سوء التفاهم ، وإنما هو صراع رأس المال .  
وهما كان عدو المناجين في احتلال البلدان الغربية عنهم ، فان  
الزيت ، والأخبار ، والشلالات ، والأحجار ، والأثربة ، والمعادن ،  
والاختساب والجرب ، هي ( عند التحليل النهائي ) وراء الدعاية الفارغة  
التي يتظاهرون بها ، ومعنى ذلك أن رؤوس الأموال استرخصت الموار  
الوطنية فاندفعت تطلب لها مستودعا في الخارج يدر عليها اللبن والحسل ،  
فلم تر تخيرا من البلاد البكم واتخاذ سكانها عمالا بالأجور الرخيصة .

ان تسرب أموال البلاد المغلوبة على أمرها من جيوب أبنائها يوما بعد يوم  
سيتهي بهم الى الإفلاس حتماً، وإذا كنت أعتقد أن الشيوعية وضع لا يلتئم  
مع الفريزة الشرقية فإني لا أعتقد أبداً أن الاشتراكية المقولة تناقض عقيدة  
الشرقيين ، وسيتهي الافلاس بالبلاد المستعمرة الى حشرها في صفالعمال ،  
ليتناون الجميع على تحرير الانسانية البائسة من محالب الاصفر الرنان .

هذه هي العوامل الأربعة الكبرى ، ولا ينكر أن لكل واحد منها على  
انفراد علاجاً مؤثراً ، فللعامل الجغرافي، الحرس والسدود والقلاع ،  
وللعامل الاجتماعي، الازهاب والسجون وكَم الأفواه وعقل الأقلام ،  
وللعامل الجنسي، رشوة المعلم وبناء المدارس الفاسدة ونشر التريبة الذليلة ،  
وللعامل الاقتصادي، استئجار الصحف النفعية وبث الدعوة الكاذبة . غير  
ان مقاومتها جميعا تطلب قوة لا تقي عند الحساب الدقيق مناهضها . ولا  
يظن أحد أنني من المتهورين الذين لا يعرفون أوروبا ولا يقدرنون قوتها حق  
قدرها ، أو لا يحيطون بالنظم التي وضعها لاستعمار البلاد المستقيمة غير  
أن يقيني بغلبة القواعد العلمية هو يقين كالراسيات لا يتزلزل ، استطاعت  
شركة السمكة الحديدية بين بيروت والشام ان تسير قطرها على ظهور لبنان  
العانية بواسطة المستنات رغم أنف الجاذبية ، ولكن في اليوم الذي يجفر فيه  
نقى ( حنان ) يموت اليبدر لأن الاستمرار على مقاومة الطبيعة عتاد  
يكلف أصحابه الكلفة الباهظة ويؤدي في آخر الامر الى التشل .

لا يتألى النجاح من مقاومة الطبيعة ومصارعتها ، بل من مجاراتها

## أهل بدر في المنزلة سجده جبريل للمؤمنين وهم الموت

يا زعماء الائتلاف  
ويا أعداء الاختلاف

يلوح لي أن الهواء مشبع بروح الثورة : فأنني وأنا قادم الى هذا المكان رأيت الشوارع تصبج بالناثرين ، وفي الشهر الماضي أحيتهم ذكرى ثورتكم في اليوم الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ \* كما نحني ذكرى ثورتنا في سورية في شهر ( تموز ) سنة ١٩٢٥ ، ونحني العراق ثورته في سنة ١٩٢٠ ، وفلسطين في سنة ١٩٢٩ ، وكذلك تفعل مراكز بذكرى ثورة الظهير البربري وتونس بذكرى جهودها المستور ، والجزائر بذكرى ابن جلول واختاراه ، وطرابلس الغرب بذكرى جهودها التي لن تنسى . فكل هذه ثورات اقليمية لمعالجة شؤون اقليمية يجمعها كلها الاحتجاج العملي على الاستعمار وأعوان الاستعمار . ولكننا اجتمعنا اليوم للاحتفال بذكرى ثورة لا تشبه هذه الثورات المحلية - هي ثورة عامة ليست للعرب فقط بل للعرب والمسلمين وسائر المخلوقات - هي ثورة الروح على المادة ، ثورة القضية على الرذيلة ، ثورة النور على الظلام ، ثورة أهل بدر حلفاء الرحمن ، على مشركي قريش حلفاء الشيطان .

إن معظم الثورات التي قامت في العالم كانت للبراعت الاقتصادية فيها

\* ألفت في دار جمعية الشبان المسلمين في القاهرة بمناسبة ذكرى غزوة بدر وانتصار المسلمين بقيادة النبي الكريم ﷺ على المشركين من قريش .

كانوا قبل هذا يستمتعون في الدفاع عن بيت من الشعر يبتون فيه أو قطعيتين من السانمة يرفعونها أو بقعة من الأرض يبيت فيها الشوك والبلان يترلون بها ، فما أحراهم أن يبيعوا أرواحهم في تأييد الوحدة الوطنية المترفة وتحقيق عدلها وصدقها وأمانتها ، لقد انتقلوا بواسطة هذه العقيدة الجديدة من الماديات الى المعنويات ، فلم تعد لبيت الشعر وأسرار الإبل والغنم والماعز وسائر أنواع الثروة قيمة في نظرهم إلا بقدر ما تحقق لهم من هذه المناظر الجديدة التي تجلب لعقولهم وأرواحهم على مسرح مذهبهم الجديد ، فآله أكبر من كل كبير ، والصدق والأمانة والاستقامة والعدل والإقدام والجرأة باطن أعز من كل عزيز .

يبد أن قريشا لم تحسب لهذه القوة الجديدة الروحية المتفجرة الحمية حسابا ، فاحتقرت أصحابها وعدتهم جانين ومهوسين غير مرغوب فيهم وغرورين لا يقام لهم وزن ، ومشاغبين يجب إبعادهم ، شأن كل مصلح جدد تأثر على الأوضاع الظالمة والنظم البالية ، واستهزت بهم الى درجة أن أباه جهل لا طلب اليه أبو سفيان أن يعود الى مكة برجال قريش حسبا للتراح ، أجابه : « والله لا نرجع حتى نرد بداراً فتيقن عليه ثلاثا فتعثر الجذور ونظمم الطعام ونسقي الغمر وتعرف علينا القيان ونسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا » .

إنهم لم يتحروا جزورهم ولكن تحروا رجالهم ، ولم يطعموا الطعام ولكن غصوا بريقتهم ، ولم يسقوا الحمر ولكن سفحوا دماءهم على الأرض ، ولم تعرف عليهم القيان ولكن ولدت عليهم النساء - كما يجب أن تولد على كل جبان - لمزقتهم ، ولما سمعت بذلك العرب احتقرتهم واحترمت خصوصهم فدخلت في صفوفهم أفرأجا أفرأجا .

لقد انتصر العقل على الجهل أخيراً ، وفازت المعنويات على الماديات للأسباب الآتية :

أولاً : وحدة القيادة : فالقائد العام في الثورة كان ذا مواهب حربية اعترف له بها أعداؤه ، وكان محترماً مبعلاً مسموح الكلمة نافذ الأشارة بين أصحابه ، له سلطة على الأرواح قبل أن تكون له سلطة على

الثنان المروق ، وآخر هذه الثورات الشيوعية للعمال، والكمالية والفاشية والنازية للأوطان ، ولكن هالك ثورات غايتها أسمى وأجل وخيرها أشمل وأعم، وهي الثورات التي يرتفع عليها للقضاء على المساوىء الاجتماعية والأمراض الروحية، وقد دل التاريخ على أن الاسلام - من حيث الغاية المجردة عن المنافع المادية - هو على رأس هذه الثورات التي لم تبل جديها القرون الخوالي ، فقد هب كالمصيفة لاستئصال عبادات سخيفة ، وشعائر وعادات مخيعة لا يقوم عليها مجتمع صحيح . وحسبه شرفاً وفخاراً أن يقف العرب أولاً والعالم ثانياً من عادة إله لا يختلف كثيراً في صفاته وابعائه ومراميه والجباب الذي تجلب به عن شيخ كبير من شيوخ القبائل . وقد دل التاريخ على أن للتنزيع عن القناتص والميوب من الآلهة شأناً كبيراً في تدرج الأخلاق ، ذلك لأن الأمم تنقطع على غرار الآلهة التي تعبدتها ، ولو لم يكن للاسلام من الميزات إلا التنزيه ومنع المسكر والاعتدال على النبات والابتعاد عن المصلحة المادية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكفى ، ولكن قريشا كثرهم من القبائل والشعوب طبعوا على المحافظة والتمسك بعبادات الآباء والجدود بالغة ما بلغت من السخافة والانحطاط ، فلا عجب أن بقوا في وجه الثائرين جهة واحدة فيكموا أفواههم كما تكلم المصحف بالقوانين الخاصة في عهد الحكومات المستبدة الظالمة ، ويطبق عليهم في روحاتهم وغدواتهم ، وتوضع الجواريس لمراقبتهم في حركاتهم وسكناتهم ، ويؤثمهم للاستجواب كما يؤثم بالشبهة بهم الى المحافظة أو دائرة الأمن العام ، حتى أصبحت الحياة في الوطن العزيز لا تنطق تحت هذا الكابوس المهلك ، فتأدى المناهي هلموا نرحل فراراً بجنادنا وعقائدنا من هؤلاء الظلمة الطغاة الذين لا تتسع عقولهم ولا تلبث قلوبهم .

ولكن فات قريشا أن هؤلاء الثوار ليسوا ثواراً اعتيادين يرضون أن يطردوا من ديارهم ويقتلون الغصين ويسكنون على الأذى . بل قاعدتهم هي أن يعتدوا على المعتدي بمثل ما اعتدى ومثلهم الأعلى في الحياة هو أن الظلم إذا أتاخ على الصدور بحيث لا يتزحزح إلا بالقوة، فالجبان الذي يفر من القتال



وكان القائد العام عند احتدام المعركة يبتئ الأمل في النفوس ويقوي القلوب بآياته البينة وبلاغته الساحرة ، ومع كل هذه الميزات الجليلة والمقام الرفيع الذي ناله لم يأت أب أن يستشير أخوانه ويرجع عن رأيه وإذا اقتضى الحال الأخذ برأيهم كما هو معروف في الرأي الحربي المسلم الذي أبداه الحباب بن المنذر ، فقد قبل رأيه ونفذ كما يقبل وينفذ رأي رجال أركان الحرب في الفتر العام . وخلاصة هذا الرأي أن يتزل المسلمون في أقرب ماء من المشركين وينبوا حوضا ويكأوه ماء لشربهم ، ثم يقذفون بالآنية في البئر ليفوروه ، ويقومون حامية منهم للدفاع عن الحوض الذي صفوه عما يسهل لهم ورود الماء ويقضي على أعدائهم بالمرت ظمًا .

رابعاً : إيمان الثوار بحسن الخاتمة قال (مرغوليرث) : وهناك دليل على أن الباحث الروحي العظيم الذي فعل العجائب في العدد الكبير في ميادين القتال الإسلامية ساعد كثيراً في هذا الميدان أيضاً ، وذلك أن الموت في سبيل الله كان في نظر الكثيرين من المجاهدين مقدماً عن الظفر في الميدان ، فالأمموتون وقد أفضاهم الشوق إلى جنات النعيم احتدموا غيظاً من السلاسل التي قيدتهم بهذا العالم الفاني فتراموا بهجة وجور على العدو الذي صيغت من نملات سيوفه مقاييح الجنة .

وفي يومنا هذا إذا هبت ريح الجنة على الوهابين في ميادين القتال باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله .

خامساً : الانتقام : وهو الانتقام من الطغاة العتاة الذين لا يراعون مالا ولا ذمة في مقاومة النهضة الروحية الحديثة ، هو انتقام للعموميات لا للخصوصيات ، للمعمريات لا للماديات ، للرحمن لا للشيطان ، فإين هذا الانتقام الاثاري النزيه الذي حدث في القرون الوسطى المظلمة من انتقام الطليان من الحبشة ، مثلاً في عصر النور ؟ زحف الطليان منذ نحو أربعين سنة على الحبشة ليسحقوها ويستبدوها وسخروها للآدم الدنيوية الحظيرة ، فلما صدهم الأقباش عنها

الأجسام ، بدلكم على ذلك قول المهاجرين له يوم غزوة بدر « إنا معك ، وإنك لو سرت إلى برك النعام جالداً معك دونه حتى نبله » وتقول الأنصار له : « قد آمانا بك وصدفناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض يا رسول الله لا أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، فسر على بركة الله » .

حقاً إن في الأسر من تضعه زوجته وأولاده في المقدمة ، فيقال له « رئيس » وفي الناس من تضعه الظروف والملايسات على رأس العمل ، فيقال له « زعيم » وفي الجنود من تصدر الأوامر السنية بتوليته أمر الجيش فيقال له « قائد » ، ولكن الذي شق طريقه في الصخر من راعي إبل إلى أن استولى على الأرواح والأجسام ليس رئيساً وزعيماً وقائداً فقط بل هو نبي كريم .

ثانياً : وحدة الغاية : وهذه الغاية التي استولت على قلوب الثوار المنتفضين هما سحق الأوصنام وإعلاء كلمة الحق ، فكان كل شيء دونهما عرضاً ، وعندهم أن الذي لا يتقدم إلى الصف الأول للدفاع عنها لا يستحق الأمانة التي يحملها في عنقه للمذهب الجديد ، أما قریش فكانت منقسمة على ذاتها لا تعرف ماذا تصنع ، وبعضها رأى في أول الأمر أن يعود إلى مكة برجاله كما فعل الأخنس بن شريق يوم عاد بيني زهرة - وبتراوح عددهم بين مائة وثلثمائة - ناهيك بذلك الجدل النيف الذي احتدم بين الزعيم عتبة بن ربيعة وأبي جهل .

ثالثاً : الخطط الحربية القوية والتمية الصحيحة : قال (مرغوليرث) عن القائد العام أن ميزاته الحربية تجلت لأول مرة في هذا الميدان ، وإن النظام والنبات على الغاية شكيمتان في الجيش تنودانها إلى الظفر ، وأنها كانتا متوفرين في الجانب الإسلامي مفقودين في الجانب الجاهلي . وحدث أن النبي ﷺ وهو يرتب الصفوف للحرب أصابه أحد أصحابه بعصاه قائلاً ، فاقرب هذا من النبي ﷺ وقبلة من بطنه للحصول على الترضية الكافية .

## توزيع للمسير فيسير عتله\*

يا إخواني الأعزاء

أريد أن أشرح لكم بكلمة مختصرة أحوالنا قبل أن أعلننا الاستقلال في دمشق الشام ، لم يكن أحد على الدولة العثمانية كما جنى السباح أحد باشا فانه بالظالم التي ارتكبها هنا لم يسهء الي أساء الي أمته التركية إذ أظهر للاوروبيين أننا معشر العرب شعب ضرب وسلب وقتل من غير أن يفتح فمه ، ظنوا هذا الظن فاعلنوا انهم أنوا للشرق ليتفقدونا من نير الاستعمار ، مع أننا لم تكن مستعمرين ، فنحن اذا صرقتنا النظر عن أحد جمال وإخوانه الإخاديين نجد أننا كنا أمة تتمتع باستقلالها في داخل الدولة العثمانية فقد كان لنا عرش واحد يحيط به العرب من جميع الجهات وجيش واحد فيه رئيس أركان حرب عربي ابن عربي من العراق وهو هادي باشا الفاروقي ، وكانت لنا مجالس إدارة ومجالس ولاية وكان لنا برلمان يجتمع العرب فيه مع الترك ، ولعن كنا مختلفين مع الترك في اللغة والمعادن فقد كنا متحدين في العقائد ، وفي عهد الامركزية كنا على قدم المساواة مع الترك واذا كنا لم نرتق فالترك لم يرتقوا أيضا « ومن أقامك في سمره ما ظلمك » فالظلم في الرعية كان عدلا في السرية .

ولقد ظن الحلفاء ان الأعمال التي ارتكبها السفاحون جمال باشا وإخوانه ، هي الأعمال التي كانت تحز في رقابنا وأنا لا نطلب سوى

\* خطاب القى في المهرجان الشعبي الكبير الذي أقيم في ٨ آذار ١٩٣٩ في منزل الأستاذ هاني الجلاد إحياء لذكرى توزيع الأمير فيصل ملكا .

واعملوا السيف في ظهورهم دفاعا عن الحرية والشرف والوطن وكسرات من العيش في بطون النساء الجماعات ، قام موسوليني اليوم بعدما حشد أعظم الجيوش وجمع أحدث العتاد بطلب الانتقام ، فأين موقف غزاة بدر وإيمان غزاة بدر وغايات غزاة بدر من موقف الطليان وإيمان الطليان وغايات الطليان ، ان قضية الطليان هي بسطة سياسية عسكرية ، وطمع شعبي ، وغطرسة الأبيض على الأسود ، ولكن قضية غزاة بدر : مظلوم مرهق ينتقم من ظالم مرهق ، ويؤمن بضطهد مضطهدا يثار من رثي مضطهد ، وإنسان هو كامل يتخلص من عبودية ناقص ، أفلا يجب ان تغلب فئة الحق القليلة فئة الباطل الكثيرة ، وإن تكون الكلمة العليا والأخيرة للذين آمنوا وعملوا الصالحات وعرفوا ان النجاة من التهلكة لا تكون بالكاء والعربيل وإقامة الأحران ، بل بالبراة والاقدام وتحطيم القيود والانحلال .

إخواني زعماء الائتلاف وأعداء الاختلاف : الحق كثير ثمين لا يقوم بالمالك ، وشرف عظيم لا يبال بالأماني ، ولكنه تزداد قيمته وتبالا لانه إذا ما انتزع بالقوة من جيوب الميطلين وحمل على هامات الرجال .

واسمحوا لي أن أقول لكم في الختام اننا في هذا الشرق العربي الناهض قد أصبحنا نفرح من الاستسلام وترنمش أفئدتنا من الانتقاد ذلك لأن التجارب علمتنا أن الخضموع سلم الجبروت ، وإن الرضا مطية الظالمين ، وإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

الحلال - كانون الثاني ١٩٣٦

المعامدة على اللجئة فرفضه أعضاءها ما رفضا باتا .

هذه هي المعامدة التي يتكلمون عنها ويحلمون علينا لرفضها وما أنتم عرفتكم كيف رفضتم .

والآن أنتقل بكم الى وصف الحالة التي أصبحنا عليها وقت الاستقلال :  
هنا عهد ومواقف عاتقة بوقنا باعتبارنا وطنين سورين عربا لا يجوز ان نتحول عن هذه المواقف ولا أن نتقلب عليها ما دام ينبض في عروقنا شيء من الشرف والأمانة والوفاء للأوطان .

ففي عصر اليوم السادس من مثل شهرنا هذا من مارس ١٩٢٠ اعلى عزني عبد الهادي كاتب الأمير منبر المؤثر السوري المنعقد في النادي العربي ، فقال بلسان الأمير في جملة ما قال « استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذي سفكوه ، وبفضل ما قاسوه من أنواع المناب والظلم فالامة العربية بعد اليوم لا تقبل ان تستعيد ولا تطلب من اوروبا ان تحتنا ما ليس لنا به حق بل نطلب ان تصدق على حقنا الصريح الذي اعترفت به لنا ، نريد حياة حرة واستقلال تاما » .

وفي مثل هذا اليوم ٨ مارس ١٩٢٠ في الساعة الثالثة بعد الظهر بوج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على سوريا في دار بلدية دمشق وكان لي الحظ ان أدخل عليه وأهنته في جملة المهتين .

كان واقفا بجانب العرش والى يمينه الأمير زيد بن الحسين والأمراء الهاشميون والى يساره هيئة الحكومة السورية المستقلة والى جانبها رجال الجيش وقد كنا نعتقد على جيشنا أعلي الامال فالامة التي لا جيش لها لا حوزة لها تدافع عنها ولا شرف تناطح السحاب من أجله .

بوج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على سورية في دار بلدية دمشق فوقف أمين سر المؤثر السوري وتلا على المجتمعين من فوق شرفة البلدية قرار المؤثر ، وسألخصه لكم .

تذكروا أنني أعيد عليكم هذه العبارات لتبقى مقبوضة في أعماق قلوبكم ، ولتبين الحالة التي كنا عليها يوم أعلننا استقلال بلادنا .

التخلص من الترك فقال ويلسن في المهود والوعود التي قطعها « كل مسألة أساسية أو سياسية أو دولية يجب ان تحسم على قاعدة الأسس المستندة الى حرية قبول الشعب للعلاقة المباشرة لتلك المسألة لا على القواعد النفعية المادية والمصالح التي يتطلبها شعب آخر أو أمة أخرى لأجل تحقيق نفوذها الخارجي أو سياستها الدولية » .

وقال الاكلكيز والفرنسيون بتصريحهم يوم ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ « ان السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق تلك الحرب التي أدركها مطامع الألمان إنما هو تحرير الشعوب التي رزحت أجيالا طويلا تحت نير الترك ، وإقامة حكومات وادارات وطنية لها تستمد سلطانها من اختيار الأهليين الوطنيين لها اختيارا حراً ، ولقد أزمعت فرنسا وانكلترا على أن تؤيدا ذلك بأن تشجعا على إقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية في سوريا والعراق وليس من غرضها ان يقسرا أهالي تلك المناطق على الحكم الذي يريدانه » .

ولكن عما لا شك فيه مطلقا ان الكثيرين عن عانوا إقامة هذه الحكومات المحلية الباطلة ومن رأوا مطالبهم وخياناتهم كثيرا ما قالوا لمؤلاء الحلفاء الذين أيدوا مؤلاء الخيرة بالقوة « خلوا جلودنا علينا يا ليتنا بقينا عثمانين ولم نر هذه الفوضى » .

جرى حديث طويل بعد عودة المرحوم الملك فيصل للمرة الأخيرة من اوروبا الى سورية حول معاهدة تدعى معاهدة كليمنصمو - فيصل فأريد أن يعرف الناس من الذي رفضها ومن الذي أبطلها .

ان التاريخ يقول لكم : ان المعامدة التي حملها فيصل من باريس والتي تقدمت اعلان الاستقلال جرت كما يأتي : لقد حمل الأمير المعامدة حين عودته من رحلته الثانية الى اوروبا وهي لا تضمن الشيء الكثير من استقلالنا ولكن ربما كانت خطوة في ذلك العهد .

وعلى أثر رجوعه عقدت الهيئة العاملة لجمعية الفتاة ومن أعضائها الدكتور أحمد قدري ورفيق التميمي وعزة دروزه وشكري القوتلي اجتماعا سرا في منزل الدكتور أحمد قدري حضره الأمير فيصل نفسه فعرض مشروع

عرب في وقت واحد ، فلم يرتقا أن نتمتع باستقلالنا وحدنا بل تذكرنا العراقيين الذين كانوا يثرون من جور السياسة البريطانية في العراق وقتنا بقول شاعرنا العربي :

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تتظم البلاد  
وقول شاعرنا العربي :

إن الكرام إذا ما أسروا ذكروا من كان بالقهم في الوطن الحزين  
أجل : تذكرنا العراق في نكيبه ونحن مؤمنون إيماناً جازماً بأن العراق سيذكرنا في نكبتنا ، إليكم الآن قرار المؤتمر .

ثم قال : « وما أن بين القطرين صلات تاريخية وجسدية وروابط اقتصادية ووطنية ولنورية تجعل أحد القطرين لا يستغني عن الآخر » قال مؤتمر السوربي : « نطلب استقلال العراق استقلالاً تاماً على أن يكون بين القطرين اتحاد سياسي واقتصادي » .

هذا حالنا في يوم ٨ آذار سنة ١٩٢٠ فقولوا لي بربكم ما صرنا اليه اليوم وإلى أين نحن وصلنا ؟

لقد أقامت الإدارة الأجنبية حكومة في هذه البلاد لم تستعج أن تسمي الحماية استقلالاً ولم تستعج أن تسمي المضموع والفتوح حرية تامة ولم تستعج أن تدعو الأغلال الموضوعة في رقاب الناس سياسة واعتلاء ، هذه هي الحكومة التي غالت وأعطيت كما شاءت أن تغالي وتطلب في المعاهدة التي أنت بها ، فسكنتنا على مضض ولم تبد إلا نقداً بريئاً ومقابلة علمية تاريخية بين تلك المعاهدة « عروسة الشرق ؟ » وبين المعاهدة العراقية فوجدنا اليون شاسما . ولكننا وقد رأينا الناس في البلاد مندفعين إلى تأييدها فانتظروا وكنتمنا ما في قبرسنا على أن نعود إلى ذكره متى حان الحين فقد كنا موقنين بأن غيرها وثقافتها تظهر حين تطبيقها بيد أن الذين أئروا بها لم يكفروا بما فعلوه من الانتكاسات على حقوق الأمة ، بل عادوا وسافروا إلى باريس ودخلوا في مفاوضات سرية واتفاقات لا تزال مجهولة حتى عند بعض الوزراء أنفسهم

قال أمين نسر « باسم المؤتمر السوري ، ان المؤتمر السوري العلم الذي يمثل الأمة السورية العربية في مناطقها الثلاث : المنطقة الداخلية والمنطقة الساحلية والمنطقة الجنوبية ( فلسطين ) تخطياً تاماً ، وضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الأحد الموافق لتاريخ ١٦ جمادى الثانية ١٣٣٨ وليلة الاثنين التالي له الموافق لتاريخ ٧ مارس ١٩٢٠ القرار الآتي » .

يقول مؤتمر السوربي الذي بايع فيصل والذي مثل سوريا بحدودها الطبيعية مثل المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية والمنطقة الساحلية ، يقول ان الأمة العربية ذات المجد القديم واللدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم ترق دم شهدائها الأحرار إلا طلباً للاستقلال التام والحياة الحرة باعتبارها أمة ذات كيان مستقل ، وقومية خاصة ، لها الحق أن تحكم نفسها بنفسها إسوة بالشعوب الأخرى التي لا تريد عليها مدينة .

وهذا نص قرار المؤتمر :

نحن أعضاء هذا المؤتمر رأينا باعتبارنا الممثلين للأمة العربية في جميع القطر السوري تخطياً صحيحاً نتكلم بلسانها ونجهج بارادتها بوجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استناداً على الوعود والمعاهد والمبادئ السامية ، وعلى ما شاهدنا وشاهد من عزم الأمة الثابت على المطالبة والوصول إلى ذلك الاستقلال بكل الوسائل ، فأعلننا بإجماع الرأي استقلال بلادنا سوريا بحدودها الطبيعية ومعها فلسطين ( على رغم ذلك الوعد الذي كان في باريس والذي جاءت أخباره مؤخراً بأنه باع فلسطين للصهيونيين ) استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الأساس الذي النباني ، وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطناً قومياً لم أر حل هجرتهم ، ولا كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من نير الترك ، وكانت الأسباب التي يستند إليها قرار استقلال القطر السوري هي ذات الأسباب التي يستند إليها في استقلال القطر العراقي - نعم أيها السادة لقد تذكرنا يومئذ إخواننا العراقيين ولم ننسهم في الوقت الذي اعتقدنا فيه أننا بلنا ميتاناً فكنا لا نقصر على حبة ذائنا بل نذكر إخواننا لأننا سوريون وسوريون

وتأكدوا أننا سنكون أول الواقفين في وجههم ، فمن وقف في وجه السلاطين عبد الحميد ١٩٠١ وفي وجه الاتحاديين سنة ١٩١٤ و١٩١٥ وفي وجه الفرنسيين سنة ١٩٢٢ و١٩٢٥ لن يتأخر عن الوقوف أمام كل من يتلبس بالوطنية للكيد للوطن العربي السوري القلبي .

إنهم يدعون أننا لم نجابه الفرنسيين ، ألا بربكم قولوا لنا إذا نحن تقدمنا ببيان حر صريح مادته الأولى : ان لا تكون المعاهدة السورية الافرنسية أول من المعاهدة العراقية لا في النص ولا في التطبيق ، وأن تكون المادة الثانية من مناهجنا إعداد سورية لتكون عضوا في الحلف العربي القادم ، إن كانت فرنسا مستعمرة فهذه صفقة على رأس الاستعمار ، وإن كانت فرنسا تريد أن نحرثنا وتريد أن تتسلط علينا قطعة بعد قطعة ، وتريد أن تطبق علينا قوانين الاستعمار التي تطبقها في افريقيا وتريد أن تفصل بيننا وبين الاقطار النقيطة التي لا نعيش بدونها .. اذا كانت فرنسا عازمة على هذا العمل فان هذا الدهاج هو الضربة القاضية على الاستعمار والتجزئة ليس لأننا لدينا سلاح وطائرات ومدافع بل لأننا نعتقد ان الايمان الذي نحمله هو روح من السماء وقوة الله أقوى من قوة البشر .

وفي آخر الأمر ماذا يحدث لأحيكم الراقف بينكم الآن إذا أخفق ؟ ان المثل الذي أحفظه في قلبي وأردده على لساني ويردده أبنائي من بعدي هو « خير لي ان أتوارى في القبر ليقال عني انه مات في سبيل الاستقلال من ان انتفخ ويقال انه نجح في تحقيق الاحتلال » .

أيها السادة : انا مثل ذاك الرجل الذي قيل في حقه ( وأنتم تعلمون من أريد ) « ان الذي يقتل القليل ويرحم عليه في جنازته أول شراً على التحقيق من بيع الوطن ويترجح على استقلاله إني أجعل ختام كلمتي تلك الآية الباهرة في سورة آل عمران « فوجدت من قبلكم سنن فسيرا في الأرض وانظروا كيف كانت عاقبة الكاذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمؤمنين ، ولا تنهروا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

وارادوا ان يحملوا الأمة على تصديقها ولكن من حسن حظ هذه البلاد أن الافرنسيين انفسهم رفضوها ولم يبرموها .

ان الذين يملئون سورية على زعمهم تقدموا الى الطامعين بسورية بشروط لو قبلت لحولت هذه البلاد الى أمثال بلاد ( بنام بنام ) في جوف افريقيا . إن هذه الاهانة ستبقى عالقة برفاق أصحابها ولن يحسكم منها ضر اذا عاهدتموني أيها الشيخ والشيخ أيها الآباء والأبناء أن تسبوا الى الأمام في سبيل حريتنا واستقلالنا يحمل هذا العمل وهذا العمل وحده تستطيعون به ان تحموا هذا العار .

أيها الإخوان: ان الذين تحسكوا بالوزارة، ولم يريدوا ان يتزلوا عنها، بقوا متمسكين حتى الرمق الأخير، ولم يتزلوا عنها إياه ولا شهامة .

لقد أخرجهم الفرنسيون وطلبوا منهم ان يقدموا في برهة ساعتين جوابا على الاذثار الذي تبلموه فحاروا في أمرهم وخافوا على أنفسهم من بطش الشعب فتزلوا عن عرشهم، وادعوا كذبا انهم تزلوا في سبيل المبدأ وفي أوائل هذا المبدأ رفض نظام الطوائف، وبعد أن كذبهم مندوب المفوض السامي معنا بقوله ان عبد الرحمن الكيالي وبارف النكدي مندوبي الحكومة قد حضرا الاجتماع الذي أثيرت فيه هذه المسألة وبحث معها في يوم كذا في الساعة كذا ووافقا عليه ، قبلنا من ان يثبتوا للمندوب خطاه ويقولوا انه كان مقربا عليهم شعروا بضرورة التزول عن الكراسي وادعوا انهم تزلوا في سبيل المبدأ وهذا إنك دل عليه تاريخ التطورات التي أنت بعد ذلك .

لقد قلت عند المصريين مثل يطبق على حالة هؤلاء فاذا ذكره لكم : يقول المثل المصري : ( إذا وقع الحمار عملها مريله ) يعني الحمار عندما وقع وشاهده زملاعه الحمار قال لهم إنه إنما يتسرخ في الرمل .

أيها الاخوان: يعيب علينا كثير من الناس سكوتنا عن الوزارة الحاضرة ونحن سكنتا سكوت المخلصين الثريين والورعين والعلماء الطموقين اللذين يريدون ان يأخذوا المحرم بحرقته ، وأن يدافعوا عن الفاضل في فضيلته. ففي اليوم الذي يخرج هؤلاء القوم على المنهاج الذي استفد به بماننا ثقوا

## الحرية في تاريخ المسيحية هي المثال لله على خير عرب قبل أن تكون سوريين\*

### إخواني الأحرار

سمعت في هذا المساء كلاماً أثار خاطري كثيراً ، وأود أن أخفف من غلوائتي وأعود وإياكم الى معالجة قضايانا وإن كنتم تعلمونها ، ولكنني أريد معالجتها بصورة عملية عليها تفتح الطريق أمامكم .

لا قوات المعاهدة السورية - الفرنسية كتبت بالخير الأحمر في التعليق عليها ، خطوطا لبيان وجوه الاختلاف فيها عن المعاهدة العراقية ، ووضعت هذه الخطوط تحت الأسس التي رأيتها مهلكة للحسنة والاستقلال ، وكتبت بالخير الأزرق الأمور المشابهة وكتبت بالخير الأسود الأمور الثانوية التي لا قيمة كبيرة لها .

ومن الجهة الأخرى ، إخوان عرفناهم واشتغلنا معهم وأبدتهم البلاد في مواقفها مرارا ولم تاريخ سابق ولا يمكن لأحد منا أن ينكر ما لهم من المزايا - أتوا بدواء جديد أسموه المعاهدة السورية - الفرنسية .

لدينا مريض وهذا المريض هو سورية وهذه هي الأدوية التي عرضت أمامكم ورأى قسم من أهل البلاد ان المعاهدة السورية دواء حسن . ويكرز أن كثيراً منكم خالف رأيهم في الاجتهاد ، وهم يصرون على ان هذا الدواء دواء ناجح .

لنن لکم الآن ماذا يجري في الجمعيات الطبية الاستشارية فإذا كان

\* ألفت في الحفلة التي أقامها تكريماً له ولأخوانه الأستاذ زكي الخطيب

بالعيب اللطيف فاذا جاء فوق العنب ما هو أحلى فككون مفتيحين عنتين  
نحمد الله أن روح الوطنية لم تقتصر على المدن فحسب بل امتدت الى  
القرى ، لأن الاستقلال والاحكام لا يجتمعان على صعيد واحد .

في تاريخ الدين دائما تتجلى صورة الله فيكون هو المبرر واليه تتجه  
الانظار، وفي تاريخ البشر الحرية هي المثل الأعلى .

وإذا وجدت نظريات متماكسة سواء أكانت على الاقتصاد أم الصناعة أم  
السياسة ، أم الجاه فالنظرية التي تتغلب هي نظرية الحرية ، لأن الحرية  
مفروسة في القلوب ، فلو أن دمشق احتكرت هذا الجاه بالحرية وصارت  
تنام على أنغام الموسيقى التي تسمعها من آيات الاستقلال ، وإذا اكتفت  
بوضع آلات الراديو اللاقطة ولم تدع على الملصقات أنغام الحرية باللباع ،  
فان دمشق تتهم عندئذ بحب الذات ولكن دمشق أم المدنية وأقدم مدينة على  
وجه الأرض ، دمشق التي نزل بها الأمويون ، ومنها أرسلوا بعثتهم الى  
أفريقية وآسيا لا للفتح ، ولا لهدم المدن والقضاء القنابل بل ذهبوا لرفع لواء  
الحضارة ولعلاء كلمة الله .

أرجو ان تعلموا ما هو المقصد من كلمة الله فربا ظن بعضكم أن الدين  
هو الصلاة والصيام وسائر أنواع العبادة فقط ، فهذه من نزاجي الدين وهي  
ناحية العبادة ، وهناك نزاج أخرى لأن الله يتجلى بها وهذه النزاجي هي  
العلم ، والحضارة وإقامة العدل واستخراج كنوز الأرض ( تصفيق ) .

أيها السادة : فمن مدببتكم هذه سار أول الرسل والوفود في تاريخ الفتح  
العربي لتأييد الحضارة ورفع منار العلم ، فدمشق التي عملت هذه الفخرة  
في الماضي لا تقص على أفريقية وآسيا بأن ترسل رسالها مبشرين بالحرية  
والوحدة العربية « تصفيق » .

اتأسف يا زكي الحبيب لأن بعض الناس ممن حركتهم أغراض لم يفكر  
أصحابها في نتائجها ، أنهم أتوك وعرضوا بك ليظهروك بغير مظهرك ، إنكم  
تجتمعون بنا الآن ليس باسم سورية فقط بل باسم سورية والعروبة من  
فوقها ، أتدرون تاريخ هذا الرجل في العروبة ؟

المريض في حالة دقيقة وكان الخطر يهدده ، نسمح للطريقة الموروثة  
للمعالجة بالتطبيق فاذا أتى التطبيق بتخفيف الحرارة ، وتقليل الألم ونزول  
النبت وعودة الوعي ، وديب القوة من جديد بحيث يتحسن المريض فاهلا  
وسهلا .... فكلنا جيتنا نؤمن بالدواء، ولكن إذا كان هذا الدواء لم يغير  
شيئا من حالة المريض بل ربما زاد في غيبيه وزاد في الأعراض فتسارع  
النبت وارتفعت الحرارة واشتد الهزال ، فالدواء ليس دواء شافيا وهذا يعين  
على الأطباء معرفته ، وهين على المريض وأهل المريض ان يحققوه ، وهين  
عليكم ان تخطوا به .

إسمعوا : - لو كنت أعتقد أن مريضا سيموت ان لم نستعمل له دواء آمنا  
به : ولو كنت أعتقد ان القوى الجوية في سورية قوى خاترة وذاهية الى  
الزوال ، لعمت بالدواء الشافي الذي آمنت به ولو قاروني أهل الأرض  
والسواء « تصفيق شديد » ولكي أعتقد ان مرضنا عارض وان لدينا مسمما  
من تجربة هذه الأدوية فاذا أتى هذا الدواء ناجحا - واني أتقن من صميم  
قوادي أن يكون ناجحا ويقتنا من المرض الذي نشكو وننال منه ، فاذا كان  
هذا الدواء ناجحا تعالوا الى بيتي لرفع الأعلام ، تكريما للذين وضعوا هذا  
الدواء .

في مصر جرت حوادث في الماضي تشبه حوادثنا فمن قائل إن استقلال  
الامة وحريتها إنما يتجيان في تأليف جيشها المستقل او تمتعها بالسيادة  
الخارجية، ولكنهم اختلفوا في القدار الذي حصلت عليه من هذه الناحية .

فجاء أهل الأدب وروضوا كلمة اطلقوها على حالة التبليل هذه ومن  
الذين تقدموا صديقا الاستاذ العلامة وحيد الأيوبي فقال : هنا نظرية  
بالاستقلال التام الناجز وهناك نظرية بالاحتلال التام الناجز ، فنحت من  
الكلمتين وهما استقلال واحتلال كلمة « احتلال » فقال ان مصر محتلة  
احتلالا لاتاما ناجزا ونحن إذا أنت النتائج لمريضا عما يدل على نكس وتأخر  
فانخونا وحيد بك موجود في مصر وكلمة « احتلال » جاهزة .

وقد رأينا في هذه الحفلة داريا التي تطعمنا عينا طيبا أثبتا بشباب نبيه -  
وأشار الى الشاب الخطيب - لشاركتنا في حفلتنا، نحن نكفي من داريا

ولولا حسين في مكة وفيصل في العقبة وأشأوس تجمعت تحت هذين

العلمين لكان شكري باشا وغيره ممن سجنوا سيقوا الى المشقة ولكن يا زكي بك على صغرك وشيخوختنا ، وعلى حديث عهدك بالسياسة وقدم عهدنا فإن بصرك كان صابيا ، وكنا نخطئين ، لقد أسأت الظن اذا أرادوا من العربية ان يظهرها اللغة التركية ، فكنت نصيرا للمروية ، فاذا كان لا بد من شيئين على البرء ان يختار واحدا منها ، نعي إما ان يكون خادعا او مخدوعا فخير له ان يكون مخدوعا عن أن يكون خادعا . . . ولكن خير في الخائنين قول عمر « لست خبا ولا الخب مهي » أو لست خادعا ولا للخادع طريق الى نفسي ، وهذا القول لعمر بن الخطاب يجب أن يعلق على الجدران وينقش في القلوب .

يا هاني الجلال : أنا لا سمعتك تخطب ذكرت صديقا لي في مصر من أحسن الأطباء والأدباء هو الاستاذ السيد عبدالله العفيفي فإن أولادي ما سمعوه إلا قالوا : ابن القفح يتكلم ولو سمع ابني فيصل الاستاذ هاني الجلال لقال فضول من ( كلبلة ودمية ) تلحق عليكم . إنه لمسير علينا وشاق ان يكون رجل ذو ميراث نافعة تصالح للوطن خارجا عن نطاق العاملين . لقد أتينا اليكم ببعثة أرجو من كل واحد منكم ان يؤيدها وهي الانقسام تحت لواء واحد لواء الرجال العاملين المخلصين .

قالوا عن السوريين إن كل واحد منهم فيلسوف قام بذاته ، فاذا اجتمع سوريان اثنان صاروا رجلين عادين أما ثلاثة فقد صاروا غرغاء من البشر قد يكون في هذا الكلام شيء من المبالغة ولكن على التحقيق ان فكرة التنايد بيننا معاشر السوريين فكرة شديدة يجب ان نجد لها علاجا شافيا ، ولقد وجدت بعد البحث والتتبع واستعراض الحوادث أن قوة الارتكاز والتحول نحو المركز للتعاون والتساند هي أقوى بما لا يقاس عند المصريين منا .

بأينا افراد علميون ويقولون نحن نثل سوربة ، بأينا واحد يعرف أن يقول ضرب زيد عمروا فيدعي أنه عالم جليل يحق له أن يتكلم باسم الجامعتين الجامعة العلمية والجامعة العربية ؟ دعونا نخفف من غلرائنا ونعترف لأهل الزايات منا بوزايهم ونعطي الجناز خبزهم ولو أكل نصفه لأنه لا سبل لإنتقاذ الموقف إلا بجمع القوى الباهرة الصالحة للعمل ، والآن

نحمد الله أننا أحياء وذلك لأجبا ، فالجياة اذا كانت غير عزيزة كان الممات خيرا منها « تصفيق شليد » .

فالطيرانات تأكل وتشرب وتتمتع بالحياة أيضا إلا أننا نحمد الله على الحياة لأن في الحياة ذكرى تفوح منها رائحة كالمسك من هذه الذكريات ففي سنة ١٩٠٨ وهي سنة الانقلاب العثماني ذهبتا في تيار الاتحاد والترقي وسار كل واحد من بناوي بالمروية من رجالكم السابقين في هذا التيار أيضا ، ووقف شهيدنا الكبير ، ذلك الرجل العربي ابن افريقية وريب آسية ( سليم الجزائري ) في الصالحية وقال : أيها الناس : سمعت في هذا المساء ذكر جمعية تدعى جمعية ( الاخاء العربي ) وقد عرفت بأن القوم مالوا نحوها إلا فليعلم كل من تحذنه نفسه ان ينضم الى هذه الجمعية ان له هذا ( وسحب سيفه ) .

فويل للعذر والفرلة وللقتلاء والقدر وقللة الانصاف ، وويل للذين لم يفرقوا بين اعدائهم وأصدقائهم ، وويل للذين لا يفرقون بين الاخلاص وبين الخيانة وبين الحق والباطل .

لقد أخذوا سليم الجزائري ، الى المشقة وهو الذي سحب سيفه في الدفاع عنهم بتهمة الخيانة للدولة العثمانية ؟

أقص عليكم قصة أخرى من هذا العذر فقداجتمعت في الصالحية في دار المرحوم شكري بك الأتوبي ومن حضر هذا الاجتماع من الأجياء خالد بك الحكيم وسليم بك الشمة وغيرهم فاتفقوا قرارا في تلك الجلسة خلاصته ان الجيوش العثمانية إذا أصيبت بالانكسار في أرض سورية فعليها أن تولف جنديا وطنية « ميليشيا » للدفاع عنا تجاه المستعمرين الأجانب . وأن تقف في وجه انكلتره وفرنسه - وليس ذلك عداء شخصيا لانكلترا وفرنسا - بل هو حجة لسورية وبلاد العرب .

ماذا جرى هؤلاء يا زكي بك ؟  
شكري باشا سجن في خان البطيخ وعذب وأدير حول البحيرة وهو عار يقرب بالسياسات مدة أربع وعشرين ساعة باسم خيانة الدولة العثمانية ؟



## في أريستو ألف ليلة وليلة السحر والحضارة

يا إخواني الأعزاء\*

ما كان في نيتي أن أخطب فيكم هذه الليلة بل كنت عازما على أن أستعرض أمامكم بعض حوادث أصابني أو مرت عليّ لانتقل بكم من عالم الجسد والحاسة والوطنية المتدفقة إلى شيء من التسلية ، ولكن كان الحديث كله شجونا ودواعي الدخول في الموضوعات حساسة وداعية للكلام فلا أجد داعيا للتأخير والالتكاش .

لقد ذكر الخطيب الأول أن الميدان يرحب بالذكور شهيداً ، إلا فاعلموا أن للميدان عليّ فضلاً روحياً لن أنساه ، لقد تعلمت في الجامعة كما يتعلم غيري من التلاميذ وربما آمنت بالبادئ التي غرست في نفسي أكثر من غيري فلما خرجت من المدرسة أخذت أطبق ما تعلمته .

وإنني كرجل اخترت الدهر وتعلم وعلم في المدارس وغيرها أن أعظم نكبة صدمة تصيب قلب التلميذ المؤمن الصادق المجد هو أن يكون في المدرسة من يتقن بأن الحياة سامية والناس مخلصون فيخرج إلى المجتمع فينجا بالإنفاق والصالح الدينية والدسائس والأغراض .

ولكن من حسن حظي أن أول حارة استقبلني وأمنت بعلمي ومبدئي هو حي الميدان .

ماذا رأيت في حي الميدان ، ماذا تعلمت في حي الميدان ، لم يكن في حي

\* أقيمت في الحفلة التي أقيمت تكريماً له وإخوانه في حي الميدان

اسمعوا ما قلته مرارا ولكن بصيغة جديدة ، وهو خبر لنا أن نغرق في قاع البحر في سفينة واحدة متحدين ، من أن نعو على سطح الماء متفرقين . وقد دلنا علم الحياة على أن الأجناس الحيوانية المتمعة بحق الحياة تتجمع عند الخطر دفاعاً عن حوزتها وحياتها ، فالجمل الوحشية في سبيلها متى تكاثرت عليها الذئاب تريد نيش لحمها ، تجتمع وألفت حلقة واحدة الرؤوس في الداخل والكفل في الخارج والحواضر تلبط من اقتراب منها . ومن لا يعرف الحمام البلدي أو الداجن فليصعد غداً إلى سطح داره ويتأمل في أسراب الحمام الذي يجلق في السماء حتى إذا أناه البازي انضم بعضهم إلى بعض حتى يسير جسداً واحداً فينقض عليه البازي أو الشاهين ، فمن تفرق أو تفرد يذهب طعم هذا الطير الكاسر .

هذه علوم الحياة ودروسها النافعة وعظايتها البليغة ، فالأمة التي لا تحدد وقت الخطر لا أدري كيف تستطيع الاتحاد وقت السلام . فحين طلاب تاريخ يذكرون بعهد مجد العرب فلو كانت سورية من غير فتح عربي لبقيت عمراً للفرقة الفاتحين بين الشرق والغرب وبين آسية وأفريقية .

ليس لسورية مجد أكيد وتاريخ حافل بالفائز إلا من بعد الفتح العربي ، فحين عرب قبل أن تكون سورية ، وقد جلدنا من الجزيرة أمواجاً سامية بفعل الحاجة قبل أن نكون مسلمين وقد عملت سورية اليوم ما عملته بفضل عصاة من أبنائكم يمكن أن تكون المصدف قد رضعتهم في الصف الأول من الحرب أو أن تكون مزاياهم الشخصية قد أبتتهم حتى ازدهروا على رغم جميع العقبات والموانع الكاداء ، وقد بينت النبات في الشوارع على رغم عجالات السيارات ، ونبئت الورد في الحدائق على رغم دورس أقدام الجاهلية ، فالقوة الكامنة في الحياة هي قوة منبعثة منفرة لا يستطيع الاستعداد أن يقف في وجهها .

وأنتم يا أبناء سورية الزبيرة ستمو فروعكم وتزدهر أعصابكم وتفتح رافحتكم الزكية لأن قوتكم مستمدة من ينبوع حياة عليا لا تنضب ولا تستطيع الانتفال منها اشتدت وطاها أن توقف غوها ، لأن ما يقوم على المعنى وينبئ من الروح لا يجتثى المائدة .

الحكيم وجد الشيخ بهجت البيطار ، وكان عندكم يا أهل رفاق الخطاب رجل آخر من هذه العليقة من أهل الفن والأدب والتاريخ والعلم القديم والحديث والرفعة هو الرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي .

هذه الفئة من الناس يرجع الفضل الأكبر في إحداث الانقلاب الاجتماعي في سوريا وفي الشرق .

وأذكر لكم على سبيل التاريخ أننا اجتماعنا مرة في سوق الحميدية وكان بيننا الشيخ طاهر الجزائري وسليم البخاري والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي وعبد الحميد الزهراوي ومحمد علي المسلم وكنت أنا سابعهم ولدا صغيرا ، وكان الناس يشيرون الينا ويقولون إن هؤلاء هم وهابية الشام ولم تكن تلك الكلمة يومئذ لدينا والإعراب عن ميزتنا وإنما كانت نوعاً من الشبهة إلا عند قليل من الناس ، والآن ماذا حدث لبطينا مقياساً عادياً عن التطور الذي أصاب هذه الأمة الكريمة .

إن الوهابي الصغير عبد الرحمن الشهبندر وأخوانه الوهابيين المجاهدين الذين هم أصغر مني سناً وأكثر مقاماً هم الذين تجتمعون الآن لتقيموا لهم الحفلات تكريماً لهم وتحدثون بالخطبات التي تظنون أنهم قاموا بها تجاه أوطانهم .

إننا إن سرنا . للأمام فإننا نسير بروح الأفغاني ومحمد عبده وبروح القاسمي والبيطار جد هذا البطل وبروح الزهراوي وبروح هؤلاء الإخوان في لحودهم الآن ، إنهم الآن أموات ، وإنما نحمل اليكم رسالتهم : إننا أحباء نحمل رسالتهم ، فإذا لم تسيروا على غرارهم في حجة دينكم وحجة وطنكم ، حجة تقرب من حجة الله فلا تتمكنوا من رفع شأنه ورفقه .

بليتا مع أوروبا المستعمرة نكتان ظاهرتان بارزتان النكية الأولى أنهم يقطنون جزءاً من أوطاننا ويقدموه هدية للآخرين من غير استئذنتنا على أقل تقدير ، إنهم يقمعوننا على مائدة العمليات من غير أن يسألونا عما يريدون أن يعملوه بنا فيقطعون أيدينا وأرجلنا .

هذه اكلترا بدأت في عملها بتقديم فلسطين الى اليهود دون أن تسأل

الميدان العلم الجهم الذي أدهشي ولا الثروة العائلية ولا القصور ولا الدور ولا الانشجار ولا البساتين . إنني رأيت في حي الميدان قلرباً مخلصه مؤمنة بالله والوطن ، وأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين قلربهم وألستهم فإذا قالت تقول صدقاً وحققاً ، وهي إذا قالت بلسان أهل الميدان يوماً تشكرك يا دكتور لا تقول ذلك مواربة ولا رياء فقي أهل الميدان ذمة وفي أهل الميدان إخلاص وبساطة المؤمنين فاهتكم يا أهل الميدان لأنني عدت اليكم لأرى هذه الوجهة النضرة والنظرات الصادقة مرة ثانية .

لقد أعدت لي ذكريات يا أستاذ بهجت البيطار ترفع من مقام الميدان وتزيد في حرمة . انني كنت أول من لفت أنظار المصريين عما عملته الشام عامة والميدان خاصة في ميدان الجهاد والحرية والعلم .

أنسىتم يا إخواني أنه كان يعيش بينكم أستاذ استاذي وهي مفخرة لكم طالك ذكرتها بمصر ، إنه الشيخ العلامة عبد الغني الميداني ، لما أضرمتم الاغراض السياسية الاستعمارية ولما أرادت الاغراض الأوروبية ان تحدث فئة تستعملها فحركت عوام المسلمين على النصارى الاميين وأنست المسلمين مبدأ الذمية الذي جاء به دينهم لما قامت هذه الاغراض وقام طغمة من أفراد لا تفكر إلا بالمانع الدنيئة فهاجرو النصارى واعتدوا عليهم ونهبوا أموالهم ولكن ماذا كان موقف أهل الميدان ، ان الشيخ عبد الغني جاء باب الجابية ووقف بين الناس وقال ان هؤلاء النصارى هم أهل ذمتكم وان الاعتداء عليهم ونهب أموالهم يحرمه القرآن فوقف بذلل الفئة وعاد الناس من حيث أتوا ، وهذه مفخرة لكم نسجلها لكم بإعجاب .

أنا لا أنكر أن بعثتنا في الشرق كانت منبئة من رجال الدين لقد حل لواءها لأول مرة الشيخ جمال الدين الأفغاني وأخوه وتلميذه الشيخ محمد عبده في مصر وردد صدق تلك النهضة التي هبت في مصر أعلام الشام ، ان لنا الفخر أن أول رجل رفع لواء النهضة في الشام هو الشيخ طاهر الجزائري ، هل كان وحيداً في عمله ؟ لا . ان الميدان أيضاً تفتخر أنها قدمت له ركناً من أركان العلم والأدب والفن ، نعم الفن أنعمفون من عيت ؟ الشيخ عبد الرزاق البيطار جد أخي وصديقي المجاهد حسن بك

البروز في السويداء في ثورتهم لكننا اخبرنا ثورتنا ولم نخدشها أيام سراي لانه مسكين لم يستحقها ولم يكن سراي استعماريا بالعني الذي نعرفه ولم يكن سيء النية ولكن الاحداث غلبتنا فاسرعنا حتى لا نضيع الفرصة ، فنعن لم نخرج من سوريا ولم نجتمع بالكليري ولكن سوء الادارة هي التي جعلتنا على الثورة فارجو ان لا اسمع ان في البلاد دعاية للترك وللفرنسين والانجليز وحسي ان اعيد ما اشار اليه احد الاخوان في محاكمي فاني لا حوكت سنة ١٩٢٢ على مرأى ومسمع منكم قال لي رئيس المحكمة اننا وجدنا في جيبك (شكا) بالنف ريال اميركي من المستر كراين ولكن بالنظر لان (الصك) لم يصرف لم نود ان نحقق في امره ثم انتقل سريعا من هذه الاشارة الى سؤال آخر ليحدث بلبلة في نفوس السامعين فقلت له امام اخواني : على رسلك ارجو ان تحقق في هذا (الصك) وتبهر المسألة التي تدعو الى الشك ، الا فاعلم بان هذا (الصك) اجرة سفر لثلمينتين موفيتين الى الولايات المتحدة وهما الانستان قندلفت ونازك العابد اجرة طريق لها لاننا نريد ان نخرج بنات متملمات في سوريا مثل خالدة اديب عبد الترك ، فالتفت الي الرئيس وقال : انريد الترك وانت الذي حكم هؤلاء عليك بالإعدام ؟ فقلت انني لا اريد تركيا واميركا ولا انكلترا ولا اريدكم انتم بل انني اريد وطني .

لقد تكلم الدكتور المأمون عن التعاون وتوحيد الصفوف وعن الاشتراك في العمل وتوحيد الصفوف وهذا ما خالص فيه أخي وتلميذي فخري بك البارودي وأبان أوجهه النافعة وحث عليه أولا أنه ليس من شأننا أن نحدث تفرقا في الصفوف في جميع المواقف التي وقفناها لأننا نحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن قضيتنا لا أقل في خطر بل في ظلمة ولو اجتمعت كلمتنا .

ان الشرق ينظر اليكم بعين تجهرية انه يقرأ اخباركم ويستمع احاديثكم ولو تفرتم لتالوا إن الشهبندر واخوانه اذعياء في الوطنية فالاحلاص في القضاء العامة والوطنية الصادقة يجب ان يجمع المدوين اللدودين على صعيد واحد .

انريدون ان اصنف للكتابة الوطنية فلتعني الكلمة الوطنية ( تصنيق )

العرب أو تستشترهم كأبناء غرباء أو كأبنم خدام أو كأبنم لا يستحقون أن يطلق عليهم اسم وطنيين .

هذا ما بدأت انكلترا في فلسطين ، هل طلب أحد رأينا ماذا تريدون ان نعمل بالاسكندرون ؟ يضعون سوريا على مائدة العمليات ويجزؤون منها لا أقول بدا ولا رجلاً قد تكون رأسا وروحاً وقلباً .

والذي أعلمه ان الاسكندرون شأننا خطيرا في الجامعة العربية ، هل استشارونا في هذا الأمر الخطير ؟ ماذا يريدون منا ؟ ان نرسل احتجاجا لعصبة الأمم ؟ لقد ستمت العصبة وسمت قرار ٥٢ دولة في العصبة وتضمجتها في ملك الحبشة ، انني لا اريد ان أدخل فيها مرة ثانية .

ولكن الذي أقوله ان تعدي أوروبا علينا وعلى حرمتنا وبيوتنا ومكانتنا وأوطاننا جازت الحد .

لقد جازت أوروبا الحدود المفقولة ولكن العربي لا يصبر على الكرامة اذا دبست بالأقدام ولا يصبر على الشرف اذا امتنعه أحد ، وان هذا العصر نهاية وان أوروبا تخسر حرمة العرب وصداقتهم وعظمتهم وقد تقول أوروبا مالي وطولاً وما تقسمتهم وما لشأنهم ، إنهم أسمى جاهلة بمهزة ولكن فاتهم ان العرب أقوى من قنابلهم ومدافعهم وقناتهم المادية وان رابطة العروبة هي القرآن المحفوظ في القلوب فلا يستعمار لا يستطيع ان يذهب بهذه الرابطة فلا يستعمار مادي والروح من عند الله .

ما هي الجناية الأخرى التي تجنيها أوروبا علينا ؟ إنها تحاول ان تهتم كل حركة وطنية بأنها حركة مآجورة وقد حامت هذه الشهية حول انكلترا أكثر من غيرها ، فكان الفرنسيون يهتمون انكلترا في كل حركة . ومن أغرب ما قرأت ان سراي كتب في مذكراته التي صدرت مؤخراً تحت اسم (سكوت سراي) انني ورضا باشا خرجنا في اوائل أغسطس ١٩٢٥ الى فلسطين حيث اتفقنا مع اللورد البريطاني على أحداث الثورة انني لم اغادر دمشق في سنة ١٩٢٥ إلا بعد ان تم الاتفاق بيننا وبين اخواننا الدرزي في بيت الحاج عثمان الشراياتي في اليوم الحادي والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٩٢٥ ، ثم خرجنا للثورة بعد ذلك ولو كان في يدنا الأمر لم يسرع اخواننا

## الرسالة الموجهة من قبل المجلس النيابي السوري إلى الشعب السوري في فضاءات الشعب

### أخواني الأعزاء\*

لا حاجة بنا إلى التناء على معالي الأخ فارس بك على دعوته الكريمة هذه وسعيه في تعزفي إلى اخواني أبناء البلاد النواب في المجلس، فمعرفتي بالأخ فارس بك تتصل بأواخر القرن الماضي إذ كنا نعيش تحت كابوس واحد كابوس السلطان عبد الحميد وأماننا هدف واحد وآمال واحدة وهي الأمل المفقودة على عودة الدستور الذي عطله عبد الحميد، وبين عشية وضحاها أعلن هذا الدستور في شهر تموز سنة ١٩٠٨ فانقسم الناس في اعلانه إلى قسمين بعضهم صدق وبعضهم كذب فقال انه حيلة احتال (الالين) لأجل كشف الأحرار والقبض عليهم وارسالهم إلى فران في ولاية طرابلس الغرب . ولكنني كنت والاسناد فارس بك على التحقيق عن آمن وصدق بالانقلاب فصفقتنا وعقدنا الاجتماعات بالمسارح والقاهي والدور احتفاء بالدستور وتيمنا ببركته، وطن كثير من الأحرار كما ظننا انه حجر الفلاسة يقع في كل الأمراض ولكن وبنا للأسف دللتنا السنوات التي تلت الانقلاب، على أن الآلة النيابية أو الديمقراطية هي آلة دقيقة لا بد للأمة أن تكون مجهزة بكثير من المؤاملات قبل مباشرتها . فكانت هنالك دساتير وكانت هنالك مؤامرات وخطة للحكم ببعض العناصر العشائرية الكبرى، فبعد أن ظن الناس أن حكومة الاتحاد والترقي ستحافظ على عينيها المقدسة بأن لا تفرق بين العناصر

\* الكلمة التي القاهها على أعضاء المجلس النيابي السوري في الأمانة التي أقامها رئيس المجلس في (أوريان بالاس) (

أتريدون أن أصفق للجبهة الوطنية المتحدة فلنشجي الجبهة الوطنية المتحدة ( تصفيق ) أتريدون أن أصفق لعصبة العمل القومي فلنشجي عصبة العمل القومي ( تصفيق ) أتريدون أن أصفق لكل الأحزاب السورية التي تعمل بالخلاص فلنشجها الأحزاب الوطنية السورية .  
لماذا أحجي كل هذه الجماعات؟ لأنني أعتقد أنها جمعيات تسمى لخدمة الوطن والذي يعمل لرفعة الوطن عليكم أن تصفقوا له فلا تكفوا بالتصفيق للحرية ولسوريا المتحدة وصفقوا من أعماق قلوبكم لكل من يعمل لرفع كلمتكم أمام الدول المستعمرة.

وفي الختام قال أحد الخطباء إنني جئت لأسس مملكة، انني كلما ذكرت المملكة تذكرت الملك والخاصية والبلاط والموائد والخللات الرسمية وغير ذلك من شؤون تتعلق بصورة الحكم، ولا يعني أبدا الآن صورة الحكم لأن صورة الحكم لا تدل على حالة المحكومين لذلك أضغ تعديلا بسيطا فاقول انني ما أبيت لأسس مملكة وإنما أبيت لأؤلف امبراطورية ليست هذه الامبراطورية لي ولا لك ولا لكم.

أيها المجاهدون ان مثل هذه الامبراطورية قد لا تكون لكم انما هي امبراطورية التاريخ والعلم والحضارة حتى اذا سافر أحدكم الى البلاد الأجنبية لا يسا طبرشياً أو عصامة قال انني عربي انتمى للإمبراطورية العربية.

# مرام على اللهمة ان تخضع للجبروت نفوة الحق والقوى من قوة الظلم كيف ارتكك البلاو التي لهدفتي على بعوضه في الارض لرحم الله

كانت عادي لا غادرت هذه البلدة الى الثورة، فالعراق فمصر ان احاطت الناس يا آباي وبأبنائي وبأخواني، أما الآن فبعد شهادة الأستاذ شاكر الجبلي حذفت كلمة يا آباي واقتصر على خاطبي ياكم يا اخواني وبأبنائي. ذكر الأستاذ محمد سعيد الموقع بلسان والده السيد أبي الفرج الموقع صديقي القديم الحميم انه يستقبلي وبهتفي.

انا عرفت كيف أنشئ حي المهاجرين هذا، وما هي العناية من انشائه فقد جعل هذا الحي من أول الأمر لقوم من جزيرة (كريد) تعدى عليهم العدو فأخرجتهم من ديارهم فلبجأوا الى الدولة العثمانية مهاجرين، فملأوا هذه الناحية من جبل قاسيون، ولكنني اخشى اليوم انه لم يبق من هاجر الى هنا خمسة في المئة من السكان، لقد ذهب وطهم فغادروه مهاجرين وها هم قد انقضوا أمام أعينكم ان مصير الذين يفقدون الوطن هو الانقراض فإن لم يكن الانقراض بالأجسام فهو بالأرواح حتماً، ولقد حادثني يا سيدي الوزير عبد اللطيف باشا توركي، السير مارك سايكس سنة ١٩١٧ في القاهرة وهو واضح معاهدة (سايكس - بيكو) ليقنعي بضرورة احتلال العراق وسورية ليتعلم ساكنوها المدنية الحديثة والحضارة القائمة فقلت واذا لم يقبلوا هذه الخسارة بالعنف والشدة وبالرغم عنهم؟...

فقال فما عليهم الا أن يخرجوا من ديارهم الى الصحراء وطهم القديم. لقد حاول الاستعمار ان يخرجكم من دياركم ويأتي باليهود ليحتلوا محلكم كما حاول أن يأتي بالصهيونيين ليحتلوا محل العرب في فلسطين، ولكنكم ثرتم لوطركم ورفعت السيف في وجوه الذين يريدون ان يحكموا قلوبكم. رفعت

\* القيت في المحلة التي أقيمت تذكراً له ولاخوانه في حي المهاجرين

العثمانية رأوا بأعينهم وسمعوا بأذانهم ولبسوا بأبدانهم انها تريد تبريك العناصر وفي مقدمتها العنصر العربي، فادت هذه المحاولة الباطلة الى ارتباك الآلة النيابية، ومع انه كان للعرب في مجلس النواب العثماني عدد من النواب المختارين بأحلافهم وحريتهم فإن العدد الأكبر لم يمثل العرب حقيقة وإنما تم انتخابه بواسطة الدساتير التي حاكها الاتحاديون للحصول على من يرضع لأمرهم ويخضع لأرادتهم وهكذا لم تمثل الأمة العربية تمثيلاً لائقاً في مجلس النواب فانخفضت السياسة البرلمانية العثمانية ولا سيما من الوجهة العربية اما الآن فنحن نحرب تجربة حديثة تجربة اقامة برلمان سوري، وأنا اعتقد بالطريقة النيابية في البلدان التي لم تتحرر بعد من قبودها تحريراً تاماً، ولا يخفى عليكم ان هنالك نظريتين متباينتين في الحكم: النظرية النيابية، والنظرية الديكتاتورية نظرية هتلر وموسوليني فأرجو من صميم قوايدي أن تتفقوا في عملكم يا اخواني النواب لتقدموا برهاناً جديداً على صحة الديمقراطية ولا يكون هذا التوفيق واقفاً الا اذا مثلتم ارادة الأمة وافصحتم فصاحتاً تاماً عن أسباب شكواها وظلمها وليست الحرية هي أن يتكلم المرء ما يشاء من غير وازع نفسياني يشرف على لسانه وإنما هي الكلام في نطاق الدمة والمقل، والحرية الجائزة في مجلس النواب هي الحرية القائمة على المصلحة المبنية على المبدأ الحر المعقول، وأما الحرية القائمة على الشخصيات والوزعات الذاتية والمنافع الحظيرة فهي خارج البرلمان.

أرى الالبسة المتنوعة، أرى الطرايش والمعائم والمقل والكوفيات والبدلات والبعي فهذه لا تدل على شيء من عدم التجانس لأن الوحدة لا تقوم على اللباس وإنما تقوم على وحدة الايمان وصدق الولاء والمحبة، وهذا ما اراه طافحاً على وجوهكم: ان الوحدة التي نلتموها فيكم هي وحدة القلوب.

وفي الختام أقدم لأخي الأستاذ فارس بك ما عبرت عنه في أول كلامي اقدم له خلاص شكري وامتناني على ما قام به من هذا المعروف وهو تعرفي الى السادة النواب اخواني وجمعي هم في هذه المحلة الفاخرة. التجربة قاسية وقد تكون أماناً ليال ظلماء ولكن هم العاملين امثالكم يستغلب على المزايع وستقتلع العقبات.

عبد الله الى موقع بدر فكانوا نحرًا من ثلاثمائة بقائلمهم مشتركو قريش وهم نحو تسعمائة شخص ولكن الايمان الزروع في المسلمين تغلب في آخر الامر على الحوف في قلب المشركن فكان يروى في تاريخ الاسلام مشهورا اذا انتصر المسلمون على الكافرين.

لقد ذكر لكم الاستاذ محمد سعيد الموقع الجراة التي ابديتها في خطاي في دار ( الفريح ) أيام جلال باشا السفاح لقد ذكرني بأشياء ادهشتني عا دلي على قوة ذاكرته العجيبة وقد طلبتها من ابنه لاحفظها بين مذكراتي لانها هي الواقع ولكن أنظنون اني لم أقدر بطش جلال أنظنون انها نزوة طيش مني تغلبت على لسان فتعلمت تلك الجراة... كلا... ثم كلا... انها خطئة اخطتها في نفسي، هي ان اجابه الظالمين بالجنايات التي يرتكبونها لان عقيدتي ان الامة التي تتطلب الحياة يجب عليها أن تنقب في وجه الظالم وتقول له أنت ظالم، وأنت ترتكب الجنايات.

حرام على الامة ان تخضع وتتكس رأسها للجبروت، فقوة الحق أقوى من الظلم ولو كان على قدر جبل قاسيون، الظالم جبان والظالم جبان والمتمنى على الحق جبان فما على من يطلب الحق الا ان يرفع صوته عاليا ليحيد حقه المهموم.

يا أخي شاكر بك الحنبلي ذكرت صفحا كثيرة لأخيك الدكتور الشهيندر قد لا يستحقها ولكن لم تذكر صحيفة مهمة في تاريخنا المشرق وهي أن حب الوطن الذي زرعناه في قلوبنا هو في تلك الاجتماعات التي عقدناها في الزيداني في دارك، وهي. نتيجة كتب قرأناها معا ككتاب روح الشرائع (لموتسكيو) وكتاب (أصول الشرائع) ليتنام وكتاب (سر تقدم الانكليز) ترجمة المرحوم فتحي زغلول باشا وغيرها كم من الكتب التي تغذيها في دارك في الزيداني، هذه صحيفة طويتها تفضلا منك وحياء ولكن الحق يجب ان يقال، وهاتلك أمر آخر رأيت في بيتك بالقيمة لقد كانت لك شقيقة توفيت بمرض (الكوليرا)، فحسبك منزلا وقلت لك يجب ان تتعد عن أسباب العدوى وتستعمل المطهرات، ولكنه قام قبلها ولم يخف من جراثيم الكوليرا ان تدخل في جوفه وان مثل هذا الايمان بالناقة من جراثيم الأمراض على أنواعها هو الايمان الذي يلزمنا لمحاربة الجراثيم الاجتماعية والسياسية الفتالة.

علم الثورة فرفتم مكانه وطنكم وما أنتم أولاء مستقلون على رضم الدساتين التي حيكت لكم والسلطة العسكرية الأجنبية السابقة التي أرادت ارقام أنوكم.

ذكر الخطيب حزب الشعب، وذكر الثورة. نعم اني بعد خروحي من أراد سافرت الى اوربا ومنها الى اميركا وليست لي غاية الا أن أثبت الدعوة لوطنكم المهدد في كيان، فعلمت في اوربا واميركا ان الوطنين مهمل جاهدا اذا لم ينظموا انفسهم ويلموا مشغهم، ويعملوا الدعاية للمبادئ الحديثة ويصيحوا صيحة يسعها الغرب قبل الشرق، ففي طاعة الاستعمار أن يظهر كل حركة وطنية أبا لصومية وأبا قطع طريق فعدنا الى هنا وعمومة هذا الوطني الكريم الأخ سعيد بك حيدر ونفحه بيته بجلسات استعدادية سرية عقدها عنده والأخ الكريم النائم في سريره الآن لوجع ألم في رجله وهو الأخ حسن بك الحكيم وغيرها من الأحرار - الفنا حزب الشعب، وما كدنا نؤلفه ونقوم بما يطلبه من الواجبات حتى رأينا أن الثورة قد حان حينها ودنا شبرها، ولكن بعض الناس اختلفوا في امر الثورة فمن قائل يقول ان الثورة لا تفيد ومن قائل يقول انها السبيل الوحيد لنيل وتحقيق الاستقلال والحرية، وأقول لكم ان في شرع السياسة امرا شرعه (بسمارك) اذ قال: «إذا اختلفت النظريات السياسية ولم يكن مجال للتوفيق والتسوية السلمية فلا سبل الى بلوغ الغاية الا بالقوة» لقد اختلفت نظريات الدولة فرنسا ذهبت مذهبا ونحن ذهبا مذهبا آخر وكلا رفعا صوتنا يطلب حقوقنا تقدم الجواسيس ها فقالوا: شريعة من المهورسين الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية فظلموا انفسهم، شيئا مذكورا واضطرونا الى اعلان الثورة، لنبرهن لفرنسا ان الذين يجردون بالكلام في سبيل سورية لا يبخلون بدمائهم عند الحاجة بلوى غاياتهم الحرة.

هل تظنون أننا أتينا امرا ، فسلطنا سيلا لم يسلكه أحد قبلنا؟... اننا تعلمنا وذلك من الناصر مؤسس جد العرب سيدنا محمد فهنا تاريخ الاسلام لديكم وهذه حوادث تلك النهضة المدنية موضوعة في كتب السير ارجعوا الى التاريخ تروا أن أول جد أصاب الاسلام - من بعد تلك الاضطهادات من بعد ما هاجر الصحابة الى الحبشة واضطهد النبي في عقر داره انما حدث لا يخرج أولئك الاشارس من المدينة المنورة بقيادة محمد بن

(٤٠٠) مؤلف ليس بينهم من أبناء العرب شركاء الترك في المملكة الا اربعة موظفين فقط. وكانت تلك الورقة بداية الثورة العربية الكبرى، فانت ثائر وابن ثائر فقد ثار احباً بوريقية بل خلق مهضوم للعرب، فانت ابني وابن أخي وكلنا أبناء العربية. والان سمعت الشاعر ولا أقول الرقيق فالين الرقة يا أباريقية انت تحدث ثورة في العقول اذن لا أقول الشاعر الرقيق بل الشاعر الثائر.

وانت يا منير المحلاقي يا أديب الشباب أقول لك ولاي ريشة اننا الانثان عوضنا عن ما خسرت من مفارقة دمشق.

لقد خسرت الشهداء الكرام العائدي والمسلمين واحوانهم وخسرت حيا من احياء دمشق عزيزا عندي غاليا علي، ومقدسا في نفسي، قد عشت فيه حينا من الزمن ولكن الله والثورة قد عوضا علي بشاين اديبين افتخر كل الفخر أن ينظما القصائد ويدبجا المقالات في مدحي وذلك لا لانني استحق مدحها وفاء بها بل لانني عجمي أن تجتمع حولي الوطنية والثقافة والعلم.

لقد طلبنا الحرية لبلادنا لاننا لا نريد الرجوع الى ما قبل التاريخ، وأوضاع الهمجية البائدة وانما لنحصل على عائقنا الغض الطريف عيبه هذه الخضارة الثقيلة بما فيها من مكتشفات مادية وجوهرية، وفلسفات حكيمية اساسية، فقد ثرنا لاننا لم نصل الى دور الانشاء الا بعد الثورة، وعادت الينا قوتنا لاننا صمحننا بعد المرض فمن بعد الثورة الانشاء، ومن بعد المرض الصحة والسلام.

لقد سألني وخفت أن أغادركم فأعود الى مصر، كيف أعود واثرك جسمي وورحي، أترك البلاد التي اجد في كل بقعة فيها أثرا مقدسا يجفزني على العسا؟ سأذهب عائدا الى مصر، ولكن لا أغادركم وأترككم الى الابد بل للقيام بواجب عالمي ختم سانه به فاني مشتاق ومحب واقع في العراق، فالوطن أعز وأحل من أن يترك ظهوريا، سأذهب الى مصر لأن أولادي في المدارس وهم يتسلمون بالعلم في ذلك الوطن الثاني، وان من الحرام علي أن أسلمهم هذا الحق أنا ذاهب الى مصر لأربي لكم شهيدين وشهيديات يعيرون بعدي الى الوطن ليؤازروني في خدمته. سمعت لأول مرة من السيد مصطفى خلال نشيد العلم وأنا أود أن أذكر لكم أن عندي نظرة غريبة الى الوطن والوطنية لا بد أن أذكرها لكثير من الوطنيين الذين يعملون في الحقل الوطني يتصورون الوطن سكك حديد ومعامل وأشجارا وثمارا وغيرهم وسيارات وطائرات، وغيرهم يظن الوطن مزارع وأشجارا وثمارا وغيرهم يتوهم الوطن مقالع احجار ومعادن ودهبا والماسا وغير ذلك من الاحجار الكريمة اما أنا فاذا أردت أن أنصور الوطن فلا اراه الا حديقة غناء تجري فيها ساقية ماء ها علب رزاق وحرائرها الورود والزهور والروائح المنشة، وبحانب هذه الساقية موسيقى كمصطفى ملال يطرب ويشجي ويتادي بالألحان ترتفع الى السماء تتردد صوته الملائكة في الأعلى وبين السحاب. هذا هو الوطن فالوطن عندي جمال وجلال، والله في عظيمته انما هو جمال وجلال. أين أنت يا خالد العملي...؟ كيف تسول لك نفسك ان تناديني بقولك يا سيدي الزعيم هل بيننا سيد ومسود، هل في العرب من يقول حقان فلانا سيدي ولو كان نازلا من السماء، نحن لا نتعرف بالسيادة لاحد الا لمن استوى على العرش، أما البشر فبها ارتفع مقامهم وبها علت أصوهم فانتا نبخل بكلمة السيادة عليهم لاننا خلقنا أحرارا فبدلا من أن تقول يا سيدي الزعيم الا برحمة والدك ودلتك وجهه قل يا بابا ( فأجاب نعم وأنت بابا وأنت عمي وأنت كل شيء ) فان كلمة بابا يا خالد تضع حدا للسيد والسود انها تدل على علاقة أسمى وأشرف مما يربط السيد بالعبد، فأتا أب لك لأنني صديق لوالدك الحكيم، فيا ليتك حيا ليراك فقد كان ثائرا مثلك، لقد وقف في الامة أيام كانت الرقاب تحز وتلدى بأعل صوت في مجلس النواب العثماني: إن حقوق المالئة فبلغ عددهم نحو وأخرج من جيبه قائمة فيها اساء الموظفين في وزارة المالية فبلغ عددهم نحو

## القرن ذهبنا الى اللطيف في تمسك لمحيي وفصاري في سبيل العروبة

يا أبناء وطني الأعزاء\*

اسمحوا لي أن أقول لكم في هذه النبذة المستندة الى وثيقة تاريخية تتعلق بحياتي الخاصة لستندلوا منها على عقيدة آمنت بها منذ نحو جيل . لقد تلت الشهادة الطيبة من الجامعة الاميركية في سنة ١٩٠٦ وكان من حظي وشرفي أن أكون خطيب الحفلة النهائية، ومن حضر تلك الحفلة من عظماء الرجال الذين يتون للسلطان عبد الحميد بصفة الاخير الوزير الجنرال « زروس باشا » والطبيب البكباشي احمد بك ورضا نور بك ، وكان الموضوع الذي اتخذته للخطابة موضوعا خطيرا في تلك الأيام ، وهذا الموضوع كان بالانكليزية « طولبريش » وفي العربية « التسامح » ؟ فإذا قلت يومئذ وهل أستطيع أن أقول اليوم لادل على انسجام في حياتي واني على أقل تقدير في مدة جيل لا أتبدل ولا أغير... ؟

لقد وقفت على المسرح يومئذ أمام الاخطار المحدقة من ضغط السياسة العثمانية وكابوس السلطان عبد الحميد، وقلت لرجال الدين في القرون الوسطى انكم اضهدتم العلماء لعلمهم، وانكم صرستم ( برنو ) لأنه آمن بقواعد فلكية تكاد تكون بدئية في عصرنا، وابت يا سلطان صلاح الدين يا مفخرة الشرق ومفخرة العرب لقد قتلت السهر وردي بدساتيس حقيرة دنية قام بها الزاحرون من العلماء يومئذ فامته جوعا وسجلت بالنسبة لفضلك المجيد عيبا لا يحصى مدى الزمن . وقلت لهم يومئذ : أنتم يا علماء الكلية بلغي أن في زمن الدكتور ( كرنيلوس فنديك ) القتم المؤامرات على هذا العالم لأنه قال بذهب الشوه والترقي ، ان العقل والدين الصحيح يحشيان جنبا الى جنب .

\* خطاب الزعيم شهبندر في الحفلة التي اقامها تكريما له ولاخوانه الاستاذ جورج صحتاوي



تجميع الكمالات، فنفتق غام الاتفاق مع اخواننا النصارى فيما يعتقدونه بالله تعالى.

فعبث وعبث حقير أن يحاول احد أن يضع فروقا بيننا لاختلافات ثانوية لا شأن لها في الله، ولا شأن لها في الآخرة، ولا شأن لها في الوطنية.

انهم لن يستطيعوا أن يضعوا بيننا فروقا تفصلنا في وطننا الواحد وبيننا الواحد.

من هم الذين حاولوا أن يضعوا هذه الفروق؟...

تقول اني اذكر التاريخ والسنوات (يا قاتر) أفلا ترى أن التاريخ والسنوات هي نقطة ارتكاز هي وسيلة وثيقة؟ أنسيا زمن السلطان عبد الحميد، اذا كنتم نسيتم فاني لم أنس (يكفيه الاستاذ قاتر الخوري) كنا صغارا، فنجيه الرعيم أنت أكبر ممي في ذلك الزمن).

ماذا جرى في زمن السلطان عبد الحميد. فقد قالت دولة روسيا القيصرية للأرمن قوموا: في تركيا وفي بيليس وأنا أحرركم وأؤلف لكم الدولة الأرمنية، فقاموا ان روسيا القيصرية تحب الأرمن لسواد عيونهم فقاموا وثاروا، ولما رأت روسيا أن مصلحتها في اطفال شائهم سكتت عنهم، ولما ذبحهم السلطان ماذا جرى لنا نحن المسلمين.

هذا ما اصاب النصارى وماذا اصابنا نحن المسلمين؟.

عين عبد الحميد واليا على بيروت يدعى رشيد بك ابو سميج صهر احمد عزة باشا.

ماذا كان حالنا في زمن رشيد بك أبو سميج؟ كنت تلميذا في الجامعة الاميركية اذا خرجت من بيتي في حي البسطة كنت معرضا للقتل، لظن المسلمين اني نصرائي حتى اذا دخلت في الجميزة أصبحت في خطر من النصارى لظنهم اني مسلم.

لم يكن المسيح مسؤولا عن هذه الجرائم ولم يكن محمد مسؤولا عن هذه الجرائم ولكن عقلة المسلمين في تلك الأيام كانت مثل اخوانهم الأرمن رحا ضحية المطامع الخسيسة الدنيئة والأغراض السياسية، وما أنتم أولاد ايام الحرب العظمى لما أنى الطاغية جمال باشا هل كان يفرق بين من يعمل هكذا

فلا دين صحيح من غير عقل صحيح ولا عقل صحيح من غير دين صحيح. هذا ما قاله يرموند أمام مئات المستمعين في الجامعة الأميركية التي تخرجت منها. قلت لهم يرموند إن الدين يجب ان يكون مشجعا للمعلم والدين الذي لا يخدم المعلم هو دين كاذب والمعلم الذي لا يخدم الدين هو علم كاذب. والان ما هو الدين وكيف تولد الدين وما هي وضعية الدين؟.

أيها الإخوان اني لا أريد أن أخوض في موضوع لا هو في تخصص بحضرات الأخبار الكرام والمشايع العظام، فلهؤلاء طريقة خاصة في البحث ولنا معاشر الذين اشتغلوا بالعلوم الاجتماعية طريقة أخرى، وعند التحقيق الدقيق والتبجح الحالي من الغرض تجميع الطريقتان في مركز واحد. اترك لعلماء الدين ولرجال الاكبروس طريقتهم واذكر لكم الطريقة الاجتماعية التي يقول عليها الاختصاصيون من أهل علم الدين المتقارب وهو الذي يطلق عليه في كتب المعلم (كوتيسيس روليبيان).

اذا مجتمع مئة فرد من البشر في قرية من القرى، ليكون هؤلاء المئة من البشر على النقطه الأولى لم يتعلموا نظاما من الأنظمة، ولا درسوا درسا من الدروس، اننا اذا أبقيناهم في هذه القرية وتركناهم وعدنا اليهم بعد حين من الزمن فما الذي نجد فيهم؟ اننا نجد فيهم أوائل التنظيم يحدث منهم بغير زتهم وبطبيعتهم أوائل التنظيم الحكومي يتتخرون من بينهم زعيما ويعيّنون له أعوانا ويقومون بالخدمات المطلوبة منهم بحفظ النظام وحفظ الأمن وتحقيق العدل ولو بصورة ابتدائية.

اذن تولد في هذه الجماعة من غريزتهم أوائل الحكومة، فالحكومة وضع يدل على ظاهرة اجتماعية طبيعية، ثم ماذا يكون بعد الحكومة؟. انهم تراهم يؤمنون بقوة وراء القوة للموسسة، يؤمنون بشيء وراء الجدار، يؤمنون بشيء فوق السقف، يؤمنون بقوة وراء قوتهم وهذه القوة هي القوة الالهية.

أيها السادة:

انهم يخضعون بأرادتهم واختيارهم لهذه القوة، وفي المدفوعات يطلبون منها المعونة ثم ما يزالون يتطورون حتى يستخرجوا من هذه القوة المثل الأعلى الذي يتقضمهم فتصبح هذه القوة في عقيدتهم وفي أنفسهم المثل الأعلى، للفضيلة، المثل الأعلى للعدل، المثل الأعلى للحق.

فنحن معاشر المسلمين الذين يؤمنون بأن الله واحد، مصدر الخير وفيه

أدين بدین الحب إلى توجهت ركائبه فألقب ديني وإعالي  
وقال ابن الفارض الشاعر السوري المصري :

وإن ناز بالتزويل محراب مسجد فما بار بالانتجل محراب بيمة  
فلا عيب واطلق لم يخلقوا سدى إذا لم تكن أفعالم بالسليمة  
يا اخواني يا رجال الاكليروس، ويا اخواني يا علماء الاسلام اريد أن  
اوجه أنظاركم كما وجهت انظار غبطة البطريرك الى أن الدنيا مقسومة الى  
قسمين لا ثالث لهما: قسم يؤمن بالله وآخر ملحد لا يؤمن بالله، هذا القسم  
قوي وذاك القسم قوي أيضا، وقد أصبنا في هذا العصر بكنية لم تكن تعرف  
عند اجدادنا وهي أن الإلحاد صار منتظما تنظيميا سياسيا اجتماعيا تعظمه  
دول معظمة، وتبدل في سبيله النفس والنفس.

اذن يا سادتي يا علماء الدين ورجال الاكليروس اننا نحن راكبون في  
سفينة واحدة وقد ركب معنا اليهوديون واليونانيون والشنطيون والبراهمة وجميع  
الذين يؤمنون ان دائرة الكون انما تدار بإرادة الله .

اننا في سفينة واحدة، والآخرون يركبون في سفينة أخرى ونحن نتناطح  
في هذا البحر الخضم ونتضارب يرمى بعضنا بالقتال فاذا غرقت سفينتا  
انظنون ان النصارى يفرقون ونحن نسلم؟ كلا ثم كلا؟. ولاني أعود الى  
كلمتي الأولى: خير لنا أن نفترق ونحن متحدون من أن نعيش ونحن  
مشتتون.

قال الخطيب الأول كلمة لا بد لي من أن أعقب عليها هنا قال:  
لا يقل المسيحي وطنية عن سواه لم وضع هذه الكلمة: أنا لم افهم  
وضعها (والفتت الى توفيق جناوي) من قال لك ان المسيحي يقل وطنية  
عن سواه؟...

لقد ذكرت لكم شهداء السنة الأولى والثانية من الحرب العامة فيهم  
المرحوم جورج حداد منكم ومن دمشق. ومن بيروت (بترو بول) رفيق  
رؤف سليم.

وبين من يعمل هكذا (وأشار بيديه الى شهادة الاسلام وإلى إشارة  
المسيحيين الثلاثة) هل فرق بين بطرس وعهد؟ هل قال هذا مسلم وهذا  
نصراني. لقد ذهبنا جميعا في سبيل العروبة مسلمين ونصارى الى المشرق.  
فلا المآذن نفعتنا ولا النواقيس دفعت الشر عنا، فمن اراد أن يحمي وطنه  
فليدع الاختلافات جانباً وليجتمع كلمكم على حب الوطن فالوطن من الله وفي  
سبيل الله.

لقد اهتمنا أوروبا ولا تزال تهتما بالتعصب، نحن معاشر الشرقيين وقد  
فالت لخطة البطريرك انطوان عريضة في الحلقة التي أقامها له في القاهرة  
منذ نحو شهرين:

« يا سيدي البطريرك ان التسامح اتي من المشرق ولولا الأغراض  
الاستعمارية لولا البسطة السياسية التوسعية ما وصمنا بهانة الهنات الرذيلة وما  
وصلنا لهذه المصائب التي يجب أن نجهل عنها. ولادلكم على تسامح الشرقي  
وعلى المقام الرفيع الذي يتبوّه الذين اذكركم كما ذكرت للبطريرك ان السائح  
« هوب » الذي سافر الى الشرق الأقصى منذ سنة أصيب بدهشة ما عليها ذهبت  
لا رأى التسامح بين أبناء تلك البلاد. قال اذا قدر لطاوي وبوزي وورني أن يهتموا  
في مكان واحد، وكانوا غرباء فمن آداب البحث ان يبتدىء الواحد بطلاقة  
الاخرين بقوله: الى أي دين من الأديان الرفيعة السامية تنتمون يا سادة ؟  
فيقولون جميعا الأديان كلها واحدة ونحن ننتهي الى أخوة واحدة والسلام.  
هذا ما رآه « هوب » منذ مئة سنة في بلاد الصين ونومئذ لم تدخل الأغراض  
الاستعمارية الى بلاد الصين، ولذلك تجتمع الدين في تلك البلاد بالبراءة والنور  
والنظام التي يجب ان يتمتع بها، هل كان عندنا نحن قبل أن تدخل علينا هذه  
الآراء في التسامح الحديث شيء من التسامح؟

يا اخواني ارجو منكم انتم معاشر المسلمين خاصة ان ترجعوا الى كتب  
التصوف لعلهم ان التصوف يقولون ان جميع هذه الظاهر، ان جميع هذه الآيات  
ان جميع هذه الزهور والفراخ وهذه الوجوه الجميلة وهذه المياه اللاذعة كل هذا  
الجمال الديني والطبيعي هو من عمل الله تعالى.

قال لكم ابن عربي:

ونساء، الى هؤلاء اقول ما قاله جورج بك صحنأوي للذين يريدون ان يضموا الحواجز بين الطوائف والأديان: اهدموا ما بقي من حواجز التفريق فانا في عصر اذا لم نجتمع فيه كلمتنا نساء ورجالا واذا لم نتحد ارادتنا واذا لم يزل الى ميدان العمل كل منا في الدائرة التي خصص فيها، فلا ارتقاء الوطني يتعذر والعقبات شديدة والاغراض الاستعمارية لا تزال ثقيلة فتساعدوا فيما بينكم واعدوا عدتكم واشتروا الجديد الذي فيه البأس الشديد، فان الله وضع قاعدة منذ ايام آدم حتى اليوم وهي: ان القوة فوق كل شيء، والحق من غير قوة ضعيف، والباطل مع القوي حق، ولكن الحق والقوة اذا اجتماعا فهناك البأس والشدة والانتصار الذي ما بعده انتصار والسلام.

أنستيم اننا نحفل وانتم مختلفون بحجيء اخوانكم المبدعين؟ الا فاعلم ان الصداقة الموجودة بيني وبين الأمير مشيل لطف الله وتوفيق المازجي وأسعد داغر لا تقل عن الصداقة الموجودة بيني وبين سميد حيدر وشكري القزالي ولطفي الحفار.

اننا لا نفرق هذه التفريق، واذا سمعناه مرة اخرى فانا نشعر بشيء من التعريض بكرامتنا. اننا ما قبلنا الدعوة في هذا البيت الا اننا نعرف اننا في بيت اخوتنا واخواننا وآبائنا وامهاتنا.

ان المسيحي السوري اذا لم يعتقد أن له في كل صخرة من جبال سورية وفي كل شجرة من أشجار سورية وفي كل نقطة من أنهار سورية وفي كل نجمة وكل كوكب من نجوم وكواكب سورية حصه متكافأ مع قابليته ومع ثقافته ومع علمه ومع فضله فان هذا الرجل يكون قد خان الامانة التي اؤتمن عليها فالبلاد بلادكم كما هي بلادنا، وشاءت الأقدار ان نكون نحن الأكثرية فيها، وهذه الأكثرية هي اكثريه اخوان واخوات وآباء وامهات وآباء في بيت واحد، البيت هو الوطن الاصغر فكما اخرجتم فضيلات انسات مثل الانسة التي تكلمت، كما علمتم البنات قبل البنين كلما اعددتم النساء ليكن امهات صالحات فقد رفعتن على قدر هذا التعليم، وهذه الثقافة قدر الجليل الجديد، الذي يتولى الامر بعدنا والجيل الجديد هو الزهرة التي يدهها المجتمع لتكون الشجرة اليانعة الوطنية.

لقد قالت الانسة جانبيت عاقل اتحصرون فيكم العزة والبطولة وتكرهونا علينا. يا عزيزي وما أخني هل في الدنيا عزة وبطولة اذا لم تكن قد تعذت من ثدي المرأة، وتعلمت في حجر المرأة، ونشأت عن يد المرأة... انتن يا سيداتي باتن الوطنية انتن اللاتي تخرجن رجال القدر رجال المستقبل فلا نشوء ولا ارتقاء ولا تقدم جيل جديد يكون املا لتحمل عبء الوطنية الا اذا كنن تتحلين بالعلم الصحيح والوطنية الصحيحة.

لقد قلت أول أسس لسيادات اعضاء دوحة الادب ونقطة اللين ونقطة المرأة الشامية وغيرها: ان تاريخ العلم الحديث دل على أن مقياس الحضارة ومقياس الثقافة ومقياس الارتقاء في الشعب هو مقدار الحرية التي تتمتع بها

فان، انتن يشعرون الحواجز الرجعية في سبيل النشء الحديث من رجال

## الفتح من اللكتلة - ولست من عزير اللكتلة فهل تفوقون بين اللكتلة - وعزير اللكتلة؟

### اخواني الأعزاء\*

في سنة ١٩٠٨ فوجئنا في هذا البلد بالانقلاب العثماني الخطير فانتصرنا للحرية انتصاراً لا مجال للشك فيه . وبعد هزيمة حدث في سورية شيء من الرجعية باسم جمعية ألفها رجل رجعي يدعى (درويش وحلق) وقد نشرت دعاية خبيثة في هذه البلدة، وازكزت هذه الدعاية الخبيثة على مقاومة عدد محدود من احرار البلاد منهم من الاحياء الأخ الاستاذ فارس بك الخوري، ومن توفوا ابن عم الاستاذ سعيد حيدر المرحوم الدكتور حسين حيدر والمرحوم سليم الجزائري والمهاجر الوراقف بينكم فتحملنا هذه الرجعية برابطة جأش وسعة صدر لعلنا أن كل عمل اجتماعي سياسي في خطوة عظيمة الى الأمام تعقبه الرجعية، والرجعية ملازمة للتقدم وهذا أمر مقرر في كتب السياسة وكتب الاجتماع والذي يعني أن أقول لكم إن هذه الدعاية قد توسعت حتى صار الماجورون يقولون اياكم أن تعالجوا عند الدكتور شهبندر فشعرت بمقاطعة لي بالنسبة للفن الطبي، وكان من أعضاء تلك الجمعية الرجعية رجل بارز توفي الآن رحمه الله تعالى، فاصيب عنده مريض عزيز لديه جداً وكان هذا الرجل ممن يعتقدون بكفاءتي الطبية فوقع في حيص بيص وقال: أأدعو له الدكتور شهبندر وبني وبنته هذا الاختلاف بل قد تحول الاختلاف الى حزازات والى بغضاء والى كره صميمي؟...

سأل نفسه هل أدعو الدكتور شهبندر الذي اعتقد أنه طبيب قادر قد يبريء العزيز عليّ، أم امنع دخوله بيتي وبنتي وبينه ما صنع الحداد؟... لقد

\* القيت في الحلقة التي اقامتها الكلمة الوطنية تكريماً له ولاخوانه

مخطيء وجاحد وكافر بوطنه.

اننا ما اتينا لنهزم، لقد كان يشق علينا المدم في ابان حكم السلطنة  
الاجنبية، فكيف نهزم في زمن نرجو أن يكون زمن الحكومة الوطنية؟...

فانا ايها الاخوان أعلن على رؤوس الأشهاد بانني من الكتلة الوطنية  
(عاصمة عائلة من الصحفيين فرجا الزعيم الصمت والانتباه، وقال ان لديه  
كلمة لا تنصر المستعمرين ولا ترعصهم ثم تابع قوله):

اني من الكتلة، ولكنني لست من حزب الكتلة فهل تفرقون بين كلمة  
الكتلة وحزب الكتلة، اذا أردتم التفريق فهنا هو الطريق: انا من الكتلة  
الوطنية المستعدة لد يد المصافحة لكل رجل نافع في البلاد فنجذبه الى ساحة  
العمل والتي لا تبقى رجلا صالحا خارج الخطيرة الوطنية وانا عدو حزب  
الكتلة الوطنية عدو شديد الوطأة، وستعلمون شدة وطائي، اذا كانت حزبية  
الكتلة تمنح الأمة من أن تجتمع كلمتها على صعيد واحد. وان تحول دون  
دعوة الطبيب لانقاذ المريض. كذلك الرجل الرجعي الذي دعاه خصمه  
الدكتور شهيندر لمعالجة مريضة، وضع حب ابنه فوق الغايات الشخصية،  
فاضطر الى دعوة الدكتور شهيندر لأنه يعتقد أن الشهيندر دكتور باستطاعته  
أن يقد حياة ابنه المريض.

وانتم يا اخواني ارجوكم رجاء حارا يخرج من صميم قوايدي ومن أعماق  
قلبي الى آخر لبساني ان لا تدعوا الحزبية تتغلب عليكم وتحول دون دعوتكم  
للرجال الصالحين الى التعاون معكم، لانقاذ هذا الوطن من الوهدة الموجودة  
فيها.

كونوا ككلولين وطنيين بالعلمي الذي أفهم. ولا تكونوا حزينين، لا تهمكم  
الاساء بل انصرفوا الى الحقائق فالاساء عرض والحقيقة هي الجوهر وقد  
تكون المسيمات مخالفة تمام المخالفة للاسواء التي تدعى بها ولكن الذي  
يهمكم الحقائق، اجتمعوا تحت الاسم الذي تريدونه ثم ادعونا أنا واخواني  
لثاني اليكم خاضعون متأثر بامركم، وتكون جنودا متفنيين لارادتكم. ان  
الذي يهكم هو البحث عن الرجال الصالحين النافعين لأجل ان تفهموا  
اليكم أو أن تفهموا انهم، او تفعلوا أي شيء آخر لتكون جهود البلاد  
منصرفة الى تحقيق الغايات السامية التي علقت المشائق من اجلها، والتي

اضطر في آخر الأمر رغم أنه الى دعوتي والذي اضطره حبه لا كرهني،  
صداقته لا عداوتي الغرام الذي يجيش في صدره، لا الغايات الذي يجيش في  
قلبه ثم اضطر، على ما بيننا، الى المجيء الى داري وأخلي لمعالجة مريضة.  
اذن مريض عزيز حمله على مصافحة طبيب لا يحب، اذن غرام وديع في  
مريض في سرير المريض هو الذي حمله على التقدم لمصافحي اذن المحبة  
تحمل المختلفين على أن يطرحوا خلافاتهم، اذن الغرام يحمل المتباغضين على  
الاجتماع في صعيد واحد فاذا كنتم تجبون سورية كما تقولون فاني اوجه  
كلامي لكم يا أبناء الكتلة الوطنية بل اوجه هذا الكلام الى كل حزب وكل  
جماعة وكل طائفة.

اذا كنتم ايها الناس تجبون سورية جبا جبا اذا كنتم تتفانون بالغرام  
بسورية فاكمحوا جراح انفسكم، ودوسوا على الشخصيات وارفعوا الحزازات  
وتقدموا الى خصومكم مصافحين وقولوا لهم: انتم اطباء تعالوا نتعاون على  
مداواة المريض.

لقد قال الأخ لطفي الحفار في كلمته عن الكتلة الوطنية انك يا دكتور  
شهيندر لست غريبا عما بل أنت من صميمها، وكيف أكون غريبا عن  
اخوان لنا معهم في الايام والسنين الماضية حوادث واخبار عامة وخاصة انتم  
تعلمونها، لقد اشتركنا معا في زمن الدولة العثمانية لاجل عروبكم وقد  
اشتركنا معا في زمن الحكومة العربية لانقاذ موافقكم، وقد اشتركنا معا في  
زمن الحكومة الفرنسية، ولما كنا في مصر كانت البلاد في ضيق وشدة وكانت  
الكتلة الوطنية تصرف البلاد من حالة الى حالة.

لما شعرنا بما كانت تعمله الكتلة لم نفكر هنيئة من هو الذي يسوقها  
ويقودها. وانما فكرنا في امركم، وكنا في حاجتكم فكنا نسير من نخزن الى  
نخزن ومن بيت الى بيت لنجمع المال ونقدمه هذا المفضل (واشار الى السيد  
خير دياب) في الكتلة الوطنية وهي صفوة من اخواننا ولاهون علينا ان ننكر  
قرايبنا لاخواننا ولابنائنا ولابناتنا، من أن ننكر صداقتنا وارباطنا باعضاء  
الكتلة، فانتم ايها الاخوان اذا كان بينكم أحد يحس حسا خفيا، أو يشعر  
شعورا مصطنعا مدفوعا بياعث دعاية لا تشرفنا، اذا كنتم تظنون أن الدكتور  
شهيندر واخوانه المجاهدين الاحرار اتوا ليهدموا الكتلة فالذي يظن ذلك

## من قولك الرحمن الرحيم إلى الأبد

إن أعظم موافقي وأحبها إلي وأرضاها عندي وابتها للسكينة في جوانب نفسي موقفي في الصلاة بين يدي الله.

من يوجه نفسه إلى الله ويصلي بقلب ملؤه الإيمان لا يجوز له أن يقنط.

الإسلام رجاء، والقنوط ليس من ديننا.

إن العقيدة لا تكون عقيدة إلا إذا كانت مخلصمة لله.

رابطة المروية أقوى من أن تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يجمعها.

إن سكان هذه البلاد على اختلاف المشيرة يتون بأصوفهم إلى الجزيرة العربية ومنها كانت عيوب هذه الجزيرة فإن قضيتها البارزة هي أنها تطيع إبناءها على الحرية فالحرية هي غريزتنا ولأهون على البشر أن يخفوا منا ملاحظتنا ولاشوا الوائنا وتقاطيع وجوهنا وقامتنا وشكل شعورنا من أن يريلوا هذه الجزيرة من قفوسنا.

نحن عرب قبل أن نكون سوريين.

ليس لسوريا مجد اكيد وتاريخ حافل بالفاخر إلا من بعد الفتح العربي.

مصر عربية كما هي سوريا عربية ومن شرب من ماء النيل كمن شرب من مياه بردى.

فاقت الدماء في دمشق والجبل والنوطة والنيك وحصن رجاء وحلب في سبيلها، فذلك الدماء الزكية الشريفة لا ترضى أن تكون مبعثرين، وأن ترى جهورنا ذاهية هدرًا.

أنا من الكتلة ما دامت الكتلة سمحة كريمة تضم جميع العاملين المخلصين ما دامت فاتحة ضيافتها لكرام الوطنين والسلام عليكم.

الاستقلال، ولبيها الوطن المقدس بانياته البررة الاوفياء.  
 من لا يحب وطنه لا ايمان له.  
 جنة الوطن مفتوحة الابواب لكل مخلص.  
 المداوة الصادقة خير من المداوة الكاذبة.  
 الاكثار الصريح خير من الإيجان المبالغ.  
 البدوي ماء ضحطاح، والحضري جنة صيقة.  
 متى كثرت المسدسات في ايدي المتخاصمين الحزبيين  
 انطلقت منها التيران حجا.  
 اذا مات الشهيد او قتل في مبادئ الشرف ففي الأمة  
 العربية شهيدرون.

بني وطني: ان البلاد اصبحت هدفا يرمى وغنيمة تقسم،  
 وما لم تبت جيما للدفاع عنها كما فعل ابراهيم هنانو والشيخ  
 صالح الميلي ويوسف العظمة قبلا وكما يفعل سلطان باشا  
 الاطرش الان كانت النتيجة كفرا بنعمة الوطن، والويل لمن  
 يحمى في مكانه فلا يتحرك، والغزوي والمار لن يخطو الى  
 السوراء أو يسقف في منتصف الطريق، ارفضوا كل خضوع  
 وانقياد لأي شعب لا يشارككم في روابطكم القومية كونوا  
 صفا واحدا ولا تفرقوا فتصابوا بالضميم.  
 ان اللبالي حبال، والمستقبل حافل بانواع الاحتمالات،  
 فعل الأقوام المظلمة التي تطلب الهراء الطلق والور الشرقي  
 والحياة الرقيقة ان تحمل لكيانها قيمة مادية في الميزان الدولي،  
 وان تبقى قبس القومية مشتملا دائما اشتمال نار فارس  
 لستضيء به في اللحمة القادمة اذ يكون الظلام دامسا  
 والدليل حائرا والغلبة يومئذ للمعتين.  
 الامة التي لا تسفك دمها في سبيل الوطن لا تستحق تقدير  
 الوطن.  
 البيت الذي يلتهم في سبيل الوطن هو شمعة نور وقجيد  
 في الساء.  
 والوحدة لا تقوم على اللباس انما تقوم على وحدة القلوب.  
 خير لنا ان نفرق متحدين من أن نغوم متفرقين.  
 خير لكم ان يخاف منكم من ان يشفق عليكم.  
 ارفعني يا ينادق، وقمقي يا حراب وفرقي يا قبايل،  
 واخري عباب البحر ايتها الاساطيل المعاتية، واملاي كبد  
 الساء ايتها الطائرات المستكرة، وميدي يا جبال الوطن  
 العزيز. لصفاف النفوس من ايتائك، اما نحن فكما قال  
 فردريك نيتشه في قصيدته الخنائية « سنجلس على الرغم من  
 ذلك كله بين فكي التين، ونترج على انياب الكارثة ونصبح  
 باعلى اصواتنا ومله افتدنا، فلتعش الحرية، ليحى

النصحة للطلاب

العودة من المنفى  
محوذة إلى الجاهل



كيف استقبال الشعب السوري الزعيم الشهيد يوم عودته وأخوانه من مفاهيم في مصر وكيف هيا الزعيم الثورة الوطنية السورية عام ١٩٢٥.

ان القلم لم يعجز عن وصف ذلك اليوم المشهود الذي استقبل الشعب السوري زعيمه الدكتور شهيد يوم عودته وأخوانه، في الرابع عشر من شهر ايار ١٩٣٧ بعد صدور العقوف عنهم بعد اغتراب دام اثني عشرة سنة، وزيا كان خير وصف لهذا الاستقبال الرائع ما كتبه جريدة الايام الغراء لصاحبها الاستاذ نصولي بابل في عددها الصادر في ١٥ ايار ١٩٣٧ تحت عنوان.

(بحر زاخر من الحقائق يستقبل الزعيم شهيد وأخوانه).

(يوم الزعيم شهيد بعد يوم فيصل).

وهذا ما كتبه الجريدة المذكورة عن هذا الاستقبال.

---

(١) بقوا خلالها يعينين عن أرض الوطن بسبب أحكام الاعدام التي أصدرتها بحقوقهم السلطات الفرنسية بتهمة انتشارهم في الثورة الوطنية السورية عام ١٩٢٥.

## جزر الخمر من الخبث للقاء يستقبل الزعيم شهيدنا والوطن له

وصف شامل لوداع واستقبال الزعيم من القاهرة الى دمشق

يوم الزعيم شهيدنا بعد يوم فيصل :

قال مندوب « الأيام » الخاص :

اين ذاك القلم، الذي يستطيع ان يصور للناس في سورية من أقصاها إلى أقصاها وصف دمشق أو بعض وصف دمشق في يوم الجمعة في الرابع عشر من هذا الشهر - يوم أمس - وهي تقوي الساعات بعد الساعات لثاني الساعة التي تظا قدام الزعيم الدكتور عبد الرحمن شهيدنا وصحة المجاهدين الأبرار ساحة الشهداء لتصغي الى صوته الرنان، بعد ان تمتع برؤية عياه ونجيا اخوانه بعد اغتراب فاس طويل .

واين ذاك الرتر الذي في وسعه ان يطرب الناس ويأخذ بجامع افئدتهم والباهم كما اطرقتهم عودة زعيم البلاد واخوانه الى الوطن الذي بذلوا في سبيل سعادته وهنائه واستقراره واستقلاله ارواحا غالية خالدة في السماء، وسجلوا في صفحات هذا الوطن القدي آيات الفخار والقوة والعقيدة والمجد والوطنية، التي قدمها لله وباركها الاخلاص والإباء والشمس، ودغلتها نسمات التضحية المحالصة لا لهذا الوطن السوري العربي فحسب، بل لبلاد العرب جماء .

ما أعظم دمشق، وخاصة في يومين ما سجل لها التاريخ في عمرها الطويل غيرهما، أولها يوم « فيصل الملك، وثانيها يوم الشهيد الزعيم » . وأحسن الله إلى شاعر الشام واديبها الكبير في وصفه دمشق في قوله :  
جبارة، سخرت من كل كارثة أعت وما فتت جبارة الشان

من عمان وياقا

وانضم الى الزعيم وصحبه المجاهدين في محطة اللد ، والمجاهدين الذين وصلوا من عمان وهم السادة : محمد الشريقي وعادل حامدة وزكريا الدماغستاني ومحمد درخاني وشقيقه .

والقى الشيخ البقوي كلمة رجب فيها أجل ترحيب بالزعيم وصحبه ، والقى الشاب الدمشقي السيد ياسين الصمدي كلمة ترحيب وخطبت الأنسة شهيرة الدماغستاني شقيقة المجاهد الوطني السيد زكريا الدماغستاني خطابا رحبت فيه بالزعيم وصحبه بعد ان قدمت له باقة من الزهور والرياحين .

وقد قدمت الى الزعيم باقات من كثاف العرب ، والجالية السورية ، وأبناء سورية الشمالية في يافا ، وقدمت مدام استافانوس بترس باقة الى صاحبة المعصمة حرم الزعيم .

في طولكرم

وفي الساعة السابعة غادر القطار اللد الى طولكرم فاستقبل الزعيم وصحبه رئيس البلدية ومدير البنك الزراعي عبدالله سماره ، وبعد السلام خورشيد وكرم الركابي ، وظاهر حسون وعدد لا يحصى من الناس .

في محطة عتليت

وفي محطة عتليت استقبلت الزعيم وصحبه جواهر غفيرة من الناس ، قدر لها الزعيم وصحبه هذه العواطف الوطنية السامية .

في محطة الكرمل

وفي محطة الكرمل اذبح الناس لتحية الزعيم وصحبه . وجاءت وفود الجاليات السورية ، فامتطلت القطار لتراقب موكب الزعيم .

في محطة حيفا

وعندما وصل القطار الى محطة حيفا ، كان في استقبال الزعيم وصحبه

شه ظل على أكتافها لجب أصرذ بالظل من قهر وطغيان

وداع القاهرة

طالع القراء في الملحق الذي وزعته « الأيم » بعد ظهر أمس الأول - الخميس - البرقية التي تلقيناها من الزعيم شهبندر وصحبه من القاهرة بأنهم يغادرون مصر للحام مساء الخميس .

وقد تلقينا بنا هاتفينا من القاهرة ، بوصف مهرجان وداع الزعيم وصحبه وداعا متقطع النظير ، فقد غصت المحطة بمطاء القطر المصري الشقيق وكبرائه .

ولقد سمعنا الزعيم مساء أمس يتحدث عن خطوات مصر البالغة به وبإخوانه ، ويقول بأن وداع رجالات مصر لم ترك في نفسه وثقوس إخوانه أبلغ الأثر الطيب .

في محطة اللد

قال مندوب « الأيام » الخاص الذي استقبل الزعيم وصحبه من محطة اللد في فلسطين :

في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من صباح أمس - الجمعة - وصل القطار الذي يقل الزعيم شهبندر وصاحبه الصون عقيلته الفاضلة ونجده السيد فيصل وكرمه الأنسة سحاب ، وإخوانه الاساذ حسن الحكيم والسيد توفيق هولر جندر والأمير نسيب شهاب ، فاستقبلهم في محطة اللد عدد ضخم يقدر بخمسمائة نسمة وكان هذا العدد مؤلفا من وفد الرملة وغيرها من المدن الفلسطينية والجاليات السورية عرفت منها السادة : الحاج أديب خير ، عبد الستار السنديوسي ، يحيى الدين الحمصي ، صبحي ابو خضرا ، حمزة مخلص ، محمد علي دبير ، الحاج عبده الحولي ، مهدي القباني ، توفيق سنوح ، سامي تلو ، المذكور فؤاد الشاوي .

ورحب بالزعيم وصحبه باسم سماحة مفتي فلسطين الأكبر السيد سليمان الحسيني .

من السادة : الشيخ عارف الزين ، الشيخ احمد رضا ، الشيخ سليمان ضاهر ، الشيخ عباس الحر ، محمد صبحي المجدوب ، والدكتور رياض شهاب ، محمد حشيشو ، عبد الرحمن شهاب ، ابراهيم السنورة ، سليم الحلاق وشريف الانصاري ، بشر خروبي ، الحاج محمود سنيرة .

ويمكن القول ان عدد السيارات التي أقفلت هذه الوفود الى جسر بنات يعقوب والقيطرة يتجاوز الألف سيارة .

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف وصل الزعيم وصحبه الجسر ، فكانت ساعة تاريخية تروقت فيها عبرات الفرح ، وحل المستقبلون الزعيم على الأكتاف وساروا به وهم في نشوة وأطلق الطلاب طورا بيضاء من أعضائها عند وصول الزعيم وصحبه وهف نبذه السيد فيصل بحياة سورية والوحدة العربية .

### القيطرة والكسوة

وبعد ان سلم الزعيم وصحبه على المستقبلين ، هطلت الأمطار في جسر بنات يعقوب فتفاد الناس بقميده .

وبعد قليل ركب الزعيم وصحبه السيارات الى القنيطرة التي كانت تخرج بالناس حيث استقبله فيها باسم فخامة رئيس الجمهورية الدكتور نجيب ارمناري والقائد رفيق المنظمة وباسم الحكومة الاستاذ عادل المنظمة مدير الداخلية العام والسيد توفيق الجبالي محافظ دمشق الممتاز والأمير فائق الشهابي محافظ لواء دمشق والثانيان السيدان توفيق الشيشكلي ونوري الفتيح باسم المجلس النيابي والسيد نسيم البكري محافظ الجبل وولد الهيئة الوطنية الدرية وفريق من النواب ، والنائب الأمير فاعور الفاعور على رأس منات الفرسان وبعد ان صافح الزعيم وصحبه الجميع تابع طريقه في موكب تجاوز الألف سيارة الى سمسع ، حيث تلقاه أهلها بالأهازيج ومن ثم الى الدرجية حيث استقبله السيد فوزي البارودي نائب دمشق ، وتابع الموكب سيره الى الكسوة حيث كان المجاهد الكبير الاستاذ سعيد حيدر في انتظار أصدقائه الزعيم وصحبه ، وكان عناق طويل ، وانتقل الزعيم وصحبه الى سيارات مكشوفة وتابع الموكب سيره الى حي الميدان الذي كان يقف بألوف

أكثر من خمسة آلاف نسمة ، من الوفود الفلسطينية من نابلس والناصرة والقدس وغيرها ، وكان وفد من دمشق مؤلفاً من الدكاترة والأساتذة السادة :

عثمان الشرباتي ، ياسر المؤيد ، عبد الكريم العائدي ، عابدين حمادة ، رفيق الكزبري ، منير الحصي ، سهيل حناحت ، عبد الحميد القفصاني ، يحيى الدين السفرجلاني .

وقد حل الزعيم على الأكتاف الى السيارة وتعالق المفاتيح بجياته العالية ، ودعاهم الوطني الكبير السيد رشيد الحاج ابراهيم مدير البنك العربي في جيفا الى حفلة شاي فاعذر باسمه وباسم اخوانه بأنه يريد السفر سريعا الى دمشق ليكون فيها في الموعد الذي حددته لجنة الاستقبال .

وفي الساعة التاسعة والنصف غادر الزعيم وصحبه مستقبلوه ووفود من صفد وغيرها من المدن الفلسطينية جيفا ، وقد تبع المراكب من جيفا أربع دراجات نارية تحمل فريقا من رجال البوليس الانكليزي ، ومثلها من طريا ، وعندما وصلت المراكب الى مستعمرة طاعوش الصهيونية ، وقف عربان الحولة وطريا يرحبون بالزعيم وصحبه الكرام .

### في الجاعونة

وفي الجاعونة ، أقام الحاج عثمان الشرباتي عادية غداء على شرف الزعيم وصحبه ، ومن ثم شق الموكب طريقه الى جسر بنات يعقوب .

### على الحدود

وعلى الحدود السورية - الفلسطينية في جسر بنات يعقوب ، زحمت المناكب ومن السير كثيرا ان نحضي وفود دمشق والمدن السورية التي جاءت الى الحدود عددا وكل ما نستطيع قوله ان هذه الوفود تحمل الكفالة الوطنية والشغاعدين العسكريين وعصبة العمل القومي في كل المدن والجبهة الوطنية المتحدة والحزب الثوري القومي والحزب الشيوعي وجميع شعراء دمشق وتجارها ورجائها وأدائها وشعرائها وطلابها وعملها عدا وفود المدن السورية كلها في الساحل والداخل ، وكان وفد صيدا ورجبل عامل مؤلفا

## الغلب على السيارات

أما السيارات الكبيرة والصغيرة في دمشق فلم تبق منها سيارة واحدة إلا واستخرجت مساء أول أمس ، ولم تبق سيارة في الأضحية إلا وأحضرت إلى المدينة ورأى أصحاب الكاراجات ان الحاجة ماسة لسيارات كبيرة فأحضروا من بيروت مائة سيارة ، كما أحضروا من حصن وحاه وحلب أكثر السيارات الموجودة هناك ، وقد بلغت أجرة السيارة الصغيرة إلى جسر بنات يعقوب أكثر من عشرين ليرة سورية .

وتألفت « نقابة السيارات بدمشق » من نقابة حلب ان ١٧٦ سيارة غادرت حلب لدمشق لتشارك في استقبال الزعيم .

أما الأقمشة التي تستعمل لصنع الأعلام السورية فقد راجت سوقها كثيرا ، حتى ليقدر عدد الأعلام التي صنعت في يوم أمس فقط بأربعمائة علم رفعت مع ألوف الأعلام على الحرايت و فوق الزينات .

## وفود المدن

ولم تتمكن من إحصاء وفود المدن السورية نظرا لكثرتها ، وقد اشتركت هذه الوفود في المهرجان ، ووقف وفد قوى العوطة على جانبي الطريق الذي مر فيه مركب الزعيم وأخوانه .

## في حي الميدان

أما في حي الميدان فقد تزين منذ ثلاثة أيام ، وبرز اليوم في حلة قشبية ذكر فيها ماضي جهاده إلى جانب الزعيم وأخوانه المجاهدين ، فخرج أبنائه بسيوفهم المصقولة وخيوطهم العظيمة وزعم العربي الجليل ، حتى بلغ عدد الفرسان أكثر من ألف ومائتي فارس تبعتم المركب من الكسوة وباب مصر حتى ساحة الشهداء .

وكانت أكثر الدور تضيء امامها المواقد وعليها دولات القهوة توزعها على المارين والدور مفتوحة أبوابها لاستقبال الضيوف والوفود .

## في ساحة الشهداء

أما ساحة الشهداء حيث أقيم المهرجان فقد قسمت تقسيما بديما ،

الناس ، ووقفت حافلات الترام من الساعة الرابعة حتى الساعة الثامنة . وكان الميدانيون يوقفون الزعيم وصحبه بين نقطة ثانية على طول جهم فيقدمون له النهائي في وسط الاهاليج والعراضات والثراريد . ولا وصل المركب إلى مقبرة « باب الصغير » ترجل الزعيم وصحبه ، ووقفوا على قبور الشهداء ، وتلا سورة الفاتحة على أرواحهم الطاهرة .

ومن ثم وصلوا السير إلى الدرويشية فالسجقدار فساحة الشهداء . وكانت مراكب الفرسان تحيط بالمركب من كل جانب ، كما أحاطة عربان الفضل بين جسر بنات يعقوب والقنيطرة .

ونترك الوصف بعد هذا للتدوب « الأيام » الخاص في دمشق قال :

## دمشق أمس

لم تتم دمشق في ليلة أمس إلا لائما ، فقد بقي كثير من رجالات الأحياء في المدينة ساهرين حتى الصباح يعملون على رفع معالم الزينات ، وإقامة أقواس النصر ، وما أطلت شمس الصباح على دمشق إلا وهي مكتسية حلة زمرية جميلة والأعلام السورية تزرف على حوائنها ودورها وأسواقها ، وعلى الزينات التي امتدت من باب مصر إلى ساحة الشهداء وتغلغلت في كل سوق من أسواق المدينة وكل شارع وحى من شوارعها وأحيائها ، حتى ان الطرق الضيقة التي لا يمكن ان يمر بها إلا أصحابها ، والأحياء النائية عن المدينة عبرت عن الشعور الذي غمرها عودة الزعيم وأخوانه ، ورفعت الأعلام وضمرت عليها أكابيل الغار والزينات .

## حيز الأماكن

وبكر سكان دمشق إلى حيز الأماكن للإشراف منها على المهرجان ، فاحلوا اسطحة الدور والحرايت من «ب مصر إلى ساحة الشهداء ، ولم يتركوا شرقا أو سطحا أو مكانا مرتفعا إلا وتكدست عليه جموع الرجال والسيدات والأطفال ، ولم يتركوا متقدا من منافذ المدينة أو شارعا من شوارعها إلا واحتشدوا فيه ، وقد ارتفعت أجور الأمكنة في شرفات الفنادق وسطح الحرايت والنازل فبلغت حدا عظيما وكان يدفعها الناس بكرم وسخاء وكثيرون منهم يفتشون عن مكان للوقوف بالية ما بلغت أجرة .

كل فترة وأخرى كان لها أحسن الوقع في النفوس .

### وصول عقيلة الزعيم

ولا أزلت الساعة الرابعة والنصف وأصبحت ساحة الشهداء تزخر بالجمع كما يزخر البحر الخضم بالأمواج - أخذت الأعناق تتطاول والعمير تنجس الى منفذ الاستجدار متروقة كل حركة ، وتتسامل بهمة عن وصول الزعيم والمجاهدين وطال بها الوقت فصيرت تحت تأثير الحب والاختلاص والتقدير الذي تغمره لهم ودام الانتظار حتى الساعة الخامسة إلا ربعا فأعلن وصول السيدة المصونة عقيلة الزعيم فتحركت الأيدي بالتصفيق وعرفت الموسيقى وأخذت لها التحية الرسمية ولا وصلت الى قرب القصر البلدي وترجلت من السيارة استقبلها مدير الشرطة وكبار الموظفين ، كما استقبلها رجال الحكومة في القصر البلدي ، وكانت برفقتها شقيقة المجاهد السيد زكريا الدافستاني .

### الأعناق تشرب

وظلت الجماهير ان وصول الزعيم لن يتأخر كثيرا عن وصول عقيلته المصونة ، فاشربت أعناقهم وأرسلوا النظرات الى طريق الاستجدار ، ولكن مضى على ذلك أمد طويل وطلّح الزعيم وأخوانه لم تظهر ، ودام الأمر على هذا حتى الساعة السابعة إلا ربعا فلما حيث أعلن وصول الزعيم وأخوانه فأخذ رجال الدرك والشرطة وفرق الاكتشاف والقمصان التحية الرسمية ، وأطلقت السهام النارية والمفرقات ، كما أطلقت قنات «دوحة الأدب» أكثر من مائة طر أبيض ، وارتفعت الأصوات بالهتاف ، وتحركت الأيدي بالتصفيق الحاد ، ورفعت النساء أصواتهن بالزغاريد .

فدخلت سيارة الزعيم ساحة الشهداء وكان يركب معه الوطني النبل الأستاذ حسن الحكيم والمجاهد الأستاذ نزيه المؤيد .

### الرئيسان يعانقان الزعيم

ولا ترحل الزعيم وأخوانه من السيارة كان رجال الحكومة والمحافظة ومدير الشرطة في استقبالهم على مدرج القصر البلدي فتقدم فخامة رئيس مجلس

فاحل رجال الدرك والشرطة وفرق القمصان الجديدة منافذ الطريق المؤدية اليها . ووقفوا صفوفا منتشرة على جوانبها ، ووقفت فرق اكتشاف سورية بأعلامها العديدة وألبستها البديعة، ونفت وسط الساحة بنظام أثار الاعجاب في النفوس ، والهج الألسنة بالثناء عليها .

### الأساتذة والطلاب

كما وقف الأساتذة والطلاب امام حديقة ساحة الشهداء تحت أقواس مرفوعة قد علقت عليها لوحات كتبت على كل واحدة منها إحدى العبارات التالية والطلاب يكبرون التفضية والاختلاص «العروة فوق الجميع» عاش المجاهدون زعماء العروة العاملون» ، «هيئة المعلمين ترحب برجال الأمة الأبرار» ، «الطلاب يرحبون بالخلصين» ، «العروة تفخر بضم إنائها الأفاضل» ، «حيثم يا أعلام النضال» ، «طلاب الجامعة يرحبون بالخلصين الأبرار» .

ولا يفترنا ان نذكر بان كثيرا من اللوحات علقت على الجوانب والكتائب وعليها مثل هذه العبارات منها لوحة علقت في الجسر الأبيض ، وثانية على مكتب الأستاذ زكي بك الخطيب ، وثالثة على المعلم العربي في المرجع كتب عليها «يوم الفرح الأكبر بعودة الزعيم شهيد» .

### السبيل ومكب الصوت

ومنذ الساعة الثانية والوفد تصل تباعا الى ساحة الشهداء حتى ضاقت بهم على رجها ، واحتشدت السيدات والأطفال على سطوح الجوانب والبنائيات ، وفي شرفات الفنادق والكتائب، وخف المصورون لالتقاط صور المهرجانات كما توافد مندوبو ثلاث شركات سينمائية لتصوير المركب ، إحداها شركة بنك منصر التي ستعرض فيلم الاستقبال في مصر وجميع البلاد العربية .

وكان مكبر الصوت ينقل للجماهير في كل لحظة خبر تنقلات الزعيم وأخوانه المجاهدين فتصق الجماهير وتبف بحائهم طويلا .

، كانت فرقة قاسيون الكشفية تعرف بوسيقاها العظيمة قطعاً عذبة بين

## خطاب لطفي الحفار

ثم وقف النائب الاستاذ لطفي الحفار رئيس لجنة الاستقبال فالتقى الكلمة

التالية :

أيها السادة أيها المجاهدون الأبرار :

هذه دمشق تبرز في هذه الليلة بأجل مظاهرها فرحة متهلة لمودة أبنائها الذين طامحوا تحت لقاظهم وأنت الطول غياهم بل هذه البلاد السورية كلها ترحب بالمجاهدين الأبرار والزعماء الاختيار الذين لم يفتنوا في سبيلها بئذ أغل ما يملكون واسمى ما يستطيعون ، وهل بعد بئذ النفس والنفس وبعد التضحية في سبيل الأمة والوطن من مزيد ؟

أيها الاخوان المجاهدون :

لقد قمتم بالواجب وما القيام بالواجب بالشئ القليل . ولقد كنتم المثل الأعلى تضربوه لأفراد الأمة جميعا لتعلم منكم معنى الاخلاص بالعمل ومفزى قوة الايمان في الأمل ، وقيمة الثبات في الساحة بلا يأس ولا ملل . ونحن أخرج ما نكون في مفتاح عهدنا السياسي الحاضر وممارسة حقوقنا الاستقلالية التي فصحنا البلاد في سبيلها ما فصحنا ، ان تقوم بواجبنا على مثل هذه المبادئ التي كنتم مثالا عمليا لها ولا زلتم تعملون في سبيلها .

بعدتم عن اخوانكم وبلاذكم ولكن اخوانكم والمجدين بكم لم يكونوا بعيدين عنكم لأنهم كانوا يربون دائما بأبصارهم نحوكم في حللكم وحرثلكم وفي مواطن جهادكم ونضالكم وانكم حللكم في سويدائكم وملكتكم قلوبها .

كانت الأمة تقوم بواجبها وانتم تلقون عليها في تحملكم الا في سبيلها أبلغ الدروس والعظات ، وكانت البلاد كلها كلمة واحدة ما وهمت وما فصحنا في سبيل المطالبة بحقوقها ومقاومة الرجعية والمفزعة في مختلف ظروفها ، ولكنكم تؤيدونها في جميع مواقفها وتشجعونها على المضي في جهادها ونضالها العنيف ، وكنتم خير قدوة لها في اخلاصكم وصبركم . لقد أحسستم البلاد في جميع مواقفكم فحق الأمة ان تحسن لكم وهي لا تملك أغل من هذا الشعور القياض الذي تنفركم بأفئدتها وقلوبها ولا

النواب الاستاذ فارس الخوري فماتق الزعيم بحرارة ثم عانقه جناب رئيس الوزراء الاستاذ جميل مردم بك عناقا طويلا .

وبعد ان سلم وزير المالية السيد شكري القوتلي ، ووزير العدلية الدكتور عبد الرحمن الكيلاني على اخوانه دخل الزعيم القصر البلدي فتوقف فيه قليلا حتى خفت وطأة الازدحام ثم صعد الى هو القصر حيث استقبله كبار المدعوين بالهاتف والتصفيق والقبلات الحارة . وكانت الجماهير من الساحة تهتف بهجائه وحياة اخوانه .

خطاب الحياي

وبعد ان استراح الزعيم قليلا ، وقف محافظ مدينة دمشق للمنازة السيد توفيق الحياي ، فالتقى الخطاب التالي :

أيها الزعيم الكبير ، أيها المجاهدون الأبرار ، أيها السادة : اذا كانت دمشق عاصمة العروبة تكرم رجالها الشاملين في هذا اليوم التاريخي العظيم فإنها تكرم البطولة وتكرم التضحية ونحيي المبدأ .

لقد كانت دمشق وما زالت سبابة في هذا التقدير العظيم لكل عامل مخلص . يعمل لرفع شأن العروبة ولاعادة مفاهيمها .

ان دمشق بل سورية كانت تنتظر هذه الساعة الطيبة بفارغ صبر لتري أبناءها المجاهدين الذين بذلوا اموالهم في بناء الاستقلال فتضمهم اليها ويجمع بها شملها وتقوى هم شكيبتها واذا كانت هذه السنوات الطويلة قد حالت دون عودتكم الى الوطن فان العهد الجديد الذي دشنته رجال هم اخوانكم في الجهاد والتضحية قد حقق هذه الأمنية العالية .

فأني أفخر باسم دمشق عاصمة الشام ومدينة العرب الخالدة ان أرحب بهضرتكم وأهتكم بسلامة الوصول راجيا لكم إقامة طيبة في أرجاء هذا الوطن العزيز .

ولا يسعني إلا ان اشكر جميع وفود المدن الشقيقة وقراها ساحلها وداخلها تلبية دعوتنا ومشاركتها إيانا بالاحتفاء بكم تقديرا لجهودكم واعتزازا بجميالكم والسلام .

## خطاب الزعيم

وبعد خطاب الأستاذ الحفار وقف النائب الدكتور منير العجلاني فقال :

الآن يتكلم باسمه وباسم المجاهدين الأحرار العائدين - زعيم البلاد الأكبر الوطني الأبى ، والعلامة العبقري الدكتور عبد الرحمن بك شهيد .

أنصتوا ! إن معالي الزعيم تعب ويريد أن يعتذر ، ولكننا أينا عليه إلا أن يتكلم لنسمع السحر ونراه ولنلمسه .

فوقف الزعيم الأكبر وارتحل الخطاب الآتي :

يا إخواني الأعزاء :

ذكر حضرة عافظ دمشق ما تكنه دمشق في نفسها من الغايات الجسم ، والمبادئ السامية . وذكر الأخ السيد لطفى الحفار ما ظن أننا قمنا به من الواجب .

نحن نعلم أننا الآن في دمشق أقدم مدينة على وجه الأرض ، نحن في المدينة التي تجتمعت فيها الآمال الكبار منذ ألوف السنين حتى أصبحت عهدا في القرن العشرين تمثل فيها الغايات النبيلة والمبادئ السامية ، وهذا العهد هو قاعدة تسمى قاعدة المروية ( تصفيق حاد ) وهي إذا طبقت تطبيقا عمليا ، فلا يفيد دمشق مهاب

تستطيع ان تعبر عن شعورها نحوكم بأسمى من هذا الحب والتأييد الذي يحكمكم من جميع طبقاتها في موقفها هذا ، وهي بعملها هذا تبرهن على قيامها بالواجب وتقديها للتضحية وتقدبها للوطنية وهي بتحمل هذه الروح العلمية جديدة ان تنال حقها في الحياة لأنها تبرهن في جميع ساحات جهادها على أنها تفهم معنى الحياة والوطنية والواجب .

واني على مثل اليقين ان سروركم وضيقتكم يتفوق التربية السياسية التي تترأى لكم الآن وبفضوح التفكير السياسي العام الذي تظهر به الأمة وتضامنها العام في جميع مواقفها الوطنية ، والحمد لله سيكون الجراء الأوفى لكم لا ضحيتهم وبذلهم والعزاء الجميل فيها لاقيم وناضلتم ، فلقد سارت الأمة في حياتها السياسية أثمرا طامعا بعيدة ولقد برهنتهم على اتقادها وقوة إيمانها وصحة عزائمها في ماضيتها الطويل وما مر به من الكوارث والأحداث الى ان قطعت مرحلة شاقة من مراحل جهادها لتحقيق قسم من أمانها الوطنية الدخالية ، فقلبت صفحة الماضي رأسا على عقب وهي ما تزال تعمل في هذا السبيل بإثبات كفاءتها وفضولها وتحقيق ما فاتها وهو ليس بالقليل .

والاستقبال امامها وعليكم وعلى إخوانكم هذه الامال . والقيام بما يحقق للأمة وما ترجوه من رجالها وزعمائها الأبرار وانتم تجبر من عمل في هذا السبيل وكان أصدق دليل ، ولطالما انتظرنا هذه الساعة التي نلتقي بها بإخوان أعزاء وقادة أمناء كانوا زالوا رجال العزيمة والإباء والكرامة والوفاء ، ورحم الله شوقي القتال :

صبرا على الدهر إن حلت مصائبه إن المصائب كما توقوف الأمس والناس باني بناء أو متهمه وثالث يتلافى منه ما هدمنا تعاون لا يحل اليأس عسوته ولا يرى بيد الأرزاء متفلسا دمشق تسمع صوت الزعيم بعد ان غاب عنها اثني عشر عاماً .

الزعيم يقول : عدنا إليكم للدرس القضية درسا موضوعيا لا شائبة للخرنية فيه ، وأن جنة الوطن مفتوحة الأبواب لكل مخلص .



وهو ميت منذ عشرات السنين وليس عندي ما أقوله لكم إلا أنني أستطيع أن آوي خسين رجلا عندي ، فإذا أصبتم في قضيتكم بسوء ، أو إذا عرّض عليكم تحقيق آمالكم ، واضطر عدد من رجالكم أن يهاجر من سورية ، فهذا بيت أحد عرّابي بلشأ رئيس الثورة المصرية مستند لقبول أحرار سورية و تصفيق حاد وهتاف بحياة الزعيم .

لقد قال لي كثير عن رأوي : ما بالك هارولا ، وما بالك شاحيا ، أمن نصب السفّر ، أم من وعاء الطريق ، أم من شيء آخر طرأ على صحتك ؟

أيها الإخوان ،

لا تنتظروا إلى المزال في الجسم ، ولا إلى الشحوب في اللون ، ولا إلى البياض في الرأس ، هذه كلها مظاهر جسمانية . إنما إذا أردتم أن تعرفوا ابن دمشق البار ، وإذا أردتم أن تعرفوا الدكتور شهيد ووصحه الأخيار ، فستقوا القلوب أو اتصلوا بالأدمغة ، فهي حية مخلوقة بالقلبان والوران لمصلحة هذا الوطن الناهض . فنحن كنا على رغم بياض الشعر وشحوب اللون ، نبرهن لكم على ذلك فلا نخاطبكم بأخواننا وأبنائنا ، والأصح اسمعوا لي إذا أردتم برهاناً حياً على ما نفسره في أفئدتنا أن نخاطبكم بأبنائنا ولو كنتم في المشرّين من عركم .

اسمعوا لي إن أعيد عليكم أبحاثاً طالت تربّيت بها وترجّتها في سن الصغير ، وإن لم أكن شاعراً :

قاسوا الحياة بأزمان وذا خطا إن الحياة هي الأمدال والفكر إن الحياة شعور لا يراد بها ظل الضياء ولا الأنداس تنحصر لو فكروا جملوها خفق أفئدة من التأثير لكن قائم نظر وأطول الناس أضماراً أسدعماً رأيا وحسا وأصلا لها خطر

والآن لماذا عدنا اليكم ، وماذا نتوي أن نعمل في وطننا الأعزّ الأولي ؟

إننا عدنا اليكم لندرس القضية مع اخواننا العاملين درسا

إلا جزء ضئيل وضئيل جدا . فدمشق أم البلاد السورية لم تأتفت إلى منفعة عامية ، وإنما نظرت إلى مبدأ سام يضم تحت لوائه تقاؤه واحدة تجمع تحتها سبعين أو ثمانين مليوناً من البشر ، فهل قمنا بالمهد ، وهل نحن يا ترى حملنا الأمانة كما يجب أن يحملها المؤمنون ؟

هل نحن قمنا بالواجب المحتم علينا ما تتطلبه منا هذه المدينة الزاهرة ؟

إننا الآن في ساحة الشهداء ..

في اليوم السادس من شهر مايو من سنة الف وتسعمائة وست عشرة غلّخ رجالتنا الأحرار على سدد المشائق في هذه الساحة ، ولم يبق بيحي وبين المنفعة إلا بضع دقائق فقد نجوت بأعجوبة ، لذلك أقول الآن لكم ما قلته في مصر لأخواني « إنني شهيد حي » فما قولكم دام فضلكم في رجل يظن أنه قد قُتل بنفسه وبذل روحه في شيء يسمى المروية ؟ فلو حاد عن هذا المبدأ لم يخن دمشق العزيزة فقط ، ولا سورية الناهضة فقط ولا بلاد العرب جميعا التي تنتظر اليكم فقط وتخرج بأنظارها اليكم ، بل يكون قد خان الروح التي أسلمها في ساحة الشهداء الدكتور شهيد وأخوانه من هنا حاضرون معكم ، ولكن هم غائبون ، والذين نرجو في القريب المجل أن يعودوا اليكم ، قد حملوا هذه الأمانة على أعناقهم ، وأقول لكم بلء الابتهاج والخيور أن مصر التي كانت لا تعرف في أواخر الحرب العامة شيئا عن الجامعة العربية ، بل مصر التي انتشرت فيها الدعايات المفرضة ، قد انقلبت وصارت تنادي في معاهدها ومؤتمراتها : نجيا دمشق الشمام شقيقة القاهرة ، ونجيا سورية شقيقة مصر .

فحييتكم أيها الاخوان تشهد لنا هذه الحفلات الرائعة التي رأيناها بمصر ، فحملنا لها في نفوسنا الشكر والامتنان . وبالأأس ، فقط ، زارني ابن أكبر ثائر مصري ألا وهو أحد عرّابي بلشأ ، جهاني ابنه ، ولأول مرة تعرف يو وقال : ان ثورككم تنطبق على الثورة التي قام بها أي ، فقد آتيت لأشكركم بلسانه

## طاقات الزهور قف لم الزعيم

ولما أتم الزعيم خطابه جلس في هو القصر البلدي يتحدث الى إخوانه فقدمت اليه طفلة صغيرة من مدرسة دوحه الأدب طاقه من الزهور فتناولها الزعيم واقفا ، وقبل يد الطفلة ، ثم قدمت الفتاة طاقات من الزهور ايضا الى إخوانه ، وقدمت فتيات غيرها باقات كثيرة .

### كلمة نجل الزعيم

وهنا رغب الحاضرون الى الشاب الأديب السيد فيصل شهبندر نجل الزعيم ان يلقي كلمة فوقف امام مكبرة الصوت وألقى كلمة جميلة شكر فيها للشعب عواطفه النبيلة وحياته على جهاده . ونقل الى شباب سورية تحية شباب مصر فقربلت كلمته بالتصفيق الحاد .

### الزعيم في القصر الجمهوري

ثم نهض الزعيم وإخوانه فامتطى سيارة ركب فيها الى جانبه رئيسا النواب والوزراء وسارت تتقدمها وتسير خلفها فرق الكشاف بوسيقاها الجميلة الى شارع الملك فؤاد ، فالجسر الأبيض ، فالهاجرين فالقصر الجمهوري لرد الزيارة لفخامة رئيس الجمهورية ونعزته بوقاة نجله ، فاستقبل بالحفاوة البالغة وعائق الرئيس الزعيم ، وجلسا مع رئيسي النواب والوزراء ، أكثر من ساعة تبادلوا فيها الأحاديث الودية ، ثم خرج الى طريق الهاجرين حيث عرض فرق الكشاف وشكر قائداهم وأفراد الكشاف وأبدى إعجابه

· ٣٢ ·

مأدبة الزعيم

ثم سار تتقدمه الفرق الى دار الوجيه الكبير تقى الدين بك المؤيد والد

موضعا لا شائبة للحرية فيه ، لجنة الوطن هي لجنة واسمة مفتوحة الأبواب لكل رجل يعمل للوطن بإخلاص وذمة .

لأجل هذا أتيانا ونحن نعد أنفسنا بهذا اللقاء العظيم الكبير ، بهذا المهرجان النادر لقد كوئنا أكثر عما نستحق او ننتظر ، بل ما كنا نطمح بأكثر من ان نحمل على تلك الآلة الحديد لتشموا ورامنا وترجموا علينا .

أما وقد رأياناكم تقبلون علينا روحها لوجه وكلمونا في الحياة فإننا نعد هذا أكثر عما ننتظر ، وقبل ان أنهي كلامي أريد ان أعيد امامكم خلاصة خطاب تلوته في أوئل الكونتيتال في القاهرة أمام إخواننا المصريين والسوريين ، وهو أننا فاهمون لجميع الكلمة ، ولم السمعت ، وفاهمون للتفتيش عن كل عامل صادق لنضمه الى الحلقة الوطنية العاملة .

إننا أتيانا الى هذه الغاية والتوجب عليكم يا أبناء الشعب الكرام ان تزيدونا في مسمانا وأن تقدموا لنا المودة اللازمة ، فالأمر مكم ، وبكم ، وإليكم .

وإني أعيد عليكم قاعدتي مرة ثانية وهي أنني جئت لجميع الشمل ولم السمعت ، وخبر وألف خير ان نحقق ونحن متحدون ، من ان نتبع ونحن مفترقون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

### طائرة الصقور

قدم الصقور الأمويون الى الزعيم شهيد بن باقات من الزهور والرياحين وامتطى أحدهم السيد طريف كرد علي طائرته الخاصة ، وألقى منها مناشير يحيي فيها الزعيم وصحبه الأكرمين .

عقيلة الزعيم فدخلها بين الحفاف والغازيد والرياحين والمطور وعزف الموسيقى وبين مستقبله الكثر من آل المؤيد وعلى رأسهم السادة : تقي الدين بك ، حقي بك ، واثق المؤيد ، عبد القادر بك وغيرهم .

ووصل في هذه الأثناء ، الاستاذان فارس الخوري وجيل مردم فاستقبلا بحفاوة بالغة وجلسا يتحدثان الى الحاضرين عن جهاد الزعيم ووطنية ، فقال الاستاذ الخوري : إن الدكتور شهيد بن عبد القاضية العربية ، كما أنه استاذ الجميع في وطنيته . ثم تناول الجميع طعام العشاء على مائدة الزعيم .

### الحكيم والمدافستائي

أما الاستاذ حسن الحكيم ، والسيد زكريا الداعستاني فقد راقت فرق الكشاف كلا منها الى داره وخطب في دار الاستاذ الحكيم العلامة الشيخ بهجة البيطار والسيد رياض العابد .

### وفد الجبل يقل تحيات القائد

ولا يفوتنا ان نذكر ان وراء سيارة الزعيم كانت تسير قوافل الفرسان وهي مؤلفة من أكثر من ألف فارس .

كما لا يفوتنا ان نذكر ان الوفد الذي ذهب الى الكرك لقابلة سلطان باشا الأرض وعلى رأسه السيد علي مصطفى الأطرش ، فقد زار معالي الزعيم وأخوانه وقدم اليهم تحيات القائد العام .

### كلمة ثناء على الكشافين

ولا يفوتنا ايضا ان نوجه كلمة ثناء وأعجاب الى فريق الكشاف وعلى رأسهم الدكتور رشدي الجابي ولاستاذان علي عبد الكريم القائد العام والسيد رشاد المجتهد على الجهد الذي بذلوه أحسن الله اليهم .

### الزعيم يدعو رجال الأحياء

وقد أخذ رجال الأحياء منذ اليوم يوجهون الدعوات الى الزعيم وأخوانه وفي مقدمتهم رجال حي القيمرية مسقط رأس الزعيم حيث دعوه الى وليمة تقام في الساعة الرابعة من يوم ١٨ الجاري .

الفصل الثاني

المجلد

## اللمعة (١٩٢٥)\*

لا يشن الدروز من الفرنسيين وأدركوا أنه لا أمل في تبديل سياستهم اتجهوا نحو دمشق فجاء الأمير حمد الأطرش في أول شهر أيار سنة ١٩٢٥ واجتمع سرا باللكور عبد الرحمن شهبندر زعيم حزب الشعب في منزل قاسم الميماني فصار البحث على حالة سوريا وموقف الفرنسيين وما يجب عمله لانقاذ البلاد فإظهر الدكتور رغبته في الاجتماع باخوان الأمير وأبناء عمه رجالات الجبل فجاء منهم نسب وعبد الغفار ومتعب الأطرش والشيخ يوسف العيسوي وغيرهم وعقدوا اجتماعين سرين في منزل الدكتور وبعد البحث اقساموا أقدمس الأمان ونماهدوا وهم وقوف على ان يندافعوا عن استقلال بلادهم حتى النفس الأخير ولا وقعت حملة ميشو لتندب حزب الشعب اسعد البكري وتوفيق الحلبي وزكي الدروبي فذهبوا الى الجبل وأبلغوا رجالا أنه تأيد سوريا لثورتهم وعاد المندوبون فقصموا على اخوانهم ما تم الاتفاق عليه في اجتماع عقد في منزل الحاج عثمان الشرايبي واستغرق الليل بطوله وتم الاتفاق على توحيد العمل والاشتراك في الثورة وعلى ان يخرج قادة الحركة الوطنية صباح يوم ٢٣ أيار الى الكسوة للقاء فرسان الدروز القادمين وقد حضر هذا الاجتماع الشهبندر ونسب البكري وحسن الحكيم ورجل مردم بك وغيرهم وفي مساء ٢٢ غادر الشهبندر دمشق مع نزيه المؤيد الى قرية حوش متين حيث تقرر ان يجتمع قادة الحركة فلم يوافه سوى القائد

---

\* (رجالات الجبل يقسمون الايمان في داره للدفاع عن استقلال البلاد)  
الأيام عام ١٩٣٧

## سمر وعصاة ١٩٣٦

مر على سورية ستة عشر عاما تحملت فيها على يدي المستعمر الغاضب ضروبا من الظلم والأذى والاضطهاد وأنواعا من التخريب والتدمير والإفكار، وإذا كانت البلاد لم تسكت طيلة هذه المدة على الضيم بل قامت بثورات متتالية دافعا عن حقها المسلوب وأمانها الوطنية فإن إضرابها الأخير الذي استمر خمسين يوما أقض مضاجع الفرنسيين ودفع بالمفوض السامي الكونت مارتيل إلى مفاوضات الوطنيين لحل القضية، لذلك مهد لعمله بإقالة حكومة الشيخ تاج الدين الحسيني وتأليف حكومة جديدة في ٢٤ شباط ١٩٣٦ برئاسة السيد عطا الأيوبي بغية التوصل مع رجال الكتلة الوطنية إلى اتفاق في الموضوع، وبعد مذكرات ومداولات معه في بيروت تم الاتفاق على ارسال وفد منهم إلى باريس يتولى المفاوضات مع الحكومة الفرنسية. وهذا نص الاتفاق الذي صدر في ١ آذار ١٩٣٦ بهذا الشأن:

( إن المفوض السامي وهو يثني على وطنية الشعب السوري الكريم قد نزل على الرغبة التي أبدت له وصرح بأنه يوافق على ارسال وفد إلى فرنسا يقدم بنظرياته إلى الحكومة الفرنسية لأجل تحضير عقد معاهدة تكون فيها الحقوق التي يتمتع بها السوريون لا تقل عن الحقوق التي اعترف بها للعراقيين في المعاهدة الأخيرة، مع التأكيد بأن فرنسا لا مصلحة لها في قضية الوحدة ماإنها لذلك لا تمنع في تحقيقها.

وهكذا ذهب الوفد في ٢٢ آذار إلى فرنسا برئاسة السيد هاشم الأتاسي وعضوية كل من السادة فارس الخوري وجيل مردم بك وسعد الله الجابري عن الكتلة الوطنية والأمير مصطفى الشهابي وأدمون حصي عن الحكومة، وقد اضيف إلى وفد الكتلة السيد احمد اللحام بصفة خبير عسكري والاستاذ نعيم

يحيى حياتي لضيق الوقت فغير الدكتور خطته خوف الوقوع في شرك الافرنسيين فذهب مغربا حتى بلودان ومن هناك عاد إلى جبل الدروز بعد ان اجتمع بجبل مردم وسعد الدين المؤيد في حوش متين وقصدوا إلى الجبل حيث هيارا ما يلزم لا يقاد الثورة في دمشق وكان اخوانهم قد لحقوا بهم .

## كيف قلبت صوت ضميرها في سورية

من الظاهر التي تدل على أدب البحث بين الماملين في الحقل الوطني في سورية وتزفهم عن تلك العادة المستهجة في المهاترة واستعمال الكلام والألفاظ التي ينبر عنها الذوق السليم وقبحها التريبة العالية أن جميع اللذين ردوا المعارضة كانوا في كلامهم أحراراً أعزاء قدروا موقفهم وموقف غيرهم حق قدروا ما عدا اثنين أو ثلاثة ارفضوا لأنفسهم النزول الى حلبة العامة المستهجة وسلكوا تلك الطريقة البتالة التي يرفع عنها الأدب والتربية فقالوا فيها قالوه ان المعارضة لا تقلل عن الخيانة .

بالمخص قول إخواني الأفاضل في الرد على المعارضة ان بعضهم قال : لو كان الدكتور شهنيد في سورية ورأى بعينه الحال التي وصلنا اليها ما خالفنا ورحب غيرهم ترحيباً صريحاً بالمعارضة التزبية وكرر ما يراه من مساواة المعاهدة السورية بالمعاهدة العراقية. واعتمد آخرون على حسن النية في الفرنسيين وقالوا إنها ستصلح القمص وترقق الفتق، وآخر كلمة سمعتها بهذا الصدد هي للرفيق القديم والصديق الحميم السيد لطفى الخطار، فأشكر له أدبه وحسن ظنه ويحسن بي أن أذكر هنا اني كتبت الى بعض منهم عقب عودتهم من باريس كتباً بينت لهم فيها احتفاطي برأيي في المعاهدة كما احتفظ بودهم وصداقتهم والأخوة القديسة التي بيننا .

هذا من حيث رجال الكتلة الوطنية ونظرهم الى البرقية، وأما رجال الجبهة الوطنية وفيهم الإخوان الأوفياء والأصدقاء القدماء فقد ابرق لنا أمين سرهم الأستاذ زكي الخطيب يقول ان « الجبهة تشكر صوت الحق الذي ترفعونه ينير البصائر، تتق شبكاتكم الجبار حتى ساعة الظفر » وكذلك نشرت عصبة العمل القومي وهي مؤلفة من خيرة الشباب السوري المثقف بياناً وافياً مترناً

الانطاكي بصفتها أمين للسري بعد مقاضات استمرت ما يقرب من ستة شهور توصل الطرفان في ٩ أيلول ١٩٣٦ الى عقد المعاهدة المروقة بجماعة /١٩٣٦/، وبعد ان عاد الوفد الى البلاد في ٢٧ أيلول ١٩٣٦ جرت في ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٦ انتخابات نيابية انتهت في ٣٠ منه، وفازت فيها قائمة الكتلة الوطنية في جميع المدن وأغلب الأفضية، وانبثقت عن ذلك حكومة وطنية برئاسة السيد جميل مردم بك تسلمت زمام الحكم اعتباراً من ٢١ كانون الأول ١٩٣٦ وبناء على هذه التطورات والنتائج الانتخابية فقد استقال رئيس الجمهورية السيد محمد علي العابد وانتخب المجلس النيابي الجديد السيد هاشم الأتاسي خلفاً له .

أما المعاهدة فقد نكلت فرنسا أخيراً عن إبرامها كما هو معلوم وكان المجلس النيابي السوري قد صادق عليها في ٢٦ كانون أول ١٩٣٦ الا انه بعد هذا النكول عاد فحدد في ٣١ كانون أول ١٩٣٨ موقف المجلس والحكومة منها ومن ذيوطا .

وما أن أحاط الزعيم شهنيد علماً بهذه المعاهدة التي لا تتفق واماني البلاد الوطنية في الوحدة والاستقلال حتى كتب في العدد /٢٧/ من مجلة الرابطة العربية القاهرية في /٢٥/ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٣٦ المقالة التالية التي فند فيها عبير المعاهدة وناقضها ببقائتها بالمعاهدة المراقية .

## حبيب الوهلة المشرفة

وحصر البحث في المقابلة بين المعاهدة السورية والمعاهدة العراقية برحنا من التعرض للعرب التي تتناولها كتابها فتحول دون فتح أصحابها بالاستقلال التام الناجز، فمن ذلك مثلا أن هذين القطرين مقيدان في سياستها الخارجية تقيدا تمليه المصلحة الجمهورية التي لا تكتلرا أو فرنسا فيها، ولا أخال أحدا من أهل الرأي يبرر هذا النقص بقوله أن كل تخالف يعني تقيدا وعليه فالتكتلرا وفرنسا بهذا المعنى كذلك مقيدتان في سياستها الخارجية للمصلحة الجمهورية التي لنا فيها، فمصلحة لندن في بغداد ومصلحة فرنسا في دمشق هي بالبداية نوع آخر يختلف اختلافا كليا عن مصلحة بغداد في لندن ودمشق في باريس. ومن القواعد في علم (الحقوق الدولية) أن معيار الاستقلال لقطر من الأقطار إنما هو الحرية التي يتمتع بها في سياسته الخارجية، حتى أن عالما كبيرا من علماء الحقوق (ت. ج. لورانس) ضرب صفحا عن تلك الطريقة المألوفة في تقسيم البلدان المقيمة أو ناقصة السيادة إلى عمليات وابعات ومؤديات الجزية وقاصرات تحت الرصاية وغير ذلك، واقترح بدلا عن هذه الأساء التي يصعب تعينها ووضع حد فاصل بينها، إطلاق اسم (ومعناه الدولة العملية) على كل دولة مقيمة في سيادتها، واسم (ومعناه الدولة الحامية) على كل دولة تباشر هذه السيادة في الدولة المقيمة. ومن الأمثلة اللطيفة التي ضربتها المعاهدة التي عقدتها كوربا مع الولايات المتحدة في سنة ١٩٠٣ وتوحيدها منعت كوربا من الدخول في مفاوضات تُقَرُّ بالاستقلال الكوري. قال لورانس (وهذا الشرط في المعاهدة وضع بالبداية لمنع حدوث مطلب من الطالب لا يتفق مع مطالب الولايات المتحدة) يعني أن هذه الحامسة العظيمة في الدفاع عن استقلال كوربا لم تكن ناشئة عن غرام الأميركيين بالكوريين بقدر ما هي ناشئة عن مصلحة الدولة الأميركية.

أظهرت فيه قصور المعاهدة وكيف أنها لا تحقق الغرض القومي الأسمى .  
الآنخذ التي نأخذها على المعاهدة السورية نجعلها فيما يلي :  
عما سهل علينا الكلام عن المعاهدة السورية أن البحث فيها أصبح بالاتفاق محصورا في نسبتها إلى معاهدة العراق . والسبب هو أننا منذ ما أخذنا في الجهاد لأجل الحرية والاستقلال بعد الاحتلال كنا ننظر إلى الخطوات التي يتخطوها العراق فنطالب بجلها، فنحن كلانا كان جزءا من السلطنة العثمانية فأصبحت بعد الحرب العالمية بلاد انتداب من حرف (الف) ونحن إخوان وأبناء عشيرة واحدة لا جرم أن مطالبنا بمعاهدة كمعاهدة العراق أمر طبيعي وقد قبل الفرنسيون في مفاوضاتهم مع الوطنيين هذا الطلب في مارس الماضي من بعد تلك الاضطرابات الشاملة، وطماننا إخواننا عند انتهاء المفاوضات أننا حصلنا على غايتنا هذه، بل أن بعضهم قال أن المعاهدة تفضل المعاهدة العراقية .



صاحبة الأمر والتي في مواردها الجبركية وهذه الموارد جزء لا يتجزأ من استقلالنا الاقتصادي، ونحن أصررنا على أن تكون جاركنا بيدنا فائت المعاهدة وأقرت انفصال لبنان عنا وحملنا على الاعتراف بشروط في معاملته الجبركية تجعل استقلالنا الجبركي عبئا، وجاهية صناعنا مستحيلة إلا إذا كان المدرب السياسي راضيا عنها، وهذا كله يعمل المصالح المشتركة في التحليل النهائي بيد محلل فرنسا في لبنان.

هذه عيوب في المعاهدة السورية قتالة قد خرجت فرنسا منها رابحة وخرجنا خاسرين فليت شعري هل لها مقابل في المراق يا ترى يحدد وحدته القومية وحوزته الجغرافية وماليته التي تركز عليها للدولة؟ والجواب عن ذلك ان المراق للمراقين لا للسنة ولا للشيمة ولا للشورين ولا للبابلين وان الجمارك في البصرة وفي بغداد وفي الموصل لأبناء الرافدين.

لترك الآن هذه النقائص التي يعترف اخواننا بظهورتها وتنتظر في بعض مصادرها التي لا يستطيع الخصم أن يتحمل لها عذرا سوى ما في رغبته في قاعدة (بقاء ما كان على ما كان) ولنبدا بواحدة منها ثم نقابلها بما جاء في مكانها في المعاهدة المراقبة ليوضح لنا الفرق.

جاء في المادة الخامسة من المعاهدة السورية أن (مسؤولية حفظ النظام في سورية ومسؤولية الدفاع عن أراضيها هما على الحكومة السورية، والحكومة الفرنسية تقبل بتقديم مساعدتها العسكرية الى سورية مدة المعاهدة وفقا لنصوص الاتفاق الملحق).

وجاء في المادة الخامسة من المعاهدة المراقبة: (من المفهوم بين الفريقين السامعين المتعاقدين أن مسؤولية حفظ الأمن الداخلي، وايضا - بشروط مراعاة أحكام المادة الرابعة المتعلقة بالشتياك أحدهما في حرب - مسؤولية الدفاع عن العراق إزاء الاعتداء الخارجي تنحصران في صاحب الجلالة ملك العراق).

فلم هذا الفرق الشاسع يا ترى في الصراحة المنجلية في المادة المراقبة في جعل حفظ الأمن الداخلي في جلالة ملك المراق وحده والأمن الخارجي محصورا أيضا، بشروط مراعاة المادة الرابعة - وبين النصوص المنجلي في المادة السورية بحيث ترى الأمن الداخلي الذي يجب أن يكون محصورا في الحكومة

ومن العيوب المشتركة ان يكون السفير الانكليزي والسفير الفرنسي مقدمين على سائر السفراء في المراق وفي سوريا، مهما قتل في الدفاع عن هذا العيب وجيء بالأمثلة من الدول المستقلة لتبريره فان النسبوي يقتضي ان يكون السفير العراقي والسفير السوري مقدمين ولو بالرهف والخيال على سائر السفراء في لندن وفي باريس.

ومن هذه العيوب الاحتلال من حيث هو، والبيئة العسكرية المملوءة من حيث هي، والمستشارون الأجانب من حيث هم، وغير ذلك مما يطول شرحه وهذه عيوب مشتركة لا سيما ان نعرض لها هنا أبدا لانتقادنا في الأول الأمر ان تقارن المعاهدتين ونبين الفرق الجلي بينهما بل البرن الشاسع الذي لا يجوز أن يكابر فيه مكابر.

نقائص المعاهدة للمعاهدة السورية نقائص تضر بالحوزة السورية ضررا كثيرا منها ما كان أساسيا وجوهريا، وليست لها في مقابل هذه النقائص مزية واحدة تنمذ بها، وهذه النقائص وحدها كافية لجعلها دون المعاهدة المراقبة بدرجات شاسعة. وقبل الخوض بهذه النقائص أريد أن ألفت الأنظار إلى أمر جوهري في مثل هذه الباحث وهو ان بعض المؤيدين لهذه المعاهدة يجادلون ان يشتملونا بتمتداد الرمال لمل يقوتنا احصاء الجبال ويريدون منا أن نعوض في الفروع لملها تنواري عنا الأصول، فنحن في جميع أدوار جهادنا جعلنا المطالب الآتية الركن لنهضتنا وجعلت فرنسا الأغراض الآتية أهدافا في سياستها السورية لا تتحول عنها، فلنتظر ما أقرته المعاهدة السورية لتقابل بين نجاح فرنسا ونجاحنا:

الوحدة السورية أصرت فرنسا على عهد الوزارة الأتاسية في سنة ١٩٢٠ على ان سورية (شعوبا تتكلم العربية) ونحن أصررنا على أن سورية فقط، وأرئت المعاهدة في سنة ١٩٢٦ فافترت وجود لبنانيين وعلويين ودروز وسوريين تابعين بالاسكندرون وينفصل بعض هؤلاء انفصالا تاما، وبعضهم الآخر تربطهم خيوط أوهى من خيوط المنكبوت.

المصالح المشتركة أصرت فرنسا على عهد الوزارة الأتاسية في سنة ١٩٢٠ على أن تكون

يجوز هذه حرية بالاتفاقات ( أن يعهد الى ضباط من البعثة العسكرية الفرنسية القيام بقيادة فعليه مؤقتة في القرى العسكرية السورية » . ولكن هؤلاء الضباط يرتبطون بقيادة القطعة التي يملحون بها، وأما كلمة وضع هذه القطعة تحت تصرف الحكومة السورية والتي أراد أحد كبار الأخوان أن يقول أنها تعني ان هذه البعثة ثابتة للحكومة السورية فالسوريون ادرى الناس بمعنى الكلمات المعمولة فأصبح من كلمة ( تحت ) ان يقال ( فوق ) ، وما يسترعي الأنظار ان ليس على الحكومة السورية ان تضمن للقرى الفرنسية والعسكريين والبحريين المفردين فقط الزايات والمناعات التي كانوا يتمتعون بها في سورية حين تنفيذ هذا الاتفاق بل أن تضمن مثل ذلك أيضا للمستخدمين المدنيين الفرنسيين وعائلاتهم القيمين في الأراضي السورية .

وجاء في المادة الأولى من الملحق العسكري ( ان الحكومة السورية بحلولها محل السلطات الفرنسية تأخذ تحت مسؤوليتها القوى العسكرية المنظمة مع تكاليفها واجباتها العسكرية . وجاء فيه أيضا ان الحكومة السورية تضع تحت تصرف القيادة الفرنسية الوحدات في هاتين المنطقتين - جبل الدروز وبلاد العلويين - فتقوم هذه القيادة بتجهيد شؤونها وتعليمها والحكومة السورية تسهل استخدام ما يقتضي من الأشخاص المحليين للمحافظة على تلك الوحدات ) .

ففي هذين النصين ان سورية من جهة تأخذ على عاتقها جيشا من الامات، ألف ليحارب أبناء البلاد كلما رفعوا صوتهم ( وان هذا الجيش المؤلف سيكون نواة الجيش السوري القادم، وما بقي على الفاسد هو فاسد طبعاً ) . ومن جهة أخرى تسلم أبناء البلاد في جبل الدروز وبلاد العلويين مدة ثمانين سنين أخرى للقيادة الفرنسية والغايات الفرنسية مع ارضائها على تسهيل هذه المهمة .

وزاد في الطين بلة وفي ميزانية البلاد نكبه ان المراسلة الاولى تنص على اعتراف سورية بالحقوك المكتسبة التي حصل عليها في هذا الجيش الملتق، الضباط وصغار الضباط والعسكريون السوريون .

أين هذا عما فعله في رفضه الجيش المماثل الذي لفته انكلترا رفضا باتا بقضه وقضيضه خشيية على ميزانية وخوفا من انتشار اللاوطنية في الجيش الجديد الذي يؤلفه .

السورية والأمن الخارجى الذي تشترك فيه فرنسا على مستوى واحد، ثم ان كلمة (وفقا لعموم الاتفاق الملحق ) الواردة في هذه المادة من غير تعيين والتي حاول احد كبار الاخوان ان يخصصها بالمادة الثالثة والرابعة من الملحق العسكري ما وضعت بهذا الغموض الا ليشاركنا فرنسا في حفظ الأمن الداخلي اما مباشرة أو بواسطة بعثتها العسكرية التي تتمتع بجميع الصلاحيات التي تجعلها حكومة داخل حكومة، والأمر خطير اذا فرضنا وجود حكومة على رأس العمل في دمشق يرضى عنها المنوب السامي أو السفير الاول ولا يرضى عنها الشعب فكل محاولة للخلاص منها تنتهي بتدخل الفرنسيون للدفاع عن النظام، وقد جرى في العراق في الأيام الأخيرة هذا الانقلاب الخطير على يد الجيش العراقي ولكن البريطانيين لم يجرؤوا ساكتا لأهم لا شأن لهم فيه بل هو من شأن أبناء العراق أنفسهم كما تنص معاهدتهم بتلك العراصة التي لا تجعل مجالاً للتأويل .

البعثة العسكرية ولنبحث الآن في صلاحيات هذه البعثة العسكرية فقد جاء في المادة الثالثة حرف ( ألف ) من الملحق العسكري في المعاهدة السورية ان فرنسا تضع بعثة عسكرية تحت تصرف الحكومة السورية لتنظم جيشها ودركها وبحريتها وطيرانها العسكري . . . ويرجع امر أعضاء هذه البعثة في الادارة والانضباط العام الى رئيسهم الفرنسي ويقابل هذه المادة في المعاهدة العراقية ما جاء في الملحق رقم ( هـ ) من أن انكلترا تقوم بتقديم ضباط بريطانيين وعسكريين وجوية للخدمة بصفة استشارية في قوات جلالة الملك .

والبون هنا شاسع أيضا فالبعثة العسكرية في سورية هي كما قلنا حكومة مستقلة داخل حكومة أخرى تتناول بيدها ( باسم التعليم طبعاً ) جميع القوى في الدولة السورية حتى الدرك وهو البرليس المخصص بالارباب والوكول اليه حفاظ النظام في الدساكر والقرى، ثم ان وظيفة هذه البعثة ليست استشارية كما هي في العراق بل وظيفية مباشرة نافذة من ذاتها فلا ادري والحالة هذه كيف يتيسر الاستقلال في سورية وجميع قواها حتى المخصصة منها بالشؤون الداخلية البعثة هي بيد عسكرية أجنبية، ويزيد ان تحديد مهمة هذه البعثة وتأنيقها لم يتم بعد بل هو معلق على الاتفاق بين الحكومتين في المادة القائمة بين الصديق على المعاهدة وتنفيذها وثالثة الاتاني أنه « يجوز ( وكذا )

عندنا بما نص على الحكومة السورية في تنظيم القضاء من جهة أخرى وعناية ما تنتهي إليه، هذا التوفيق هو تقليل عدد القضاة الفرنسيين فقط وثمان بين تقليل العدد وبين إلغاء هذا النظام الجائر من الأساس.

أين هذا من موقف العراق الذي لم يتمهد لانكثرا بشيء، وجل ما فعله ان اجاز لمصبة الأمم ان تضع في خدمة العراق بضعة قضاة انكليز مدة تسع سنوات يكونون كسائر الموظفين العراقيين.

ويلحق بهذه الامتيازات الأجنبية، ما جاء في المراسلة الثامنة من تعهد الحكومة السورية باحترام الحقوق المكتسبة باسم سورية وحسبها للمنة الأشخاص الطبيعية والحكومة الفرنسية، ما لم نجد له شبيها في المعاهدة المراقبة.

ومن نقائص المعاهدة السورية الخاصة اقتصرها على فرنسا في جلب المستشارين الفرنسيين والموظفين الأجانب ( المراسلة الثانية ) وفي التعامل النقدي بين المملتين الفرنسية والسورية ( بروتوكول ١ ) ومنها الحصانة التي تتمتع بها الجامعات ومؤسسات التعليم والاعمال الأجنبية مما يحول دون توحيد التعليم والتربية والتجانس في الثقافة ( بروتوكول رقم ٣ ).

انا حرصنا كثيرا في هذا التحليل وهذه المقارنة، على ألا نخرج عن معاهدة العراق ليرهن لأبناء بلادنا بطريقة فاسقة على أن معاهدتنا هذه هي دون معاهدة العراق وتختلف عنها في اسس جوهرية تذهب بمغاي الاستقلال ومظاهره. اما الذين لا يفاضلون الا بعد الجلاء وهم معروفون او الذين يتسمكون بالميثاق القومي كاملا فلا حاجة بهم الى جميع هذا الكلام لأنهم أدركوا الناس بأن هذه المعاهدة لا تكاد تجلب لنا شيئا جديدا مهما لم يعترف به ولو جلبت علينا أشياء كثيرة ما اعتزفنا بها. ومن أراد ان يعرف صحة هذا الكلام فليستظر قليلا لأن التطبيق سيكون أفضل لتفسير للتصور. على أن الذي اعلمه علم اليقين هو ان الحماسة الأولى التي قويت بها المعاهدة في الأوساط العامية انقلبت الى قنور عند الخاصة. وحسي ان أقول ان من أعظم البراهين التي أصبح يقدمها بعض أنصار المعاهدة هي قوهم لتجرب، فليس في التجربة خسارة وإن تبدل اذيات يذهب بالسامة والضجر ( وإن تغير المول رجة ).

الأقليات وجاء في المراسلة الخاصة ان الحكومة السورية تكفل لفرنسا نفسها وليس لمصبة الأمم بقاء ضمانات الحقوق العامة المنصوص عليها في الدستور السوري للأفراد والطوائف.

في شأن فرنسا في أمور داخلية مثل هذه تتعلق بدستورنا؟ الا يعطيها مثل هذا النص حق التدخل كما تدخلت في الماضي؟ بل ان اتدباها من حيث هو كان قائما على ما يشبه هذه الدعوى فإين الأقليات يا ترى في المعاهدة المراقبة؟

لقد ضمن العراق لمصبة الأمم حقوق هذه الأقليات كما فعلت رومانيا وغيرها من دول البلقان المستقلة، فلم تعط مثل هذه الضمانات لدولة واحدة اخذت الأقليات دينيا لسياستها.

وان بقي أحد يظن أن الاختلاف بين المعاهدتين ليس جوهريا وان البرن ليس شاسعا فليضيف الى ما تقدم في النقائص الخاصة بمعاهدتنا النقائص الآتية التي لم يرد لها ذكر في معاهدة العراق والتي تجعل استقلالنا معدوم الفائدة، بل تجعل بيوتنا وحرابيتنا ومصلحتنا وكل شيء فوق أرضنا وتحت سماتنا قابلا للاحتلال في إبان السلم كما في إبان الحرب.

جاء في المادة السادسة من الملحق العسكري: ( ان الحكومة السورية تفتح تحت تصرف الحكومة الفرنسية جميع المواقع والأمكنة اللازمة لاحتياجات القوى الفرنسية ).

وجاء تحت المادة الثانية: ( ويحق للحكومة الفرنسية ان تستقي في هذه الأراضي ( الأراضي السورية ) وان تحدث فيها منشآت تكون عليها نفقة انشائها وتمهدها ).

وجاء في هذه المادة أيضا: ( ويجوز للحكومة الفرنسية ان تقيم على المخازن والمامل التي تحتفظ بها أو تخدنها اختصاصيين من القوى الجوية تترزم لهذه الغاية والحكومة السورية تمنح جميع التسهيلات لتمهد هذه المؤسسات والقائمين عليها ).

أما الامتيازات الأجنبية التي قفست نحبها في العراق فقد جددت عهدا

العظيمة في الشرق وهي حماية المسيحيين»؟ قال المسيحيون تيسان في هذا الصدد:

( وفرنسا تريد متابعة هذه الحماية في دائرة حقوقها النائمة ومسؤوليتها، وقد رأينا أن يكون حقنا في حماية الأقليات معترفًا به بصراحة فبادلنا مع مردم بك رسائل اشتدست على إفصاح مواد المعاهدة وتفسيرها ).

بل لا بد لمن أراد التعمق أكثر من أن يتقل إلى موقف الصحف الفرنسية من المعاهدة قبل هذه الدبلوماسية، التي زادت في طين بالنهاية، فإن الوعي اتأها من المصادر الرسمية لتحريك النعرة الدينية والتحويل بشأن حقوق الأقليات بدلًا كيف أرادت وزارة الخارجية الفرنسية أن توهمنا بحملة من الأحزاب الفرنسية، مديرة، على المعاهدة السورية وإقرارها ليراضي ضعاف الإيمان عليها ويستسلموا لها بكل شيء تطلبه في سبيل بقائهم على الكراسي، ما دام هذا البقاء منوطًا بهذه المصادقة.

وفي القطعة الآتية المأخوذة من جريدة الريبوبليك بتاريخ ٢١ نوفمبر الماضي بقلم جان بير جيران إضاح تام لخبايا توتخاها الوزارة الفرنسية الحاضرة من هذه الديبول التي خضعت أمامها الحكومة السورية، قال الكاتب المذكور: سيفحص البرلان الفرنسي هذه الأيام مسألة إقرار المعاهدين اللبنانيين والسورية فالأولى منها لا تثير صعوبات جمة، ذلك أن لبنان المحكوم بيد رجال ثقة من ذوي المحبة التي لا يخامرها شك هو بلاد نصرانية من بلاد البحر المتوسط مرتبط منذ أحقاب مدينة بعمير بلادنا، وهو لا يطمح إلى الدخول بصورة أكثر مباشرة في سلك الامبراطورية الفرنسية.

وعلى خلاف ذلك تمامًا قضية سورية العربية المسلمة الشريفة ذات الاقلية النصرانية الشديدة واستقلال مثل هذه البلاد يثير اعتراضات كثيرة.

أولاً - ان تأليف دولة سورية غير حليفة ولكن متحدة كما توتخاها المعاهدة هي عمل مصطنع فيه تحكم بخالف الواقع ولا يؤدي إلا إلى الأخطاء المحظورة.

ثانياً - ان هذه السيفساء من أجناس وأديان ومذاهب وعشائر لم تبلغ بعد حالة سياسية في مقدورها تأليف حكومة قابلة للحياة، وقد مضى أربعة عشر شهرا فقط منذ تركت حكومة السيو فينو الضعيفة الجبل على الغرب لحكومة سورية تتولى الأمور، فكانت النتائج بعيدة عن

وبعد هذه المقالة كتب الزعيم في المجلة المذكورة مقالة أخرى خصصها لما جاء في المعاهدة وذيولها عن حماية فرنسا للأقليات في سورية وعن احتمال تدخلها في شؤون البلاد بما يس استغلالا وسيادتها بحجة هذه الحماية وهذا نص المقالة المذكورة:

حماية الأقليات وقتت مصر ووقف العراق وقفة الحريص على استقلاله في وجه كل طلب حاولت انكلترا الحضور عليه منها لحماية الاقليات، فمثل هذه الحماية تعطي للدولة واحدة أجنبية إنما تعني التدخل المباشر من قبلها، وكانت العبرة لو كان السوريون الذين قاوموا فرنسا أخيرا يعتبرون فيها أصاب الدولة العثمانية من جراء هذه الحماية، وهي امبراطورية كبيرة ذات الحول والطول.

لقد تفرقت المعاهدة الفرنسية-السورية عن زميلتها ففصمت في الرسالة الخامسة على ما يكفل للطوائف أو للأقليات الحقوق العامة المنصوص عليها في الدستور السوري، وكان من الجائز على مضمون - مثلا - ان يعطي مثل هذا التعهد لمعينة الأمم كما فعلت رومانيا لأن التعهد لدول متعددة يختلف إختلافا كليا من حيث الاستقلال عن التعهد للدولة واحدة، ففقد السوريون بفرنسا وحدها تجرأ حق التدخل في شؤونهم بما لا يستقيم معه استقلال ولا حرية بخلاف التعهد بجموعة من الدول الكبيرة فان تضارب مصالح هذه الدول يكون ضمانا كافيا لعدم تدخلها، على رجال الحكومة الحاضرة في سورية هذا النص الواضح لما زعموه من أنهم لا يفسحون للحكومة السورية مجال التدخل المباشر لشؤون سورية الا بطريق الشكوى لجمعية الأمم وفقا للمادة التاسعة من المعاهدة، وفي عقيدتهم أن ( هذه الشكوى تستطيع كل دولة ان تقدم بها الى المعينة ضدنا اذا أخللنا بعهدا لنا فلا مزية لفرنسا على غيرها من هذه الناحية ).

فلنضرب صفحا الآن عن محاولة هؤلاء الرجال فيما ذهبوا اليه من التفسير المخطئة التي لا تستند الى شيء، ولنسألهم دام فضلمهم « هل قرأوا حديث الأقليات وحمايتهم في الديبول والملاحظات الأخيرة، وكيف ان وزارة الخارجية الفرنسية أوعزت الى الكاردينال تينوني بأن يأتي الى باريس حيث استقبلته استقبال الملوك وهست في أفذه بأن يطالب فرنسا بضرورة حمايتها على مهمتها

الإسلامي وحدة أدبية خاتمة، والواقع وأنا لا أعني أخطأ كان أم صواباً، أن الجلاء عن الشام سيبدو ظاهراً للجلاء عن تونس وعن الدار البيضاء. فمن يجرؤ على تحمل التبعة فيضع اسمه على أقيح تنازل عرفته فرنسا منذ سنة ١٧٦٣ أي منذ ما خسرنا الهند وكندا.

لقد حاربنا يومئذ حرباً مهلكة دامت سبع سنين أما اليوم فهل توقع فرنسا، وهي في بحرجة السلام، صك خرابها بيدها! انتهى.

نشكر فلدا الكاتب صراحته التي تكشف النقاب عن كل ما بيت لسورية من أمر الأقليات وحالتها وقد عرفت وزارة الخارجية بن تسمين التعبير عن غايتها، أما المفاوضات السوريون الذين أتوا بهذا الغل الجديد في الأعناق وحملوه تفسيراً للذيل رقم ٦ من المعاهدة فقد سمعوا جهدهم لتحويل الأنظار عن المعنى الأساسي الذي أورده المسير جان بير جيران إلى معانٍ ثانوية لا يقام لها كبير وزن كتحويل المسيحيين حقوقاً شخصية من زواج وطلاق وثيقة وميراث وغير ذلك من الشؤون، التي لم تنتم بها أحد، ليدروا بها الرماد على الميرون فلا يرى الناس الخطر المحدق بهم من تحويل فرنسا حق الدفاع عن الكناككة فقط بل الدفاع عن الدرزية والعلوية والأسماعيلية ولا سيما الأثورية في الجزيرة.

والرجوع إلى تاريخ الدفاع عن الأقليات في هذه المرحلة السياسية تلقي نوراً على هذا الموضع يجلبه للأعين المريضة. فلتترك الآن قضية لبنان وكيف فصل عن سورية وقضية عافطني جبل الدروز وجبل العلويين وما أصابها، ولتذكر أن فرنسا تحببت الفرصة من فئة الأثوريين في العراق لتقول إن معاهدته نافذة تقصاً مميماً من حيث حماية الأقليات فلا بد لها من ادخال هذه الحماية بصورة مضمونة في المعاهدة السورية وذيولها. وهكذا فعلت، فإذا حدث غداً كما هو الواقع أن العناصر غير السورية في الجزيرة طلبت لنفسها الاستقلال في سورية بداعي الفتن المصطنعة والتعديبات المأجورة عن بعض التنظيمات الناشئة، وهذه سهلة على من يعكر الماء ليصطاد فيه فلا تتقف فرنسا مكتوفة اليدين وذلك ليس لأن السكان في الشمال يعمون المولىين في باريس أكثر من السكان في الجنوب بل لأن في أحشاء الجزيرة زيتاً وعلى

التشجيع كل البعد. وكتب جريدة الأوربان في الماشر من شهر نوفمبر الماشر وهي من خيرة الجرائد اليومية وأوقعها في انتدابنا اللبناني السوري تقول: لقد دخلت سورية منذ الآن في أزمة إدارية<sup>٤</sup>.

ثالثاً - في سورية أقليات تركية ودرزية وعلوية تؤلف أربعين في المائة من مجموع سكان البلاد وهو لاء الشعوب كانوا في جميع الأزمان أصدقاء فرنسا. لذلك إحدات حكومة مستقلة ومنحدرة في دمشق كناية عن الحكم على هؤلاء المساكن بالإعدام.

ولا تنضم المعاهدة المقودة في اليوم الماشر من سبتمبر سنة ١٩٣٦ شيئاً للدفاع عنهم، وقد ألحق بها ذيل رقم ٦ مبهم غير واضح ينطوي على وعد من جانب واحد فقط وهو جال من الضمانات الفعالة. وعلاوة على ذلك فمعد التعهدات التي اتخذها على عاتقه المسير فنتو من غير تعبر ابتدأت الاضطهادات تعمل عملها فالتصاري والدروز إحتشدوا وهم مهردون في أمولهم وأرواحهم وسكون اقوار المعاهدة المدعوة إلى القيام بالمناجح الحقيقية. فهل تعفى الجمهورية الفرنسية من هذا الأمر يا ترى؟

رابعاً - أن المعاهدة لا تحمي مصالحنا إادية الحماية الناجمة فقد قالت الصحيفة الاستعمارية (فرنسا وراء البحار) ما يأتي أن الحكومة السورية تحت كابوس الماشر المتطرفة المعروفة بمداورة الفرنسيين لم تتخذ أي قرار بشأن تجديد عقد البنك السوري ولا بشأن امتياز الاستثمار النفطي.

(ليطمئن المسير جيران فالتوقيع على عقد البنك السوري تم هذا الأسرع وستتم التوقيع على امتياز الاستثمار النفطي قريباً ولا عبرة مطابقاً يانكار الحكومة المتكرر).

خامساً - إن الجلاء التدريجي كما نظرت إليه المعاهدة سيكون كارثة لإمبراطوريتنا جميعها. حتى أن الحكومة السورية منذ الأسس إشتريكت في قضية فلسطين، وبقى ثالث الاعتراف بوقفها انضمت إلى الكتلة العربية المؤلفة من العراق وشرق الأردن ومصر والمملكة السعودية وهذا ما يكون له أثر محزن على ممتلكاتنا في شمال أفريقيا، والعالم

ولم يكن الغرض من طرح هاتين المالتين اللتين أوضح الزعيم فيها عيوب المعاهدة وبقاؤها إلا ليرهن على أنه لم يقف منها موقفاً سلبياً يرمي من وراءه التهميد كما يتهمه خصومه، بل لأنه كان يحرض على مصلحة البلاد دون أي شيء آخر، ولا أدل على ذلك من تلبية الزعيم رغبة بعض اخوانه القدامى من الحاكمين بالذهاب الى باريس الفرنسيين بإبرام المعاهدة كمرحلة أولى على أن يحتفظ بحق معارضته لما لكي يتمكن في المستقبل من طلب تعديلها بما يجعلها تتساوى والمعاهدة العراقية من الإنجليز على الأقل، وقد سافر في شهر تشرين الثاني ١٩٣٧ الى باريس فعلاً وبذلك من أجل ذلك مع المسؤولين الفرنسيين فيها ما استطاع من جهد، ولكن ما العمل وكان الفرنسيون قد تكلوا عن إبرامها نهائياً، بيد أن خصومه اهتمه بالتقصير وبأنه لم يكن جاداً أساساً بالسعي وراء إبرامها ما دام معارضاً لها.

وربما كان نشر المالتين المذكورتين والتقصير في السعي - على زعم خصومه - قد خلق في نفس السيد جميل مردم أول بادرة من الحقد ضد الزعيم.

أما البادرة الثانية لهذا الحقد فهي زيارة الاستاذ الشيخ تاج الدين الحسيني الذي كان يقيم موقفاً في باريس للزعيم أثناء وجوده فيها ورد الزعيم الزيارة له في حدود ما تفرضه آداب المجاملة ولكن رجال الحكم الذين كانوا يعتقدون أن الشيخ كان يستغل لدى الفرنسيين ضدهم واحوا يتهمون الزعيم بأن زيادته للاستاذ الحسيني كانت بغية توحيد المساعي معه لنفس الغرض كما سيأتي بحته في فصل لاحق من هذا الكتاب.

هذا وقد غادر الزعيم بعد ذلك باريس قاصداً لندن حيث التقى خطابه المعروف في الدفاع عن قضية فلسطين في الحفلة التي نظمتها له الجمعية الملكية الآسيوية التي كان يرأسها المندوب السامي السابق لبريطانيا في مصر كما اشرت الى ذلك في ترجمة حياته في فصل سابق.

وبعد ذلك عاد الزعيم الى باريس ومنها الى القاهرة حيث لا تزال تقيم أسرته فبلغها في ١٤ كانون أول ١٩٣٧ بيد أنه عندما عاد من لندن الى باريس علم ان السيد جميل مردم رئيس الوزارة السورية موجود فيها وأنه وقع مع المسؤولين الفرنسيين ملاحق للمعاهدة بكل البلاد فيها بقيود جديدة جعلت المعاهدة شراً من الحماية، لذلك أثار الزعيم، الالبتعاد عن مقابلته خشية ان يظن بأنه راض عن المعاهدة وذنوبها وأنه متفق مع السيد مردم في ذلك. وهذه كانت

سطحها مليوناً فدان من أجود الأراضي الزراعية البكر. وبدلاً على ما يجري في الجزيرة في هذه الأوبة ان الحكومة السورية هناك في نفس وان موظفيها القلائل - ان كان لها موظفين - هم في خطر وتحت رحمة الجنود الفرنسيين وقد زار وزير الداخلية والخارجية حديثاً تلك المنطقة فرأى بعينه الجمود والبقاء ومظاهر العداة المسلح حتى ان الرجال الذين كانوا معه باتوا على الطوى لأن أهل الحسكة قاطعوه وقاطعهم بل قاطعوا السيارات التي اقتلهم فقموا عليها بيلقة من البنزين وما هذه « المناورات » الأخيرة من القبض على بعضهم وجلبهم الى دمشق فهي مناورات صيانية تمت بالاتفاق مع السلطة لستر هذه المخازي وللضحك على عقول البسطاء.

فحماية الأقليات هذه شئنة عرفناها من أخزم، وإذا وضع المستعبدون في حب الكراسي فوقها الترابيل لتنطية طمعها الزفر واختفاء رائحتها الكريهة فان الناس يعلمون ان ليس الغاية منها قضايا الطلاق ولا الزواج ولا مسائل النفقة أو الميراث وإنما يراد بها تحويل الرملة الفرنسية الحق في البقاء في المناطق المحتلة القديمة ما شاءت مصالحها وإضافة مناطق أخرى وعلى هذا النمط ستكون الجزيرة لها بما فيها من خيرات ومبرات.

وتتبرأ اللاذهان والإطلاخ الرأي العام على ما هو جوهري في حياتنا السياسية ووجدتنا القومية لا بد للوطنين البغيد من المصالح الذاتية والمنافع الحكومية من تأليف لجنة متعينة من أفراد هم من ذوي الاختصاص العلمي والروح النقاة البرية تذهب الى جبل الدروز وجبال العلويين والجزيرة لتري بعينها ما هي الأسس التي تدار بها هذه المحافظات المطموغ فيها وإلى أين وصلت وحدتنا المشدودة فيها، وهل خطونا الى الأمام حقيقة أم لا تزال حيث كنا على عهدنا القاصر، اللهم الا ما تظلمن به الصحف الحكومية بدمشق من تحيي حضرة المحافظ واجتماع حضرة المحافظ برئيس الوزارة أو وزير الداخلية والخارجية، حتى كاد اسم المحافظة المكرر ينسبنا أن هنالك محافظة تريد الأمة الاحتفاظ بها ولا يبالي الحاقنون ان يتنازلوا عنها.

ان تقريرا علميا بريحا على هذا النمط تنتظره البلاد بغارخ الصبر وهو عده الرأي العام في محاربة التذجيل السياسي الذي طلع منه الكيل والكذب الماني الذي لا يعرف الموازح.

٣- وفي ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٣٧ القى السيد جيل مردم من شرقه السراي بدمشق خطبا جاء فيه :

أنا لا أقول لكم - بأنني الشهيد الحلي - ( وهذا هو اللقب الذي أطلقه المرحوم المفقور له الزعيم الشهيد على نفسه في إحدى موافقه الخطابية الكبرى بدمشق ) لأن الشهيد هو الذي كتبت له الشهادة واختاره الله اليه ولائي رجل حي يفكر حي برحلي حي بالدفاع عن حقوق أممي... الى أن قال... لهذا لا يجوز لي بصفتي رجلا سؤلا أنراس حكومة وأعمل مع هؤلاء الاخوان أن أهابون في أمر مغيبه الاضرار بالقضية الوطنية . لقد عنت الحكومة عن فريق كبير من الرجال الذين كانوا خارج الوطن فعادوا الى أحضانه وفريق أظهر كرم نفسه وفريق أبي الا ان يظهر بظهوره الحقيقي اللثيم . اما الكريم فسوف نزيد باكرامه واما اللثيم فسرفقه عند حده... يقولون ان هناك معارضة فإين هذه المعارضة؟ ليست هناك معارضة ولكنها قول هزيمة ضمنية وأشخاص لا قيمة لهم ولا وزن ، فالمعارضة لا تقوم الا بأسس واضحة من مزاي الرجال الذين يقودونها ، وإذا وجد هؤلاء الرجال فانهم في الكتلة الوطنية الخ... الى ان قال :

أيها الاخوان : ماذا رأيت في باريس ؟ رأيت الوطنية المسترة والرجعية المتآمرة والحياة الظاهرة وقد تألفت جهود الجميع وآثروا على هذا الدور الوطني ولكن اني لم ذلك لأن نفوسهم ضيقة وليس لهم من الجراءة شيء ليظهروا بظهورهم الحقيقي الخ...

٤- في ٢٣ كانون الأول سنة /١٩٣٨ القى في الجامع الأموي خطبا قال فيه : ماذا يجب علينا هؤلاء أيها الاخوان؟ يعينون علينا أننا نجتمع اليكم ونحذركم ونظلمكم على كل شيء ونأخذ فتكم حتى ان البعض منهم لم يتق الله وقال ان هذه الحكومة هي حكومة رعاخ . اننا نفتخر بنيل الثقة من هذه الفئة التي ليس لها غاية ولا مصلحة ، أما الذين ابتعدوا عنا فهؤلاء هم المنافقون لسنة الله عليهم أجمعين .

٥- صرح في أواخر شهر حزيران سنة /١٩٤٠ / أمام السيدين شكري سكر والمحامي الاستاذ محمد حسن الخطيب أثناء البحث عن ضرورة توحيد

البادرة الثالثة في الحقد على الزعيم لذلك ما ان عاد السيد جيل مردم في أواخر كانون الأول ١٩٣٧ الى دمشق حتى انبرى الى مهاجمة الزعيم في الخطب التي كان يلقيها هنا وهناك والتي كان يترجم فيها عا في نفسه ضد الزعيم من غل وحقد ، ففي ٢٤ كانون الأول ١٩٣٧ القى في مدينة حلب خطبا حل فيه على الذين يعارضون هذا الدور قائلا :

في اوربا خصوم للمعاهدة كما في بلادنا خصوم لها وهؤلاء اولئك يلتقون على شاطئ واحد وغايتهم ان تنظم الأمواج في هذه المعاهدة فتعكر صفو الملائق بين الاثنين ليخلو لهم الجو في المآامرات والندس ، شهدتهم في باريس بالجرم المشهود ، منهم من يستتر بالوطنية ولا يعرف ماذا يطلب ، وماذا يريد إيجارب المعاهدة ام يطلب تمديدها ام يرفضها ، وهذا الفريق يتأمر مع الرجعيين ، لقد ذهبت ورددت كيديهم وفضحت دسائسهم ومآامراتهم...

١- في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٣٧ / القى أيضا خطبا في مدينة حماه قال فيه : ان هذا الدور لم يعد يتحمل دسائس ومآامرات ، وان الذين يطأهرون في الوطنية يجب ان ينتهي أمرهم بعد الآن وان الكتلة الوطنية التي قادت الأمة الى هذه النتيجة ستعرف كيف تحمي هذا الدور ولو اراقت في سبيل حمايته الدماء الخ...

٢- وفي اليوم نفسه القى في مدينة حمص خطبا آخر جاء فيه : لقد سمعت في الشبهاء وسمعت في مدينة أبي الفداء وربما أسمع في هذه المدينة أيضا بعض النغمات بأنه لم تقم الحكومة بقمع المآامرات والدسائس في البلاد ، وهذه النغمات تدل على ان الحكومة ضعيفة فاننا اعلن امامكم بأنني عائد بحرم شديد وعزيمة صلبة للقضاء على كل من تحدته نفسه بتعكير هذا الدور وعرقلة مساعي الأمة . ما كنت يوما من الأيام جانا ولم أكن يوما من الأيام احاب المدافع والطيارات حتى احاب هؤلاء الدسائسين ان تكن قد سكنتنا عن اعصامهم ومآامراتهم ودسائسهم التي لا نهجها كذلك حرصا على ان لا يقال بأننا نبغي ان نتقم من أحد ، لقد قلنا للجميع ودعونا للجميع للمساهمة في هذا الدور وأعلنا في كل المناسبات ان ميدان الكتلة الوطنية فسيح فأقدم من أقدم وأحجتم من أحجتم وهو لا عا الذين اقدموا لهم اللجنة فاما اولئك الكفرة فجهم ونس المصير...

المحققات والديول التي ألح الفرنسيون في طلبها والتي تسرب اليها منها ما يأتي :

أولاً : قبول نظام داخلي للجزيرة واسع النطاق باسم نظام المحافظات يهدد صلتها بسورية في المستقبل ويجعلها عرضة لا اصاب غيرها من المحافظات التي ستبقى جرحاً شفاؤه صعب في الجسم السوري ، و « الجزيرة » هي في الواقع ثروة السوريين بزرعها وضربها وتربتها والتجميع في أحشائها .

ثانياً : قبول اتفاق البنك السوري طبقاً لوجهة اصحابه الاساسية .

ثالثاً : قبول شروط النفط .

رابعاً : قبول عقود الموظفين الأجانب وتجديدها .

خامساً : قبول تعيين مستشارين اختصاصيين جدد .

سادساً : الاعتراف بحق فرنسا في الدفاع عن الأقليات وسن قوانين خاصة لاحولهم الشخصية وتوابعها مما يعود بنا الى حق فرنسا العتيق في الحماية الدنية في الشرق وما له من اثر فعال في احياء الطائفية الفتاكة التي كنا نتوقع زوالها بمارغ الصبر .

إن المعاهدة السورية - الفرنسية ضربة قاسية في حد ذاتها لم يبق أحد من أهل النظر إلا عرف شرفها المستطير والخطر الجسم النبت عنها . وحسبنا ان تناكر ما اصابتها منها من الكوارث المباشرة وغير المباشرة لتقدير اضرارها . فاذا أضفنا اليها هذه المهالك الجديدة ايقتا ايها أصبحت ضربة قاضية قد حصل التوسع الفرنسي بواسطتها على جميع مراميها القريبة والبعيدة ، فمثل هذه الحال حلتي وأنا في باريس على الابتعاد عن مقابلة السيد جميل مردم بك ، لا احتقاراً لشخصه الكريم بل خشية ان يطن أحد من ذوي الشأن من الجانب التي شريك له في اندفاعه واستسلامه بما لا يتفق مع الكرامة الوطنية ، فاخذ يتقم لنفسه بالقاء الكلام على عواهنه في خطبه الأخيرة في سورية من غير رادع يردعه وأسف إسفاناً لا يلبق بالرجل الطليق في الشارع ناهيك بالرجل القيد برياسة الوزراء عما لم يتعود لسنانا ذكره او الإشارة اليه .

لقد كان الأول يمثل هذا الرجل الذي تجرأ على الحق فقال عقيب نكبة الاسكندرية وذلك بعد عودته الماضية من فرنسا ( اننا لم نخسر شيئاً بل ربحتنا كل شيء ) والذي تجرأ على الحق فقال في باريس لجريدة الطان بتاريخ ٦ ديسمبر

صفوفهم أن الدكتور شهندر هو السبب الرئيسي في تهديم دورنا السابق وانفاء المعاهدة وهذا العمل يعد خيانة فظيمة منه يجب ان يعاقب عليها أشد العقاب .

٦ - صرح أمام الدكتور عبد القادر بك الزهراء والدكتور عبد الادريك راضي وغيرها على أثر اعتقال الوطني زكي بك الطليب واخوانه معناه :

لو كانت الحكومة قد استكملت صلاحياتها بتنفيذ مشروع المعاهدة لعلمت المعارضين على اعداء المشائق .

وامام هذه التهجعات الغليظة التي اقدم عليها السيد جميل مردم على زعيم البلاد الامتداد الشهندر بسائق الحقد ، لم ير الزعيم بدأ من حقن نفوذ وعرض ما ارتكب من توزيع ذبول المعاهدة من إساءات منذ طلع على الأنتظار وذلك بأسلوب رفيع من التهذيب وبعد عن الرواة ومن ذلك ما نشره في المحدثين المؤرخين ٣١ كانون أول من عام ١٩٣٧ و ١١ كانون الثاني من عام ١٩٣٨ من جريدة المقطم العمرية بالبيانين التاليين :

ان اضعف هذه المعاهدات التي عقدت اخيراً بين بعض البلدان في العالم العربي وبين أوروبا سواء أتي التطبيق أم لا هي المعاهدة السورية الفرنسية وقد زاد في البلاء المثلاد عنها ان السيد جميل مردم بك رئيس وزراء سورية نفسه انوط في التناء عليها عقيب امضائها حتى قال عنها ايها عروس الشرق وقال زميل له لم يبق لنا بعد الحصول عليها الا ان تسلم لنا فرنساي سلباً وقد اظهر السيد جميل اخيراً من اللهمة والجزع على منصبه من عدم اقرارها في مجلس النواب الفرنسي ما احدث في ذهن الفرنسيين عقيدة بان سورية تعد هذه المعاهدة صفقة رابحة وغنيمة فوق استحقاقها . فلا عجب والحالة هذه ان يجدوا في انفسهم حافزاً يحفزهم الى التشدد في الطلب والاستراة من عمل الديول والمحققات ولو في مثل هذا البحران السياسي الذي تقطرت فيه السكون وعدم التوضي سلامة لها ، وقد تشدد الفرنسيون تشدداً خاصاً لا يقتوا ان بعض الرجال القابضين على زمام الحكم باسم الوطنية في سورية مستسلمون خاضعون لكل طلب بالما ما بلغ خطره وضربه بالوطن ، ومما ما تحقق في الموقف المستسلم الخانع الذي وقفه السيد جميل مردم بك من هذه



للميزانية فلا يجوز عرض مثل هذه الموضوعات فيها. ولو كانت هذه الموضوعات تتعلق بأقدس حقوق البلاد، في حين انه أجاز نفسه في هذه الأيام ان يتغوه في مجلس النواب بالفاظ يترفع عنها في الأزقة، يحق من هم غائبون عن البلاد. ومن يدري ما هي البراءة المتوقعة على هذا المثل والتسويق أهالك طيخ سيطيح في مجلس النواب السوري واسترضاء ويلع ام هناك حرص على حل اعضاءه على تناسي ما اقدم عليه السيد مردم في جريدة الطان من عدم الاكتراث لقرارهم الصادر في ٣٠ نوفمبر الماضي برفض الحل الذي قالت به جامعة الامم في قضية الاسكندرية اذ يقول بتوقيع ج. ح. ٢٠ ما يلي:

ونحن مع ذلك قد انحنينا اما قرار جامعة الامم لصلحة السلام والتعاون الدولي.

فمن شأن هؤلاء النواب انفسهم ان يجاسوا رئيس الوزراء على جراته النادرة هذه في الاثبات عليهم بعد مرور اسبوع واحد فقط على تجديد قوارهم ومن يجز على الاثبات على اربعة وثمانين ثانيا والمرة بخصمين دولة يجز على الاثبات والمرة باهل الارض والسما.

ثم ان هذه الرسالة وحدها التي تلاها في الكتلة الوطنية ما سبقها وما لحقها من تصريحات :

أولا : ضرورة تعيين مستشارين فنيين فرنسيين جدد وضرورة وضع ملاكهم، غير ان السيد جميل يركع امام السيوي تيسان « فيرجوه رجاء شديدا ان تحصل سورية على مرشحين تقدمهم الحكومة الفرنسية من ذوي الكفاءة » ( انظر الرسالة التي تلاها في الكتلة ).

ثانيا : اعترافه بان الحوادث التي حدثت في الجزيرة « ادت الى ما يرجو من نتائج » وهذه النتائج التي يترجوها - من غير حياء - هي ان الحكومة السورية « المنطوية على هذا الشعور، تعد المحلة لتطبيق القانون الموضوع للمحافظات ».

وقد أشار السيوي تيسان الى هذا القانون بقوله في حديثه للاهرام : « لذلك بحثنا في النظام السابق، ويشتمل على قواعد الادارة التي تتلوا الادارة السابقة فكل ولاية تتمتع باستقلال اداري واسع. اذن فنظام المحافظات هذا

الحالي وذلك بعدما سمع إصرار مجلس النواب السوري على الاحتفاظ بقراره السابق برفض اتفاق سنجق الاسكندرون ( ونحن - يعني معاشر السوريين - مع ذلك قد انحنينا امام قرار جامعة الامم لصلحة السلام والتعاون الدولي ) والذي تجرأ على الحق في خطبه في حلب اخيرا فلم يرفقا بين المستشارين الفرنسيين الجدد الذين تقلبهم على سورية الشروط التي جعلها في جيبه وبين الموظفين الاجانب الذين تعيّنهم تركيا بحضن اختيارها، لقد كان الاولى بحل هذا الرجل ان يهصر كلامه فيما يحل من ذبول وملحقات ويدافع عنها بغير هذه الطريقة اللدالة على اضطراب شديد في الاعصاب وعدم ائزان في النفس. اما محاولته ان يغطي الساء بالقباء وان يصرف اذهان الناس في هذه الممالك القتالة بالسب والشتم فهذه محاولة خاسرة ستعقد عند جميع العقلاء وسيرى النتائج المريعة لسياسته هذه أم العين، وكل آت قريب.

لم يزل السيد جميل مردم بك في بيانه في الكتلة الوطنية في مساء الارباء خطاب مردم الماضي الا رسالة واحدة او رسالتين من جميع تلك الرسائل التي تبودلت بينه بك في الكتلة وبين وزارة الخارجية الفرنسية اخيرا مع ان الموضوعات التي تناولها الاتفاق متنوعة وخطيرة تتعلق بحياة الوطن، فابن هي يا ترى تلك الرسائل المتعلقة بالادارة الامركزية والشؤون العسكرية والتجارية والمالية والاقتصادية، التي اشار اليها السيوي تيسان ومنها اتفاق البنك السوري وامياز النفط طبعاً؟ ولم هذا السكوت المضطرب والبلاد على اخر من الجمر تنتظر بيانا وافيا لتعرف اين مصيرها؟ وقد لحظنا حتى في هذه الرسالة المختصرة التي اختارها من بين تلك الرسائل انه يتدأ بالمقدمة المققوة بين فرنسا وسوريا في سبتمبر سنة ١٩٣٦

ويحاول الا يخرج منها، كل ذلك اتباعا للحيلة التي كشفها مندوب الاهرام في جنيف في برقيته في الثاني عشر من الشهر الماضي وفيها ان السيد مردم بك سيقنع وزارة الخارجية الفرنسية بضرورة اعادة جميع المشاكل المختلف عليها الى اصل المعاهدة متنا وورحاً وجعلها مفرقة منها كيلا يتهمه اهل وطنه بأنه قبل شروطا جديدة لم تكن موجودة من قبل.

تلا السيد مردم بك بيانه في حزب الكتلة الوطنية بدلا من ان يتلوه في مجلس النواب كما وعد في باريس وعند مجيئه الى سورية وكما امر عليه السيوي تيسان وقد اعتذر مردم بك عن ذلك بقوله ان هذه الدورة البرلانية مخففة

في ازالة الخلافات الطائفية الكثرية - اذا شئت خلتها بحسب الحاجة من جديد - بين السوريين واما الغرض فهو افتخاره ان يكون كما قال مسلما وان تال الطوائف الأخرى حقوقا مثل حقوقه، وكذلك الجوهر بل جوهر الجوهر ان يطبق الفرنسيون على الجزيرة نظاما لا مركزيا واسع النطاق سموه « نظام المحافظات » كما يتبنى الكردستان تونى، انطلق توجيهه ابدتسم في هذا الكثر الذي هو امل سورية في المستقبل . واما الغرض الفارغ فيقول بميثاقها القومي ما يتعارض مطلقا مع ممارسة الحقوق التي ضمنت للجماعات التي يرجع اليها الملحق رقم ٥ معاهدة ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٦ .

هذه كلها سموم ناقعة يحاول السيد جميل مردم بك تليعها ابناء سورية بطلها بالعسل كما يطل ( السنامكي ) بالشوكولاتة ليلمه الأطفال، ولكن ابناء البلاد سيطحنون الجرعة المعسولة بمطحنة العقل ليرا السموم المدسوسة فيها .

وفي الختام اننا نضرع الى دولته بقلوب ترتعش من الفرع ان يقلل جهد الطاقة من التهديد والوعيد والسحق والبطش واستعمال القوة وان يوفر جميع ذلك لتأديب من خطفوا له عاقل الجزيرة وهم امام عينه يترأون ويسخرون ويرتعون ويلعبون .

إن الوضع السيء الذي آلت اليه سوريا في ذلك الحين، بسبب معارضة الزعيم الشهبندر واخوانه المحقة للمعاهدة، وتأيد السيد جميل مردم وكثير من اخوانه بالباطل لها، قد خلق انقساما في صفوف الشعب وعدااء بين قادة الجبهتين فان الوضع اصبح يندرك بكارثة، وهذا ما حدث فعلا وتفصيل ذلك :

ان الزعيم الشهبندر بعد ان عاد من باريس الى القاهرة وانهى اعماله فيها وعاد الى وطنه في ٢٧ تموز من عام ١٩٣٨ وتوجه تورا الى منزل والده قريته في مصيف بلدان للراحة والاستجمام، ولكن مع الأسف ما كاد يرتاح من وعاء السفر حتى فوجئ به بأمر اداري استبدادي يخالف للمستور، يقضي بحجز حريته في الدار التي نزل فيها، ومنعه من الاختلاط مع اي كان. وسخرت قوى الأمن من شرطة ودرك لمنع الناس من الدخول الى الدار المذكورة، في الوقت الذي كانت الامة تستعد لاستقباله با يفتن مع مقامه الكبير ومزنته الرفيعة في البلاد، وقد كتبت جريدة بيروت المساء اللبنانية في عددها المؤرخ ٢ آب عام ١٩٣٨ حول هذا التدبير الشنيع المقال التالي :

انما ذكر من جديد بمناسبة الجزيرة، ووضع خصيصا لها كي تتمتع باستقلال اداري واسع النطاق كما كانت الاسكندرية تتمتع به ولا عبوة بالشمول الوارد بحق الولايات الأخرى فهو للتمعية والنشر .

ثالثا: اما الأقليات فقد اعترفت المعاهدة بحماية فرنسا لهم صراحة. ولكن المباحث التي دارت في هذا الشأن تلقي على هذا الموضوع تورا براه حتى الأعمى. قال المسيودي تيسان في حديثه لجريدة الأهرام: « وقد جاء الكردستان تونى الى باريس ( كما يجيء الملوك الفاعون ) ملبعا بضرورة محافظة فرنسا على مهبتها المنظمة في الشرق وهي حماية المسيحيين . وفرنسا تريد متابعة هذه الحماية في دائرة حقوقها التامة ومسؤولياتها . وقد رأينا ان يكون حقنا في حماية الأقليات معتزفا به بصراحة، فتبادنا مع مردم بك رسائل اشتملت على ايضاح مواد المعاهدة وتفسيرها » .

رابعا: سكوت جميل بك سكوت ابي الهول عن امتياز البنك السوري وامتياز النفط، وقاته ان السكوت، في وقت الحاجة الملحة الى الكلام اقرار غير ان الناس قد ادركوا من نص الرسالة التي تلاها في الكتلة وشار فيها الى ما نصت عليه المعاهدة ( من ناحية السياسة والادارة والاقتصاد ) ان المقصود من ذلك هو البنك السوري ونفط الجزيرة، ويؤيد في هذا الموضوع ايضا قول المسيودي تيسان في حديثه « واما المسائل الأخرى الملحة بالمعاهدة فقد سميت من الوجهة المالية والتجارية، بحيث يتجنب وقوع مشاكل وصعوبات في وقت الانتقال من نظام الى آخر » فابن هي الرسائل التي تدل على تسوية هذه المسائل الأخرى يا ترى؟ ولماذا طرئت الآن طي تاريخ الخليفة في أعماق طبقات الأرض؟

ان الجوهر في جميع ما تقدم هو ان السيد جميل مردم بك امضى اتفاقا مع فرنسا ترضم توجيه سورية على قبول مستشارين جدد - علاوة على القداماء الموجودين طمنا - ووضع ملاك لهم. والغرض الفارغ هو ان جميل بك يحاول ان يدافع عن موقفه المستسلم بقوله اهم سيمتزون بعد الآن موظفين سوريين مع ان بيان وزارة الخارجية الفرنسية يتضمن نضا صريحا على اهم « سيدعون متعاونين فرنسيين ». وكذلك الجوهر هو ان فرنسا عادت الى ما كانت عليه في القرون الخالية لحماية الكفلكة في الشرق فرجعت بالبلاد الى القرون الوسطى وقسمتها الى طوائف وأديان، وجاء السيد جميل الآن يحكمها

الصوت ان يجتق، والسوريون كلهم والعرب من ورائهم ينتظرون من بعد ان يحطم ميثاق الكتلنة على سياسة مردم ان يبدأ العهد الانتقالي الذي طالما حنت اليه سورية، وان يؤدي الرسالة المقدسة اليي يجيش بها صدره الكبير.. اما وقد خسانتكم الاعصاب، وفل ونخر الضمير حكمتكم وزادت لكم صور انزواكم الريعة امام وطنية الزعيم، وثافت الشعب حرله، فختفتكم المضمومة الشريفة بيدي المايجر الخائفة، وحلتم بين الشعب وبين زعيمه لتناموا ليلة هادئة قبل بدء النضال. ولكن... اليس لهذا الليل من صبح زبور وشمس؟

انا نأسف ان يكون طراز تفكير حكومة الاستاذ مردم بك طرازاً عتيقاً لا يتفق والمثل العليا الجديدة ولا تمشي مع ابسط مبادئ التربية الاخلاقية والوطنية.

لقد عاد الشهيد هادنا ودعا لم يعلن في سوريا معارضة ولا برنامجا، فعلاكم تخافونه، انكم في الحقيقة اصبحت تخافون سوء المصير الذي ينتظركم.

وانه لقریب... .

في اراثل شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٨ ألقت الحكومة المستبدة هذا التندير وذلك بناء على نقمة الشعب التي اشتدت على المتسلطين على الحكم في ذلك الحين وعلى رأسهم المرحوم جميل مردم.

وعقب الغاء هذا التندير الاستبدادي توجه الزعيم الشهيد من بلودان الى دمشق واستقل فيها استقبالا شعبيا يليق بعظمته، وبعد الخفلات التي اقيمت على شرفه وكان يلعب بخطبه الرثانة افئدة سامعية، قد أسس مكباً له ولاخوانه في عرزنس - الصالحية ليجتمعوا فيه كما افتتح لنفسه عيادة طبية امام مدرسة الراهبات بقية خدمة الانسانية. وفي ١٣ مارس من عام ١٩٣٩ اجتمع اعضاء مكتب الزعيم الشهيد في منزله وصدر عن المكتب المذكور بيان نشر في العدد المورخ ١٤ مارس من عام ١٩٣٩ من جريدة الف باه وهذا نصه:

اداع مكتب الزعيم الشهيد البيان الآتي:

في الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم السبت ١٣ ايار الجباني

خفقوا عاد الزعيم السوري الكبير الحكيم عبد الرحمن الشهيد الى سوريا الحسومة صامتا هادنا وفعل ان يهبط بلودان، وان يستمتع براحة هو في الشد الحاجة الشريفة اليها، ولكن الكثيرين من اخوانه المخلصين، ومن الذين يؤمنون بزعامته، لا تم ويعتقدون انه رجل الساعة، ابوا عليه هذه الراحة، وادادوا ان يقوم الشهيد بقسطه من العمل في هذه الفترة الدقيقة، دفعوه الى الشخصوس الى دمشق ونظموا برنامجا لاتقا لاستقباله، ولكن حكومة « حلسا التبعات الجسمام » رأت في هذا الاستقبال الشعبي تحديا لها، وخافت ان تهوي تحتها هذه الكراسي التي تنعم بها، فمتمت الاستقبال وابلنت الشهيد ان التظاهرات والخطب متنوعة، وازعزت الى الصحف ان لا تذكر شيئا عن هذه التندير... .

لقد خطب الأستاذ مردم في مسجد بني امية بعد صلاة يوم الجمعة الفائت، ودعا الناس الى الاتحاد وقال: « اني اريد ان ارغم الجميع على الاتحاد لان في التفرقة الخذلان وفي جمع الكلمة النجاح »، وها هو الرئيس مردم ينفذ خطته ويرغم الزعيم الشهيد ان يقع في الصيف السوري، ويحاصره في بيته ويسجنه بين جدران اربعة باسم هذا الاتحاد الذي يدعوه اليه، وما عرفنا ان الاتحاد يأتي عن هذه الطريق، طريق العنف والرعونة، وما علمنا ان التضامس يتم بهذه الاساليب التي لا تتفق مع مبادئ هذا العصر وهيبة الحكم وجلال السلطان.

وليس الشهيد بالرجل الذي يحطم هذه السهولة، فرعاية الشهيد راسخة رسوخ « قاسيون » وله من علمه واخلاصه وبعد نظره ما يجعله يترأ بهذه الاساليب التي تعودها منذ ان كان رطب العود يرشفت العلم في منارة الشرق ويعالج القضايا الوطنية وهو طالب في « الكلية السورية الانجيلية » بالأمس و « جامعة بيروت الأميركية » اليوم، ولقد صمد للترك ودعا الى الاستقلال والحرية يوم كانت الاسن مقولة والافلام محطمة والحريات مقيدة، وهاجر من وطنه، وتم شطر الصحراء في أيام الحرب، وكان في صفوف المجاهدين في أثناء الثورة السورية يقصم جراحات الاطال وينير لهم الطريق، فما بال الاستاذ مردم يريد ان يتناسى هذه الصفحة السالمة من صفحات الجهاد الوطني، ويود ان يجتق صوت الشهيد، وحاشا لهذا

الحاذق والزراع المنتج والصحافي المفكر والمخيط القوه والسري  
الامثل والجندي الباسل والاداري الجرب واليكفم والى جهودكم  
المباركة يعود معظم الفضل في القضاء على حكم الرماح الشبان  
الذي لطمخ اصحابه بالمار والشار فانقذتم بملككم هذا سمعة  
البلاد وبنيتوها عما كان بيت لها في الظلام الدامس.

واني على يقين انكم ستكونون في المرحلة الجديدة كما كنتم في  
المرحلة القديمة على انتم وفاق واشرف اخاء لا يشيكم وعد ولا  
يخونكم وعد ولا يصلحكم صداد عن خدمة الامة والسير في  
طليعتها ومواصلة الجهاد بشقي الطرق المشروعة التي سلكتها  
الامم الحية قبلنا الى ان ننال اماننا الوطنية ونحقق رغائنا  
القومية.

ما هو مهباجنا؟

تردد على ألسن الكثيرين ما هو مهباجنا العملي كائهم قد نسوا  
اننا نشرنا هذا المهباج الذي افضيته وأفضته ممنا النخبة المنتخبة  
من اخواننا في مساء الجمعة الواقع في ١١ تشرين الثاني سنة  
١٩٣٨ واهم بثوده الا تقل ماهدتنا مع فرنسا عن معاهدة  
المراق مع انكلترا، وان تكون سوريا عضوا في الاتحاد العربي  
الانتظروا، وان تضمن الحريات على انواعها وان تنفذ البلاد من  
الفوضى التي كانت تلج فيها، وان توجه الى اقامة حكم صالح  
يحيد الى السوريين سمعتهم. هذه هي الاغراض التي نشرناها  
على الملأ ولا يزال الحاجة الى تحقيقها حاجة ملحة حتى ان تغيير  
الحكومات لم ينقذ البلاد الى الان من اذئاب الجرمين وتجهتهم  
على الحريات الشخصية.

موقف فرنسا في بيان المميد

اما موقف فرنسا من سورية فقد اتضح إتضاحا كليا من بيان  
المفوض السامي مساء الامس فقي هذا البيان للدلالة الكافية على  
القواعد التي يراد اتخاذها اساسا للتماقد مع سوريا وهي  
النصوص التي سبق ان وقعنها الحكومتان الفرنسية والسورية  
وفيها الملاحق والليول طبعا، وتطبيق نظام لا مركزي على  
المحافظات، ارضاء لا يدعى رغبات سكانها وهو نظام لم يعين بعد

اجتمع في منزل الزعيم الدكتور شهبندر اخوانه السادة الاتية اسماءهم :

زكي الخطيب ، ودرويش العجلاني ، وسعيد محاسن ، ونصوح بابل ،  
وهاني الجلاذ ، وفراد القضياني ، وحسن الحكيم ، وميزر العجلاني ، وميزر  
المحايدي ، وشفيق ديباب ، وكامل هنانو ، وبشير اللحام ، وعارف  
التوام ، ورشيد بقدونس ، وعارف الحجار ، ومدني الحبيبي ، وشهاب  
الشماط ، وحسن قتلان ، وتيسير ظبيان ، وأمين سعيد .

واعتمد عن المحضور فوزي بك البكري لسبب سفره الى بغداد .

وافتح الاجتماع معالي الزعيم الشهبندر فالتقى الكلمة الاتية :

## كلمة الزعيم

### اخواني الاعزاء

من دواعي امتناني ان تشرفوني هذا المساء لاراكم مجتمعين  
لاول مرة منذ ما غادركم الى القاهرة لقضاء بعض شؤوني  
الخاصة المستعجلة ، وكنت شاعرا ان بعض المستخرين سيتحدثون  
من سفرى هذا ، الملم عند بعضكم ، مستندا لدعايتهم الالاقة  
الحقيرة فانهلثهم حتى يجتنبوا بسومهم ، وان هذا الاجتماع  
المبارك الذي شرفتموني به هو من تلك الاجتماعات التي كنا  
نعتقدا مكم للتداول في الشؤون المهمة التي تتطلب راكهم ،  
واننا الان على ابواب احداث سياسية قد يكون لها ابعاد الاثر في  
مستقبل بلادنا سواء في شؤوننا الداخلية ام في شؤوننا الخارجية ،  
وذا كان تضامنا في الماضي امرا مستحبا فقد اصبح اليوم والحالة  
هذه فرضا عجا .

### المرحلة الجديدة

انتم تعلمون علم اليقين انني منذ ما شرعت في درس  
مشروع التنظيم اتجهت الى التعاون الصميم مع حضراتكم  
والاستشارة بآرائكم الصائبة والاستماعة بكفاحكم وباليديء  
السامية والمقائد الراسخة التي تتحلون بها . ولا مناص للوطن  
من الاعتماد عليكم في اجتياز المرحلة الجديدة التي لا بد من  
ملاققتها لما في القريب العاجل فانتم ولا جدال من النخبة المنتخبة  
من أبناء الوطن فمئكم العالم العامل ، والمحامي البارع والطبيب

استقبلت وأن الرئيس استقبلها الى يوم الاثنين انتظارا لوصول المفوض السامي الذي سيتول شروح ما يحتاج الى الشرح من يثاته الجديد.

ثم حت اخوانه على الاستمرار في العمل الوطني بسبب الموقف الحاضر ولواجهة الاحداث المنتظرة.

جلسة دراسية البيان  
وتكلم الاساتذة تيسير طبيان وسعيد حاسن وعارف الحجار وامين سعيد في موضوع اقتراح الزعيم الخاص بانتخاب لجنة للدرس بيان المفوض السامي من الوجهة القانونية والحقوقية وتقديم تقرير واف للهيئة العامة وانتخب هذه المهمة الاساتذة زكي الخطيب وسعيد حاسن ونصوح بائيل ومير المعجلاني وامين سعيد وتقرر ان تجتمع اللجنة في الساعة الخامسة مساء غد الاحد في منزل درويش بك المعجلاني لوضع بيان واذاعته يوم الاثنين.

الهيئة الشهيدرية  
ووافق الحاضرون على ان يطلق على الهيئة اسم الهيئة الشهيدرية.  
وتقرر ان تجتمع الهيئة العامة في الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء المقبل في منزل درويش بك المعجلاني لمواصلة دراسة الحالة الحاضرة.

وبعد كل ما ذكرنا حول الخلاف الذي قام بين الزعيم الشهيد والسيد جميل مردم رب سائل يسأل عن الاسباب الحقيقية التي دفعت بالسيد جميل مردم بان يقف هذا الموقف العدائي من الزعيم الكبير والجواب على ذلك هو:

- ان الزعيم الشهيد كان ينوه في احاديثه الخاصة بعد عودته واخوانه من مصر الى الوطن، وفي بعض خطبه بفساد الوضع وبعدمه عن قواعد الحكم الصالح وبفهم الدولة، وبظنيان المصالح الشخصية فيه على المصلحة العامة، ويتعين الاقارب والانصار في الوظائف والمناصب معها كائنا، وكساية الاجنبي وكتيمان الحقائق عن الشعب وما الى ذلك من المساوئ التي ادت الى تدهي الحالة في البلاد. يضاف الى ذلك ممارسته للمعاهدة وتجريد المقالات ضدها، وكذلك المبادرة التي حدثت في باريس والتي اشترنا

ويدل عليه ما جرى في جبل الدروز وفي بلاد العلويين. وتنظيم جديد للمعاون العسكري بين فرنسا وسورية لا يدري احد مداه وكم تكون التزامات سوريا فيه، واستخدام القوات الفرنسية للدفاع عن البلاد خارجيا وحفظ النظام في الداخل على الطريقة التي ترضي فرنسا ومفوضيها، وضمان حقوق الاقليات الجنسية والدينية.

سوريا لن ترضى بهذا البيان

هذه هي القواعد التي يراد بنا الرضا بها والسير على مقتضاها ومن المؤسف حقا ان جميع هذه الاختيارات المبررة منذ الاحلال الى اليوم لم تقع فرائسة بعد بانسورية عوي في مقدمة البلدان العربية التي جاهدت للحرية والاستقلال، هي بلاد نجد لا هازلة في تحقيق امانيتها وابا لن ترضى بهذا البيان الناس بكرامتها واستقلالها ولا بأي موقف سياسي هو دونه في الاقطار الشقيقة. ولا بد لنا من تأليف لجنة تبحث هذا الموضوع بحثا دقيقا قبل اصدار بيان فيه.

انشاء مكاتب وفروع للمغرب

ثم نحن في صلبنا الوطني لا بد لنا ان نشرع قريبا في انشاء مكاتب وفروع فيكون لنا في عاصمة كل محافظة ويكون لكل لجنة فروع في الاقصية والمحقات تقسم كذلك خيرة ابناء المنطقة الشهود لم بالنزاهة وهكذا يصل تنظيمنا الى اقصى الحدود ونتممون جميعا في الخدمة العامة في اتصال الامة الى حقوقها.

وليس هناك ما يمنع من ضم من ننوهم فيهم الاخلاص وحسن القصد الى هيئة الماملين متى توفرت فيهم الشروط المطلوبة ورأينا في ضمهم مصلحة عامة فامضوا في جهادكم ونضالكم وبرهنوا لامة باصالحكم على انكم خير من يصلح لقيادتها والسير في طلبيتها باخلاصكم واتحادكم وتفايكنم في اداء الواجبات الوطنية التي اخفتم على عاتقكم القيام بها ولن يضع حق امتلاككم يطالبون به ويجعمون كلمتهم للحصول عليه.

ولما انتهى منها قال انه كان في زيارة فخامة رئيس الجمهورية بدعوة منه، للبحث في الموقف الحاضر، وانه فهم بان الوزارة

حال فان السيد مردم ارغى وازيد وهو على كرسي الحكم وهدد وترعد  
فاضطر اخيراً الى النزول عن هذا الكرسي بعد ان صيب الشعب بمظالمه  
الصاخبة ضده جام غضبه عليه كما أشارت اليه المصحف المحلية<sup>(١)</sup>.

(١) ذلك في حين وبعد ان غضب رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي  
شكر الفئيد لاقدامه على تلك الاتفاقات المشؤومة دون ان يكون مفوضاً بتوقيعها  
هذا وان دل على شيء فانما الرعيم الشهيد كان في موقفه على حجة وان السيد  
مردم كان على باطل.

اليها آنفاً وما الى ذلك من خطب وتصرّجات وبيانات، وقد زاد الطين بلة نشر  
الرعيم في شهر تشرين الثاني من ١٩٣٨ في بعض المصحف العربية بيانات  
شديدة اللهجة بشأن الاتفاقات التي وقعها اخيراً السيد جميل مردم مع  
الحكومة الفرنسية في باريز، كذيول لمعاهدة ١٩٣٦ والتي جعلت المعاهدة  
المذكورة شراً من الانتداب، خصوصاً وقد جاء في البيان المذكور قول  
الرعيم:

( لم يبق بين افراد الامة من يجهل المصائب التي حلت بالوطن العزيز من  
جاء السياسة المعروفة التي اتبعت منذ امد غير بعيد. ولئن صيرت انا  
واخواني العاملون، وتربيتنا كثيراً في ارسال كلمتنا النهائية الى ابناء الامة  
الكريمة، فلأننا حرصنا كل الحرص على ان تكشف الحقيقة عن نفسها، وان  
يرى الاعمى قبل البصير الاخطار التي نهت الامة اليها وحذرتها من الوقوع  
في شركها منذ نشرت المعاهدة حتى اليوم.

اما وقد جاءت برقيات (هافاس) التي اذيعت يوم امس ونشرتها  
المصحف عن اتفاقات باريس الاخيرة مؤيدة - وبلا لاسف - جميع الاخطار  
التي ذكرتها في جنبها، ومثبتة على اقتضاها وإيجازها، ان المعاهدة السورية  
بعد هذه الاتفاقات صارت شراً من الانتداب بل اقرب الى الحماية منها الى  
المعاهدة، فقد صار لزاماً عليّ ان ألي واجب الوطن المقدس وأحقق دعوة  
الكثيرين من اخواني الوطنيين المخلصين سواء من كان منهم متتبياً الى  
احزاب سياسية معروفة في البلاد او من كان وطنياً مستقلاً عرف باختلاصه  
وشرفه فاعمل وابهم بعد هذه الكارثة على تنظيم الراي العام وتبنيته لدفع  
الخطر الذي يهدد حوزة الامة).

نعم كل ذلك مجتمعاً اقض مضجع السيد جميل مردم ودفعه الى اخذ هذا  
الموقف العدائي ضد الرعيم الشهيد، طناً منه ان ذلك تشهير به وتثديد  
بأعماله، مع ان غاية الرعيم في كل ما صدر عنه لا يخرج عن حدود المصلحة  
العامة وخدمة القضية السورية التي وقف حياته عليها. وكانت ثلاثة الاتافي  
الثفاف الشعب حول الرعيم وحفاظه به ولعل ان اسم الرعيم في اوربا  
واميركا والاعتراف به كرعيم لسوريا، وهذا ما اوقد نار الغيرة والحسد في  
ففس السيد جميل مردم وزاد في حققه على الرعيم وكرهه له، لذلك بدا وكأنه  
كتب على جنبته بان يضم له شراوييت له امرا والله اعلم بالحقائق. وعمل كل

الفصل السادس

اخيرا الى الزعيم

## الخيار الرابع الزعيم

دأبت الأمم المتحدة على تكريم العاملين المخلصين من أبنائها وعلى رفع شأنهم وإطراء عاهدهم أيام حياتهم وإقامة التماثيل لهم بعد وفاتهم تحليداً لذكورهم وتذكيراً للناس بهم لينسجوا على منوالهم .

والشعب السوري النبيل لم يكن أقل من تلك الأمم في تكريم أبنائه البررة تقديرًا لأعمالهم وتضحياتهم في سبيل أمتهم وبلادهم واعترافاً بفضلهم . ولا أدل على ذلك من استقباله الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يوم عودته واختارته في الرابع عشر من شهر أيار ١٩٣٧ من مصر بعد اغتراب دام اثني عشر عاماً ، وقد وصفنا آنفاً هذا الاستقبال الرائع المنقطع النظير والذي لا يضاهيه في روعته إلا استقبال سمو الأمير فيصل عند عودته من مؤتمر السلام عام ١٩١٩ .

يبد أن الشعب مهما ارتقى في تربيته السياسية لا بد وأن يوجد بين المستنلين بالسياسة فيه، من اعماهم حب الذات وأكل صدورهم الحقد والحسد وكذلك من اعتادوا أن يزيغوا آراء غيرهم مهما كانت صحيحة ، ويتهموا بالخيانة والعمالة كل من يبدي رأياً مخالفاً لرأيهم ، لذلك ساء هذه الفئة الخائفة الحاسدة أن يلمع اسم الشهبندر وأن يعترف به في أوروبا وأمريكا كزعيم لسوريا، ويورد اسمه في الصحف ألف مرة مرة في حين لا يذكر اسم أي واحد منهم إلا نادراً ، أو لا يذكر شيئاً ، وما ذلك إلا لأنه ليس فيهم من يتحل بجل ما يتحل به الزعيم الشهبندر من علم واسع وعبقريّة فذة وقدرّة خطافية ساحرة كان يهب بها روح الجماهير وما إلى ذلك من كريم الصفات ، لذلك لم يتورعوا عن الكيد له وبث الدعايات المفضنة



## الزعيم الزعيم

دأبت الأمم الحية على تكريم العاملين المخلصين من أبنائها وعلى رفع شأنهم وإطراء عمامهم أيام حياتهم وإقامة التماثيل لهم بعد وفاتهم تخليداً لذكورهم وتذكيراً للناس بهم لينسجوا على منوالهم .

والشعب السوري النبيل لم يكن أقل من تلك الأمم في تكريم أبنائه البررة تقديرًا لأعمالهم وتضحياتهم في سبيل أمتهم وبلادهم واعتزافاً بفضلهم . ولا أدل على ذلك من استقباله الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يوم عودته وأخوانه في الرابع عشر من شهر أيار ١٩٣٧ من مصر بعد اغتراب دام اثني عشر عاماً ، وقد وصفنا آنفاً هذا الاستقبال الرائع المنقطع النظير والذي لا يضاهيه في روعته إلا استقبال سمو الأمير فيصل عند عودته من مؤتمر السلام عام ١٩١٩ .

يبد أن الشعب مهما ارتقى في تربيته السياسية لا بد وأن يوجد بين المستغلين بالسياسة فيه، من اعمامهم حب الذات وأكل صدورهم الحقد والحسد وكذلك من اعتادوا أن يزينوا آراء غيرهم مهما كانت صحيحة ، ويتهموا بالخيانة والعمالة كل من يبدي رأياً مخالفاً لرأيهم ، لذلك ساء هذه الفئة الخالقة الحاسدة أن يلمع اسم الشهبندر وأن يعترف به في أوروبا وأمريكا كزعيم لسوريا، ويردد اسمه في الصحف ألف مرة مرة في حين لا يذكر اسم أي واحد منهم إلا نادراً ، أو لا يذكر شيئاً ، وما ذلك إلا لأنه ليس فيهم من يتحلّى بمثل ما يتحلّى به الزعيم الشهبندر من علم واسع وعبقريّة فذة وقدرة خطافية ساحرة كان يلهب بها روح الجماهير وما إلى ذلك من كريم الصفات ، لذلك لم يتورعوا عن الكيد له وبث الدعايات المفرضة

## الوطن النجم

بعد موت زعيمه بيد القدر والاجرام

هل عرف هؤلاء الذين اغتالوا الشهيد أسس أمة جريئة ارتكبوا ، وأية صفحة طورا ، رأي رجل حرموا البلاد منه ؟

إنهم لو عرفوا ذلك لا أقدموا على جرأتهم الشنعاء مهما كانت الدوافع اليها ، ومهما كانت الغريبات المشجعة عليها ؟

ولكن هؤلاء الضملاء عرفوا الشهيد اسما فقط ، ولم يعرفوه زعيما وعالما ، ومصلحا وطنيا وجهادا وخطيبا ، ووطنيا صادقا ومؤرخا أميناً ، ولو عرفوا هذا لترددوا طويلا في الإقدام على الجريئة ، ولو جلدوا من الضمير مهما ضعف رادعا يردعهم عن جنائهم التي غمرت النفوس بالسخط والنقمة .

ماذا فعلتم يا هؤلاء ؟

لقد أسأتم الى الوطن إساءة لا تغفر

لقد أعطيتم أفتيح أمثلة بالنتكر والمفروق واللؤم .

لقد ضربتم مثلا شنيعا على أئمة لا تقدر الاخلاص ، ولا تعرف الوفاء ؟

أمكنذا يكافأ الشهيد على وطنيته واخلاصه وتقانيه في سبيل وطنه ؟

لقد قتلتم أمة برجل لو كنتم تعلمون .

أربعون عاما كلها نضال في سبيل سورية والعروبة .

أربعون عاما كلها تعذيب ونفي وسجن وتشريد في سبيل استقلال سورية .

حوله حتى عن تدبير المؤامرات ضده بغية القضاء على زعامته .

ففي ساعة سوداء من ضحى اليوم السادس من شهر تموز عام ١٩٤٠ قامت عصية من الاشرار الفادرين الأثمين واطلقوا على فقيد الوطن والعروبة وأبي المجاهدين في عبادته في منزله تلك الرصاصية المجرمة التي أودت بحياته، بعد ان دخلوا عليه وهو يقوم بعمله الانساني بحجة أنهم مرضى فقتلوا بجريئتهم النكرة، التي روعت النفوس وصرمت الانفاس، على الرجل الكبير الذي وهب عقله وصحته ووقته لوطنه وأمضى أيام حياته في النفي والسجن والاعتراب وساحات الجهاد ، قفوا على رجل العلم الصحيح والوطنية الصادقة والاخلاص والكد والكفاح المرير ، وقد أحدث هذا المصاب الأليم والمخطب الجلل حزنا بالغيا في النفوس فنتبعته البلاد الى مثواه الاخير بدموع سخية وأنفاس مستعرة ووارت الرجل العظيم في جوار صلاح الدين العظيم .

هذا وقد اتهم السادة جيل مردم بك وسعدالله الجزائري ولطفي الحفار من زعماء الكتلة الوطنية،الذين ذهبوا آنذا الى العراق، بأن لهم ضلما بالحادث ولكن المحكمة العسكرية الفرنسية برأت ساحتهم وحكمت بالاعدام على القاتل أحمد عصامه وعلى شريكه في الجرم صالح معترق وأحمد الطرابيشي الذين نفذ حكم الاعدام فيهم يوم الاثنين الواقع في ٦ محرم ١٣٦٠/٣ شباط ١٩٤١ ، والشعب السوري الحزين وان كان لم يشك ابدا ببراءة السجينين الجزائري والحفار فإن كثيرا من علامات الاستفهام ظلت تتراعى أمام أعينه بالنسبة للسيد جيل مردم بك ، وهناك من يتهمه بأنه كان متآمرا في تدبير الجريمة مع السلطة الفرنسية وانه لو لا ذلك لا استطاع الاقدام على ارتكابها .

أما الشيوعيون للحوادث السياسية من العاملين في الحقل الوطني فإنهم يحملون مسؤولية تدبير حادث الاغتيال للسلطة المذكورة وحدها لاتهامها الزعيم - ظلما وعدوانا - بأنه يعمل لمصلحة الانكليز وان مصلحة فرنسا توجب التخلص منه والتاريخ وحده كفيل بإظهار المسؤول وانصاف المظلوم .

الرحمن الشهيد ، يا رجل المبادئ الوطنية ، ويا سيد المواقف المشرفة طيلة حياتك ، فانها لتتجه في نفس الوقت الى السلطات المسؤولة في البلاد ، لنقول لها بلسان واحد : اننا ننتظر نتيجة التحقيق عن أول وأعظم جريمة من نوعها عرفها تاريخ هذه البلاد . والسلطات لن تعجز فيها نعتقد عن كشف الستار عنها لتعيد الى النفوس المثالة روحها .

جريدة الأيام  
٨ تموز ١٩٤٠

أربعون عاما زائفة بالملاعب والالام من أجل الوطن .

كل هذا كان الجواب عليه رصاصة ججمة أطفال مشعل الوطنية والعلم في هذه البلاد ، وحرمتها من رجل لا يحود الدهر بمثله كل مائة سنة مرة ، فيا لتعاسة سورية ما أسوأ حظها ، ويا لشقاء أبنائها ما أقبح طالعهم .

لقد كان الشهيد تاريخا صادقا لهذا الوطن بعلوماته وتجاريه واختباراته ومشاهداته ، وكان ينبوعا صافيا للثقافة المالية والعلم الغربي ، ورجعا أمينا لآلام الانسانية يخفف من حداثها وشديها ، ونورا يهدي الأمة الى الطريق القديم ، فهل في الدنيا ضمائر أكثر إجراما من التي تأثرت على قتله ؟ وهل تنفع الوطنية الصادقة ، والعلم الصحيح ، والتجرد لخدمة الصالح العام في وطن يحمل على أرضه قليلا او كثيرا من هذه الضمائر التي تدفن ثروة الوطن بيلديها ؟

لا تقتصر الخسارة بوث الشهيد على عنصر واحد من عناصر الأمة ، بل شملت الوطن بجميع عناصره ، فالوطنية خسرت زعيمها ، والثقافة سيدها ، والانسانية طبيها ، والمآبر أميرها ، والمجالس بليلها ، فيا وريح أناس لا يقدررون هذه الثروة كلها تجتمع في رجل واحد .

إننا إذا بكينا الشهيد ونحن نخشي اليوم وراء جثمانه ، نجد أنفسنا أحق بالبكاء على هذا الوطن اليتيم الذي لا نعرف ماذا يخشى له القدر بعد هذه الطلائع السوداء تبدو بين حين وآخر ، وهو لا يزال في فجر نهضته الاستقلالية وحياته الحرة ؟

أيها الوطن

إن خسارتك اليوم بقدر الرجل الذي كان مناط أملاك ، ومعد رجائك قد زرع في نفوس بنيك اساس العقيدة بالاخلاص والوفاء لن يعمل في سبيل مجدك ومعادتك وقد تكون خيبة أمل شديدة تؤثر في مجرى حياتك السياسية الى أمد طويل ، اذا لم يثبت أبنائك انهم شديدي المقت والسخط على من يغمس يديه بدماء الأحرار الشرفاء ، ويهدم أقوى اركانك بمول الأجرام .

وإذا ما قالت الأمة بلسان واحد في هذا اليوم رحلت الله عليك يا عبد

## موسم من الحزن وفوضى مقتل زعيم البلاد

تفصيلات واسعة عن المؤامرة الشنيعة وأوصاف القتل  
التحقيق الواسع والاعتقالات يوم أمس

روعت دمشق أمس بالنبا الصادع الذي أريد بحياة فقيد الوطن والأمة المفقور له الزعيم شهيدنا بأيدي فئة جانية يبيت المؤامرة الشريرة في ليلة سوداء وقد ذهلت المدينة وسكانها قبل بقية الاقطار لموت الرجل المعلم الذي ظل أميناً على عهد أمته وبلاده سحابة أربعين عاماً قضاها في الدرد عن حياضه ، بين مجاهد ومعترب ومعتقل .

ولا بد من القول انه من الصعب على الكاتب ان يعطي صورة صادقة للشعور الأليم الذي ساد جميع طبقات الأمة من هول المفاجعة التي وقعت قبل ظهر أمس بدقائق معدودة وبسرعة تشبه لمح البصر كان النبا سارياً في المدينة سريان الكهرباء ، ثم امتد الى المدن والأرياف فطيرت البرقيات وأذيع النبا بواسطة التلفزيونات الى الأماكن القريبة والقريبة .

### كيف نفذت الجناية

أما كيفية وقوع الجناية ، فهو ان المفقور له كان يداوي أحد مرضاه وفي عيادته الفتي السيد نعيم حسان والحادم السيد ابو ابراهيم الكردي ، وفجأة دخل ثلاثة اشخاص احدهم يرتدي بذلة افرنجية والاثنان الاخران يرتديان ثياباً ( بلدية ) وقد تظاهر احدهما بأنه من فلاحي النورطة فوضع على رأسه ( طاقية ) والاخر ارتدى كوفية . وكانت سلة تفاح بيد احدهم ، وجلسوا بغرفة الانتظار ريثما ينتهي الدكتور من معانية المريض الموجود لديه ، وعندما انتهى من فحصه وغادر المريض دار المعالجة دخل الثلاثة غرفة الزعيم وأقبلوا الباب وراءهم فاستقبلهم وأنسهم وجلس الى مكتبه ، وجلس على يمينه الجاني الذي اطلق الرصاص على مسافة متر واحد منه ، كما جلس

حيث حضر الى دار الزعيم الفقيد بعد نقل جثته النقية الطاهرة الى داره وهناك أعيد فحص الجثة بحضور الطبيب الشرعي الاول الدكتور رشدي بك الطرزي .

ثم نقلت الجثة الى السرير الذي فرشت عليه الازهار والرياحين وفي هذه اللحظة ابرمت الدموع وتعالى النحيب وارتفعت الصيحات فذاك يا زعيم فذاك يا ابا الوطن ، فذاك يا عالم الوطنية ويا صاحب المعركة الأولى .

#### استمرار التحقيق

ظل التحقيق مستمرا حتى ساعة متأخرة من الليل كما يقوم رجال الدرك الفرنسي بتحقيقاتهم الخاصة ، وقد جرى في الليل تفتيش بعض القرى والاحياء واستجوب عدد غير قليل من الأشخاص . وفي صباح اليوم استؤنفت التحقيقات في دوائر القضاء وحتى الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر هذا اليوم لم يطرأ شيء جديد على سير التحقيق في معرفة هويات القتلة المجرمين .

#### كيف وقع الحادث ؟

والى القراء التفاصيل الجديدة عن كيفية وقوع هذه الحادثة المؤلة كما افاد خادم الزعيم وهي تلخص بما يلي : ففي نحو الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا قبل الظهر حضر الى عيادة الزعيم في شارع الفرنسيكان ثلاثة اشخاص يرتدون اللباس المختلف وواحد منهم يرتدي البذلة الفرنسية من اللون الرمادي طويل القامة اسمر اللون وهم يحملون سلة من التفاح فاعطوها الى الخادم وسألوه من عند الدكتور ؟ فاستأذن الخادم من الدكتور بشأن السلة فسمح له بقبولها وبعد دقائق قليلة سمح الدكتور للأشخاص الثلاثة بالدخول الى غرفة المعايمة حيث كانت خالية وظهر انهم طلبوا اليه معايمة احدهم بحجة انه مريض فوضع السماعة على أذنيه وباشر المعايمة ، وفي فغلة المعايمة كان أحدهم الواقف الى جانبه قد أطلق عليه المعيار الناري بتلك اليد المجرمة القاسية فوقع على الارض مضرجا بدمائه يشكو ظلم الانسانية بعد جهاد أربعين سنة في سبيل خدمة الوطن وفي أذنيه السماعة .

الاخرون قبائله ، وعندما أخذ الزعيم يفحص قلب احدهم وعلى أذنيه سماعة الطب عاجله الشخص الذي كان بجانبه بطلقة واحدة من مسدسه اخترقت حلقة اذنه اليمنى وخرجت من صدغه الأيسر متجهة نحو الحائط ، فلاسته ثم ارتدت عنه الى الأرض،وعندها نهض الزعيم فلول المفاجأة ولكنه هوى الى الأرض فاقد الرشده عا سبب له كدمة شديدة في جبهته ، وعندما أدرك الجناة انهم بلغوا غايتهم غادروا المكان ، فصادفوا الخادم ابا ابراهيم فهدده بالقتل اذا نس بنت شقة ، وكان الجاني الرابع يرمصد اول السلم والجاني الخامس يتنظر في السيارة التي كانت واقفة في منعطف شارع الفرنسيكان في شارع البرلان العام ، وقد ركبا السيارة وأشهروا المسدسات على السائق وانجحت هم نحو مدرسة التجهيز فطريق التكية المولوية فطريق محلة البرامكي فجادة الملبوني ، وهكذا ظلوا في سيرهم حتى اعترضتهم رقعة غير معبدة بالقرب من محلة النخامة فترجلوا من السيارة وعندما طالبهم السائق بالاجرة هددوه بالقتل فاندادوا وظلوا في طريقهم .

وعلم رجال الشرطة بالحادث فور وقوعه فأسرعوا الى المكتب وهناك وجدوا الزعيم مكبا على وجهه ولا يزال فيه بقية رفق فحملوه الى المستشفى ولكن فانست روحه الكبيرة في الطريق فما وصل الى المستشفى إلا وهو جثة هامدة .

#### سير التحقيق

أما التحقيق فقد عهد به الى كل من الأساتذة السادة : عبد الرؤوف بك سلطان النائب العام وفلاذوير بك سيع المستنق الاول ونصيح بك الأيوبي معارن نائب رئيس الجمهورية فاستجوبوا سائق السيارة رقم ٢٣٤٩ المدعو احمد عبد الغني الدعدوش وهي السيارة التي أقلت المجرمين القتلة ووقعت الهمة المختلفة على هيئات القتلة وأشكالهم وعممتها على جميع دوائر الأمن ومخافر الدرك والدوائر ذات العلاقة ، وبشرع بعدئذ باعقال المشتبه بهم .

#### مدير العملية يشرف على التحقيق

ويشرف على سير التحقيق مدير العملية العام الاستاذ خليل بك رفعت

سوق التين وعلم بتحري الشرطة عنه ذنب الى مفوض السير وسلم نفسه .

#### تقرير الشرطة الرسمي

وهذا ما جاء في تقرير الشرطة الرسمي عن هذه المفاجعة :

وفي الساعة ١٢ دخل ثلاثة اشخاص مجهولي الهوية عيادة الدكتور الزعيم عبد الرحمن بك شهيندر الكائنة في جادة الشعلان يحمل احدهم سلة تفاح اليه على سبيل الهدية عندئذ أطلق احدهم عيارا ناريا من مسدسه من نوع برايلر عليه فاصيب في راسه وسقط على الارض للحال مغنيا عليه ، وتقل على الاثر الى المستشفى لاسعافه وهناك فارق الحياة ، وقد اجبرت بذلك القامات الاجابية فحضر معاون نائب الجمهورية الاستاذ نضوح الايوبي والمستطق الاستاذ فلادير السبع وتوليا التحقيق وعقب الحادث قبض على سائق السيارة ذات الرقم ٢٣٤٩ المائدة للسائق احمد عبد الغني وعدوش التي فر بها الغتالون والبحث جار للقبض على المجرمين القتلة .

#### التقرير الطبي الرسمي

وهذا نص التقرير الطبي الذي وضعه الطبيب الشرعي الاول بدمشق الدكتور رشدي بك الطرزي عن هذه الحادثة :

تقرير رقم ٣٠٧٩

في الساعة الثالثة عشرة بعد ظهر يوم السبت الواقع في ٦ تموز ١٩٤٠ ذهبت الى المستشفى العام لمعاية الزعيم المرحوم الدكتور عبد الرحمن بك الشهيندر للتحقيق عن أسباب وفاته ، وقد وجدت جثته موضوعة على المنضدة في غرفة الضماد ، والمرحوم أبيض اللون خروبي الشعر ، اشقر الشاربين ، أزرق العينين ، متوسط البنية ، طوله ١٨٩ سنتيمترا يبلغ من العمر ٦٥ عاما تقريبا .

وبعد تجريد اللابس عن جثة المرحوم الدكتور شهيندر اجريت فحصه وطلبت نقل جثته الى داره حيث كان حضرة نائب الجمهورية معاون السيد نضوح الايوبي يقوم باجراء التحقيق ، وهناك في غرفة عيادة المرحوم الدكتور شهيندر الخاصة أعدت معايته مرة ثانية بحضور مدير العيادة العام

وهنا سمع الحادم صوتا فدخل الى الجناح الشرقي من العيادة وسأل الطاهية بقوله - ماذا كسرت ؟ فأجابته - لا شيء ولا أخرج الى صالون العيادة شاهد هؤلاء الأشخاص الثلاثة ويبد احدهم مسدسا رقد وضعه في صدره قائلا - قتلتك اذا لفظت كلمة واحدة فاضطرب الحادم وهكذا غادروا العيادة مهرولين .

#### إفادة السائق

وبستفاد من افادة السائق الموقوف انه بينما كان واقفا في موقف سوق التين جاءه شخص قبل الظهر وسأوه على نقله الى شارع البرلان والعودة به الى الميدان بأجرة قدرها ٧٠ قرشا وامتنع هذا الشخص السيارة وسارت به حتى منعطف الشارع الذي تقع فيه عيادة الزعيم شهيندر وهناك طلب الشخص من السائق الوقوف فوقف ، وعلى الاثر تقدم الى السيارة شخص في نحو الثامنة عشرة من عمره وقال للراكب في السيارة :

- الجماعة في الانتظار .

- ها قد جئت وأين هم ؟

- حاضرون .

- انتظر في السيارة حتى آخذ المريض لعند الدكتور .

وهكذا غادر الشخص القادم بالسيارة بعد ان ترك الذي لاقاه ، وبعد مضي نصف ساعة تقريبا عادوا اربعة اشخاص والراقب الواصل عند السيارة خمسة اشخاص وهم مشهورون مسلمساتهم وعليهم علامات الاضطراب وطلبوا الى السائق سرعة السير الى كفر سرسة وشارت السيارة بطريق زقاق الصخر - جسر الحرية - شارع سبدي - خار - طريق الفحامة وبالتقرب من مفرق الشويكة توقفت لعدم تمكنها من متابعة الطريق بسبب وعورتها وقيام العمال باصلاحه ، وهكذا غادر الجناة اقمصة السيارة وعاد السائق .

وصدفت أثناء سير السيارة بتلك السرعة ان شاهدا ما احد جنود الاطباء فعرف رقمها ولا شاع البناء المألوم في دائرة الشرطة عن رقم السيارة انشتر رجالها يشتبهون على السائق ولكن السائق بعد ان عاد الى الموقف نفسه في

في بيروت عن هذا البناء .

ويستظر وصول عائلته على متن طائرة خاصة .

#### أثر المفاجعة

أما أثر الحوادث في المدينة فقد كان بالغا متتهى الأسف والأم واخذت وفود المدينة والقرى البعيدة والقرية تند الى مكتب الهيئة الشعبية مستفسرة عن الخبر بين مصداق ومكذب . وقد عرف بائع التفاح والكان الذي شري الجرمون السلة منه ، كما أوقف عدد ضير قليل من الاشخاص المشبه بهم ، وقد أحيل قسم منهم الى قلعة دمشق ، والقسم الآخر في سجن النظارة رهن التحقيق غسك عن ذكر أسمائهم .

وما برزت شمس هذا اليوم على المدينة إلا والسكون يجيم على أرجائها فالناس واجون ، والقلوب مفعمة بالأسى ، على الفقيد العزيز ، وموتلو آي الذكر الحكيم ملتقون حول نعش الفقيد والمؤمنون برسالة زعيم الوطن يجرون من أمام الجدد يلقون عليه النظرة الأخيرة مودعين !

#### الأيام

٨ تموز ١٩٤٠

والمحققين وذلك بعد حلف اليمين القانونية حسب الأصول ، فلم أشاهد في جميع أنحاء جسمه آثارا ترصيفية تدل على الضرب أو التعدي أو المراك أو المقاومة ، أو على استعمال الجبر والشدّة ، وشاهدته مصابا بجرح ناري فتحته الدخولية منتظمة الجواني يقطر مستمر واحد مستديرة الشكل عليها وشم البارود كائنة على الثوب الحلبي في الناحية الخلفية اليمنى - خلف الأذن اليمنى - وبعد سير غور الفتحة المذكورة تبين ان الرمي الناري قد دخل من هذه الثغرة وسار من الأيمن الى الأيسر وبمثلا قليلا جدا عن الأسفل الى الأعلى فكسر العظم الصدغي الأيمن ثم مرق السحايا وجوهر الدماغ وخرج من فوهة خروج مشرشرة الجواني يقطر مستمر واحد بالناحية الخلفية اليسرى وفوق الثوب الحلبي الأيسر بخمسة ستمترات بعد ان كسرت العظم الصدغي الأيسر .

وقد شاهدت كمية غزيرة من النزف الدموي تسيل من الفوهتين الدخولية والخارجية كما شاهدت أيضا في غرة العيادة وبجانب المندور على الأرض كمية كبيرة من النزف الدموي - الدماء - تزيد على اللترتين .

النتيجة - يتضح من الشروحات السرودة أعلاه ان المندور المذكور عبد الرحمن بك الشهيد للمومي اليه قد توفي بنتيجة النزف الدماغي الحاصل من تأثير الرمي الناري النافذ الى الدماغ .

هذا وان وضعية الفوهة الدخولية تدل على ان الرصاصة قد أطلقت من مسنن بمسافة لا تزيد عن السبعين سنتمرا .

دمشق في ٦ تموز ١٩٤٠

الطبيب الشرعي بدمشق  
رشدي الطرزي

عائلة الفقيد

هذا ما جاء في تقارير الشرطة والطبيب الشرعي ، وقد طرقت البرقيات ليل امن الى مختلف الأنحاء السورية ، كما طرقت بوقية الى عائلة الزعيم في القاهرة ، وطبر المحامي الاستاذ حسن الغزاوي بوقية الى قنصل مصر العام

## لنا ولدنا البيت العتيق ملاح جبر الرحمن سبندر

ابت الفروس الائمة الا ان تفجع البلاد السورية بزعميها  
ومقد رجائها، فقد دخل جماعة من الجرمين منزل المذكور  
عبد الرحمن شهيدتر قبل ظهر يوم - السبت - واطلقوا عليه  
عبارات نارية اردته قتيلًا، فبا لمصاب سورية والعالم العربي ما  
اعظمه، وبالجرح المروية ما ادماه.

لقد مات زعيم الامة، مات امام المجاهدين، مات معلم  
الوطنية، مات مفخرة الثقافة، مات الشهيد الحي، مات اعظم  
رجل النجيه البلاد، مات الرجل الذي سجل في تاريخ سورية  
اجد الصفحات، وبطل في سبيل تحرير العرب اكرم  
الاضحيات، فليغر عليه الجزن كل قلب، ولتجلد ذكراه في  
كل نفس، وليظهر الشعب المفجوع بجله وقاء لمادى الراحل  
المعظم ونسكه برسائه الوطنية المجيدة التي ما زال يؤديها حتى  
سقط شهيدا، رحمه الله.

ان هذا اليوم يوم حداد عند الوطنيين في كل بلد وفي كل  
قرية وفي كل دار، واليوم - الاحد - ستبقى المدينة بعد الظهور  
ليشارك الناس جميعا في تشييع جثمان الفقيد الكبير، الذي سيقتل  
في الساعة الخامسة من دار عيادته الى المسجد الاموي حيث يصل  
عليه ثم يدفن الى جانب عظيم الشرق الخليفة صلاح الدين  
الايوبي.

رحم الله الفقيد واهم بلاده الصبر وانا لله وانا اليه راجعون.



## مولانا شبير جمل خان فقير العربي الرحيم الرحوم اللواتر رحب الرحمة سبندر

تنبع الامة جثمان فقيد المروية وزعيم سورية الفقيد  
الرحوم الدكتور عبد الرحمن شهنيد على الوجه الاتي:

١ - تجتمع جواهر الشيعين ابتداء من الساعة الرابعة بعد  
ظهر الأحد في ٧ غوز سنة ١٩٤٠ في دار « الجنة الشعبية » في  
علة عزنوس، وفي الساعة الرابعة والدقيقة « ٤٠ » تحيي  
الجواهر الى دار الفقيد في شارع الفرنيسيكان .

٢ - في الساعة الخامسة يوضع جثمان الفقيد على سيارة  
خاصة ويغطي الجثمان بالسواد والاعلام السورية والعربية.

٣ - تتقدم مركب الفقيد حملة الاكابر ، فرسم الفقيد،  
فالكشاف، فموسيقى الاسعاف، فرجال الشرطة والدرك،  
فشرطة البلدية، فالؤذنون، فالسيارة التي تحمل جثمان الفقيد.

٤ - يحيي وراء الجثمان: آل الفقيد، فالرجال الرسميون  
والرؤساء، والوزراء السابقون فرجال الدين والرؤساء  
الروحون، فاعضاء الهيئات الشعبية، فرجال الصحافة فالوجوه  
والاعيان والاطباء والتجار والشباب والطلاب ومختلف طبقات  
الاهلين.

٥ - يتحرك المركب من منزل الفقيد في الساعة الخامسة  
والدقيقة الخامسة مجتازا شارع البرلمان، فشارع الصالحية،  
فشارع فؤاد الأول فمحطة الحجار فشارع الناصر فسوق  
الحمدية، فالمسجد الأموي.

٦ - بعد اداء الصلاة على جثمان الفقيد في المسجد الاموي

## كلمة الشعب

(قالها امس في مهرجانه الاكبر)

كان يوم امس من ايام دمشق التاريخية كان يوم فجيعة الوطن بزعم الوطن. كان يوم استفتاء عام لجميع سكان دمشق على اختلاف الملل والنحل. شيئا وشيانا نساء واطفالا، في حجة هذا الشعب لرعيهم الفقيد.

لقد شيعت دمشق يوم امس الشهيد الى مرقده الاخير، كما استقبلته يوم عودته الى الوطن في عام ١٩٣٧ بعد اغتراب استمر اثني عشر عاما.

المدينة المغلفة الصامتة، والزخرف الدافقة والمراكب العظيمة الوافدة من مختلف احياء العاصمة والقرى شكلت يوم امس وداع الزعيم الاخير نفس المركب العظيم الذي شكلته يوم استقباله.

والشهير اذن ظل حبيب الشعب حتى النفس الاخير.

وفاجعة الوطن يفقده قال الشعب فيها كلمته يوم امس في مهرجانه الاكبر.

ان مركب امس الخالد في تاريخ هذا الوطن تكلم بانصاح لسان عن مبلغ نقمة الامة وشدة حنقها على المزاورة الفائرة التي حرمت البلاد من قائدها الامين، وان مركب امس القى في نفس المؤولين دون شك مبلغ انتظار الامة وروايتها نتائج التحقيق الذي يتوقع الجميع ان يجري بقياس واسع جدا من الاهتمام والنشاط، لان العقيدة القائمة في النفوس ان سلطات الامن والقضاء لن يعجزها ابدا ومطلقا امانة النمام عن اسرار هذه الجناية التي رعت الامة، وادمت قوادها.

- 
- يخرج المركب من باب العمارة الى مقام الحليقة المادل السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث يدفن جثمان الفقيد في جواره.
- ٧ - تلقى في صحن المسجد كلمات التالين من قبل اعضاء الذين عيبتهم لجنة تنظيم المركب.
- ٨ - بعد انتهاء الخطب تفرق الجماهير بهدوء.
- ٩ - تقبل التمازي في مكتب الهيئة الشعبية، مساء ايام الاحد والاثنين والثلاثاء من الساعة الثامنة حتى الساعة العاشرة.
- 
- « لجنة تنظيم المركب »
-

## تسبيح الراحل الكبير

وفي الساعة الخامسة تحرك المركب من المكتب لتقديمه صورة الزعيم الراحل مجللة بالسواد وفتيات مدرسة دوجة الادب في نظام رائع ثم حلة الاكاليل التي زاد عددها على الثلاثمائة عرفنا منها من الرجال الرسميين وغير الرسميين ما ننشره كما يأتي دون ترتيب:

سلطان الاطرش، الامير عبد الله، نصوحجي البخاري، رئاسة مجلس المديرين بهيج الخطيب، محافظة العاصمة، صفوح المؤيد، فارس الخوري، آل البكري، اسعد البكري، محمد سعيد المحاسني، خالد العظم، عصية العمل القومي، حسن الحكيم، الامير سعيد الجزائري، قنصل تركيا، قنصل العراق، زكي الخطيب، فوزي القاوقجي، محمد كرد علي، آل الشراياقي، الداماد احمد نامي، تاج الدين الحسيني، آل المؤيد، آل التقي، الحايثري، الجالية السورية في مصر، الجالية السورية في المهجر، الهيئة الشعبية في صيدا، بيروت، دير الزور، طرابلس، اللاذقية، حماه، حلب، حمص، ادلب، شباب العراق الاحرار، آل الشهبندر، اللجنة التنفيذية العليا للكشاف السوري، نادي فيصل، الكشاف العربي، المجلس الاعلى للكشاف العربي، الدكتور منير شيخ الأرض واخوته، شاكر ديب نعمة وعقبته سارة، نادي الروشان الرياضي، محمد جميل الكحال واولاده، اتحاد نقابات العمال العام، مصطفى وصفي، المحافظ الماسونية، الشرق الاعظم السوري، مدرسة جمعية الدعوة، نادي دمشق، نادي الاتحاد الرياضي، نادي الانترنايك، الجامعة السورية، طلاب التجهيز، المحاربون القدماء، نادي الشباب الرياضي، احياء القيرمية، المعية، سوق ساروجة، القضاة، الميدان،

ان كل عين في البلاد تنظر اليكم ايها المحققون وتتسطر نتائج تحقيقاتكم التي يتوقف عليها وحدها وضع حد حاسم لتيار الشبهات والشائعات.

لقد كان الوطن في عاطفته واحترامه وتقديسه وفي كل الوفاء للزعيم الفريد في حياته وعند موته. ولا بد ان يبرهن المحققون وهم من ابناء هذا الوطن عن هذا الوفاء بكشف الغطاء عن مؤامرة يريدون من ورائها ان يفتحوا باب الفتنة على مصراعيه، فليكن المنحني وحده كفيل باغلاق هذا الباب.

ان الناس ينتظرون.

جريدة الايام  
٩ تموز ١٩٤٠

دار العملات، واحاط الكشافون بالعمش الموضوع على السيارة.

وسار وراء العمش رجال الحكومة والمدوب الكونت دي هوتكوك، ومستشار الداخلية والوزراء السابقون، قناصل الدول، الرؤساء الروحيون، رئيس واعضاء محكمة التمييز العليا، وجهاء المدينة واعيانها، طلاب الجامعة السورية، طلاب المعاهد الاخرى ووفود الامة من مختلف الاحياء والضاحية.

واخترق المركب شارع الصالحية فشارع فؤاد الاول وليس في وسع الزحف احد ان يصور هذا السيل اللامع من الناس، وماذا يُعَدُّ يا ترى؟ هل العظيم يعد المشيعون وراء المركب وليس هناك الا المالكب ترجم المالكب، ام الذي لم يعد هؤلاء الذين جلسوا في شرفات المنازل ووقفوا على الأرصفة ليكون تشهد البلاد له مثيلا ويتحجبون، فما في هذه المنازل كلها الا ماتم سجد، وما في صدور هؤلاء الناس جميعا الا شعور واحد، هو شعور التيتيم بفقدان ابيه، وشعور الثكل وهي تودع وحيدها وفلة كبدما وحامي فدارها الى جدته.

لقد ضاق المركب بالناس، فهم في كل مكان من الشوارع وفي كل منعطف، وكاد نظام المركب يختل، وابن النظام في مثل هذا الزحف المعجب، الذي لم يشهد هذا البلد مثله، الا يوم استقبلت هذه الامة الزعيم الذي تسير في مركب موته.

وعندما وصل المركب الى جسر فكتوريا جاءته الروافد من هنا وهناك كشعب السيل طغت في ملتقاها فليس له اول وليس له آخر، واجتاز الجسر في طريق عجلة الحجاز واتجه في نهاية الطريق الى شارع النصر، فسوق الحميدية فالجامع الاموي الكبير ولا تسل عن الجموع التي كانت تنتظر المركب في ساحة الجامع وافته من شباب وشيوخ وكهول علقت ابصارهم بالجثمان يلقه العلم، واشتوت مآقيهم بالدموع، وهنا وصلت وفود البلاد السورية فالتحقت بالمركب.

الحلالت في

وبعد ان صلى المصلون صلاة الموت، خرجوا الى الصحن الواسع المسجد سمع حيث اعد منبر للمخطيء الذين تعاقبوا واحدا بعد واحد، وكان في كلمات التالين

الصالحية، مأذنة الشعم، الاكراد، زكي ونزي سكر، مدرسة الكلية العلمية الوطنية، شباب سوق ساروجة، ناي قاسيون، ناي كروستان، سعيد حيدر، درويش المعجلاني، خليل معنوق، هاني الجلاد، جورج صحتاري واخوانه، بدري العظيم، القوق القنية للتبيل، شفيق دياب، منير المعجلاني، ابو الفرج الموقع، وحيد الحكيم، يوسف دبوس، منير السادات، معروف الارناؤوط واسرته، الدكتور زاهر، فؤاد القضماني، امين عربي كاتي، نصوح بابل، الدكتور ابو غنيم، محمد راغب العقاد، نصوح مملوك، الدكتور سمطي، جمعية دفن المرق الاساقفية، سعيد الغزاوي، نسب وعارف الحجار، نقابات الحياطين، الحلالة، وغيرها من عمال النقابات على اختلافها.

ورفعت لوجات سوداء كتب عليها (دمشق تبكي فقيد العرب) (الزعيم خالد بذكراه) (المحامون يرثون زعيم العروبة الاوحد وحامل لواء نهضتها الامين) (مات سيد النابير) (المجاهدون يكون زعيمهم) (شلت الايدي الائمة) (من تصدى لخدمة الناس عليه ان يغسل اقدامهم) (مات الشهيد الحلي). ولوجات من كلماته الخالدة (سورية جزء لا يتجزأ من العالم العربي) (لا أرضى لي وطنا غير بلاد العرب) (الوطن من روح الله ومن جان الوطن خان الله فقد تجرأ على حرمة الامة).

لا اله الا ورحم المركب في شارع بوزيك الى شارع الفرنسيكان حيث عيادة الله... الصون الزعيم وهناك على شرفات المنازل التصلة من اول شارع الفرنسيكان تفيض بالدموع

حتى العيادة، كانت النساء تصيح باكية فابكين الناس جميعا، ووقف المركب وقفة صامئة خاشعة، انزل الجثمان العالي من العيادة واتسق نظام المركب وسار الى شارع البرلان وهنا عرفت موسيقى الاسعاف الحيري الشيد الحزين وصاح المؤذنون لا اله الا الله... وانفجرت الاعين بدموع سحجية ووقفت صفوف الشرطة والكشافة وتقدم الجميع اربع سيارات للجمعيات النسائية بدمشق مجللة بالازهار والسواد وهي تحمل دوحه الادب، يقطه المرأة الشامية النادى النسائي الادبي، خرجات

وارتجل الوطني الكبير والمجاهد الأستاذ سميد بك حيدر خذرن الزعيم القديم وصديقه الحميم خطابا جاء فيه: انكم تسبكون اليوم الرجل الذي اهب افئكم وهز مشاعركم بخطبه البليغة وحكمه الخالدة، الرجل الذي وضعت فيه الامة كل آمالها وامانيها، هذا الرجل الذي غدرت به ايد اليمه لعينة جائرة في غفلة من الزمن. ثم ناشد الخطيب القضاة ان يعمل خلاصا مسرعا لكشف النقاب ومعرفة الجناة الذين لتصب هذه الامة الخزيه الملتاعة لعنايتهم عليهم اجمعين.

والقى المجاهد الوطني الاستاذ عبد القادر القواص كلمة حاسية بكي فيها الزعيم بكاء ويا غلصا، وتحدث عن جهاده المبرور في سبيل هذا الوطن ووصف اللوعة البالغة التي حلت بالعرب جميعا في كل قطر ومصر جبال هذه الكبة القاصمة النكباء وختم كلمته بقوله:

وإن صخرًا لتأثم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وارتجل الوطني المعروف الاستاذ ماجد صفية مندوب اللاذقية خطابا جيدا اثار فيه الى الرسالة المؤمنة التي حملها الزعيم المسجي وقال: اننا سنحمل هذه الرسالة مخلصين مؤمنين.

والقى المحامي الاستاذ محمد الخطيب كلمة الدكتور سامي الطيارة مندوب حمص فكانت كلمة مؤثرة وبليغة، والقى السيد عبد القادر الاناسي من وفد حمص كلمة حزينة باكية، ثم ارتجل الدكتور منير بك العجلاني كلمة بليغة مؤثرة اثار فيها الى المعنى الرمزي العظيم من دفن جثمان الزعيم شهيد الى جانب الخليفة المعادل صلاح الدين الأيوبي، ثم عدد مزايا الرجل الكبير وقال اننا لم نقف رجلا عظيما واحدا، ولكننا فقدنا من العبقريات والكمالات فقد كان الشهيد خطيبا عز الشاعر بسحر بيانه وعذنا يسر القلوب بحلاوة لسانه وزعيا يقود الامة بقوة ايمانه وكان الى هذا عالما واديا من الطراز الأول، ولو ولد في ارقى امة على وجه الارض لكان من رجالها الذين يشار اليهم بالبيان.

ثم استنكر الخطيب الجريفة الشغواء وقال ان الشهيد رجي لا يموت. والقى مندوب ادب الاستاذ غالب عياش كلمة عبر فيها عن الحزن

مقدمتهم الاستاذ نصوح بايل فارجل والالم يقيم صدره ويقعده خطابا باكا استهله بقوله:

يا زعيم الوطن، ويا ابا المجاهدين، تميت لو كنت حيا وكنت في هذا المركب الرهيب العظيم تسبح الانشودة الجميلة، الانشودة التي شيعتك يا الامة وانت تستقبل عالم الابدية (لا اله الا الله الله الشهيد حبيب الله) وهذا واقع وصحيح يا سيدي انك حبيب الله لأنك حبيب المؤمنين وحبيب الوطن.

ان الذين اغتالوك جيلا، وقتلوك تاريخا، وقتلوك امة، فيا وبيح ما فعلوا ويا لشقاء هذا الوطن.

وختم خطابه البليغ بقوله: ان الامة اتجهت انظارها وقلوبها الى التحقيق الدقيق راجية ان يمحط اللثام عن هذه المؤامرة اللبينة الى ان قال: يا سيد المنابر ويا زعيم هذا الوطن الشقي ان اخوانك الذين اجهوك وعاهدوك سيكثرون اوفياء لرسالتك الوطنية الكبرى ما داموا على قيد الحياة.

ثم ارتجل الوطني الكبير الاستاذ هاني بك الجلاذ خطابا رائعا استهله بقوله: ردوها علينا شمسا ساطعا غربت في وسط النهار ومن عادة الشمس ان تغرب في اصيله، ردوها علينا شمسا ساطعة مبررة لا تعرف وطنا لها، فكل اقق اقفاها، وكل ارض ارضها وكل ساء سمانها، وهكذا الشخصية العلمية، لا وطن لها لان العلم متنازع في كل قطر ومصر.

وروى الاستاذ الجلاذ في خطابه حادثا تاريخيا جابه به الزعيم عندما كان ضابطا مع أحمد جمال باشا، دافع فيه عن البطولة العربية، وفي ذلك الزمن، حق الدفاع واشرفه واقواه، واثار الى حادث الاغتيال الذي وقع للخليفة عمر بن الخطاب فقال:

ان اللعنة على ابي لؤلؤة ابدية، كما ان الخليفة عمرا بقي على عمر الاجيال الخليفة المعادل والفتاح العربي العظيم.

وهذا الاحيل الذي ابعث به يعرب عن ايجالي بان هامة  
الفقيد النبل والزعيم المحبوب وذكراه الخالدة في نفوس العرب  
تبقى جلية باكاليل الفخر والشرف محفوفة بآيات الاعزاز  
والتمجيد.

دمشق في ٧ تموز ٩٤٠ فارس الخوري

الشهيد يرقد في جوار الملك المعادل:

ومضى الناس الى مقام بطل الاسلام صلاح الدين الايوبي ليواروا  
زعيمهم تراه ويودعوه الوداع الأخير، وكان المقام غاصاً بالسابقين اليه  
من الناس، ووقف رجال الشرطة وفرق الكشاف حول المدفن وفي  
الحديقة ووري الجثمان مرقده الأخير الى جوار البطل الكبير صلاح  
الدين الايوبي والى جانب زعيم العراق ياسين الهاشمي بين اصوات  
المؤذنين بذكر الله، وبكاء الناس ونحيبهم.

وهنا وقفت الطفلة مها علوي من طالبات مدرسة دوحة الأدب والفت  
الكلمة الآتية بصوت متقطع سقته الدموع المنهمرة، فابكت الناس جميعا  
بقلب واجم حزين مؤبنة من؟ مؤبنة شهيد العروبة، شهيد الوطن، مؤبنة  
من كرس حياته في سبيل هذه الأمة المنكوبة الخط . المؤبنة الطالع عبد  
الرحمن الشهيد.

أني لي أن أعبر عما لم ينساء وأبناء دمشق أجمع من الحزن العميق  
والاسى الأليم بهذا الخطب الجلل والمصاب الفادح فليبك نساء أو  
أطفالا يا أبانا البار وما معلمنا الوطني وما شهيدنا الحلي .

فتم هادئا قير العين فان ذكراك خالدة في نفوسنا على مر الأيام ومر  
الاعوام.

ففي ذمة التاريخ ايها الراحل الكريم هذه الفاجعة الاليمة التي  
فرحت الجفون وادمت القلوب .

وبعدئذ اصطفت عائلة الفقيد الى جانب الباب حيث تقدم اليها

المنطوي في افئدة الناس والاثر الأليم الذي تركه في هذا الوطن النازلة  
السوداء.

ثم التى سعادة الوطني الكبير الاستاذ زكي بك الخطيب كلمة مؤثرة  
اشار فيها الى حياة الزعيم الخالد وجهاده وختم خطابه بقوله:

ايها الزعيم المفدى، نم آما مطمش الضمير في حوار ابن اعرب الملك  
المعادل والعاقد المنفذ للعروبة والاسلام، نم فقد قضيت ولا ذنب لك  
الا انك احسنت للعروبة التي طعنت، والى الوطن المفدى الذي جرح  
بجراحك الدامية.

كتب فارس الخوري:

وبعد ذلك وقف الاستاذ فتوح بايل وشار الى البرقيات  
الكثيرة الواردة بالتمزية بالفقيد العظيم والرسائل، واكتفى منها  
بتلاوة الكتاب الذي ورد من العلامة الكبير الاستاذ فارس  
الخوري وهذا نصه:

سبلي الأخ نزيه بك المؤيد المحترم:

منذ ان فاجأتني هذه الفاجعة الوطنية العظمى باستشهاده  
الزعيم الجليل اخي وصديقي الدكتور شهيدنا وانا صريع الأم  
المرح والحرز العميق، استنزل الالمان على اليد الأتية المغادرة  
والية الشريعة الخاسرة اللتان اقدمتا على انزال هذه النكية  
الخاطمة للوفاء العربي والهادمة للنبل القومي في امة لا تعرف  
للزعيم الا مواقف التضحية والشرف ومفاخر الجهاد المخلص  
الجرد عن كل شائبة في سبيل مصالحتها واقامة كيانها على قواعد  
حقها الطبيعي في الحرية والاستقلال. وحل ما اقناه ان يكشف  
الغطاء عن الائمة الخائنين ليزل بهم اقصى العقاب واصرم  
القصاص. فاقدم لكم ولاسرة الفقيد العظيم اخنص مشاعر  
العزاء، واشاطركم الاسى في هذا المصاب الاجل الذي اشتد  
به حزني وعظمت فيه لوعي وسلط على نفسي اليأس القاتل  
واعجزني عن القيام بالواجب المقدس لرافقة الجثمان العزيز  
الباقية ذكراه في القلب الى ان يجعنا الله به في دار الآخرة.

الحسارة عظيمة اسفنا شديد ، قاتل الله الممتدين ،  
نشارك الامة في عزائها .

طرس - محمود المحمود  
اغتيال الشهيد زعيم الامة مصيبة عظيمة  
شركاء الكارثة .

جيلة - منير مشوت ، محمود معترف ، محمد حسن .  
الخطب جلال والمصاب اليم بفقدان الامة العربية  
ركن ١٠٠ اركان نهضتها اقدم تعازي الحارة .

بيروت - تحسين قدري .  
نشاطكم المصاب بالفاجعة الاليمة .

زبداني - سعاد العظيم .  
فقد الزعيم كارثة كبرى للوطن الحلود للزعيم  
والمجد للعرب .

حمص - حلمي الاناسي .  
مصائبنا جلال بفقدنا العظيم املنا الله الصبر  
الجميل .

بيروت - الدكتور احمد قدري .  
ضاق الوقت وتعذر السفر ، اذا كان في موت  
الشهيد مقتولا حياة الوطن فلنمت ولیمش قاتلونا .  
جبهة هنانو .

الناس بواجب التعزية .

وفي المساء زحفت وفود المزين الى مكتب الشهيد لتقديم تعازيمهم  
بالفقد العالي ، وظل المكتب غاصا بمئات الاشخاص حتى منتصف الليل  
وسيطل يومين آخرين على هذا النزال .

تعزية المنسوب وما هو جدير بالذكر أن المدينة اغلقت منذ الدقيقة التي سار فيها الموكب  
من مكتب الشهيد ، كما ان مندوب الفروض الكونت دي هوتكولوك قال في  
المسجد الأموي للاستاذ نصح بايل ما نفسه : ( ان الشهيد شخصية  
عظيمة فوفاته خسارة كبرى لا يسعي ازماءها الا ان ابدي حزني وألبي ، والتي  
أرجو ان تنوب عني بتقديم التعزية الى جميع اخوان الفقيد والى أسرته ) فرد  
عليه الاستاذ بايل شاكر هذه العاطفة النبيلة .

#### البرقيات والتعازي

وقد وردت برقيات كثيرة من مختلف انحاء البلاد  
هذا بعضها :

دمشق - نزيه بك المؤيد .  
ابنكم عزائي وتأثري بفاجعة الزعيم واستشهاده ،  
نعمده الله برحمته .

دمشق - فيصل الشهيد  
اغتيال ابر ابناء الامة الزعيم شهيد كارثة عظيمة  
ننزيكم والعالم العربي .

جماه - عبد القادر كيلاي - ابراهيم النيسكي

خيري الكمكي صاحب جريدة الشرق.

سير التحقيق :

والتحقيق لا يزال مستمرا بنشاط لكشف النقاب عن الأيدي الاثيمة التي اغتالت ممالى الزعيم، وقد زاد عدد المعتقلين على المائة والمشرين من مختلف الطبقات.

وقد علم غير الصحف ان التحقيق قد تطور منذ ظهر اسم واتجه اتجاها جديدا ويقول المحققون ان الامل قوي جدا بالوصول الى النتائج في هذين اليومين وهناك معلومات ثانية عن سير التحقيق غسك عن نشرها حرصا على سلامة الاستجواب والتحقيقات الجارية.

وقد استدعى مدير المدلية العام اسم النائب العام واستوضح منه عن النقاط البارزة في التحقيق وعن الجهة التي وصل اليها ووقف على المعلومات العامة.

مواعد النعازي :

في مكتب (المبنة الشعبية).

تلقينا من مكتب (المبنة الشعبية) انه وفقا لما اذيع في برنامج تشييع جثمان فقيد الوطن الزعيم شهيدنا فانه يستقبل وفود الميزين مساء ايام الاحد والاثنين والثلاثاء من الساعة الثامنة الى الحادية عشر مساء.

ويعلم المكتب في نفس الوقت ان ابوابه مفتوحة كالسابق كل ليلة ابتداء من الساعة السادسة مساء.

وبل للمجرمين، اخلود للفقيد.

عمان - صبري الطباع، عبد الحميد دياب،

حسن الشريجي.

فاجعة مؤلة نزلت بالبلاد نمرىكم ونمرى انفسنا بصرنا بقصد الزعيم الشهيد.

جاه - صائب فؤاد بشار، نزار المؤيد.

شام - آل الشهيد - الايام  
نمرىكم والامة السورية بفقدان زعيمها الاكر.

القصر - نجيب وعد

دمشق - جريدة الايام.

فجعت الجالية السورية والعربية بمصرع الزعيم شهيدنا وهي تشاطر الامة السورية والعربية اجمع حزنا في مصابها برجل من اقدار الرجال وتستكر اندد الاستنكار الاعداء للائيم طلبة من السلطات معاقبة المجرمين سائلة للامة الصبر على مصابها العظيم، فان الذين طفوا الشهيد طفوا معه القضية العربية.

مصر - الجالية السورية.

ومن جملة الوفود التي امت العاصمة واشتركت بتشيع الجثمان الصحفي الاستاذ فؤاد بك قاسم رئيس تحرير الزميلة (بيروت) والزميل الاستاذ



الفصل في الاستماع

وأما في الاستماع

## وصفت سبل الخمر في العراق الكبير

اتخذت أمس استعدادات كبيرة لإخراج حفلة تأبين فقيد البلاد الزعيم شهيدنا بشكل يتفق وجلال الخطب ومكانة الفقيد.

فمنذ الساعة الثانية من بعد ظهر أمس خف القوم إلى الجامعة السورية، وقد وقف فريق من رجال الشرطة في شارع المستشفى، ووقف فريق آخر في طريق تكية السلطان سليم وهما الطريقان المؤديان لبناء الجامعة السورية، وأخذ رجال الشرطة يسمحون بالدخول لحملة البطاقات ورجال الوفود القادمين من مختلف الأنحاء السورية، منذ الساعة الرابعة أخذ القوم يتدفقون كالسيل، وفي أقل من دقائق كان الناس يحتلون رتاج البناء وحدايقه وباحاته والشوارع المؤدية لبناء الجامعة ونصبت مكبرات الصوت في الجوانب وما كانت الساعة السادسة إلا قليلاً حتى كان مدرج الجامعة غاصاً بالوافدين والأمكنة العلوية مكتظة بكرام السيدات والأوانس، وجللت الشرفات والنوافذ بالسواد وقد نقشت عليها كلمات كثيرة من أقوال الزعيم في الوطنية والأدب، والاسلام والاجتماع ووضعت على منصة الخطابة صورة للزعيم والادب، والاسلام والاسلام والاسلام، وكتب إلى جانبها كلمة من كلمات الزعيم الفقيه وهي: (لقد عدت اليكم لأجعل بقية حياتي وقفا على خدمتكم) وكان في مقدمة الحاضرين رجال السلاطين المحليين والمنتدبة والوزراء السابقون وقناصل الدول العربية والأجنبية ومدير المطبوعات في المديرية للترتات والسيو فوكنو ومستشارو الدوائر ومدير المطبوعات في المديرية للترتات بيلات ومراقب الصحف العام الاستاذ ميشيل أبي راشد والوجهاء والمعلماء ورجال الدين وأصحاب الصحف والتجار والشباب المثقف ورجال الأحياء

الأعراب عن الغاية أمراً واقعاً، وواجباً لا بد من أدائه.

فيوم ٢ أيلول أي يوم اسن كان موعد إقامة أربعين الشهيد، على مدرج الجامعة السورية الكبير، وقد خف القوم على اختلاف مللهم ونحطهم منذ الساعة الثانية بعد الظهر إلى مدرج الجامعة، يسمعون أرواح أقطاب العرب في فقيد العروبة.

وثبت هنا بعض الكلمات التي قيلت في الفقيد العظيم .

### افتتاح الحفلة :

وفي الساعة السادسة الا قليلا اعلن افتتاح الحفلة ، فثلا الاستاذ الشيخ القابوني بضع آيات من الذكر الحكيم ووقف الاستاذ زكي بك الخطيب معتزلاً عن تنيب معالي العلامة الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس لجنة التائين عن المحصور بسبب وعكة طارئة الت بصحته ، ثم طلب الوقوف دقيقة واحدة اجلالا لذكرى الراحل ، فبهض القوم بصمت رهيب ، ثم بدأت الحفلة وأخذ الاستاذ نضوح بابل بتقديم الخطباء مبتدأ بتقديم فتيات مدرسة دوحة الأدب فأنشدن نشيدا مؤثراً من نظم الأستاذ مدوح حقي ومن تالحن الموسيقى المعروف الأستاذ محمد فواد محفوظ ، وقد كان النشيد موقفاً نظماً ولحناً ، لأنه أهاج المذكور وبعت الأم حتى استدر الدمع من المائي وبكى المخلصون الفقيد الراحل بكاء لفت الأنظار وقد جاء في النشيد :

حنسايسا الوطن جرححنا والمحن  
يا شهيد الوطن

وبعد أن سكنت الفتيات واطفت الأنوار وعرض مشهد سينمائي يمثل استقبال الزعيم يوم ١٦ أيار ١٩٣٧ ، وأخذ القوم يشهدون سيد المنابر وهو يلقي خطابه من على شرفة البلدية ، بذلك الصورت النحاسي المحجيب والقائمة المهيمة ، والمنطق المتدفق حتى باتوا يحسبون أن الشهيد نفسه يحظيهم في حفلة الأربعين ، وما عتصوا حتى نقصوا من تحيلاهم تلك الاغفاءة وعادوا إلى الحقيقة مدركين أن الرجل الذي يشاهدونه إنما غيبته الأيدي الأثيمة في جوف الثرى ، ولم يبق من الشهيد سوى ذكره المعطر والأبيض الناصح من

ورغبة مختارة من رجالات المدينة.

أما رجال الوفود، فقد كان في مقدمتهم وفد جبل الدروز برئاسة سعادة عبد النغار باشا الأطرش ومن أعضائه السادة حسين باشا ابونايف الأطرش ومحمد بك عزام ودادود بك ابو عساف وسليم الجرمقاني أما الوفود الأخرى فقد كانت كثيرة جداً قادمة من حمص وحماه وحلب وبيروت وطرابلس واللاذقية وضاحية الشام ولن نشأ ذكر أسماء من اتصلت بنا اسماءهم كي لا نسهي عن بعض الأسماء الأخرى .

كبت جريدة الإيام في عددها ٢٢٣٤ الصادرة في ٤ ايلول سنة ١٩٤٠ عن حفلة التائين الكبرى التي أقيمت في مدرج جامعة دمشق بمناسبة أربعين الزعيم في ٢ أيلول سنة ١٩٤٠ ما يلي :

### أعظم حفلة تأيينية عرفتها الأقطار العربية

(ألف الحلائق تحتل مدرج الجامعة والحدايق والشوارع المؤدية إليها وتنتصت إلى أرواح أقطار العرب في الزعيم الخالد) .

للسهيد ، أيام ثلاثة من أيام جهاده الأخير، الاول يوم ١٤ أيار ١٩٣٧ وهو يوم الفرح والخبور . والثاني، يوم ٦ تموز ١٩٤٠ يوم الفجيعة القاصمة . والثالث، يوم ٢ ايلول ١٩٤٠ وهو يوم الوفاء وبعت المذكور .

ففي يوم الرابع عشر من أيار ١٩٣٧ زحفت دمشق شبيهاوشبابها نسائها وأطفالها إلى جسر بنات يعقوب لاستقبال الرجل الذي أبعد عن دمشق قرابة ثلاثة عشر عاماً ، يعمل من أجلها في أرض الكنانة مكرساً لها روحه وقلبه ودمه ، وقد استقبلته استقبال الفاتحين .

واليوم الثاني يوم ٦ تموز ١٩٤٠ فجمعت دمشق بموت الرجل الذي كان من أرقى الأبناء وأبى الأوفياء فبكاه التكل وآوته إلى جوار الملك المعادل صلاح الدين ، والمظيم أبداً نحن إلى العظيم .

واليوم الثالث يوم ٢ أيلول ١٩٤٠ أو أربعون الشهيد، وقد كان يوماً مشهوداً من أيام دمشق الجبارة التي تعرب عما في نفسها من ألم ووجد ولوعة وحسرة وسرور وغبطة في أي ساعة وفي أي يوم، ترى فيه بعث المذكور، أو

حصن وكامل هنانو من حلب وعيسى ابو الجبين من يافا والدكتور يوسف عبيد من طرابلس والقى السادة ابراهيم الشيشكلي وماجد صفية وغالب المياشي كلمات تلهب حاسة وتندفق شعورا صادقا .

وهنا أعلن ان القوم تلهف لسماع الرايع النظم من شاعر الحب والجمال الاستاذ عمر أبو ريشة، فصمت الناس وساد الهدوء ارجاء القاعة، ووقف ابو ريشة بين نظرات المعجبين بشعره الساحر، وألقى قصيدته ( البتراء ) التي هزت افئدة الحاضرين .

وكانت الساعة قاربت التاسعة فأعلن الاستاذ بابل ان كلمة صاحب المعالي حليمي عيسى باشا رئيس الوزراء المصرية الأسبق يلقيها الدكتور منير بك العجلاني، وان لجنة التأين تأسف كل الأسف ان لا يسمح لها ضيق الوقت بإلقاء كلمة صاحب الرفعة محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية، وعلي باشا ابراهيم، وسعادة محمود البسوفى بك، وعبد القادر حمزة باشا، والكاتب الأشهر عباس محمود العقاد وعبد الرزاق بك الشهوري واسماعيل مظهر بك والجالية السورية في القطر المصري، وكلمات رجالات العراق وهم رضا بك الشبيبي والاستاذ العلامة هجة الاثري، والاستاذ ابراهيم الراعظ والاستاذ طه الراوي، وسعادة عبد القادر الكيلاني، والاستاذ روفائيل بطي، والاستاذ عبد الرزاق الحسن ووعد الاستاذ بابل بشهرها في الصحف وفي الكتاب الذي تصدره لجنة التأين وهو يجمع ما قيل في أربعين القيد العظيم .

ثم أشار الى الكلمات والبرقيات الكثيرة التي تلقتها اللجنة واكتفت بالإشارة اليها اختصارا للوقت بأنها ستدخل في الكتاب ايضا، وقد قال بهذا المعنى باسم لجنة التأين ما يأتي :

كلمة لجنة التأين :

سيداتي وسادتي :

نشكر تفصلكم بمشاركنا في هذا التكرم الحافل لراحل سوريا العظيم نرجو ان يكون المصاب به آخر مصائبنا برحمتنا وان يبرأ خالقه في دار البقاء .

ماضيات أيامه، وكان آخر ما عرضه الفيلم السينمائي الكلمة الآتية :

حي من مات :

وبعد لحظات سمع صوت طلق ناري ظهرت بعده على الشاشة صورة رمزية تحمل الفقيد ساعة تنفيذ الجريفة وكان في هذه الأثناء يلقي الاستاذ نصوح بابل الكلمة الآتية :

في ساعة سوداء من يوم السادس من تموز الماضي بينما كان فقيد الوطن العظيم المغفور له الزعيم الدكتور عبد الرحمن شهبندر منكبا على أشرف عمل إنساني في عيادته تأمرت على حياته عصبة من الأشرار الفادرين، فدخلوا العيادة بحجة أنهم مرضى وأطلقوا على الزعيم تلك الرصاصة ذهبت بحياة الرجل الذي وهب عقله وصحته ووقته للوطن .

ولكن الشعب الروفي لن ينسى دم زعيمه ولا بد ان يتقدم من المجريين الاثمين بالعمل لا بالأجرام .

ثم أعلن ان الوطني الكبير الأستاذ زكي بك الخطيب سيلقي كلمتي سمو الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرقي الأردن وصاحب الفخامة هاشم الأناسي، وقال أخيرا انه سيلقي كلمة قائد المجاهدين سلطان باشا الأطرش فالتقاها مع كلمة اعتذار من عدم الحضور ثم عقبه الاستاذ علي بوظو فآلني كلمتي بطيريك الأوثوذوكس وبطيريك الموارثة وقصيدة فؤاد باشا الخطيب ثم أعلن الاستاذ بابل ان الاستاذ زكي الخطيب سيلقي كلمته الخاصة فالتقاها، وقد نشرت الكلمات المذكورة على الصفحة الأولى .

ثم أعلن الاستاذ بابل ان الكلام للأستاذ المفكر صلاح الدين التقي المحاريقي فآلني كلمة راقعة، ثم أعقبه الاستاذ الشيخ بهجت البيطار فآلني خطابا ايضا وتلاه شاعر الفرات الاستاذ محمد الفرائي، ثم الاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي ثم الشاعر الرقيق الاستاذ كمال منصور وقد ألقى الجميع من عيون النثر والشعر ما كان جيلا وشائقا ثم ألقى الاستاذ عدوح حقي كلمتي الاستاذ منصور جرداق والدكتور انيس المقدسي ثم ألقى الاستاذ علي بوظو خلاصة جامعة من كلمات السادة حليمي الأناسي من

بك الشريفى وأمير اللواء الدكتور النطاسي جيل فائق التوتنجي والأديب السيد عبد النعم الرفاعي والوجه السيد محمد علي بدير والأديب السيد حسن البرقاوي .

أما مدن الشام وأقصيته فقد حرصت جميعاً على أن تحتل في مآتم الراحل العظيم بكلمات تنم عن شعور بالأسى والخرن ولقد سمعتم تنفساً من هذه الكلمات وكنا نود لو يسمح الطرف الحاضر ويتسع الوقت لقراءة الرسائل التي تلقيناها من غير واحد من وجهاء البلاد الشامية ورؤساء العشائر فيها ومنها كلمات كل من الوجهة الكبير معالي الأستاذ عبد القادر بك الحسيني من حاة والسيد محجم البشير رئيس عشائر البرشعبان في الرقة والأستاذ وهي بك المجيلي نائب الرقة والأستاذ شمس الدين العقيلي من منبج والدكتور يوسف بك كحيل من القاهرة والوجهة الكبير الأستاذ عمر بك الداعوق من لبنان والأستاذ الكبير عزت بك المقدم من طرابلس، ومن القصائد التي تناولتها اللجنة قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ حليم دموس والأديب الأستاذ طاهر العناني من القاهرة وقصيدة الأستاذ اسماعيل بك العظيم من حاة والأستاذ عز الدين علم الدين عضو المجمع العلمي العربي في دمشق والأستاذ محمد كامل شبيب العمالي من لبنان والأستاذ نذير الحسامي من حمص والأستاذ ناجي المحجم من حاة والأستاذ كمال منصور من طرطوس والأستاذ رشاد علي أديب من جبلة وغيرهم من شعراء الشباب .

وتلقينا هذا اليوم برقيات مختلفة منها بركة السادة صبري الطباع، متقال باشا القاتر، حديثه الخريشة، حسن الشريجي، يقولون فيها ان تأخر الوقت حال دون الحضور نشاطركم الشعور بالذكرى الخالدة، وبرقية من السيد محمد عز الدين الحلبي من السويدياء يقول فيها ان اسباباً صحية حالت دون مشاركتنا اياكم بتأبين فقيد الأمة الدكتور شهيدنر نشاطركم المصاب، وبرقية من الطيب زكريا في جملة ما يقول فيها : حالت دواعي المهنة في اللحظة الأخيرة دون حضورني للقيام بواجب التتيد العظيم، أتمس العذرة .

وتلقينا كلمة من عمر بك الداعوق يشكر بها اللجنة لقيامها بهذا الواجب ويعتذر عن الحضور لأسباب صحية . وتلقت اللجنة برقية من متعب بك

ما هو خليف من الرحمة والنعم .

تنفصل كثيرون فأرسلوا الى لجنة التأبين ما حملته عواطفهم الشريفة للزعيم العظيم من الإكبار والإجلال فمنهم من رثاه نظماً ومنهم من رثاه نثراً . واتفق ان جاءت بعض الرثي متأخرة بسبب بطء البريد . قال هؤلاء الذين جاءت اقلامهم برثاء فقيدنا وفقيدهم تقدم بالشكر الجزيل وبكبر فيهم شعورهم الوطني وعاطفتهم النبيلة . وما حال دون تلاوة أكثر ما ورد علينا الا ضيق الوقت وسنتشر في المصحف ما قالوا ونخلده في الكتاب الذي سيصدر في ما قبل في حبينا العظيم .

فمن البرقيات برقية من معالي الشيخ مصطفى عبد الرزاق بك وزير الأوقاف المصرية يعتذر عن تعذر مساهمته في تأبين الفقيد . ومنها برقية للأستاذ المربي خليل السكاكيني قال فيها ومراد النفوس احقر من أن تنعادي فيه وأن تتفان . ومنها برقية من الأستاذ عارف العارف في غرة يعزري بتمثال الوطنية والإخلاص ومنها برقية من المجاهد الكبير السيد علي عبيد جاء فيها (الخطب جسيم للفقيد الرحمة وللأمة العزاء) .

ومن الرسائل المشورة كلمة بليغة للمستردج رئيس الجامعة الأميركية في بيروت ورسالة رقيقة من الشعر المنثور للأستاذ الكبير أمين الريحاني عضو المجمع العلمي العربي وكلمة بارعة للأستاذ العالم بولس الخولي من أستانة الجامعة الأميركية وعضو المجمع العلمي العربي وكلمة لطيفة للدكتور النطاسي فؤاد بك غصن في بيروت الى كلمات غيرها من رجالات لبنان وأدبائه .

وتلقت اللجنة من شرقي الأردن رسائل كثيرة تفيض بالمعاطفة المكلومة والألم العميق .

منها كتاب من معالي الأستاذ رشيد المدفعي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والدفاع، وكتاب من معالي الأستاذ وزير المالية والاقتصاد وكلمة بليغة من سعادة محمد باشا الأنسي رئيس الديوان العالي وكلمة من معالي الأستاذ خلف بك وكتب مؤثرة من عظيم عشائر المجالي في الكرك ورفقات المجالي والعربي الكبير حامد باشا الشاراري والأديب الشاعر الأستاذ محمد

قوة تجمع أمهم. وتوحد كلمتهم، إن الإيمان الوطني لا يزال سليبا وله الحمد في نفس الأمة.

إن (الهيئة الشعبية) المقيمة على عهد الفقيه العظيم في الوقت الذي قد يدها إلى كل عامل مخلص لا تصده عن هدفه الوطني دعايات المفرضين وانتقادات الخاملين، تنتظر ضارخ الصبر، من العدل أن يغسل العار الذي ألحقته الجناية الشنعاء بسمعة البلاد وبتاريخها الوطني.

وليست هذه الزخوف والوفود التي تبكي الزعيم الا ظاهرة واحدة تنطق بغضب الحق على الباطل وبقيمة الشعب على الإجرام.

إننا ونحن نفترق من هذا المكان هدهء نستمر الرحة على (الشهيد الحلي) وعلى إخوانه الشهداء الأبرار ونسأل الله أن يجعل ذكراه ملء ادمتنا ونفوسنا لنعترض عن فقدهم بأداء الرسالة وحفظ الأمانة.

الأطرش يعتذر عن الحضور لأسباب صحية، ويشارك الأمة الحزن ويستذكر الاعتداء الأثيم؟ وبرقية من محمود المحمود يقول فيها: العزاء بالفقيه يشند يوما بعد يوم، الحسرة دائمة، الحلود للشهيد، لكم والأمة العزاء، وبرقية من ولیم بشور تقول الزعيم نور يتير طريق العرب في نهضتهم، خالد بقلوبنا عمر الله ضريحه بالرحمة والرضوان.

كلمة فيصل شهبندر:

وبعد أن انتهى الأستاذ بابل ما تقدم وأعلن أن الكلمة لنجل آل راحل الكريم، نهض الأستاذ فيصل شهبندر، وتلا كلمة وصية تناول فيها أثر المفاجعة في أسرة الفقيه وما تركته من أثر في البلاد وقد كانت الكلمة مثار إعجاب الحاضرين وتقديرهم.

ختام الحفلة:

وعلى الأثر نهض الأستاذ بابل وألقى الكلمة الآتية باسم (الهيئة الشعبية) محتجا بها مهرجان التائبين الكبير الذي لم تشهد بلاد العرب مثيلا له فقال:

قبل أن نعلن ختام هذه الحفلة نوجه إلى الأمة الكريمة، وإلى الوفود التي أمت دمتق من مختلف أنحاء البلاد وإلى معالي رئيس لجنة التائبين الذي كان في موقعه من الفقيه العظيم مثال الصديق الوفي، وإلى كل من ساهم في هذه الحفلة الكبرى بشخصه أو بما أرسله إليها من نثر وشعر أو بما أبداه من شعور صادق وعاطفة شريفة إلى هؤلاء جميعا نتوجه بالتحية والشكر باسم (الهيئة الشعبية) التي كان لها شرف العمل الوطني في كنف الزعيم الفقيه وبرئاسته التي نستمد من طهارتها وشرورها وإخلاصها القوة التي تجعلنا اليوم أكثر من كل يوم مضى أشد عزيمة وأوفر نشاطا وأكثر تفصيحا في سبيل تحقيق المبادئ التي كتبها الفقيه الحبيب لبني قومه بدمه ودماء إخوانه الشهداء.

إن (الهيئة الشعبية) التي تشعر بعد أن خلت الساحة من الزعيم الذي كان مناط الأمل ومعقد الرجاء، بهول الكارثة وتقل العيب، وخطورة الغمائم. نجد أن من حق المؤمن برسالة الوطن أن يستوحوا من ألم المفجعة

رَبَّنَا هِزْجِمْهُمْ زَجْجَاهُ اللَّهُمَّ وَقِ انْفَاحَا

## كلمة سمو الأمير محمد بن الحسين

لقد احزنني ذلك الاعتداء الذي وجه الى الشهيد الذي لم يقصد فيه سوى الأمة وطمها في الصميم والذي أنقضى بها الى خسارها لذاته .

اما هو فلحق بالكرام المكرمين في الدارين ( نبت شهبا ) وعاش نبلا ( و مات أمينا ) فان كنتم تتوجهون له وتريدون تخليد اسمه فمليكم جميعا ان تحذروا حذره وتنبهوا خطراته في الاخلاص للوطن والنيات على المبدأ ( كما فعل هو رحمه الله ) ولا خير في شخصية لا تظهر هذه الفاجعة التي انتقصت البلاد زندا ولسانا صارما وبدا عاملة قمشت مع المخلصين هذه الأمة .

### الأمير محمد بن الحسين

تتردد في نفسي لواعج الأم عندما أكتب هذه الكلمات لأشارك فيها على البعد بأجلاء ذكرى فقيد الأمة، وعلما من اعلامها الذين حملوا لواء الدعوة الحرة وهي ناشئة في مهدها، فعلا صوته في الدفاع عنها وركب الأخطار في سبيلها وقد تجاوز أثره كما تجاوز صدى الرز به حدود بلاد الشام فطوى المراحل وبلغ مختلف الأقطار. وإذا كان حقا عليّ ألا أنسى جهود صحبة قديمة ورفقة في أيام عنة شديدة مرت بنا قبل عشرين سنة فان الأسف الذي يلا جوانحي ليشند عندما تعرض في خاطري عواقب الجراءة على مثل هذه الجريئة التي هي دون ان تسمى سليمة والتي تستباح فيها الدماء المحرمة فتسيء الى سمعة الوطن وتفتح عليه باب الفتنة



لا أحد بعد أن قضى فقيدنا العالي شهيدا كريما ما أخطب به المخلصين الذين نزه الله مقاصدهم وظهر قلوبهم وضمائرهم أجل من كلمة سمعها منه رحمه الله يوم عدنا من المنفى الى الوطن. فقد خاطب الناس بقوله: ( اذا كنتم تحترموننا وتحيوننا وتقسمون اخواننا في السلاح وفي السلام فاجعوا قلوبكم الى قلوبنا وضموا قلوبنا الى قلوبكم لا توصلوا أبواب الوطن في وجه من كان عاملا صادقا لأن جنة هذا الوطن تتسع للجميع من غير تفریق في الملة ). هذا قول الفقيد أخطب به الأمة في هذه الساعة التاريخية المأمنين الصادقين من رجال الوطن ليوحدوا صفوفهم وليجمعوا أمرهم وليستوحوا من جلال موته الاخلاص للوطن والوفاء للشهداء....

## الطريق إلى طحان

خواص الجواهر الثمينة مادة التفاضل بينها، وخواصه أجود ما غلت قيمته واختبر ذخرا نفيسا، والنوايغ بين صفوف الشعب هم جواهرها الحسنان التي يشار اليها بالبيان، وتتحلى بذكراهم صمغ التاريخ، وتروي لأبنائها مثلا عاليا في مناهج الحياة ومدارج الأجاد، وخواصهم التي خللت مجدهم الأثيل وذكروهم الجليل وأخلاقهم الكريمة ومبادئهم القوية وأعمالهم البرورة ومآثرهم المذكورة. على أن خواص الجواهر محدودة تزول بزوال تلك الجواهر، ولكن خواص النوايغ ذات غو غير محدود لا تزول باحتجاب النوايغ في مخابئها وانصرافها الى مخي بارئها، لأنها خواص الروح التي لا يبروها ثناء باقية ما ظل للوجود بقاء.

وفقيد الأمة السورية بل فقيد الأقطار العربية الدكتور عبد الرحمن الشهيد كان في مدى حياته الزمنية وبعدم انشيت به المنية انظارها بعصره الأليم مذكورا مجادته القوية وأخلاقه الراقية. واسمه مدون في سفر الحياة الخالدة بأبائه الذين أنشأهم على غزاه في انتهاج أوم السبل، وبأخوانه الناشجين على مثاله في خدمة البلاد بضمير حي ورأي حصيف وإرادة صادقة لا تتلوى ولا تتلون ( فهي تعمل ما هو حسن للمنفعة العامة ) ولا ترجو اجرا من بشر ولا ذكرا

وتورث الأبناء الأخاد والضمائين في الوقت الذي ينبغي لهم أن يصرفوا الى غير ذلك مما يجمع أمرهم ويضم شئانهم، وأن يتلوا الى الماضي فيستفيدوا من عبره وعظائنه وأن يتأملوا فيما يستقبلونه من أحداث خطيرة فيعملوا على انتقاء المكاره ويضموا للبلادهم ما ترجوه من أمن وسلامة وعز وكرامة.

وعسى أن يكون هذه واعظة ومنيرة فلا تتجدد أمثالها في هذه البلاد التي لا عهد لها من قبل، اما الفقيد المبرز الذي رزنا به فاذا كان خلا مكانه فقد بقي ذكره حيا في جلال صمته كما كان يفضح بيانه أحسن الله جزاءه وأجل المراء به.

## ساعاتنا لله طري

ما كان الفقيد العظيم الدكتور عبد الرحمن الشهيد عاقا لوطنه ومقرطا بحقوق أمته ليلقى جزاء جهاده الحافل بالفاخر هذا الإجمام الفائق الدسم. بل كان زعيا بوطنية وجهاده وعلمه وفنه لم يدع ساعة من وقته أو لمائلته بل وقف حياته كلها على خدمة وطنه بآيات زاهر ونجود لا حد له.

لقد مر فناءه طيب الله ثراه في جميع المواقف صادقا لا بلسانه وقلمه بل بكل ما وهبه الله من مزايا عالية لا تحتمل في رجل واحد. الا اذا جاد الزمن به مرة واحدة في القرن الواحد. التي والألم يعضر نفسي في هذا الموقف الذي يشترك فيه قطاب العرب لتأين فقيدنا العظيم، أذكر أعماله البطولية الوطنية الكثيرة في مواقف الحياة والموت فلا أحد له الا كل عمل يرواح له الضمير ويرقع به الرأس فيزيدني ذلك لوعة على فقدته ونقمة على الذين حرموا الأمة زعيمها الصادق ورجلها الأمين وألقوا بسمة البلاد ويتاريخ جهادها المقدس عارا لا يحصى الا بجمرة مدبري هذه الجريمة والكشف عن خباياها.

ان خسارتنا بفقيد الشهيد من أكبر الخسائر التي منيت بها الأمة في العصر الحاضر. ولئن كان عسيرا عليها ان تعوض رجلا مثله في زمن قصير. فلا أقل من أن تجمع على تحقيق مبادئه لأبنا مبادئه الوطن والمجاهدين والشهداء.

وإذا كنا أوفياء لذكرى الشهيد ولبادته الصحيحة فعل جريح المخلصين العاملين في الوطن من صفت بناتهم وذكت نفوسهم وكان ماضيتهم تقيا من ادران الاساءة الى هذا الوطن ان يستأنف العمل الوطني المجدي الا ما تبلغ به الأمة أمانيتها وفي تحقيقه فقط المراء فيها نزل بها من كوارث اخرها هذه التي اقتدنا سيد المخلصين الشهيد الحي بجآثره الخالدة المنفورة له المذكور عبد الرحمن الشهيد.

## الطبر في حروفه

لا بلعنا ذلك الجبر المتوهم بالاعتداء على حياة الزعيم العظيم من يد أئيمة وهو يتالح المرضي ويشفي اسقامهم حزنا حزنا شديدا وأسفنا كل الأسف على فقد تلك الشخصية الممتازة.

إننا واثقون ان الأمة العربية وكل ذي وجدان يستنكر هذا الفعل الفطيع ويستقيح عمل من لم خبطه به.

فتلك طريقة عقوبة تقود الفوضى وتلقي القتل في الشعوب وتجعل الأمم الراقية ان تفكر سويا بالبلاد التي تقترب فيها تلك الجرائم البربرية.

فتحن نعزي الأمة السورية بفقده ذلك الزعيم المحترم ونعزي آله وأصحابه، طالبين الى خالق الكون ان يعامله بوقر رحته ويولي آله الكرام نعمة الصبر والسلوان ويوفق البلاد الى ما به خيرها ورضاه.

## كلمة الشيخ الحارثي

اعذروا لسانا ناطقا ينوء بنفض قلب جريح يقصر عن اداء ما تطوي عليه الجوانح من ذكريات مجيدة خلفتها تلك المنظمة الاكلة. ما كانت اللغة لتقوى على تصوير أعمق نبضات الروح واللام الروح فهي طليقة من قوالب اللفظ وقيرة المعنى. لا انا اود أن يتغلغل اليأس القاتل في النفوس فالنور يبتثق من الظلمة وعلى قدر الشعور الواعي بالنقص والحرم ان يشتد الحافز الى التماسي أمام هذه العاصفة الجائعة التي هزمت مكامن نفوسنا اذا كان شعورنا واعيا، ولا سبيل الى سبيل بل لا سبيل الى تخليد مبادئ

على جهاد شاق بل ترى الاجادة في العمل هو الواجب الذي عليه ادأؤه وله خلق وعنه يسأل وفي سبيله يؤدي حاسبه لدى عرش، أوجهه وخلع عليه من تأييده درعا وأقام له من عونته وزرا.

إن فقيد المروية الدكتور عبد الرحمن الشهيد اختار لنفسه طب الأجساد فبرغ فيه براعة أعلنت شهرته واختارته له حكيمته طب البلاد فكان سياسيا بصيرا عكف على معالجة شؤون ائتمته فأظهر من ثاقب النظر وأصالة الرأي وحسن التدبير ما جعله زعيما محترما وقائدا من قادة الرأي وحسن التدبير لا فيه الجبر الشامل، وقد عرف له سجاياه كبراء الأقطار العربية وهم الآن يسألون له رجحات الله تعالى وان يترزله في حياه المبر ويكافئه على مساعيه الجعيدة وسيرته الرشيدة، ويعاهدونه على الجرض على ما تحبته لنفسه منهاجاً قويا وسيلا سليدا. فلا زالت ذكراه تقوى رجائنا ومناهجه تنفي ارجال الوطنية شهبانا ما ذكر النوايح بأقارهم الباقية في هذه الدار.

## زكريا الخطيب

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليق الله سائله جاد شهبانا العظيم يحياه العالمة وهي جزء مشرف من تاريخ الأمة العربية وصفحة خالدة من صفحات الجهاد في كل ساحة. كان رحمه الله سيد المنابر ورسول الفضائل وداعية الإصلاح الاجتماعي ومن القادة والشهداء المصلحين الذين ساروا في الظلمة ورفعوا لواء الحق والحرية والمروية وهو من أعلم العلماء بين معاصريه ومن أكثر أطباء هذا الجيل علما وخبرة وإخلاصا لفته ومهنته، ولئن كانت أسرة الفقيد الصغير هي زوجه المتساعة وشريكه في جهاده القومي وآله الذين خلف لنا قههم شهيدتين وشهيدتين بيات كل واحدواحدة منهم زخر للمستقبل في نهضتنا الجديدة الا ان أسرة الكبري هي الأمة التي كان لها قبل كل شيء وبذل في سبيلها كل شيء.

فقد الشهيد خسارة لن تعرض واللوعة التي اضطرت في ائمة المؤيين برسالته والقدرين لعظم فضله لن تطلقا والكرامة القوية التي انزلت بنا لا تعادها كرامة في هذه الأيام المصيبة.

اصغني فأسمك تقول:

يدين بالمقيدة الذي في قلبه إيمان صادق فهو كأحد الشهداء في صدر الإسلام وفي عهد النصرانية الأولى، يذهب إلى الموت بصدر مفتوح وثغر باسم لأن الموت عند الحقيقة هو أحقر من أن يحسم به أو يؤمن به له.

هذه آياتك بل عصارة نفسك قوة معها بلغت لن تتزعزعا من ثنائها وإذا كانت البروج أفواها خرساء - كما قال الشاعر -

فستجمل من كلوم العدر في رأسك الكبير رسالة ناصمة مشمة  
تبر البصائر الخاسرة التي اصصعت طرق الساء.

الزعيم شهيدنا الا اذا باهر المخلصون المواة وفي ظليتهم الشباب المثقف المؤمن لتطهير المجتمع من شوائب الشهوات الآنية الزائلة والالاصيب الزارفة، يمتوون الحاجر الصفيق المصطنع الذي يحاول المبطون ان يقيموا بين السياسة والثقافة، فالسياسة ليست عدوة للثقافة بالمعنى الذي وضعه لها الاغريق القدماء، الثقافة عدوة الانتهاز بأشكاله الدائمة، هي عدوة التدجيل النبري والجهل المطلق بالخضاب للنسر بل بجلبات القدامسة، اما السياسة التي تستهدف خير المواطن وحفظ حقوق المواطن والسمو به نحو ذروة المجد من صميم الثقافة وهي من أطراف الساء لا يزال الشباب في بلادنا ويا للأسف عصرا سلبيا ينسج بروده من خيوط واهية بالية تلقىها اليه الرصولية الماكرة. والوصولية الماكرة هي التي حدثنا عنها الملامة الاجتماعية - فريجان - أنها ترقب الموضع الذي تهب عنه رياح الجماهير لتتقي بطشها بالأساليب الخلدعة ولتمتدح على شهوات المجتمع وترضيه بالقول الدوي ليرضيها باخطام الزنازل والجد الزائف، احملا راية الجهاد للقضاء على الدعاوات الباطلة التي تالطخ وجهه الفضيلة وتقلب الحق والأخلاق السامية فما أصيب العالم الحديث، ولا ابتليت الآداب الرفيعة وحقائق العلم والمعرفة جميعا بأنطع من تتين (الدعاوة) وفق الكاذب المنظم، تداركوا جماهيركم بعلاج يحملها منيعة على زخرف الباطل وحوافز الفرائز الخسيسة فلن ترتفع هذه النفوس إلى السماء، ان لم تصف انسانيتهما من الكدار؛ الترحية الكادمة الجديدة تتخيلها سرايا مخادعا ودويا فارغا.

قلت في حفلة اقيمت للزعيم شهيدنا بعد رجوعه من المنفى ان الشباب المثقف يؤمن برسائلك التي طالمتهم بها أعمالك المجيدة وبحوثك الشائقة وخطبك البليغة لأبها رسالة الفكر التحررك المولد فهي لا تقتصر على الحثاف وتزريق الحناجر بل تشمل بناء المجتمع العربي بكامله من أنفه شؤون الأسرة إلى اسمى شؤون الدولة وأنهم يدينون كما يدين الوطن العربي الكبير المجرد من أدران الطائفية لأنهم يشقون الأفق والرحب والثقافة المسمة السمحة. والآن وقد تسربت إلى جسمك الطاهر اقاعي الجريئة العائرة يترداد تملقنا بجاذك الخالدة وظمانا لتحقيق الظفر الكامل الذي كنت تشده اني

## الرسالة المحمدية الرسالة

هل يعتناك بعد طول السفر. أترى من قوافل الأحرار  
أكتفت عليه هوى الألبان. وشفت ما يصورها من أوار  
أحيا ونجت؟ أم خفت من أن تلعب في مقابر التذكار  
بتت قاسيون أي جرح أواشي في هواك وأي جرح اداري

\*\*\*

أين حلم زاهي المفاخر سالت برؤاه حاجر  
نسجه الصحراء فاكست الدنيا بأهل عبادة وأزار  
يوم هز النبي رايته الحضراء في مركب السبي الزخار  
وأطلت كتاب الله ترويك بين هزة اعطاف النبوة المطار  
فتمت عرائس الأرض لو كن تجرير وفيول وزغردات فجار  
تلك نغمي لست في جانبها على وراء الطلوع من أسرار  
إنا راعك انطاف لياليك على زنج عصية فجار  
سقت نخوة الجهاد على الكاس وحلم الملى على الزنار  
ومشت تحمل الروءة في هكل في هكل الأوزار  
طرقت مقلنة الرسالة فيه أبدأ دافق على الأدهار  
وأقامت أحرام يرب، هذي فترت عن دمها المزار  
لم يزل هول يومها يقطع الا في اكتاب، وهذه في اغيار  
بتت قاسيون أي جرح أواشي في هواك وأي جرح اداري  
أي غار جهة ابن زياد ضفره أليدي الوفا أي غار  
أو لم يسرح الجيول وطلقها جفاة خطافة الإصار  
تتعطى مدى الطميح فما نعتز بانجم ودراري  
أبنا أثبت حوارها الحمر أطلت كراتم الأوطار  
فإذا الفتح حقة من عابن وإذا المجد حقة من غبار  
يا جبال السور في المغرب المهجور لا تنسقي على الأواكر

فجوة في صدرها الحز بعداً ونامت به على الامصار  
 بنت قاسيون أي جرح أراسي في هوك وأي جرح أداري  
 من على المشي مانجا في خضم آدي الأزياد والأعصار  
 تحت فيض الأذان، من لوات تحت دامت مع الأذان جراح  
 أقتل، من القتل؟ - أي أسباريه في الإباء مسبار  
 انفضين، في تنده الصمت وفي غصة الأسي القهار  
 قد عرفت النقي، فضمه في عقد الضحايا الثوابر الأبرار  
 ابن ستين، كل يوم على الظل ربيع عزز الأزهار  
 لم يزل للخطوب جناً، لم يوسم بوهج، ولم يقم من عثار  
 من تضال، إلى طواه، والمجد سهر وبراع وثارة بغار  
 رب ليل طواه، والمجد سهر ان على رجع اغنيات الشغار  
 ومبادئ خاضها وخيال الموت بين اللقا وبين النثار  
 وأقرب مصر مثلاً تزلج النعجة عن حد مدي الجزار  
 وعالمين دوما لم يجلدوا يلجح الا الجدار فوق وفزار  
 فدوى صوته فمزق كجا يحمل للبرج أغصهم كل برقع وستار  
 حلوا حقدهم كما يحمل للبرج انفاض روحه للثار  
 ودموع يتلهم من نفوس تنهارى على بدني كل شاري  
 مارعت حرمة الستين اذا لم ترع حرمت مجدها والنفجار  
 فالت تجديه علقاً، وكلس يمين وحجر فيا للمار  
 فاذا شية الجهاد خضيت تحت أقدامها فيا للمار  
 وكانى أراه في سكرة الموت وفي مقلته وهج ازورار  
 لا ارتباعاً، لكنها غصية الحر وفي هناك عهده والدمار  
 لم يجد حوله سوى شبح النذر حسيراً على أغرب التدق صغار  
 لا مواضيه قطع تلجح الموت ونطوي مساحب الأصمار  
 لا ولا خيله، تعض على اللجم جنوناً تحت القنا الخطار  
 فاعذبه اذا تروق في جفنيه ما يشبه الدموع الجوارى  
 فمن المكيات، ان تقتل الا حراز في غير ملتب الأحرار  
 إيه عبد الرحمن، ما ي البر فانهج بدني عن أوتاري  
 لا تدعي أريق دمع الميامن والتي والغشيم فوق النار

نسرك البكر، طارق في كهوف السجين دامي الجراح والظفار  
 يلفظ الروح بين جلبلة القيد وبين احصارة الأتوار  
 ولوسى بن النمر أين يوطء والألاق والأعصار  
 يسقط الكف مستبداً بها الطود عرق الأظمار  
 وبقياً حياته تشظى فوق أبواب جوعه الكنار  
 فكان لم تنفض بؤكبه الدنيا وتتمل أنفاسه بالنفسار  
 صفحة تظمن الوفاء وقربي شرف الفتح بانها والصغار  
 بنت قاسيون أي جرح أراسي في هوك وأي جرح اداري  
 أين ركب على يدك مشى من حلب خائف النبرد حثار  
 وفناه أسى أهلة حمدان وآدمي فوارس المنصار  
 يقطع الدرب والى البيض تحده وطار الولوع وطار  
 وزبه الأجمال ترونو اليه فوق انفاض عرشها المنار  
 فمرأه ما يعترى الأسد المناف ان رجه القضا في الأسار  
 وكبير القواد ما اهتز الا برغاب على الزمان كجار  
 هبط الغوطة الندية يطوي ما عليها من تخيل الآثار  
 ويسل النفوس من حاة اللال وبذلكي اباهما للمواري  
 واداً ما استوى على السدرة الثناء بين الاجلال والاكار  
 رث في سممه الرهيف فحجح لافاع وخشة لضواري  
 فاذا الخفق المحجاف، تناجي علف كافور ضحكة الأقدار  
 فنته ما أراد أن يقطع الأذ صال فيها ما بين جار وجار  
 فقي جيد مهره، ساهي الطرف جريح الحى، غريب الديار  
 بنت قاسيون أي جرح أراسي في هوك وأي جرح اداري  
 أين تاج يحبه خاضت الأحرار عبر الدما وعبر الدمار  
 يلتقي في ظلاله بسمه النور السدى وطيب النجار  
 أرث ملك أطل من حدق الدهر سخيا من بعد طول انتظار  
 فاشربت أعناق سيناء شوقاً تسأل المرش هل له من قرار  
 فيصل دمة المسيح على الاثم وسيف النبي على الأوزار  
 أي فرق كفرة يصدع التاج من السنا والوقار  
 قام بالمعبه مؤنسا خطاه بالصحايا بحفوة والمعمار  
 واداً كانت الأماني تحفر بأطيب الأتمار  
 طسته الأبدى التي بامتته بالفتح والنفسار

ثم تكلم، فما اطلق استماعا  
 لاناثيد ستيقن على الدهر قبلة الانظار  
 بنت فاسيون... أنت أنت  
 ضمني ضملي الجراح وسعري  
 لن عموي... فكاكل الأرض لا يقوى على حمل نعيمك الجبارا

## الشاعر فولاذ بن الخطيب

ايه دمشق هنا الشهيد الأظهر  
 وعليه من دمه الفميص الآخر  
 هو من ولدت وفي الصميم بنوة  
 أكبر الله ولواء مملكة وديا تزخر  
 طوت اللية منه ثورة امة  
 واحتجب الصباح المسفر  
 ونمطت لنة فاقفر مجمع  
 تلك الفصحية بينهم تنمذ  
 ويح الجناة ألم بروا كيف ارتدت  
 جري الدم الهراق في آثارهم  
 وطغمت الهم كالذي هو سائل  
 وثلثت الجبد المرق نحوهم  
 يا أيها الثاني القريب نجمة  
 طمحت الهم كالذي هو سائل  
 اني ريثك عن جوى وتفرج  
 كمن: أين العرب نذل يفدر؟  
 وأنا القيم على المودة والموى  
 لك من أخ يرمي الاخاء ويذكر  
 وحفظت دمة صحية لا تحفر  
 تغير الدنيا ولا انير  
 وأنا القيم على المودة والموى  
 أعشى العزب في البلاد واحذر  
 مرض تغفل في النفوس فهل لما  
 أس يطيب أو يحز فيتر  
 وأين الخطيب الفصل يبعث بينهم  
 ونكاد أعواد المناير تحته  
 يا من رددت على البلاد شياها  
 فمخ الضاعم في الجبال علقن  
 مرض تغفل في النفوس فهل لما  
 وأين الخطيب الفصل يبعث بينهم  
 ونكاد أعواد المناير تحته  
 يا من رددت على البلاد شياها  
 فمخ الضاعم في الجبال علقن  
 ومع القطا الكدري تروع من جا  
 وتنفض عمتنا لكل ملمة  
 وتكر مرّ اللطيف في سنة الكرى  
 وتنفقت عليك سديد رأيك عفر  
 بق كنت تطلب للجنة حياتهم  
 فإذا الشكرم بالشكرم يفرد  
 فنجي البعاة جانيين فطمة  
 في الخلق والآخرى الدم المنفجر

## محمد الرواحي

سيداتي وسادتي يرحبُ أن أقف الآن هذا الموقف المروّج بكم - أستمطر رضوان الله ورحمته على رفيق صباي وكهلتي وشيخوتي ونسي في علمي ورأيي ومذهبي أخي وجيتي الزعيم المذكور عبد الرحمن شهبندر .

عرفت الزاخر الأعظم قبل ما غادر مدرسته، وعرفته وقد جاوز الستين فما كان الاختلاف بين أوليته وشأنه إلا بوفرة العلم وكثرة التجارب، أما عزمه الذي جرى عليه نحو أربعين سنة فكان غمّوا واحدا لا يخرج عن الدعوة لإقامة كيان سياسي إيلاده والسمي لثقله أهلها من أمراضهم الاجتماعية والعمل على تهذيب النفوس بعمور الحضارة الحديثة، ورثت على هذه الدعوة النافذة وما عصبه بالثقلات على كثره ما يثقف منه في سبيل المصلحين، واستهان بحظوظ نفسه وأسباب نعيمه وراحته وكان كلما انتشرت دعوته يكثر انصاره ويريدوه ويعترف المصلدين ؛ فعدّوا بفضله وحسن بلائه .

كان أجنّ الله ثوابه نحرط غيرته يتوصل إلى إصلاحه بكل ما لديه من طرق شريفة يسلكها تفاديا من ظهور ما يكون دون رغبته، ذلك لأنه رأى أن الأمة العربية وثقت نرونا ضريبة، وسبقها في مصفا أثري أنه كانت متخلفة عمو، ولأية لا تشفق على ضعيف والشعوب العربية لا تأمن عوادي الليالي إذا نامت على ضعفها المحسوس .

نعم ما كانت نفسه تصير على التسويف في تطبيق مفاسل خطته فكان يثّر على العلم وعلى الجهل يحاول أن يقضي عليهم، ولو كان السلاح الذي وصلت إليه يده لا يسد كل الخجة ويقدّر ما كنت ترى الدكتور شهبندر متطافا في طب الأبدان كنت تراه صلبا في مداواة ما استعصى من أمراض الأوطان .

هي صدمة تزع الطليم وترتجر لك فكرة ثاب القود وتنكر تشنج الأبواب عك وتنكر من يجد به الجهاد فيمن صوراً يحف بها اللام الأكر كيف المراء وأني حر يصير في الأرض عند الحزن لا يتنكر والمصدر تعصف فيه ريح صرصه هيهات ظلك عن بلادك بحس فلكم تزقرف من براعتك كثر فالحصم يكثر يوم فضلك يكثر لسوف تذرك العمور فتشكر

نكسة بالطبع بعد تحوط ولقد هبط السجن غير مقيد وراك اشرف من حواه فاوشكت أنقت عمرك في الجهاد ولم تكن فهل اخفقت سير الرجال وأصبحت وكذلك الدنيا وبلك صروها فلقد تنكرت الديار وما الذي فالنفس تزعد وافوم تخفيها يا صاحب العلم المرفوف ظله ولن وردت الغرض غير مكدر ان الحمول هو المحل من الذي وسيفك التاريخ باسمك عاليا

أنحاء البلاد تحتل بذكراه وتعدد مآثره ويبض أياديه على أمته. وأعظم برهانه على أن فقيدنا كان عظيماً في ذاته وصفاته وأنه حقا رجل الوطنية الصحيحة وعلم من اعلام الشام وأنه المثال الصالح للعاملين عمل كل ما في وسعه لجبر أمته ووطنه. ما سيلقي الآن على المسامع وهو طائفة مما قيل في العزيز الراحل، تتمثلون بها منزلته في الشام ومصر والعراق، ومضى عاد الاتصال بين الممالك تسمعون أهل البلاد العربية كافة وتنتهي إليكم شهادة بعض عمنا وأخواننا المهاجرين الى الأمريكتين، وستحمل إليكم شهادة بعض علماء الغرب وساسته عنه، السادر الذي تطلّط له الرؤوس اجلالا وعظما.

- إنا لله وإنا إليه لراجعون -

جريدة الف باء

٤ أيلول ١٩٤٠

ونجح حسبي شهيدند في تحقيق مطالبه إلى الحد الذي كتب له، ففسرت دعوته إلى أصمق القلوب واغتبط إذ رأى أمته تشمر بتقصيرها والشعور بالتقصير أول مراتب الكمال. علمها بما كتب وخطبه ان الرضا بالمدون من الحياة شأنان لحاملين، وان السكوت عن إصلاح العمل يؤدي حتما إلى الهلاك وإن الجمود موت زوام ولا بد من حركة، وإن السعادة لا تنزل من السماء بل هي مناط عمل أهل الأرض تتعاون على جلبها قوانين الأرض وقوانين السماء، وإن كل ذلك لا يتم إلا بالتفكير بكل ذرائع الإصلاح وأجدرها بالتقديم في نظره.

(اصلاح السياسة) ورأيه في هذا الباب من الاراء التي يتند بها لأنه من أعرف أطباء الاجتماع بتشخيص الداء ومعرفة الدواء الشربت نفسه هذه الدعوة فجامر بها لم يوارب ولم يلداج فاستهدف لغضب الأقوياء فأودى فصرير وصاير.

لا جرم ان فقيد الأمة العربية عمل للجماعة أكثر مما عمل لنفسه وصرف من الجهود للنبوض بأمنه ما لم يصرف بعضه من حاولوا أن يعدوا في قائمة المعطاء وهم في الواقع لا يفكرون في غير مصلحتهم وتطلّوا إلى تساق ذرى المعالي على غير استعداد للاضطلاح بها. ولو كان كل فرد من أرباب المدارك يفكر في مصلحة قومه بالقدر الذي فكر به شهيدند لكانت حالنا على غير ما نرى اليوم شيئا كان مذكورا في المرف الدولي وفي مجالس العلم العالي.

سيداتي وسادتي:

للأدب ضحايا وللعلم ضحايا وللسياسة ضحايا وحسبي شهيدند جمع في شخصه المحبوب الأدب والعلم والسياسة على أكمل وجه، وكان ضحية الضحايا فعدت أمته فجيئتها به من أعظم ما أصابها من المصائب بفقد رجلها، ورزئت به في وقت كانت تتوقع فيه إتمام عمله العظيم فحق لها ان تبكيه ويقول ككأنها عليه ويكثر الرثاؤون له والناديون.

التاريخ لا يكذب، مهال دل فيه المدلون والتاريخ سينصف الدكتور شهيدند ويذكر غناؤه وبلاؤه موزونا يميزان العدل والنصفة وسيقولون عنه انه أمة وأنه خير من نبيخ في الأمة العربية السورية في هذا القرن وأنه أحد قلائل ضحوا أنفسهم في مرصاة الوطن واثبتوا بأعمالهم أنهم كانوا شيئا عظيما في الحياة لا كالذين دخلوا العلم وخرجوا منه لم يحسن لوجودهم أحد.

هذه الجموع الفقيرة الرشيدة المتوافدة بدافع من حبها للشهيدند من جميع



## جملتي حسي بك

أشكر اللجة ولكم هذا الشعور النبيل نحو من بعث عبيدي  
ذاك النور القائم بين القطرين الشقيقين فمصر بلا ريب تقدر  
عواطف السوريين نحوها وترحب بأهلها وتستأنس بأديانها  
وعلمائها كلما حلوا بأرضها، وقد اختار الزعيم الراحل  
عاصمة الفاطميين مقاما له ودحا من الزمن فكان بيتنا غورا  
على مصر غيرة على عاصمة الأمويين، من عاشره وخالطه  
أنس فيه النخوة العربية ولس منه النفس الأبية والتهامة  
البدوية، كما قدر فيه الطموح المتسامي الى خدمة بلاده والعمل  
على إعلاء شأنها ورفع منارها ورعيته الصادقة في ربطها بسائر  
الأقطار العربية برباط وثيق، يحكم العلاقات وينشئ حسن  
التفاهم والتعارف بين ساكنيها.

كان خطيبا بليغا ومتقلبا فصيحاً قويا في عباراته اخذنا في  
القائه ساعرا في بيان اغراضه ومرايمه واضحا في مقاصده،  
يستحوذ مشاعر سامعيه وينقل إلى حواسهم، ويثير همهم  
ويجذب أنظارهم وأسماعهم بما يرسله من قول لا كلغة فيه  
ولا عناء، ويستفتح القلوب التي في الصدور بما يروي من  
عقيدة وصدق وإخلاص يجعل السامع يشعر بشعوره ويكنس  
بإحساسه ويؤمن بإيمانه وإذا من الله على خطيب بهذه  
الخصائص نفذ الى القلوب وتلك أفئدة الجماهير.

كان شغوفا باستقلال بلاده ساعيا في إعلاء شأنها وبناء

## كلمة محمود السبيلوني

كان لي الحظ ان تعرفت إلى فقيد الأمة العربية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بما كان ينبغي وبين أبناء عمومته الشاميين بمصر من صلات حب وود، وكنت أفخر بهم وبصدقتهم لإخلاصهم وحسن وفائهم فرأيتهم على مثل تلك الخلال الكريمة التي كنت المسها فيهم فأجبه قلبي وأكبرت صفاته نفسي . واستبان لي بطول عشرته ان له طابعا خاصا وهو رغبته الشديدة في إحياء المملكة العربية .

وان أنس لا أنسى خطيبته الرنانة التي ألقاها في آخر احتفال أقيم لتكريه في فندق الكونتيننتال بالقاهرة قبيل عودته إلى بلاده للمرة الأخيرة مساء يوم ٨ مارس ١٩٤٠ وكانت من أولها إلى آخرها دائرة حول هذا الموضوع .

لئن كان الدكتور شهبندر قام في حياته بخدمة بلاده وشقيقاتها العربية بالحث على ضم الصفوف وتوحيد الكلمة والثقافة وتسهيل سبل التجارة بينها فمن المؤكد انه سيخدمها بعد وفاته أجل خدمة لأن مبادئه لم تمت بل يحيا أصحابه وأنصاره . رحمه الله رحمة واسعة وعرض منه العروبة خير العرض وألهمنا جميعا على فقده الصبر الجميل .

## حاج محمود الوعت

حضرات السادة الأجلاء

كتب فقيد الأمة الدكتور شهبندر فصولا شائقة عن لورنس المغامر الانكليزي المشهور فلامه في بعض الفصول لومنا شديدا لأنه سلب ( السلطان صلاح الدين الأيوبي ) الهدية الوحيدة التي تذكرته بها اوربا لأعماله الخالدة بعد ما نسبتها ثمانية قرون كاملة . وهذه الهدية هي اكليل من الذهب قدمه الإمبراطور غليوم يوم زيارته دمشق من نحو الجبل وقد حفر

جدها نصيراً للوحدة العربية عاملا على ايجاد روابط تربطها في ثقافتها ولغتها شاعرا بأن ضمان معنوياتها وحفظ كيانها نصرة وبها الاستمالة بأدابه والا حفاظ بتقاليده التي تشهد لحكمتها ومكانتها اربعة عشر قرنا .

وكان بارا كريما فاشتهر برأسة الكثيرين عن كانوا يترددون على عبادته الخاصة وحسن معاملته لم فكان يعني بهم كل العناية ويعطف عليهم كل المعطف ويرفض أن يتناول منهم أجرا وكان يشفق على الفقير منهم فيحسن إليه ويعطيه ثمن الدواء من عنده وله في ذلك حوادث كثيرة يتحدث بها الناس في مصر، وكم سعى بنفسه لزيارة المرضى الفقراء في بيوتهم على بعد الشقة ويؤس الأحياء التي يقيمون فيها، فسمح بيده دموعا وادخل العزاء والطمانية إلى قلوب مكلومه فلان بكت سوريه اليوم فقيدها الراحل وبكاه الشرق العربي زعيما فلان الأسرة الطيبة في مصر تبكيه زميلا كريما والريض الفقير يكرهه معا ملكا بارا رحما .

أيها الاخوان: يعلم الله أنني نصحت إليه أن لا يغادر مصرنا لما أخبرني بعزمه على مغادرتها ليستأنف جهاده فكان قلبي يشعر بما كان ينتظره من خاتمة أئمة فيا أسفي عليه بين الرجال العاملين وبنا أسفي عليه بين الأصدقاء المخلصين، رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما بذل من جهد وقدم من خبر في حياته الحافلة بالكرومات وجزاه بجهاده واحسانه جنة النعيم وجمعنا به في ساحة عفوه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

أسأل الله العلي القدير أن يبعث في نفوس أسرته الكريمة صبورا جميلا وأن يلهمنا جميعا في فقده العزاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جزالة الأدب ويندر أن يغلب عنده أحد المستشارين على أخيه.

أما تجاربه فمن ذا الذي يصاحب القضية العربية ربع قرن ويخرج منها خالي الرطب بتجارب الجماعات والأفراد، ومن ذا الذي يلقى الموت ولا يعلم ما هي الحياة، ومن ذا الذي يلبس الناس في أيام القلاقل والنواهض القروية ولا يعرف مدى الأمل والنفوط، وضاية الأمة والطموح وضاية الإسماعيل والركود، ومن ذا الذي يكون عربياً حقاً في الجبل الأخير ولا يكون إنساناً حقاً بصيراً فياً في العالم الإنساني من أخلاق ونزعات وحركات وأطوار؟!!

ولست أدعي حق الحكم على سياسة الفقيد الكبير في الشؤون العربية فليست على علم وثيق بتفصيلاتها في مختلف الأدوار ولكي أرى ما قرأته له أو سمعته منه في شؤون السياسة والأجتماع مثلاً في السداد وحسن التدبير.

فمن أصدق الموازين للحمية الوطنية قوله « أن الاستقراء قد دلي في الشرق والغرب على أن معيار حب الاستقلال في الأمة إنما يكون على قدر حرمتها وسعيها لإمعاشها وإن الذي لا يغار على لنته لا يغار على أمته ».

فهذا ميزان للوطنية لا نعرف ميزاناً أصبح منه في الدلالة على الوطنية الصحيحة، فإن حب الوطن بمعنى حب المكان خصلة يشترك فيها الإنسان والحيوان، أما الوطنية التي تتعلق بالروح والفعل والضمير فتلك هي وطنية الإنسان الناطق أو وطنية اللغة التي تجمع له زمانه ومكانه في ماضي وحاضر ومستقبل منظور.

ومن الصواب البين دعوته إلى التجانس بين العرب في الثقافة والشؤون الاجتماعية فإن الفروق في العادات والأقطار حال لا تتحقق معه الوحدة والاتحاد.

وقد كان آخر عهدي به لقيته باحدى المكتبات في القاهرة فسألني عن مصر وسألته عن الشام كيف يسلك أهلها في المحنة الحاضرة - محنة الحرب الأوربية التي توشك - أن تنقلب حرباً عالمياً لا ينحصر فيها موضع ولا قبيل . قال المغلاء يعرفون الحقيقة ويدركون أن انتصار الحرية خير للقضية

عليه بخط عربي مبين « أن الله يحب المحسنين » وفي سرقة عليه  
الأموال عار ليس في سرقة الأحياء .

فهل خطر في بال الفقيد وهو يكتب هذا الكلام انه سيقرد  
رقته الأخيرة في ذلك المكان الضريع الذي غضب له ذلك  
الغضب وغار عليه تلك الغيرة أو انه سيحوطه بوفاته وذكرى  
حياته، وكما يحوط الحارس الأمين صاحب الناح في عالم الفناء؟

لو كان الأمر عا يضرب بالنظر الجديد لجاز أن يقال انه بعد نظر من الحكيم  
العليم لأن هذه الصفة النادرة كانت من أوضح صفات شهبندر رحمه الله .  
فلا يصني اليه جليلة لحظات محدورات حتى يتبين من كلامه وسباق  
جاراته دلالة الاناة والتبصر ووزن الواقع وسير الأغوار.

وربما عز على بعض الناس أن يوفقوا بين هذه الصفة الواضحة فيه وبين  
أقدامه وطموحه الذي يشبه لهم صفة الهجوم وقلة المسالة أو صفة الجيال  
الجموح مع الأقدام ولا داعي للاشتباه بالحقيقة لأن معرفة الواقع لا تقتضي  
الرضى عنه، وتخطئه ويحاول تبديله فيلوح لمن يراه كانه ينسى الواقع ويتماثل  
بألوهام، وهو في صميم الأمر عليم بالواقع لا يحله ولا يفساه ولكنه  
يختريه عليه لأنه قد أوتي من النشاط الحيوي ما يدفع إلى الحركة ويتأى به  
عن السكينة والاستقرار . ولذلك كان الدكتور شهبندر رحمه الله عن  
يتعمدون على الواقع علماً به لا غفلة عنه وهو مع ذلك مطبوع على التبصر  
والآناة وسير الأغوار، وقد اجتمعت له أسباب ذلك من فطرة ومن تربية ومن  
تجارب حياته .

فهو بقطرته رجل أعمال لا يأخذ من الأشياء والحوادث إلا بمقدار ما  
يتبرجه عملاً قابلاً للإنفاذ والإيجاز ولا يمتنع هذا أن يكون إنجازاً مقروناً  
بالشفقة والإقدام .

وهو بتربيته قد نشأ على المعرفة الأدبية والعلمية فلا هو محصور في معدل  
التحليل ولا هو مشغول بالألفاظ، ولكنه رجل يعيش في الدنيا بدقة العالم  
وأريحية الأديب، ويتبدى بمستشارين أحدها صارم صرامة العلم وثانيها جزل

## المجبة ترؤها اللذلا علاج والصحة

العربية من انتصار الدول التي لا تؤمن بحق الحرية لشعبها فضلاً عن الشعوب الشرقية، وبدأ عليه الألم وهو يقول « يا أخي هذه الدول سوطان ومذا الذي يمتنى السوطان ولو كان يشكو ذات الرئة »<sup>١٩</sup>

قلت يا دكتور انك طبيب حتى في السياسة، فكيف العلاج فانتسم ابتسامه حريه وقال :

ربنا ياطف . . وكان هذا آخر ما سمعت منه وما سمعته عنه ، حتى سمعت نعيه بين الشك واليقين ثم غلب اليقين كما تغلب أخبار السوء في كثير من الأحيان .

يا للمعائب في هذه الدنيا . . اما إنجاب الرجال الأذلاء فشيء تقى به جهود الأمم وأما القضاء عليهم فشيء يستطيعه شريعة من الطمأة .

سبحانك اللهم لك فيما تريد حكمة . ولعل من حكمة هذا المصاب ان يعرف الشرق اقدار الرجال .

## الجميع تروها لله وللعلى والصحف

هذا هو اليوم السادس الذي تصرم على مصرع فقيد البلاد العالي الرعيم شهيد تلك الفاجعة الأليمة التي مهما حاولنا أن نخفف من حدتها فلستنا نستطيعون إلى ذلك سبيلا، لأن فقد رجل كالشهيد على الشكل الذي اختطف فيه بغتة من بين صفوفنا سيبقى أثره في نفس هذه الأمة ما دامت ذكرى الشهيد تتردد على الشفاة وتخفق بها الصدور، ومبادئه ومثله العليا هدف العاملين وقبلة المؤمنين برسالة الوطن الكبرى.

لقد شهدنا فيما مضى موت الكثيرين من أبناء هذا الشرق، فكانت الورعة عليهم تختلف باختلاف شخصياتهم وخدماتهم، ولكن لوحة الأمة من موت الشهيد كانت بليغة وأليمة لأن شخصية الرجل فذة، وماضيه لامع، وقلبه طاهر، وسيرته لطيفة، وذمته لم تندسها المادة، ولم يزعزع زخرف المناصب من عقيدته شيئا.

فالمصحف، والكتاب، وكثيرون من أرباب الأقلام والبيان، بكوا الشهيد سرا وعنا، ولقد بكوا فيه صفات الرجل الذي كاد أن يبلغ القمة التي يترفع عليها أفئدة الأبطال وفحول الرجال.

وإذا كان كتاب الشرق أطلقوا لأقلامهم العنان بتصوير عظم المصاب بالنظر لا كانت تتحل به شخصية الشهيد من صفات سامية، وما قدم لهذا الوطن من خدمات سوف يذكرها الأبناء القادمون، والشرفاء المنصفون، فإن محطات الإذاعة العالية قامت بصيب كبير نحو الفريد الكبير فأبته تأييدا رائعا، وحللت شخصيته، ومكاند خصومه التي أودت بحياته على الشكل الذي أثار سخط الأمة، وحز في السوياء في صميمها.

الأيام ١٤ غوز ١٩٤٠

عنتمت حتى انقلبت إلى موقف انفضحت لها فيه الحقيقة ناصعة جليلة فتنازلت الأدوار التي سبقت مقتل الفقيده والإجتماعات التي عقدت، ثم أننت على وطنيته البريئة، واستمطرت له الرحمة والإخوانه الشهداء.

وإذا كنا لا نجد غرابه في هذا الإفتلاب من خصومة عنيقة، إلى تأييده لمبادئه وأسانيه حتى بعد موته، فهي لعمر الحق شهادة تذكر، ويكفي المرء فخرا شهادة الأعداء.

### المصحف والإذاعات العربية

وإذا كانت المحطات العربية لمصر وفلسطين لم تقتصر في اداء الراجب نحو الفقيده الراحل، وأوضحا للرأي العام العربي حقيقة الرسالة القنيه التي كان يسعى لتطبيقها في بلاده سوريا أولا وجزيرة العرب ثانيا، فإن كبريات المصحف المصرية واللبنانية والسورية لم تأل جهدا بعداد مناقب الفقيده، فقد جرت الأقلام بما هو أكثر من الرصف.

وقد نشرت جريدة الأهرام يوم أمس مقالا إفتاحيا إستقطعت فيه كنيه مصريح الزعيم، وقالت إن الدكتور شهبندر، عرّف بلاده إلى أوروبا وأمريكا قبل أن يعرفها أهلها أنفسهم، وقد استطاع بما له من أصدقاء كبار في الشرق والغرب أن يقدم لبلاده حسسات تذكر، وأن يتقش في قفوس الطبقات العليا من أهل القارتين الأمريكيتين اسم القنيه السورية والعالم العربي إلى أن قالت :

لقد اعتدت يد أئمة على زعيم العروبة والوطنية فاطلقت عليه النار وقتلته، ففقت بذلك على أحسن خطيب عرفه العرب وعلى أنبل وطني عظيم جاب أنحاء أوروبا وأمريكا ناثرا رسالته الصادقة ورافعا ظلامه العرب إلى كل من له ضمير يحكم وعقل يفكر، أربعمون عاما قضاه الزعيم السوري المغفور له الدكتور شهبندر وهو يحوب الأقطار في سبيل تأدية رسالته الوطنية... أربعمون عاما قضاه في خدمة الوطن والعروبة...

وهنا ذكرت جريدة الأهرام الغراء نبذة عن حياة الزعيم شهبندر وعن أيام دراسته وتفوقه في الجامعة وعن شهادة أساتذته فيه وعن التحاقه بالثورة

### لندن

لقد روت محلة لندن البريطانية سيرة الفقيده فقالت عنه : قليلون الذين يعرفون الدكتور شهبندر حتى من أبناء قومه، فقد أدى لهم خدمات سوف لا ينساها المؤرخون الذين يكتبون سير الرجال بجداد قلوبهم، فهو طبيب نابغ وسيد الخطباء في هذا الشرق، وإذا كان الشرقيون لم ينسوا سعدا في مهانيه الخطابية. فإهم لن ينسوا الشهبندر، حكيم الحكماء وسيد الخطباء، وأنيق الأطباء والوطني البريء الذمة القني السريرة، بالإضافة إلى حياته اللامعة بالسخن والنقي والإغتراب، وإذا كان الشهبندر، قضى بأيدي الغادرين فلاهم يجهلونه، وقد عاد إلى سوريا بعد غربة زادت على السنوات العشر، فافهم خصومه السياسيين في حلبة المنطق والرأي المسديد وبثه شعبه من المواد المخدرة التي أعمده ونيمته على الثقة، ثم أيقظته من ثباته وألقب فيه روح الوطنية بعد أن كادت أن تلتفظ أنفاسها، تلك هي الأسباب التي تسبغ على موته ثوبا سياسيا لا شك فيه.

فالشهبندر ابن قيله، ومعلم جيله.

### روما

هذا غيض من فيض عما تحدثت به محلة لندن إلى سكان الشرق الأدنى والعالمين العربي والإسلامي والأميراطورية البريطانية، لم تكن محلة روما الإيطالية بأقل من زميلاتها البريطانية، توضيحا لشخصية الفقيده التالي.

فقد تناولت محلة روما موقف الشهبندر ونشأته، فقالت إنه من أبطال الرعيل الأول من جنود القضية العربية، فقد عاصر جحور الأتراك وجزاز الصحراء، حافيا عاريا إلى موطن الرشيد وبطحاء الحجاز، وانضم إلى أشيال الحسين بن علي سيد القضية العربية ومثقفها الأمين، وظل يكافح في سبيل أمته ووطنه حتى لاقى شتى الإضطهاد وذاق المر الأغرأب، كل ذلك، لم يثن عن عزيمته ولم يفت من عضده.

### برلين

أما محلة برلين، فقد كانت إلى أيام قلائل، حتى إلى ما بعد مصرعه، تكيل له بالكيل الغرض، واللفظ الحاد، وتبته بأنه من دعاة الإنكليز، وما

جزاء كل زعيم خلم بلاده بصدق وإخلاص، وإذا كان جزاء كل رجل يخدم شعبه بصدق، رصاصة من يد أحد أفراد الشعب فوسعنا منذ الآن ان نقرأ على الوطنيين المخلصين السلام.

وعن فراره وعودته إلى سوريا والحكم عليه بالإعدام وفراره مرة ثانية إلى مصر ثم العفو عنه وعودته إلى سوريا إلى أن اغتالته اليد الأثيمة القاتلة . ونشرت ( المقتطم ) بقلم الكاتب الأستاذ كريم ثابت مصالا ضخما يحق الفقيه الذي عاش في مصر ردحا من الزمن حتى أسماها وطنه الثاني فبكنه بكاء بليغا واعتبرت فقده أول معول هدام، إنقضى على أمّتن صرح في بناء هذا الوطن .

ولقد أبت الأيدي الأثيمة إلا أن تفجّع العالم باغتيال الزعيم أثناء قيامه بأشرف واجب عرفه الإنسان إذا صرعه وهو يداوي مريضه المتمارض . وأثنى الأستاذ ثابت رسالته بتعداد مزايا الزعيم الراحل .

وإذا كانت الصحف المصرية وقت الفقيه حقه على القوطاس ، وأدعت سيرته السامية للذين ما زالوا يعبدون عن معرفتها، فإن الرجال المصريين أعربوا عن ألهم ووجدهم لا وقع بأسف عميق وحزن بليغ .

فقد أقامت أسرة الفقيه بالقاهرة سرداقاً كبيراً بالقرب من داره المرحومة بعد فقده جلل بالسواد وأخذت تستقبل وفود المزمين والمرسلين، وقد سمعنا حطة راديو القاهرة تقول : إن مصر شيها وشبابها، ورجالها ووزرائها، ورجال الحل والمقد فيها والعلماء الكبراء والأدباء والشعراء يتقدمهم النواب والشيخ، نذكر منهم عبد المجيد صالح إبراهيم باشا وعبد الرحمن فحجي بك، وعوني عبد الله بك ورئيس الجامعة المصرية والدكتور الدريدري والدكتور محجوب بك ثابت تزحف إلى سرداق ماتم الفقيه، تقدم التعازي إلى أسرة أبي فيصل، تلك الأسرة التي إذا خلف ها الشهيدان الكلل واليتيم فإنه خلف لها بالوقت نفسه شرفا لا يزول، وسمعة لا تطويها الأيام .

#### أهكذا يصرع الرجال؟

وأما في فلسطين فقد عقدت جريدة ( الصراط المستقيم ) الصادرة في حيفا مقالا انتاحيا بعنوان ( أهكذا يصرع الرجال ) تكلمت فيه عن مزايا الفقيه الراحل وعن جهاده المتواصل أربعين عاما كاملة وعن مآثره ومواقفه الشريفة إلى أن اغتالته الأيدي الشريرة وانتهت الجريدة إلى القول : فإذا كان

الفصل في الامور

الفصل في الامور



## المقتلة أسلم للعراق

بعد أن اعتقل من المشتكين في جريدة قتل الزعيم الشهيد وبعد أن توفرت الأدلة التي ساعدت القضاء على كشف الجريمة وإظهار مرتكبيها، فقد حرك معاون نائب الجمهورية الأستاذ نضوح الأتوبي الدعوى باسم الحق العام، وأودع كافة الأوراق التي تجمعت حول جناية مقتل الزعيم الشهيد إلى قاضي التحقيق الذي كان يعرف بالمستطق وكان يومئذ المرحوم الأستاذ فلاذدير السبح، الذي باشر بدوره بالتحقيق منذ وقوع الجريمة في ٦ تموز من عام ١٩٤٠ بحيث ما كاد يظهر بنتيجة تحقيقاته من هم خلف هذه الجريمة الشنعاء حتى فوجيء بأمر من مدير العدلية العام بتاريخ ٦ آب من عام ١٩٤٠ يأمره فيه بالتوقف عن إكمال التحقيق وفي اليوم التالي من تاريخ هذا الأمر صدر المرسومان التاليان :

### مرسوم رقم ٧٦٧

إن رئيس مجلس المديرين العاملين مدير الداخلية العام .

بناء على قرارات المفوض السامي رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦/ل. ر  
المؤرخة في ٨ تموز ١٩٣٩ ،

وعلى قرار المفوض السامي المتضمن إلغاء القرارات رقم ٧٨ المؤرخين في  
٢٤ كانون الأول ١٩٢٥ ، ١٦ شباط ١٩٢٨ ،

وعلى قرار رئيس الدولة السورية رقم ١٣٦٤ تاريخ ١ أيلول ١٩٢٥  
ورقم ١٦٩ تاريخ ١٣ تموز ١٩٢٦ ،

وبناء على اقتراح مدير العدلية العام وموافقة مجلس المديرين .

تاريخ ٨ تموز ١٩٣٩ وبناء على القرار رقم ٢٣٨ المعدل الصادر بتاريخ ٢٠

حزيران ١٩٢٨ بشأن التنظيمات القضائية ،

وبناء على المرسوم رقم ٧٦٧ وتاريخ ٨/٧/١٩٤٠ ،

وبناء على الفقرة الأولى من المادة الأولى من القرار رقم ٣٦٤ المؤرخ في ١ أيلول ١٩٢٥ المعدلة بالقرار رقم ١٦٩ تاريخ ١٣ تموز سنة ١٩٢٦ ،

وبناء على قرار مجلس المديرين العامين ٦٥٣ تاريخ ٦ آب ١٩٤٠ بأن قضية مقتل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر متعلقة بسلامة الدولة ،

وبناء على إقتراح مدير العدلية العام ،

يرسم مايلي

المادة ١ - تحال على المجلس العدلي قضية مقتل المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الجارية بحق المدعو احمد عصاصة وكافة من لهم علاقة بهذا الجرم .

المادة ٢ - يذاع هذا المرسوم وينبغ الى من يلزم .

دمشق في ٤ رجب ١٣٥٩ و ٧ آب ١٩٤٠

رئيس مجلس المديرين العامين  
مدير العدلية العام  
مدير الداخلية العام  
خليل رفعت

هتج الخطيب

وبناء على المرسومين الآتقي الذكر فقد اتخذ المستنطق السوري المرحوم الأستاذ فلاوير السبع القرار التالي :

قرار  
أساس

—  
—  
٥٢٥  
٤٧٦

نحن فلاوير السبع المستنطق الأول بدمشق .

بناء على المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب عام ١٩٤٠ أقرت :

تودع هذه القضية مع قائمة المفردات والمسدس والثلاثة عشر خرطوشة

٣١٣

يرسم مايلي

مادة ١ - يؤلف المجلس العدلي المنصوص عليه في القرار رقم ٣٦٤ المؤرخ

١ أيلول ١٩٢٥ المعدل بالقرار رقم ١٦٩ تاريخ ١٣ تموز سنة

١٩٢٦ كما يأتي :

المسئورين فيه رئيس محكمة الاستئناف الناظرة بالاعاوى الأجنبية

بطلب رئيسا

والأعضاء السادة :

كبير العضو في محكمة التمييز الناظرة بالاعاوى الأجنبية بدمشق .

يوسف روكس العضو في محكمة التمييز بدمشق .

عبد الحميد الماردني العضو في محكمة الاستئناف بحلب .

وجيه الشراي رئيس محكمة البداية بدمشق .

القائد مصطفى حكمت العدوي مفوض الحكومة لدى المحكمة

العسكرية للدرك السوري نائباً عاماً .

مادة ٢ - يقوم بوظيفة الاستئناف لدى المجلس العدلي نائب الزعيم كويتو قائد اللواء الأول للدرك سوريا الجنوبية .

مادة ٣ - يعين بقرار من مدير العدلية العام المساعدون العدليون اللازمون للمجلس العدلي ونيابته ولدائرته الإستعاقية .

مادة ٤ - يذاع هذا المرسوم وينبغ الى من يلزم .  
دمشق في ٤ رجب ١٣٥٩ وفي ٧ آب ١٩٤٠

رئيس مجلس المديرين العامين  
مدير العدلية العام  
مدير الداخلية العام  
خليل رفعت

هتج الخطيب

مرسوم رقم ٧٦٨

إن رئيس مجلس المديرين العامين مدير الداخلية العام .

بناء على قرارات المفوض السامي رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ / ل . ر

٣١٢

وبناء على قرار الاحالة المؤرخ ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٠، وبناء على سير التحقيق الجاري بحق أحد عصاصة ورفاقه بجادة قتل عن عمد،

أولاً: لا كان تبين من التحقيق الجاري بحق أحمد عصاصة بأنه ارتكب بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في زمن غير معين بدمشق جريمة قتل عن عمد على شخص الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وهي جريمة يعاقب عليها قانون الجرائم بموجب مادته ١٧٠،

ثانياً: لا كان تبين فيما يتعلق بالمدعويين (١) أحمد الطرايشي (٢) صالح معتوق (٣) سعيد الحصري (٤) عزت الشماغ بأنهم شركاء في تلك الجريمة في ظروفها ومعايدها وأنهم ساعدوا في ارتكاب الجريمة المذكورة وهو ما يعاقبه القانون في المواد ١ و ٤٥ و ١٧٠ من قانون الجرائم،

ثالثاً: لا كان تبين من التحقيق الجاري بحق (١) محمد الحرش الملقب بالبي صليح و (٢) سامي الحفار بكونهم ارتكبوا في أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ مع عصاصة المذكور وحرضوه بواسطة ذراهم ويوعود على ارتكاب الجريمة عن تصميم واحضروا له عن سابق معرفة أسلحة استخدمت لارتكاب الجرم وساعدوه بالمعلومات اللازمة لذلك وهي جريمة يعاقب عليها بموجب المادتين ١٧٠ و ٤٥ من قانون الجرائم،

رابعاً: ولا كان تبين أن خليل الفندور وعلي محمد خيرو الحفاني وفوزي القفاني بأنهم اشتبكوا في نفس المكان والزمان في القتل عن تصميم وأنهم ساهموا في تدبير وتسهيل اتمام الجرم وهو جرم يعاقب عليه قانون الجرائم في مادته ١٧٠ و ٤٥،

خامساً: ولا كان تبين بحق عاصم النائي وجميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار بأنهم اشتبكوا بنفس الظروف والمكان أن يتحريضهم وأن بالعودة أو بالتدابير والتحليل في القتل عن تصميم وهو جرم يعاقب عليه القانون في المادتين ١٧٠ و ٤٥،

والشطين والمخالف الجليلي ودقتر معانيات المذكور عبد الرحمن الشهبندر، وظرف ضمنه الرصاصة والخرطومشة الفارغة الى مقام نائب الجمهورية بدمشق لاجراء احكام القانون.

٥ رجب سنة ١٣٥٩ و ٨ آب سنة ١٩٤٠.

المستطق  
الحاتم والنوقيق

مع الأدوات الجرمية التي هي عبارة عن مسدس وثلاثة عشر خرطومشة ومسطين ودقتر معانيات ومغلف يحتوي على رصاصة الى مقام النيابة العامة بدمشق.

١٩٤٠/٨/٨

نائب الجمهورية  
نصح الأيوبي

والنيابة العامة بدمشق أحالت في نفس اليوم اضية التحقيق والآلات الجرمية معها الى المستطق نائب الزعيم كويتو قائد اللواء الأول لدرك سوريا المعين فلذا المنصب عملاً بالرسوم ٧٦٧ تاريخ ٧ آب كما بينا آنفاً وقد استأنف المستطق الجديد التحقيق وأنجزه وأودع الاضية الى النائب العام لدى المجلس العدلي لإبداء مطالعته حول القضية التي تم التحقيق فيها، وفي ١٣ تشرين الأول من عام ١٩٤٠ أبدى النائب العام مطالعته التالية:

مطالعة النيابة العامة في تحقيقات

المستطق القائد الدركي كويتو

دمشق في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٠

مطالعة نهائية

نحن القائد مصطفى حكمة العدوي المدعي العام لدى المجلس العدلي. بناء على المادة ١٢٢ من قانون أصول المحاكمات الجزائية،

وأن يقول بأن لا موجب للاحقة شكري القوتلي وبشير القضماني وأحمد دعدوش فيما يتعلق بالقتل عن تصميم وذلك وفقا للمادة ١٢٣ من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

دمشق - النيابة العامة - ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠

وبتاريخ ١٣/١٠/١٩٤٠ وبناء على مطالبة النائب العام اصدار المستنطق قواره باحالة القضية الى المجلس العدلي المؤلف عملا بالرسوم ٧٦٧ تاريخ ١٩٤٠/٨/٧ هذا نضمه :

**قرار إحالة أمام المجلس العدلي ومنع محاكمة المرفوع الى المجلس العدلي من قبل المستنطق القائد الدركي كويتو**

نحن نائب الزعيم كويتو قاضي لدى المجلس العدلي

بناء على التحقيق الجاري بحق أحمد عصامه ورفقه فيما يتعلق بجريمة

قتل عن تصميم .

وبناء على مطالبة حضرة المدعي العام المؤرخة - ١٣ تشرين الاول سنة

١٩٤٠

وبناء على المادة ١٧٨ من قانون أصول المحاكمات الجزائية .

ولما كانت ظهرت دلائل كافية بحق أحمد عصامه .

أولا : بكونه ارتكب بتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل الأحوال في زمن

غير معين وبدمشق جريمة قتل الدكتور شهبندر عن تصميم وهي

جريمة يعاقبها القانون في المادة ١٧٠ .

ثانيا : بأنه حاول بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير

معين وبالإشتراك مع الحرش والحافي والهندور والحفار قتل عمدا

وعن تصميم الدكتور شهبندر وهي جريمة يعاقبها القانون في

مادتيه ١٧٠ و٤٦

٣١٧

سادسا : ولما كان تبين فيما يتعلق بأحمد عصامه ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح بأنها حاولا في شهر تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل الأحوال في زمن غير معين وذلك بدمشق ان يرتكبا باختيارها وعمدا منها ولكن بدون تصميم قتل افراد من القوة العامة أثناء قيامهم بالوظيفة على ان تلك الجريمة كانت غايتها تحقيق فرائهم وهي جريمة يعاقبها قانون الجراء في مادتيه ١٤٥ و١٤٧ .

سابعا : لا كان تبين أن أحمد عصامه ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح ومحمد الحافي و خليل غندور وسامي الحفار حاولا بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وعلى كل حال في زمن غير معين قتل الدكتور شهبندر عن سابق تصور وتصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦ ،

ولكن لما كان لم يظهر دلائل كافية على شكري القوتلي وبشير القضماني وأحمد دعدوش بكونهم بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في زمن غير معين بأنهم ارتكبوا القتل عن تصميم على شخصين الدكتور شهبندر .

لذلك نطلب الى قاضي التحقيق :

أن يأمر بحالة المدعويين : أحمد عصامه ، أحمد الطرايشي ، صالح معترف وسعيد الحصري وعزت الشماح .

ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح وسامي الحفار و خليل غندور ومحمد الحافي وفوزي القباقي .

وعاصم النائي وجيل مردم بك وسعد الله الجابري ولطفي الحفار .

وأحمد عصامه ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح ومحمد الحافي و خليل غندور وسامي الحفار .

امام المجلس العدلي كي يحاكموا وفقا للقانون عن الاعمال المذكورة في أعلاه .

٣١٦

ثانيا : ووجد بدمشق بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين حاملا سلاحا بدون اجازة وهو جرم تعاقبه المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦

خامسا : ولا كان ظهور من التحقيق دلائل كافية على عرت الشماع :

أولا : بأنه بدمشق وبتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك وعاون في مقتل اركبته عصاصه وكان ذلك عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

ثانيا : بكونه وجد وبتاريخ ٦ تموز وعلى كل في زمن غير معين حاملا سلاحا بدون اجازة وهو جرم تعاقبه المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦ .

سادسا : ولا كانت ظهرت من التحقيق دلائل كافية بحق خليل ابراهيم العندور :

أولا : بكونه بدمشق بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك وعاون عن تصميم في جريمة قتل اركبته عصاصه ودير وسهل إقام تلك الجريمة وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .

ثانيا : بكونه وجد بدمشق بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ مشترك مع الحافي والحفار والحرش وعصاصه وحاول ان يركب بالاشتراك متهم جريمة قتل الدكتور شهنذر عن تصميم وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادته ١٧٠ و٤٥٠ .

ثالثا : ولكونه وجد في شهر حزيران سنة ١٩٤٠ حاملا أسلحة بدون اجازة وهو جرم مصور عنده في المادة ١ التالية من القرار ٧٣٦ .

سابعا : ولا كان ظهر من التحقيق دلائل كافية على محمد خير والحافي :  
أولا : بكونه في شهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ اشترك في جريمة قتل اركبته عصاصه عن تصميم وساعد على تدبيرها وتسهيل تنفيذها وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .  
ثانيا : بكونه في دمشق وبتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ اشترك مع عصاصه

ثالثا : وبكونهم في شهر تموز على كل في زمن غير معين حاولوا عمدا دون تصميم قتل أفراد القوة العامة أثناء قيامهم بالوظيفة وكانت غايتهم من ذلك تسهيل فرارهم وهي جريمة يعاقبها القانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠

رابعا : وبكونهم خلال شهر تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وجدوا حاملين أسلحة مخبئة بدون رخصة وهو جرم يعاقبه القرار رقم ٧٣٦ في مادته الثانية .

ولما كان ظهر من التحقيق دلائل كافية على صالح الشيخ محمد معتوق :

أولا : بكونه اشترك في دمشق بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وعاون على جريمة قتل عن تصميم اركبته عصاصه وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

ثانيا : بكونه في دمشق وبتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وجد حاملا سلاحا بدون اجازة وهو جرم يعاقبه القرار رقم ٧٣٦ في مادته الثانية .

ثالثا : ولا كانت ظهرت من التحقيقات دلائل كافية على احمد الطرابيشي :

أولا : بأنه من تاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك بدمشق بقتل جرى عن تصميم من قبل عصاصه وأنه عاون على ذلك وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

ثانيا : بكونه حمل سلاحا بدون اجازة وهو جرم تعاقبه المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦

رابعا : ولا كانت ظهرت من التحقيق دلائل كافية على سعيد الهندي الملقب بالطصري :

أولا : بأنه بدمشق وبتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك وعاون عن تصميم في مقتل اركبته عصاصه وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

عن تصميم في قتل اركبه عصاصه على شخص الدكتور شهيندر وساعد على تنفيذها باعطائه دراهم ومواعيد واعطائه عن معرفة أسلحة استخدمت لتنفيذها كما أنه ساعد فيها وحضرها وهي جريمة يعاقبها القانون بمادتيه ١٧٠ و ٤٥٥ .

ثانيا : بكونه وجد في شهر حزيران وعلى كل في زمن غير معين حاملا أسلحة مخبئة وهو جرم يعاقبه القرار رقم ٧٣٦ في مادته الثانية .

ثالثا : بكونه بدمشق وتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ حاول بالاشتراك مع الحفار وعصاصه وغندور والحافي قتل الدكتور شهيندر وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٦٠ .

حادي عشر : ولما كان ظهر من التحقيق دلائل كافية على عاصم الناطلي : أولا : بكونه في أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك في قتل اركبه عصاصه وكان ذلك عن تصميم وسبب ذلك القتل لإعطاء دراهم ومواعيد ودسائسه وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٥٥ .

ثاني عشر : ولما كان ظهر بالتحقيق دلائل قوية على جميل مردم بك : أولا : بكونه في أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك بمواعيده وتقديم دراهم ودسائسه اشترك في جريمة قتل اركبها عصاصه وكان ذلك منه عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٥٥ .

ثالث عشر : ولما كانت ظهرت بالتحقيق دلائل كافية بحق سعد الله الجابري :

أولا : بكونه اشترك عن تصميم في جريمة قتل اركبها عصاصه وكان ذلك بأشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وأدى الى اركبها بمواعيده واعطائه دراهم ودسائسه وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٥٥ .

رابع عشر : ولما كانت ظهرت من التحقيق دلائل كافية على لطفي الحفار :

وغندور والحرفش والحافي في محاولة قتل الدكتور شهيندر عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٦٠ .

ثالثا : بكونه وجد في شهر حزيران سنة ١٩٤٠ حاملا أسلحة بدون اجازة وهو جرم منصوص عنه في المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦ .

ثامنا : ولما كان ظهر من التحقيق دلائل كافية بحق فوزي القباي :

أولا : بكونه في أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ اشترك في جريمة قتل اركبها عصاصه عن تصميم وساعد على تدبيرها وتسهيل تنفيذها وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٥٥ .

ثامسا : ولما كان ظهرت بالتحقيق دلائل كافية على محمد الحرفش الملقب بأبي صباح :

أولا : بكونه في أشهر حزيران وتوز وأيار ساهم في مقتل اركبه عصاصه عن تصميم وعرض عليه تقديم دراهم ومواعيد وقدم له عن معرفة أسلحة استعملت في الجريمة وساعد عليها وحضرها وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٥٥ .

ثانيا : بكونه في ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ حاول بالاشتراك مع الحافي والغندور والحفار وعصاصه قتل الدكتور شهيندر عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٦٠ .

ثالثا : بكونه في شهر توز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين حاول قتل أفراد القوة العامة عن تصميم وهم أثناء قيامهم بالوظيفة قاصدا بذلك تسهيل فرارهم وهي جريمة يعاقب عليها القانون في مادتيه ١٧٠ و ٤٦٠ .

رابعاً : بكونه وجد في أشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ حاملا أسلحة بدون اجازة وهو جرم منصوص عنه في المادة الثانية من القرار ٧٣٦ .

عاشرا : ولما كانت ظهرت بالتحقيق دلائل كافية بحق سامي الحفار : أولا : بكونه في دمشق وفي أشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ اشترك

على التحقيق الجاري بحق :

١- عادل بن محمد عصاصة الملقب بأحمد المولود في دمشق عام ١٩٢١ والمقيم في باب السريحة حارة الجديدة ، والدته عائشة مهتته تاجر منزوح معلم سوري محكوم عليه بخمسة أشهر سجن من محكمة جنابات دمشق بتاريخ ١٩٣٨/١٢/٣١ بجادة اطلاق عيارات نارية ونظم يحقه تسعة ضبوط بجادة مضاربة واطلاق عيارات نارية وحمل أسلحة .

٢- أحمد بن قاسم الطرابيشي والدته زينب عمره عشرون سنة مهتته طرابيشي مقيم في باب السريحة قنارات أعزب سوري معلم غير محكوم .

٣- محمد صالح ابن الشيخ أحمد معتوق نجيب والدته مزيان مولود في عام ١٩١٩ مقيم في دمشق مهاجرين طالب علم متأهل سوري غير محكوم نظم به ضبط بجادة ضرب وجرح بجلقط في ١٩٣٧/١/٣١ .

٤- سعيد بن أحمد الهندي الملقب بالطصري عمره ستة وعشرون سنة بائع خضر متزوج سوري متعلم مقيم في الشاغور - معصرة . غير محكوم .

٥- عزت بن توفيق الشماغ والدته لطيفة عمره عشرون سنة مقيم في دمشق - عقيبة عامل كنزات سوري أعزب غير محكوم .

٦- سامي بن سعدو الحفار عمره ثمانية وعشرون سنة مهتته حفار قبور أعزب سوري أمي مقيم في الشاغور - حارة النحتانية غير محكوم نظم به ضبط بجادة حمل مسدس في ١٩٣٧/١١/١٤ .

٧- محمد بن خير والحافي عمره واحد وعشرون سنة خياط مقيم في الميدان الرطائي أعزب متعلم سوري والدته مريم محكوم بالسجن يوم واحد وبغرامة قدرها ثمانية قروش بجادة حمل مدية في ٢٩ آب ١٩٣٩ .

٨- خليل بن ابراهيم الغندور الملقب بأبي فياض والدته رقية عمره اثنان واربعون سنة حارس أمي أعزب سوري محكوم عليه بجادة قتل خمسة عشر عامًا بالاشتغال الشاقة في ١٩٢٢/١٢/١٨ وبالسجن ثمانية أشهر

أولاً : بأنه في أشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك عن تصميم في جريمة قتل اركانها عصاصة بمواعيده وأعطائه دراهم ورسائسه وهي جريمة يعاقبها القانون في مادته ١٧٠ و ٤٥٠ .

إلا أنه لا كانت لم تظهر دلائل كافية على :

أولاً : شكري القوتلي  
ثانياً : بشير القضماني

ثالثاً : أحمد دعدوش وبناء على المادة ٢٠٩ من قانون المحاكمات الجزائية :

فإنهذه الأسباب

تأمر بإتمام والا حالة الى المجلس العدلي :

أحمد عصاصة ، وصالح معتوق ، وأحمد الطرابيشي ، وسعيد الهندي الملقب بالطصري ، وعزت الشماغ ، ومحمد الحرش الملقب بأبي صباح ، ومحمد الحافي وخليل غندور ، وسعيد الحافي ، وعاصم النابلي ، وحمل مردم بك ، وسعد الله الجابري ولطفي الحفار وفوزي القبانى كي يحاكموا أمامه وفقاً للقانون عن الأعمال المعزوة إليهم والمذكورة في أعلامها .

نقول بأنه يجب القبض على الجميع وسجنهم في غرفة نظارة العدلية المنشأة لدى المجلس العدلي عدا المدعوين جمل مردم بك وسعد الله الجابري ولطفي الحفار .

ونقول بعدم ملاحقة المدعوين شكري القوتلي وبشير القضماني وأحمد دعدوش ونرفع مذكرة الإحضار الصادرة بحق الشاهدين هيلين عجمي وعبد طباع .

١٣ تشرين الأول ١٩٤٠ فاضلي التحقيق

وعقب الانتهاء من استجوابات المتهمين والشهود لدى المجلس العدلي أبدت النيابة العامة للمجلس هذه المطالبة ، إن النائب العام لدى المجلس العدلي القائد مصطفى حكمة المدوي بناء

## المؤامرة

منذ عدة سنوات كان أحمد عصاميه يجتمع بصورة منتظمة الى المدعوين صالح معنوق وأحمد الطرابلسي وسعيد الحصري وعزت الشماخ وكان يجتمع من جهة أخرى الى سامي الحفار وعبد الحرش وتخلل الغندور وعبد الحافي .

وأنه قبل الجرم بشهر ونصف تقريباً أي في ٢٩ أيار سنة ١٩٤٠ بينما كان أحمد عصاميه ماراً في سوق الحميدية دعي من قبل سامي الحفار الى جامع الأموي فدخل الى الجامع حيث التقيا بأبي صباح الحرش وعبد الحافي وأبي فياض الغندور وفوزي القباي وشاب عرف أثناء المقابلات أنه عاصم الناطلي وكان هذا الأخير يقول : ان الدكتور شهيندر جاسوس انكليزي وهو عامل على فريق الكلمة وفريق الكلمة الوطنية وقد دار الحديث عن وجود خونة كالدكتور ، وقد قيل عنه بأنه عدو الدين والكلمة فاتفق جميع الحاضرين على اغتياله وعلى الاجتماع في اليوم الثاني في منزل عصاميه .

وفي ٣٠ أيار ١٩٤٠ اجتمعوا كلهم ما عدا فوزي القباي في منزل عصاميه وقد طال الاجتماع ساعة تقريباً وكان الحديث يدور حول الموضوع السابق وكان عاصم الناطلي يقول إن الشهيد انكليزي السياسة ويرغب في ادخال الانكليز الى هذه البلاد وهو الذي فرق الكلمة في البلاد وأوصلها الى هذه الحالة وكان الجميع يوافقون على هذا الكلام ويقولون عن الدكتور إنه خائن ومضرب بالبلاد ويدجون الكلمة ويجري بحث عن كيفية تنظيم الاغتيال فأصروا جميعهم عليه وأن سامي الحفار قال لهم : بعد الاغتيال ستتقلنا سيارة الى العراق فيها إذا عوقنا ، وأن معيشتنا مؤمنة هناك من قبل جميل

بجلاء سرقة في ١٩٢٣/٢/٩ وأن هذين الحكيمين قد شملها العفو الصادر في ١ حزيران سنة ١٩٣٧ .

٩- عاصم بن غالب الناطلي والدته نظيرة عمره سبعة وعشرون سنة مجاز في الحقوق مقيم في دمشق قوات أعزب سوري غير محكوم .

١٠- جميل بن عبد القادر مردم عمره أربع وأربعون سنة ملاك مقيم في دمشق متزوج سوري غير محكوم .

١١- سعد الله بن الحاج عبد القادر الجابري عمره ثمان وأربعون سنة مقيم في حلب أعزب سوري غير محكوم .

١٢- لطفي بن الحاج حسن الحفار عمره خمسون سنة مقيم في دمشق صالحة جسر شارع نوري باشا متعلم سوري غير محكوم .

١٣- محمد الحرش الملقب بأبي صباح الفار .  
١٤- فوزي القباي الفار .



ذلك فسرد لهم عصاصة كل ما جرى معه وكل ما رآه عند الطبيب وأعاد الى محمد الحافي ٢٢ ليرة سورية وهو المبلغ الذي تبقى معه وعندئذ قال له سامي الحفار والحرش يجب ان تنفخ عدة أيام لاجساد أشخاص يرافقوك الى عيادة الطبيب .

وفي ٦ أو ٦ حزيران ١٩٤٠ مساء قرع باب دار عصاصة رجل لم يتمكن التحقيق من معرفته فسلم عصاصة كيسا يحتوي على مسدس وضلافت ومشطين قائلا له خذ هذا فان الجماعة أرسلوه اليك . وقد أثبت التحقيق ان الحرش كان قد اشترى الغلاف من عند السروجي اسماعيل سوار وكان في ذلك الحين يرافقه عصاصة .

وفي ٨ أو ٩ حزيران سنة ١٩٤٠ تقابل عصاصة مع أبي صيلح الحرش فسأله هذا الأخير عما إذا كان استلم المسدس فأجابه عصاصة بالإيجاب . وفي ١٥ أو ١٦ حزيران سنة ١٩٤٠ قضى أبو صيلح الحرش ليلته في منزل عصاصة ولما سألها عصاصة عن هذه الزائرات انبرى أبو صيلح الحرش بدمج جميل مردم بك قائلا إنه على استعداد لأن يضحى بحياته في سبيل حزب جميل مردم بك وأنه بعد خمسة عشر يوما يكون الناس جميعهم ضد الدكتور شهبندر .

وبعد مدة عقد اجتماع في دار محمد الحرش ضم الحرش والحفار والغندور والحافي وقد تذاكر هؤلاء بالخطة التي يجب اتباعها في الاغتيال فانفقوا ان يكون ذلك يوم الاربعاء الواقع في ٣ تموز ١٩٤٠ مساء على أن يكون الاجتماع في الأموي وانفقوا ان يقوم الغندور بإطلاق الرصاص يساعده الباقون بإقامة الجرية ، ولما أعلمهم الغندور ان ليس لديه سلاح أجابه الحفار انه سينزله بمسدس وطلب الحفار الى عصاصة ان يذهب معهم ليرشداهم الى دار الدكتور فذهب الحفار وعصاصة والحرش والحافي والغندور وأرشداهم عصاصة الى الدار وأنه في هذا الاجتماع قال الحرش والحفار : بعد الاغتيال سيقبضون من جميل مردم بك ولطفي الحفار ثلاثمائة أو اربعمائة ليرة ذهبية وأنها سيراكلا الى العراق عن طريق قرابا الملح . وفي ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ ذهب عصاصة بناء على طلب محمد الحافي

مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار ، وأبد هذا الوعد عاصم الناطلي ، وقال عصاصة ان جميع المسلمين سيعطون علينا بعد الجرم وكل شيء مؤمن لنا في العراق وأبنا سيقبض بعد ارتكاب الجرية ثلاثمائة أو اربعمائة ليرة عثمانية ذهبية بواسطة عاصم الناطلي بدفعها جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار ، وقرر ان يقوم عصاصة بالكشف على مكتب الدكتور وسيعضض بالاشتراك مع سامي الحفار الأسلحة اللازمة بواسطة الشاب المذكور أعلاه .

في اليوم الثاني في ١ حزيران ١٩٤٠ اجتمع في الجامع الأموي بناء على اتفاق سابق كل من سامي الحفار والغندور والحافي وعصاصة وقالوا بأن الرجل الشريف هو جميل مردم بك وجماعة الكتلة وأن جميل مردم كان يحمل مشاقا وذهب الى باريس وقالوا أيضا بأن الفرج قريب وقد حان وقت العمل فانفقوا جميعاً على اغتيال الدكتور وإعلان الحرب على حزبه وانفقوا أن يجتمعوا في اليوم الثاني .

وفي اليوم الثاني ٢ حزيران سنة ١٩٤٠ اجتمع في الجامع الأموي بناء على اتفاق سابق كل من عصاصة والحرش والغندور والحفار وطلبوا من عصاصة أن يجد مريضاً ليذهب معه الى عيادة الدكتور شهبندر ليكشف المحل وقالوا له إنه سيجد الحافي في منتصف سوق الحميدية وإن هذا الأخير سيعطيه دراهم وبالفعل وجد عصاصة الحافي امام الجامع الصغير ينتظر في سوق الحميدية ولما رآه الحافي سلمه خمسا وعشرين ليرة سورية وبدون أي طلب من عصاصة عن السبب أجابه الحافي ان ذلك أجرة معينة للطبيب .

وفي ٣ حزيران سنة ١٩٤٠ أخذ عصاصة صديقه احمد الطرايشي الى عيادة الدكتور شهبندر فعابنه الدكتور ودفع له عصاصة ثلاث ليرات سورية أجرة معينة ولما سأل الدكتور عن اسم المريض أجابه عصاصة فقروا إنه يدعى جيدر رمضان وكان ذلك بناء على التعليمات المعطاة له من قبل سامي الحفار ، وقد أيد ذلك دفتر أساء المرضى للدكتور شهبندر . ولما عاد عصاصة الى الأموي وجد الحفار والحافي والحرش والغندور وفوزي القفاني وان هذا الأخير عندما شاهد عصاصة أتيا قال ها هو قد أتى ، وذهب بعد

الحفار وأقامه بلزوم القيام بهذه المهمة مع بعض رفاقه لكونهم غير مشبوهين وقال سامي الحفار إنه أراد أن يقوم عدة مرات بهذه المهمة إنما لم يخرج لكونه مشبوها ولهذا السبب أستندوا الى عصامة هذه المهمة فقبل عصامة جيتند ورسم له سامي الحفار الخطة التي يجب أن يتبعها في مهمة الاغتيال وانفقوا أن يجتمعوا في اليوم الثاني أي الجمعة في جامع دنكر حيث يسلمونه الاسلحة اللازمة .

وفي نفس النهار اجتمع عصامة مع رفاقه الطرابيشي والشماخ والمتوق والحصري في جامع النورية فأعاد على مسامعهم أقوال الحفار والحرش وطلب اليهم ان يشتكروا معه بحرية الاغتيال فانفقوا جميعا على ذلك وقد زاد صالح متوق قائلا ان الدكتور شهبندر ملحد ويكوز قتله شرعا .

وفي يوم الجمعة المصادف في ٥ تموز سنة ١٩٤٠ حوالي الظهر اجتمع عصامة الى الحفار والحرش في جامع دنكر فاستلم منها صرة ضمنها ثلاثة مسدسات وأخذ منها أيضا ثلاث ليرات سورية بناء على اتفاقهم وفي نفس النهار ذهب عصامة والمتوق والشماخ والحصري والطرابيشي الى الربوة على سبيل النزهة وكان الحديث بينهم عن الدكتور شهبندر ومن المحتمل انهم قد تابخوا في كيفية الاغتيال فانفقوا جميعا على ان يجتمعوا غدا في جامع النورية .

وفي اليوم المعلن أي يوم السبت الواقع في ٦ تموز ما بين الساعة السابعة والثامنة اجتمع كل من العصامة والمتوق والطرابيشي والشماخ والحصري في جامع النورية فوزع عليهم عصامة المسدسات وكان مع المتوق مسدس فذهب وأخذ من عصامة أفضل منه وأعطى مسدسا الى الشماخ ثم خرجوا من الجامع وذهبوا حتى سوق النين وانفروا في هذا المكان فذهب عصامة والحصري لشراء سلة تفاح لاعتقادهم ان ذلك يكون دليلا على نيتهم الحسنه نحو الدكتور ، وقد سبقهم المتوق والشماخ والطرابيشي الى شارع البرلمان حيث انتظروا الحصري والعصامة وقد وصل هذان الاخران ومعهما سلة التفاح ثم عاد عصامة وحده حتى سوق الخيل فاستأجروا سيارة وقد شرط السائق ان يقفل له مريضا من شارع البرلمان حتى حلة الفحامة وطلب

الى الجامع الأموي فوجد فيه الحرش والعندور والحافي والحفار ولم يتمكن التحقيق من معرفة الحديث الذي دار بينهم في هذا الاجتماع إنما ثبت من اعتراف الأظناء أنهم كانوا متفقين على اغتيال الدكتور شهبندر في ذلك اليوم وان العندور أظهر استعدادا للقيام بهذه المهمة فوزع سامي الحفار مسدسات على العندور والحافي وكان هو والحرش مسلحين فأصبح كلهم مسلحين عدا عصامة على ما يظهر فخرجوا من الجامع قاصدين مكتب الدكتور شهبندر فدخلوا جامع دك الباب حيث أدوا صلاة المغرب ثم توجهوا الى عيادة الدكتور شهبندر فقرأوا امام مكتب الدكتور شخصا قال لهم : عودوا فان الدكتور لم يحضر وقد قيل عن هذا الشخص انه ابن الطباخ او ابن الطباخ ولكن التحقيق والمسابلات المادية التي جرت لم تتمكن من معرفة هذا الشخص فذهبوا بعد ذلك الى دار عصامة واعتذر الحفار والعندور عن الدخول الى دار عصامة وظل الحرش والحافي في تلك الليلة في دار عصامة وقد اعترف الحرش الى عصامة بناء على طلب والاح الثاني للاول أنهم قادمون على اغتيال الدكتور شهبندر بناء على طلب جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار وان هؤلاء الأشخاص سيساعدونهم ماديا ومعنويا فيما اذا قبض عليهم وهم الذين أخبروا الحرش عن وجود الدكتور في مكتبه في ذلك النهار وان المسدس الذي ارسل الى عصامة هو ملك أحد فلاحي النخوة من رجال جميل مردم بك .

وفي ٣ تموز سنة ١٩٤٠ اجتمع سامي الحفار والحافي والعصامة في الجامع الأموي وقد التقوا العندور لاقتراف الجريزة إنما خاف هذا الأخير من نتيجة هذا العمل فترك الاجتماع وفر الى السويداء ولم يسفر هذا الاجتماع عن شيء .

وفي ثلث الخميس المصادف ٤ تموز اجتمع عصامة الى سامي الحفار بناء على طلب من هذا الأخير بواسطة غلام في جامع الباقوشية في الشاغور ، وقد شاهد هناك أيضا الحرش والحفار وقد طلب هذان الشخصان الى عصامة ان يقوم باغتيال الدكتور شهبندر وشجعه على هذا العمل قائلا ان له ان لهم سنا في هذا العمل هو جميل مردم بك وسعد الله الجابري ولطفي

وفي اليوم الثاني اجتمع عصاصة الى الحرش في بساتين الميدان وكان مع الحرش رجالان فأخذ عصاصة من أحدها مسدسه (البرابلو) الذي كان استعماله في الجريفة وقضى الليل في البساتين وفي ذاك النهار الجمعة في ١٢ تموز سنة ١٩٤٠ فوجيء عصاصة والحرش أثناء وجودهما في البساتين برجال الشرطة فأطلقا النار عليهم وفرا هارين وبعد ذلك عادا الى حلة الميدان وافترق عصاصة عن الحرش وراح عصاصة يتنقل من منزل الى آخر حتى ألقى عليه القبض يوم الاثنين الواقع في ١٥ تموز ١٩٤٠ .

ويستنتج من كل ذلك ان المدعو عصاصة قد أقدم على اقتراف جريمة قتل الدكتور شهبندر عن سابق تصور وتصميم أي منذ أواخر شهر أيار ١٩٤٠ وأن هذه الفكرة ظلت في ذهنه حتى يوم اقتراف الجريمة وأنه هو الذي افترع شركاء المعتوق والطرايشي والحصري والشماع بلزوم اقتراف تلك الجريمة وأنه هو الذي قام بتنظيمها وأنه حاول اثناء التحقيق الاستطائي ان يخفف عن نفسه المسؤولية فقال : انه كان أطلق النار على الدكتور من دون قصد لأن مسدسه كاد يقع من حزامه فالتقطه واذ ذاك انطلق العيار الناري من دون أدنى ارادة . إن هذا الأسلوب هو متناقض لجميع الأدلة التي جاءت ضده أثناء التحقيق ومتناقض حتى مع إفاداته السابقة التي اعترف فيها اعترافا صريحا أنه هو الذي أطلق النار بـله وإرادته .

وأنه ولا شك بأن المدعويين المعتوق والطرايشي والشماع والحصري قد وافقوا عصاصة على اقتراف جريمة قتل الدكتور شهبندر واشتركوا في هذه الجريمة وهم عالين بها وعلى اطلاع تام بها ، وأن كل ذلك ثابت في إقاداتهم لدى الشرطة والمستنطق الأهلي وقد حاولوا ان يرجعوا عن هذه الافادات أمام المستنطق ولكن في التناقضات التي ظهرت في إقاداتهم برهانا كافيا لإثبات عملهم وتأييد إقاداتهم السابقة وأن الشيخ صالح معتوق قد لعب دورا هاما إذ انه سهل لعصاصة مهمة قهرله بقتل الدكتور قائلا له : ان قتل الدكتور مسموح به شرعا وهو الذي أوعز الى عصاصة وهو في السجن أن يسدل إفادته لدى المستنطق كما هو ثابت من الكتاب الذي صودر منه في السجن وهذا الكتاب يؤيد بصورة جلية الوقائع المسرودة أعلاه .

إليه أن ينتظر مدة من الزمن ، ولما أتى عصاصة الى شارع البرلمان في السيارة وجد الشماع أمام دائرة الصحة فأوقف السيارة في هذا المكان ، وظل الشماع بالقرب منها ، ذهب عصاصة وبعد قليل أوعز الشماع الى السائق ان يتجه بسيارته الى مفترق الفرسيه وكان يوقفها مقابل الشارع الذي يقطن فيه الدكتور وتوجه في هذه الاثناء الى العصاصة والحصري والمعتوق والطرايشي الى عيادة الدكتور فظل الحصري في الشارع أمام التزل يراقب الطريق فدخل المعتوق والعصاصة والطرايشي غرفة الانتظار فحرف الخادم عصاصة والطرايشي اذ انهما كانا قد زارا الدكتور من قبل فأخذ منها سلة التفاح وأخير الدكتور بوجودهما وبعد ان انتظرا قليلا أذن لهما الدكتور بالدخول فدخل عصاصة والطرايشي الى غرفة المعايمة وبينما كان الدكتور منحنيا على الطاولة يذوق في دفتر زيارات مرضاه ويبحث عن الوصفة التي كان أعطاها للمريض أطلق عصاصة عليه عيارا ناريا فأصابه في الناحية الخلفية اليمنى فوقع الدكتور على الأرض فخرج الاثنان من مدخل ثاب مارين بغرفة الاستقبال حيث اجتماعا بالخادم فهدهد عصاصة بسلاحه فخاف الخادم وفر الى المطبخ ثم اجتماعا على الدرج بالمعتوق وفي أسفل الدرج بالحصري فاستطلقوا جميعهم هارين نحو السيارة وهناك هدموا جميعهم السائق بمسدساتهم وطلبوا اليه ان يسرع وكان عصاصة يوجهه الى حيث يريد حتى وصلوا الى حلة الفحامة فالتجأوا الى دار شقيقة عصاصة حيث سلم كل منهم مسدسه الى عصاصة وتفرقوا بعد ان تناولوا طعام النداء .

وفي نفس النهار ذهب عصاصة الى جامع الباغوشية ومن ثم الى منزل فوزي القبانى بناء على الوعد المضمن أنهم سيجدون سيارة تقلهم الى العراق فوجد الجميع مغلقا ولم يجد أحدا في دار فوزي القبانى فعاد الى منزله حيث قضى ليلته ثم في صباح اليوم الثاني الأحد ذهب الى المهاجرين فقضى فيها ليلتين او ثلاث مع المعتوق والشماع وفي يوم الاربعة عاد عصاصة الى الشاغور وسلم المسدسات الى رجل يعرف أن له صلة دائمة مع الحفار والحرش ومن ثم ذهب الى منزل محمد الحافى وقضى فيه ليلة وأخبره الحافى بأن الحرش والحفار قد استلم المسدسات وأنها سيجهتمان إليه .

ويستنتج أيضا من إفادات العصاصة والحفار والحافي والفتندور ان الدافع والمحرص لهم على اقرار جريئة قتل الدكتور شهيندر هي العودة والتأمينات والحيل والدسائس التي قام بها بصورة غير مباشرة كل من جميل مردم بك وسعدالله الجابري ولطفي الحفار والتي يتضمن أكثرها مساعدتهم مساعدا مالية وتأمين سفرهم للعراق وتأمين معيشتهم هناك . وان فكرة اغتيال الدكتور شهيندر كانت في بية جميل مردم بك قبل وقوع الجريمة كما تبين من شهادة المدعو محمد الدرخباني .

وقد ثبت أيضا أن المتهمين لم تكن غايتهم الوحيدة قتل الدكتور شهيندر فحسب بل كانوا يرمون من وراء ذلك الى إيقاد نار الفتنة بين الأحزاب ليتمكنوا بعدئذ من الوصول الى بغيتهم ألا وهي نشوب اضطرابات تؤدي الى حرب أهلية طاحنة .

وقد أيد التحقيق أيضا المعلومات الآتية :

أولا : خلافا لما قاله عصاصة وعاصم النائي فان الشاهد حي الدين بدوي أفاد أنه رأيها واقفين أمام دكان صبحي مالك في شارع رامي وذلك في أواخر حزيران ١٩٤٠ .

ثانيا : تبين من شهادة الدكتور منير شيخ الأرض أنه كان يسعى مرارا للترقيق بين جميل مردم بك والدكتور شهيندر غير أنه فشل في مساعده لتفريب جميل مردم بك وعدم تلبيته رجاءه ووساطته وإضاف هذا الشاهد قائلا إن عاصم النائي قد استولى عليه اضطراب عندما وقعت عيناه على أساء القتلة غير أنه ما لبث أن عاد الى هدوئه عندما تأكد من فرار الفاعلين .

ثالثا : أفاد الشاهد محمد الدرخباني أنه كان كلف مرارا من قبل جميل مردم بك للقيام بهمة اغتيال الدكتور شهيندر لقاء وعدة بمبلغ من المال وقد أفاد هذا الشاهد أيضا ان الشيخ الصابوني قد توسط لديه كي لا يعطي شهادة ضد جميل مردم بك فوعده وكان الشيخ الصابوني قد حضر الى دار الدرخباني حيث تحدث مع هذا الأخير بهذا الشأن وان الدرخباني قد أشهد عليه ثلاثة شهود هم عوض الكناكري وفوزي

أما الحرش والحفار والحافي والفتندور فان هؤلاء الأظناء قد عملوا على تهية الجريمة أثناء الاجتماعات العديدة التي اشتركوا فيها وكونوا فكرة الاغتيال وكان الحرش والحفار يشجعان هذه الفكرة ويبدلان كل ما في وسعها من جهد لإقناع رفقائهما ، ولا تم الاتفاق بينهم على الاغتيال أخذ الحرش والحفار عيتان الخطط اللازمة لإتمام الجريمة وقد بينا للقتلة الخططة الواجب اتباعها كما أبها زدوهم بالأسلحة اللازمة وأنه أثناء الاستطلاع قد انكر سامي الحفار جميع الأعمال المنسوبة اليه ولكنه كان قد اعترف أمام المستطق الأهلي وأمام مدير الشرطة ومترجه العريف بجهة كحال من أنه كان قد اشترك في الاجتماع الذي عقد في الجامع الأموي وحضره شاب قال الحرش عنه إنه عاصم النائي .

وأما الفتندور والحافي فإنها بعد موافقتها على مشروع الاغتيال اشتركا فعلا في جميع المؤامرات التي كان من شأنها تهية الجرم وتسهيل تنفيذه وأن الفكرة المجرمة قد اختبرت في أذهانها لدرجة أبها لم يكنفيا بالاشتراك في محاولة القتل التي جرت في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ بل قدم الفتندور نفسه للقيام بهمة الاغتيال .

وقد ثبت أيضا من التحقيق ان فوزي القباني كان على اطلاع تام بكل ما يجري بين المتهمين العصاصة والحفار والحرش والحافي والفتندور وأنه كان حضر أول اجتماع في الجامع الأموي وكان كلما شاهد أحد المتهمين حاول أن يعمد بالمال فيما اذا كان محتاجا لذلك . ويستنتج أيضا من أقوال المتهمين ان موعده اجتماعهم بعد القتل كان في دار فوزي القباني او في جاسع اليافوخية حيث كانوا موعودين ان تنتظرهم هناك سيارة تأمين فرارهم .

ويستنتج أيضا بان المدعو عاصم النائي كان قد اشترك بالاجتماعين الأولين اللذين عقدا في الجامع الأموي وفي منزل عصاصة وقد توصل النائي في هذين الاجتماعين الى إقناع رفقائه باغتيال الدكتور شهيندر قائلا لهم ان الدكتور خائن ومضر للوطن وقد حرضهم على الاغتيال وسهل لهم ذلك بالعودة والتأمينات وخلافها وقد عرفه عصاصة لدى أول مقابلة جرت وفقا للشروط القانونية كما أن الحافي قد اشبه به .

جامسا : بمساعدتها ومعاونتها عصاصة باعطائها إياه التعليمات والخطط .  
جرم منصوص عنه ومعاقب عليه بموجب المادتين ١٧٠ و٤٥٥ من  
قانون الجراء .

سادسا : ان المدعويين خليل الغندور الملقب بأبي فياض ومحمد خير والحافي  
وفوزي القباني متهمون كونهم في نفس الظروف والمكان والزمان  
اشتركوا في جريمة القتل عمدا المرتكبة من قبل عصاصة لتسهيلهم  
وتخفيفهم اقتراف هذه الجريمة . المادتان ١٧٠ و٤٥٥ من قانون  
الجزاء .

سابعا : ان المدعويين عاصم النائي وجيل مردم بك ولطفي الحفار وسعد  
الله الجابري متهمون كونهم في نفس الظروف والمكان والزمان  
حرضوا على ارتكاب الجريمة بواسطة مبلغ من المال والوعود  
والدسائس والخبيل وبذلك اشتركوا في جريمة القتل عمدا . جرم  
منصوص عنه ومعاقب عليه بالمادتين ١٧٠ و٤٥٥ من قانون الجراء .

ثامنا : ان المدعويين أحمد عصاصة ومحمد الحرش الملقب بأبي صباح متهمان  
أيضا كونهما حاولا في دمشق خلال شهر تموز ١٩٤٠ وعلى كل في  
وقت لم يمر عليه الزمن اقتراف جريمة القتل من دون تعمد على افراد  
القوات المسلحة أثناء قيامهم بالوظيفة مع الملاحظة بأن هذا الجرم  
كانت الغاية منه تأمين فراقها . المادتان ٧٤ و٤٦ من قانون الجراء .

ثامسا : ان المدعويين أحمد عصاصة ومحمد الحرش ومحمد الحافي وتحليل  
الغندور وسامي الحفار كونهم متهمين وكونهم بدمشق في ٢٥ حزيران  
١٩٤٠ وعلى كل في وقت لم يمر عليه الزمن حاولوا بالاتسار مع  
بعضهم وبالاتفاق اقتراف جريمة القتل عمدا على شخص الدكتور  
شهبندر جرم منصوص عنه ومعاقب عليه بالمادتين ١٧٠ و٤٦ من  
قانون الجراء .

عاشرا : ان المدعويين أحمد عصاصة وصالح معتوق وأحمد طربيشي وعزت  
شماح وسعيد الحصري ومحمد الحرش وسامي الحفار ومحمد الحافي  
وتحليل الغندور متهمون أيضا كونهم خلال أشهر أيار وحزيران وتوز

الحموي والشرطي هاشم الهاني .  
وقد شهد الشاهدان الأولان بأن الصابوني طلب فعلا الى الدرخاني  
أن لا يعطي شهادة بحق جيل مردم بك ولكن الشرطي هاشم الهاني لم  
يؤيد هذا القول مطلقا .

رابعا : لقد أفادت الآتية ايلين عجمي لدى المستنطق الأهلي خلافا لأقوال  
جيل مردم بك وعاصم النائي من أن جيل مردم بك قد زار النائي أكثر من  
مرة وقالت أيضا إنها كانت تكلمت مع شقيقات عاصم النائي نتيجة  
وخديجة وقالت لها إن آل الزويد مستعدون لإسقاط الدعوى عن عاصم  
النائلي فيما اذا اعترف بالحقيقة فأجابتها شقيقة عاصم بقولها (أتريدين أن  
تظهر الجريمة) فأجابتها نعم إذا كان عاصم بريئا .

وبناء على ذلك :

أولا : ان المدعو أحمد عصاصة متهم كونه ارتكب في دمشق بتاريخ ٦ تموز  
سنة ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمدا على  
شخص الدكتور شهبندر وهذا الجرم منصوص عنه ومعاقب عليه  
بالادة ١٧٠ من قانون الجراء .

ثانيا : ان المدعويين أحمد الطربيشي وصالح معتوق وسعيد الحصري وعزت  
الشماح متهمين كونهم في نفس الظروف والوقت والمكان قد اشتركوا  
في الجريمة المذكورة بمساعدتهم ومعاونتهم جرم منصوص عنه  
ومعاقب عليه بالمادتين ١٧٠ و٤٥٥ من قانون الجراء .

ثالثا : ان المدعويين محمد الحرش الملقب بأبي صباح وسامي بن سعدو الحفار  
متهمان كونهما في دمشق خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠  
وعلى كل في وقت لم يمر عليه الزمن اشتركوا في جريمة عصاصة أولا  
بتحريضها إياه بواسطة مبلغ من المال والوعود لارتكاب جريمة القتل  
عمدا .

رابعا : باعطائها الأسلحة التي استعملت في اقتراب هذه الجريمة وهما على علم  
بذلك .

## الرفاه

استمعت محكمة العدل في دمشق الى مرافعات وكلاءالدفاع في حادث اغتيال فتيد العروبة الزعيم الخالد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وقد تجاوز عددهم بموجب وكاليتين رسميتين من ورثته العشرين ، بينهم الأساتذة زكي الحطيط ، الدكتور منير العجلاني ، أحمد فؤاد القضماني نقيب المحامين السابق وقررت المملوك النائب السابق والفرنسي ( قيران ) ، واما أن هؤلاء المحامين الأكارم توازعو الدفاع فيما بينهم بحيث اقتضرت مرافعة كل واحد منهم على ناحية من نواحي القضية او على متهم أو أكثر فقد كنا نحرص على نشر مرافعاتهم جميعا ليطالع القارئ الكريم على تفصيلات هذه القضية ، بيد أنه لا كان هذا ممعذرا وكانت مرافعة الاستاذ القضماني شاملة جميع أسباب هذه الجناية المروعة وظروفها وعوامها ونفسية المتهمين فيها ونواياهم الخفية، وكانت مثبتة أن الجريمة لم تكن بدافع ديني كما يدعي المتهم أحمد عصاصة بل كانت سياسة مدبرة يستحق مدبروها ما يفرضه القانون عليهم من عقوبات، فقد كنا نود الاكتفاء بنشر هذه المرافعة دون غيرها، ولكن لما كان زملاء الدكتور العجلاني أوكلوا اليه الكلام عن شخصية الزعيم السياسية وكانت مرافعته بالغة التأثير بالنظر لا فيها من وصف رائع لعبقريه الشهبندر ووطنية الشهبندر واخلاص الشهبندر وجهاده ولا كان يتحلى به من المناقب والمواهب التي يتندر ان تتوفر إلا بأمثاله من أفاضال الرجال وكذلك على شخصية القتلة الخمسة الأشرار وعلى نفوسهم الشريرة في جريمتهم النكراء التي هزت العالم العربي وروعت النفوس فقد ارتأينا أن ننشر هذه المرافعة أيضا الى جانب مرافعة الاستاذ القضماني .

١٩٤٠ على كل في وقت لم يمر عليه الزمن حلوا مسدسات بدون رخصة جرم معاقب عليه ومنصوص عنه في المادة ٢ من القرار ذي الرقم ٧٣٢٦ .

قائمة شهود الحق العام : يحي الدين بدوي ، صبحي مالك ، عاشور مالك ، منير شيخ الأرض ، محمد درخاني ، عوض الكناكري ، فوزي الحموري ، الشرطي هاشم الهاثني ، محمد عبد الرحمن الصعدي ، سعدو ابن ابراهيم حميد ، اسماعيل آشيقي ، فلاديمير سيج والسيدة إيلين عجمي .  
« ترجمة طبق الأصل » - في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٠  
دمشق - ٢٦ تشرين الأول سنة ١٩٤٠

صدر عن النيابة العامة بدمشق  
لدى المجلس العدلي

## مرافعة الملكة لأمير المؤمنين في فقيه الحنابلة

أيها الشعب !  
اليك تعرض قضيتنا ونعتبر أنك القاضي الأعظم  
أيها السادة القضاة !

بيدكم الأمانة . أمانة الشعب كله ، لأن دستوره فوض القضية ان يحكموا باسمه . فما أثقل هذه الأمانة على النفوس الأمينة ، لأن القضاء في شأنها لا يصدر باسم سلطان ، او صاحب تاج ؛ او اميراطور ، كما تنص دساتير بعض الأمم ، بل ينطق باسم الشعب بكامله ، فالسلطان يموت ، وصاحب التاج يزول ، والاميراطور يفني ، ولكن الشعب حي لا يموت . ما هي هذه الأمانة ؟ هي أمانة غالية ، ليست من المثاليات التي يوجد مثلها ، ولا من العديديات التقديرية ، لأن بينها وبين أفراد المجتمع تفاوت لا يقدر ، بل من القيميات التي لا نظير لها في الأمة .

أمانة ! أرفع من الكنوز ، وأمن من المال ، والمقدار ، والجسار ، والسلطان .

أمانة ! ثروة أمة نبتت في حقل الفضيحة والشرف في مثل ملح البصر .

ما هي هذه الأمانة ؟ هي دم شهيد . نعم دم شهيد بعينه . ومن لا يصدق فليحج لزيارة السلطان المعادل صلاح الدين بن أيوب . مشيد أركان الدولة الايوبية ، وعميد أعظم دولة من الدول الاسلامية ، فيجد جاره البطل شهيد خالدا في النعيم ، وأنوار النبي يحيى زكريا تعرف على قبرهما .

أيا القضاة :

إن رأيتم أني مرتت ببعض المقاطع بدون لفظ ( سادق ) ، فلا أن سيادة القضاة على المتقاضين مقطوع بها ، سواء ذكرت أو لم تذكر ، وولاية القضاء على الناس إجبارية لا خيار فيها لواحد منهم ، ولأنكم لستم من الذين يزيهينهم أطراء ، أو يستميلهم أغراء .

أقول قبل أن تكونوا قضاة ، فإنكم بشر مثلنا ، وكلكم رجال ، وآباء أسر ، تحبون أبناءكم ، وتعدونهم مصدر هناكم في هذه الحياة ، لأنهم انبثقوا منكم ، وهم جزء منكم ، والآنسان يجب أجزائه ، وكما أن الأب مسؤول عن حماية عياله وأبنائه وهو شريك الأم في ملكيته الأولاد وحيه لهم مفروس في طبيعته بفعل ناموس « الوراثة » فكذلك يجب البنين للأب ما هو إلأ رد فعل ، أي تصادم عاطفي لا بد منه ، وعليه يقع في ذمتكم أيا الآباء تقدير هذه العواطف الانسانية المتبادلة بين الآباء والأبناء التي خلقت مع الأدمية منذ تكونت الطبيعة .

أجل ، إذا سئلت الآباء من أهل الرحمة وعن في قلوبهم شيء من العطف والحنان ، وفي نفوسهم ذرة من حب العائلة ، عن موقف أطفال ، تأمرت على حياة أبيهم زرة من الناس فضلت إراقة الدماء على صيانة السموع ، ورجحت العار على رحمة الساء ، فقصت عليه ظلما وعدوانا ، وفجعت قلوب أولئك الأطفال التي لا تتسع - على صغر حجمها - لهذه الكارثة القاسمة ، فماذا يكون الحكم ، وماذا يكون المصير من الناحية الانسانية العاطفية ؟

تترك الجواب على ذلك للآباء ، الأحياء في شرفهم ، والأحياء في الفاجعة شعورهم وإحساسهم . إن الأطفال الذين يردون كلمة ( بابا ) وتتغذى في أحاسيسهم من نور الله ، ومن الرعرة في حضون آبائهم ، لا يطبقون الاستقرار على مقعد ولا تمضض لهم عين إذا سمعوا أو رأوا مشهدا أليسا بأبيهم يريق الدموع ويقت الأكباد .

في اليوم السادس من شهر غورز سنة الف وتسعمائة وأربعين ، قتل

هذه يا سادق هي الأمانة المقدسة التي أودعت اليكم ، وأهلها - وهم الأمة - من ورائكم يتمدون - في الحرص عليها - على نواصيتكم وشرفكم وسنن آبائكم .

وإن قول السيد الرسول ﷺ « لا أكبر معوان » لأكثر باعث لتشجيعنا على الاعتماد علىكم ، لأن عملكم ، وعلة وجودكم على أريكة القضاء إنما هو الشرف الذي لا يعامله شيء في الحياة .

نحن الآن وقوف أمام أفضل مظهر يمثل به العدل . والعدل = الذي قال فيه ، ( أرسطو ) أن به قوام العالم .

نحن اليوم في حضور أكبر هيئة قضائية مستقلة يرى فيها الناس الضمان الوحيد لئلا المجتمع عدالة لا تعرف المحاباة .

نحن في ظل قضاة يحمون بقوة ضمائرهم ، وقوة أعصابهم ، الروح الذكية التي فاضت لخلاقتها تشكو ظلم بني الانسان ، قضاة يحطمون في حكمهم - كل أنيم نزع من قلبه شرف الحياة ، وتأصلت في نفسه الدنيا ، أو حاول هناك شرف العدالة .

سادق !

هذه هي مهمة القاضي ، حقا إنها مهمة خطيرة ، مهمة هائلة ، لا تتطلبه من عظمة وفضائل : ولم تكن هذه الظهيرة حديثة العهد في القرون الأخيرة ، بل إنها قديمة الوجود ، بدليل قول الرسول ﷺ « من ولي القضاء ، فقد ذبح بغير سكين » . حتى أن الإمام الأعظم ( أبا حنيفة ) دعي إلى القضاء مرة ثالثة فقال حتى أستشير أصحابي ، فاستشار أبا يوسف فقال : لو تقلدت ، لنفعت الناس ، فنظر إليه أبو حنيفة نظر الغضب وقال : أ رأيت لو أمرت أن أعبر البحر سباحة أكنت أقدر عليه ؟ ومات وهو على الإباء .

ولكنكم أنتم توليتم القضاء ، ومارستموه مدة طويلة ، فتوفر علمكم ، واتسعت مدارككم واستنارت أذهانكم من كثرة التجارب ، ووهبكم الله من نوره ما تفوقون به بين الحق والباطل ، ولكن من خوف الله ، ومن حصانة الضمير ما يجعل الطمأنينة تستقر في القلوب .



عاصمة الامورين . فقد قال فخرمة هاشم بك الاتاسي رئيس الجمهورية السورية : « الشهيد علم من اعلام الأمة ، حل لواء الدعوة العربية وهي ناشئة في مهدها ، فعلا صوته في الدفاع عنها ، وركب الاخطار في سبيلها ، وقد تجاوز أثره ، كما تجاوز صدق الرزء به ، حدود بلاد الشام ، فطوى المراحل ، وبلغ مختلف الاقطار » .

وقال سمو الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرقي الأردن : « أما الشهيد فقد لحق بالكرام المكرمين في الدارين ، نبت شهها وعاش نبيلاً ، ومات أميناً فان كنتم تتوجعون له ، وتريدون تخليد اسمه ، فعليكم جميعاً ان تحذوا حذوه ، وتتبعوا خطواته في الاخلاص للوطن والنيات على المبدأ ، كما فعل هورحه الله » .

وقال صاحب الرفعة محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية الأسبق : « الراحل الكريم الشهيد ، فقيده سورية ، وفقده الفكرة العربية ، ذهب ضحية عقيدته وسعيه لاستقلال وطنه ، وصحى براحته وهناء أهله وبغفاه بين أبناء وطنه ، وقد أراد ان يشيد الكرامة والعزة لسوريا ولجند العرب جميعاً » .

وقال العلامة الكبير محالي الاستاذ محمد بك كرد علي : « التاريخ لا يكذب مهما دلس فيه المدلسون ، والتاريخ سينصف الدكتور شهيندر ويذكر غناؤه . موزونا تميزان العدل والنصفة ، وسبقول عنه إنه أمة وحده ، وأنه من خير من نبع في الأمة العربية في هذا القرن ، وإنه أحد أفراد قلائل باعوا أنفسهم في مرضاة الوطن ، وأثبتوا بأعمالهم أنهم كانوا شيئاً عظيماً في الحياة ، لا كالذين دخلوا العالم وخرجوا منه لم يحس بوجودهم أحد » .

وقال صاحب النبطية العلامة انطون عريضة بطريك انطاكية وسائر الشرق للطائفة المارونية : « لا بللنا ذلك الحشر المشؤوم بالاعتداء على حياة الزعيم العظيم من يد أئمة وهو يعالج المرضى ويشفي أسقامهم ، خزننا خزاناً شديداً وأسفنا كل الأسف على فقد تلك الشخصية الممتازة التي كان يرجي منها خير عميم للوطن » .

وقال صاحب النبطية العلامة السيد الكسندروس طحان بطريك انطاكية

الرجل العظيم ، قتل الرجل الخالد ، قتل الزعيم شهيندر .

قتل الشهيد الحي ، الذي كابده في حياته من صنوف العذاب وأنواع الآلام ما لا يستطيع أن يتحمله بشر ، وذلك في سبيل قوميته ، وعرويته ، واستقلال بلاده . قتل المجاهد الذي كان يعتمد - في حقوق بلاده - على الله ، وبقى بعدله ورحمته ويعدُّ الدماء التي تسيل من أجسام الاحرار مستحقاً الى شهب نارية حمراء تهوي فوق رؤوس أعداء الفضيلة فثقتهم .

قتل الرجل الذي كان يطلب منزلة من المترشحين : إما الحياة بشرف ، وإما الموت بساعات الضلال .

قتل الحر الذي كان يقول : موت الجبان في حياته وحياته الشجاع في موته . قتل الزعيم البريء الطاهر الذي لم يلوث يده في حياته بجريرة ، ولم يقترب بينه وبين ضميره إثماً ، ولم تلوثه الذنوب والآثام ، ولم تعيث به الأهواء والشهوات وعاش عيشاً طاهراً شريفاً لم يشب ماضيه شائبة .

كان المغرور الشهيد رجلاً وأكبر من رجل ، كان وحده أمة كاملة ، إنه عاهد نفسه على إنجاز عمل عظيم ، فكان صادقاً في وعده برغم أن الأمانة التي حملها ثقيلة وأين الكثيرون من الذين يتشدقون في الوطنية ان يعملوها بعبث ، فحملها وحده سنين طويلة حتى اصطفى له إخواناً اعتمدهم في مهمته .

سادق ،

شهد أهل السواء والأرض على ان الشهيد لم يد ضعفاً في جهاده الوطني ، ولم يخضع لسلطان مستبد أو لقوة لا تستند على الحق ، فقد كان شريفاً صديقاً ، صدوقاً لعروبه أميناً على حقوق شعبه ، ذاق طعم الموت في سبيل وطنه وجد أمته مرات عديدة ، وعدا كل ذلك ، فقد كان رحمه الله - حكيماً ، فيلسوفاً اجتماعياً ، سياسياً كبيراً . كان يؤلف من شخصيته مجموعة علمية عظيمة لا نظير لها في الشرق . ولا أدل على ذلك أكثر مما جاء بأقوال أكابر رجائن الشرق وأعظم المساسة من رجالهم بحق الفقيد العظيم يوم حفلته التأبينية الكبرى التي أقيمت بمدرج الجامعة السورية - بدمشق -

هذا القرآن العظيم يحاري الزمن بتطوره ، والوقت بتقدمه ، ويبحث في أصول الدين من إيمان وتوحيد وعبادة ، وفي جميع مرافق الدنيا من الشرائع الخلقية والاجتماعية والسياسية ، بدليل قوله تعالى ﴿ وما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

وقد طأطأت الانسانية - على اختلاف مذاهبها - الرؤوس لعظمة القرآن ، وهنالك وثائق تاريخية لا تحصى لأعظم رجالات الدول العريقة في المجد ، وكلها تفخر بتلك العظمة ، أذكر منها نص الوثيقة التاريخية التي خطها ( نابليون بونابرت ) بشأن عظمة القرآن ، فقد كتب بتاريخ ٢٨ آب سنة ١٧٩٨ ما نصه : « أمل ان لا يمضي زمن طويل حتى أجمع عقلاء البلاد وههنا عليها وأقرر معهم نظام الحكم مبنيا على مبادئ القرآن ، إذ هي وحدها الكفيلة بمعادة البشر » .

وقال الشهبندر - رحمه الله - « العروة أقوى من ان تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يجمعها » .

والقتل حرام بحرام بنظر جميع الشرائع السماوية والأرضية . فقد قال سيد البشر النبي محمد ﷺ بخطبة في عرفات : « ألا أن دماءكم ونفوسكم محرمة عليكم كحرمة يومي هذا ، في شهري هذا ، في مقامي هذا » .

حتى انه لا قتل ابن جنامة رجلا من أهل الجاهلية . قال النبي ﷺ : « لا يرحم ، فدفن بعد موته ، فلفظته الأرض ، ثم دفن فلفظته الأرض . فقال : أما انها تقبل من هو أعظم جرما منه ، ولكن الله أراكم حرمة القتل » .

وقال أيضا : « يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا ، ولا يجب بعضكم بعضا ، هدم الكعبة ودميتها في البحر أيسر عند الله من انسان يستخف بإنسان أو يعينه وزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق » .

وقال أيضا : « ليس المؤمن من يقول انا مؤمن . المؤمن من آمنه على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه » .

وسائر المشرق للروم الأرثوذكس : « فقيد الأمة السورية بل فقيد الأقطار العربية المذكور عبد الرحمن شهبندر كان في مدى حياته الزمنية وبعدمها أنشبت به النية أطفالها بمصرعه الأليم المذكورا بمبادئه القوية وأخلاقه الراقية ، واسمه مدون في سفر الحياة الخالدة بأبائه الذين أنشأهم على غراهِ في انتهاج أقوم السبل ، وبأخوانه الناصحين على منواله في خدمة البلاد بمسير حي ، ورأي حصيف ، ولزادة صداقة لا تتلوى ولا تتلون ، فهي عمل ما هو حسن للمنفعة العامة ، لا يترجو أجرا من بشر ، ولا ذكرنا عن جهاد شاق » .

الى آخر ما قيل بحق الراحل العظيم من الأقوال التي يفتق بها القرائس .

فقضية قتل الشهبندر لم تكن جناية على المتهمين وحدهم ، ولا على سوريا وحدها ، ولا على سياسة الشرق وحدها بل هي على الاخلاق والعلم والفضيلة واللدنية والحضارة ، لا بل على هذا الجيل والأجيال القادمة .

لقد أراد القاتلون ان يتكبرا الوطن في حريته ، وفي كرامته ، وفي وحدانه ، فباعوا الذمم والكرامة في سوق الارتزاق ، بلا شمن ، وحرابوا الأمة بارتكاب أدنى صنوف الدنبا ، ليفسدوا القلوب في سبيل بناء مجد لهم على جاحم الشهداء وبدماء الضحايا الذين سقطوا بساحات الشرف ، ولتقتلوا الشاعر والأفكار ليحيوا الشهوات والأجسام ، وتناسوا ان خلق الفقيد الوطني كان مفخرة من مفاخر التاريخ ، وعليه من الجلال وصفات العظمة والأخلاص ما يعجز الانسان عن وصفه . فيا للحماسة وبسا لسوء المصير .

### حرمة القتل

إسمعوا يا سائق ما قاله الديان العظيم بكتابه الكريم بشأن حرمة القتل :

﴿ومن قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ ﴿ومن يؤمن مؤمناً متعمداً فجزأوه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ .

والنوازح كل أولئك من أسياء الضمير ، والضمير الذي هو مركز القضاء في انفعال الانسان ، والحكم عليه صوابا او خطأ انما هو قوة عقلية ايضا - كما قال العالم الشرقي يقولون حداد يؤلفه « علم النفس او علم العقل » .

فالا انسان ذو الضمير الحي يحس بين جوانحه ، وحشايا ضلوعه بقوة منغوية تناديه أن يعمل الخير ، ويتجنب الشر ، فهو يتفر من الجريمة ، ولا يحرك عامل من عوامل الاجرام ، لأن نداء الضمير الحي ، وان كان خفيا ، لكنه ينفذ الى أعماق النفس ، فيدوي فيها دوريا يتصل بشغاف القلب ، فيثير فيه عاطفة رحة وخير وشرف ، ومن أجل ذلك قال « السير صموئيل سمليز » : يجب علينا ان نصغي الى صوت ضميرنا ، وان نفعل ما يأمرنا به .

وعلى العكس ، فان من مات ضميره يصبح هيكلا بلا روح ، ولا يحس بوجود تلك القوة المعنوية ، ولا يشعر بوخز وعذاب ، ويتساوى في نظره الحلال والحرام ، والحق والباطل . والخير والشر .

#### العداوة :

ومن المفيد ان أقبل اليكم ما قاله « ماندر » العالم النفسي بهذا الصدد فقد قال : « جسم الانسان يتأهب بالعزلة ، ويتدافع للهجوم على عدوه ، وهذا نوع من انواع النزاع ، هو غريزة القتالة ، فغريزة القتالة اذا شاربت صحتها انفعال الغضب ، ثم انما تثير رغبة في أن يهاجم وتؤدي ، وتذل ، وتخضع ، وهي في حالتها الطبيعية قد لا تكنفي بأقل من القتل » .

#### الحقد :

والحقد الشخصي ، وهو الرغبة الشديدة في إيذاء من ينصب عليه ، وكثيرا ما دفع بعضهم الى أشنع الجرائم وأفظعها . والحقد قد يبقى الغضب محتدما في قارة نفسه ، ويصر دائما على رد الفعل مترشا - في بعض الأحيان - الى ان تسنح الفرصة للانتقام ، فلا يتردد فيه . ( يراجع كتاب علم أدب النفس لمؤلفه يقولون حداد ) .

ولما قاله قنطين على قلوبنا بأن الأرض المقدسة - أرض عرفات لن تقبل قاتلا لا في بطنها ولا على ظهرها . فالرسول الأعظم لا يطلق عن أهوى .

وفي قوله تعالى ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ دليل قاطع على انه سبحانه وتعالى أمر النصارى بالحكم بما أنزل فيه ايضا .

وقد جاء في الانجيل على لسان السيد المسيح نبي صريح عن القتل يقول : « لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور » .

وكذا قوله : « قد سمعتم انه قيل للقديما لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم » . ومن ذلك يتضح ان القتل ورد النص عليه في مقدمة المحرمات .

#### « مبعث الاجرام »

الاجرام هو داء اجتماعي خطير ، ومبعثه كما قال علماء الطليان لومبروزو ، وانريكوفري ، وجاروفالو - موت الشعور ، ضعف الاحساس ، عدم التبصر ، الانانية الشديدة ، الشهوات على اختلاف أنواعها . فالشخص ميت الشعور والذي تحركه أحط الشهوات ، لا يتفر من الجريمة ، ولا يشعر بتأنيب الضمير إذا ما ارتكبها ، وهو يقدم على ارتكاب الكيثر ولو لم يتدرج في الجرائم الصغرى .

وهناك نوع آخر من الاجرام ، وهو الذي يرتكب تحت تأثير العداوة ، او الغضب او الكراهية ، أو الغيرة ، او الحقد الشخصي ، او التعصب السياسي ، او الانتقام ، والمجرمون من النوعين المذكورين خطرون على المجتمع لا يرجي صلاحتهم .

وكذلك بعد ان أكد بعض علماء النفس بان قانون الوراثة ثابت ، وان الطفل يرث الضمير من أبويه ، كما يرث الذكاء وما يقطر عليه من أمزجة ، فإن رأي بعض العلماء بأن الاجرام يتوارث عن الاباء ايضا .

وفيما يتعلق بالنوعين الأولين نرى ان الشعور ، والوجدان والخس ،

وضميرنا وهيانا انفسنا الاوقات وجهه ربنا بقلوب مؤمنة في الميزان والحق والصراط المستقيم.

نعم ايها السادة : ان ذلك من اقدس الواجبات ، وما اجتماعنا انتم ونحن الا لثبوتي واجب العدالة ، ونحن لا نطلب الا العدل ، ولكننا نطلبه كاملا غير مبتور .

رايت قبل أن ادخل في تفصيل اسرار الجناية ان اذكر في مقدمة كلامي خلاصة موحدة عن حياة فقيد الأمة الخالي الشهيد، وعن علمه، وخلاصه، وفضحيته ومقامه - وهي غير غريبة عنكم - لأسهل لكم مهمتكم التاريخية الكبرى عندما تختلون في الحجرة الخالية لتزورا الاعمال، وتقنروا الحوادث، وتقارنوا بين حق المجنى وباطل الجناة، وفي التالي نتكزوا الرأي الاخير في مصير المجرمين .

وهنا الواجب الخطير بدعوني لان اقول لكم بصراحة بان حادث اغتيال الشهيد هو ( حادث داخلي ) سببه : العداوة، والحقد، والكراهية، والغيرة، وهاتي ايتين لحضراتكم وجه ذلك .

الامر الواقع يثبت ان الشهيد لا أعفي عنه يوم ١٨ نيسان سنة ١٩٣٧ عاد الى وطنه الأول فوصل دمشق في ١٤ أيار سنة ١٩٣٧ فاستقبل بحفاوة منقطعة النظير ولم تعرف سوريا لها مثيلا، فديت الغيرة في قلوب حساده الذين اعتلوا مناصب الحكم، ورأوا بام العين ان زعامة الفقيد الشعبية هي فوق كل الزعامات، ولا يستطيعون بوجود مثل هذا الرجل الوطني العظيم فوق رؤسهم ان يتلوا دوراً يهين كرامة الأمة او لسلب حقوقها وان يتعموا باموالها بدون حساب ويثروا على حساب الغير بدون سبب، فحاول بعضهم من يعرف الشهيد، ووطنية الشهيد، وقوة الشهيد، إغراءه بمنصب رئاسة المجلس النيابي، او برئاسة الوزراء، وذلك بغية الحد من رقابته عليهم، وتخفيف الوطأة عنهم، لعلمهم يستيقنون السلطان لانفسهم، ويعتزون في قوة الأمر والني طوال حياتهم، لأنهم قبل عودة الشهيد الى بلاده، فرضوا على ابناءها الطاعة، واجبروا الناس على توريد كلمة ( الطاعة للكتلة الوطنية )، واعتبروا كيان البلاد الوطني عملاً بهم، وهذا الرمز

## التعصب السياسي :

ومن الناس من يتعصبون بسياستهم - ولو كانت زينا وهيانا - وكثيرا ما افضى هذا التعصب الغرض بصاحبه لارتكاب افظع الجرائم . فقد حدث في مساء ١٣ تموز سنة ١٧٩٣ ان قتلت القنّاة « شارلوت كورديه » سارا، فتولى الدفاع عنها المحامي الفرنسي الكبير « شافولا جارد » وبحث كثيرا عن اسباب الجريمة حتى بلغ هدفه وظهر له ان القاتلة قد قتلت بعامل «التعصب السياسي» فقال : « المهمة تتعرف بعملها الشنيعة بفير تردد وبكل إطمئنان . فهي تتعرف بتبديرها للجريمة من زمن طويل ، وتعرف بطرقها الفظيعة الى أن قال : وهذا يا حضرات المحلفين هو كل دفاعها ، فهل من طبايع البشر مثل هذا المدوء وهذا الاستهتار الذي لا يترك مجالا للندم حتى يحضره الموت ؟ لا ، لا يمكن تفسير ذلك الا بتأثير التعصب السياسي الذي وضع الخنجر بين يديها ودفعها للجريمة ، فعليك وحدكم يقع عبء تقدير ما لهذا الاعتبار الخلفي من وزن في كفة العدالة ، والامر كله متروك لفضلكم » . وقد حكمت القاتلة بالاعدام .

وبهذه الكلمة ادرك المحامي واجبه كمحام ابي شريف ، فاعترف في الحقيقة، وبين للفضاء عامل الجريمة، وسلم الأمر لفضيلة القضاء، (ولا يغيب عن العقول معنى ومزى هذا التسليم الذي املاه على المحامي صدقه وامانته ) . ولم يقل ان تسلبه موكلته الجانية ضميمه ولا الشجاعة اللازمة لاداء واجبه ، ولم يبع لسانه منها بشئ من الاثم .

ولنا من هذه الحادثة اكبر برهان على ان التعصب السياسي يدفع صاحبه الى الاجرام .

شر الجناية . . .  
سادق :

من مصلحة الأمة العربية عامة، والسورية خاصة، والعمل السامي ان يفقه الناس كنه الجناية التي تترافع من اجلها، واسرارها وعواملها على ضوء التاريخ والحوادث والعلم والفن والمقتل الصحيح، والمنطق السليم، ويتحقق ذلك تكون قد قمنا ببرامجنا على اكمل وجه، وأرضينا فنتنا

الدكتور شهبندر ، لأنه يعتقد ان الشهبندر دكتور باستطاعته ان ينفذ حياة ابنه المريض ، وانتم يا اخواني ارجوكم رجاء حارا تخرج من صميم قواذي ومن أعماق قلبي الى آخر لساني أن لا تدعوا الحزبية تتغلب عليكم ، وتقول دون دعمتكم الرجال الصالحين الى التعاون معكم لانقاذ هذا الوطن من

الرهمة الموجد فيها ، الخ . . . . »

كان رائد الفريد - رحمه الله - من كلامه هذا ان يجمع الرجال المخلصين على صعيد واحد ، وتحت راية واحدة ، ألا وهي راية الوطن ، وان يقضي على الاستتار والالائية والغيابات الشخصية ، لتكون البلاد في متجاة من أخطار المسلمين وفي أمان على نزال حريتها الموهوبة لها من الطبيعة ، ولكي يقتم الحجة والبرهان امام العالم ، ان سوريا اهل للاستقلال ، والسيادة والحرية ، ولكن ساء هؤلاء الرجال النفعيين من الكتلة موقف الشهبندر المخلص ، فطاش لهم ، وازداد مقتهم ، ودفعهم الضرور الى انكار جلائل أعمال الشهبندر - ولكن تحت طي الخفاء - الى ان عاد مردم من باريس بأواخر شهر كانون الأول سنة ١٩٣٧ ، وأعلن عداءه الصريح للفريد بخطاباته النارية التي ألقاها في حلب وحماه وحمص ودمشق بأيام ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ من الشهر نفسه ، بحيث قال شاهدت المصوم في باريس - ويعني بذلك المغفور له الشهبندر - حيث كان وقتئذ في باريس - يعكرون صفو العلائق بين الأمتين ليخلو لهم الجو في المؤامرات ، ومنهم من يستر بالوطنية ولا يعرف ماذا يطلب وماذا يريد الخ . . .

وقال ان هذا الدور « أي دورهم » لم يعد يتحمل دسائس ومؤامرات ، وان الذين يتظاهرون بالوطنية يجب ان ينتهي أمرهم بعد الآن ، وان الكتلة الوطنية التي قادت الأمة الى هذه النتيجة ، ستعرف كيف تحمي هذا الدور ولو أرأقت في سبيل حمايته الدماء . . . .

وجاء في خطابه من شرفة سراي دمشق المقطع الآتي : « أنا لا أقول لكم بأي شهيد حي - وهذا هو اللقب الذي أطلقه المغفور له الشهبندر على نفسه في احدى مواقفه الخطابية الكبرى بدمشق - لأن الشهيد الحي هو الذي كبت له الشهادة واختاره الله اليه ، ولأنني رجل حي بتفكيرتي ، حي بوجداني . . . الخ .

الحزبي ، وفي فعلتهم هذه مثلاً دور المستبدتين اللتين كانوا يقولون في القرون الوسطى : « إنكم مضمربون على طاعتنا لان الله ساهطنا عليكم » ، وظنوا أنه ان كتب لهم الفوز في هذا الاغراء أمنوا بجانب القوة ، وضمنوا لانفسهم السلطة والمال والجاه ، ولكنهم نسوا ان الشهبندر الذي رد عليهم بأحدى مواقفه الخطابية « الطاعة لله ولصوت الوطن القاهر » كان يعتبر طول حياته موافقة للطائف - مهما سمت - انما هي مناصب ذل ، وان المنصب الرفيع الخالد هو الشرف وحده ، ومن كان الشرف رأس ماله ، فلا يعجز الا بفضل . ومن هنا بدأت الكراهية - وهي في مظهرها الجسمي حالة هادئة من حالات الغضب - في نفوس اولئك وخصاصة في المتهمين جميل مردم ، وسعد الله الجابري ، ولطفي الحفار ، وأخذت تنمو وتتمركز في نفوسهم ، كلما أحسوا بحرص الشهبندر الشديد على آمالي الأمة المقدسة ، وبأنه ليس من الرجال اللذين يستهترون منصب او يترفعون رتب .

فدعوه الى مكتب الكتلة - وهي تجربة ثانية من تجارب الاغراء - وبعد أن ألقى عميدهم الاستاذ فارس بك الخوري كلمة خاطب فيها الشهبندر بقوله :

« أنت زعيم سورية الأوحده » ، ونحنا نحوه بعض المخطيء ، رد عليهم المغفور له الشهبندر - رحمه الله - بكلمة بليغة جاء فيها : « فانا أيها الاخوان أعلن على رؤوس الاشهاد بأنني من الكتلة الوطنية » وهنا بدت عاصفة هائلة من الضميق - فرجا الزعيم الصمت والانباء وقال ان لديه كلمة لا تضمر المستمعين ولا ترعجم ، ثم تابع قوله : « أنني من الكتلة ، ولكنني لست من حزب الكتلة ، فهل تفرقون بين كلمة الكتلة وحزب الكتلة ، إذا أردتم التفريق ، فهذا هو الطريق ، أنا من الكتلة الوطنية المستعدة ليد المصافحة لكل رجل تافع في البلاد فتجذبه الى ساحة العمل ، والتي لا تبقي رجلاً صالحاً خارج الخطيرة الوطنية ، وأنا عدو حزب الكتلة الوطنية ، عدو شديد الرولة وستعلمون شدة وطائي ، اذا كانت حزبية الكتلة تمنح الأمة من ان تجتمع كلمتها على صعيد واحد ، وان تحول دون دعوة الطبيب لانقاذ المريض ، فذاك الرجل الرجعي الذي دعا خصمه الدكتور شهبندر ، لما بلع مريضه ، وضع حب ابنه فوق الغايات الشخصية ، فاضطر الى دعوة

اتخاذ تدابير شديدة قضت باعتقال سبعين شابا وطالبا ، وكبح الكثيرين من الوصول الى بلودان والاتصال بالزعيم وبوضع قوى كبيرة من الدرك والشرطة على طول الطريق من دمشق الى بلودان .

وقد ذهب المتهم جيل مردم الى بلودان على رأس زمرة من الرعاخ المأجورين وما ان وصل الى قرب دار الفقيد حتى تعالت أصوات صحبه « تم ارحل عنا يا خائن » وعلى أثر هذا الضغط احتج الناس الى رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسي وإلى السلطات الاخرى ، وقد أظهر رئيس الجمهورية أسفه وأله الشديدين من معاملة مردم والجابري للشهيد، حتى ان وفدا مخترا من أبناء بني معروف في الجبل الدرزي قابل برئاسة عبد الغفار باشا الاطرش المتهم سعدالله الجابري - وزير الداخلية في العهد البائد - محتجا على حجز حرية الزعيم ، فأجاب المخاطب ببارات تتم عن عدائه الصريح ولطقد البارز نحو الفقيد - رحمه الله - وتجلت في حديثه الضيق الكائمة في نفسه ونفس زميله المتهم مردم ، كما ظهرت عليه عاصفة قوية من الغضب أدت الى اندفاع دمه من جسمه الى رأسه ، فسرى الى وجهه ، فارتجف وصار يتحرق على المجرم - ولو على الغياب - كما ثبت لمجسكهم الكريم بشهادة عبد الغفار الاطرش الذي أداها امامكم بجلسته ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٤٠ .

وهكذا قتل الوفد الكريم في مراجعته ورأى ان النزاع قد اشتد ، والخصومة قد بلغت صورتها الحادة .

وفي أواخر تشرين الأول سنة ١٩٣٨ أحست حكومة الكتلة التي يرأسها المتهم مردم بأن قمة الشعب قد اشتدت عليها بسبب حجزها حرية الزعيم ، وبالنظر لأعمالها الأخرى التي تفرض الوطن وأهله والحرية في الصميم ، فألغت وهي على مضض ، ذلك التدبير الظالم الذي فرضته على الشهيد فداد الى وطنه ممزرا مكرما وفي صدره وسام آخر من أوسمة الشرف التي نالها خلال الأربعين عاما التي قضاه في الجهاد الوطني .

وإثر عودة المغفور له من بلودان قام ذات يوم في وسط جمهور كبير من مهتبيه ومستقبله ، وارتجل خطبا ممتازا حذر فيه الأهلين من الحكومة القائمة على

لقد عفت الحكومة عن فريق كبير من الرجال الذين كانوا خارج الوطن - يقصد بذلك المفورالمسام الذي صدر في نيسان سنة ١٩٣٧ وفقا لرغبة الأمة بجموعها - فعادوا الى أحضانها ، ففريق ظهر كرم نفسه ، وفريق أي إلا أن يظهر بظهوره الحقيقي اللئيم ، أما الكريم فسوف نزيد بإكرامه ، وأما اللئيم فسوف نعده عند حده . . . »

إلى أن قال : « يقولون ان هناك معارضة ، فإين هي هذه المعارضة ليس هناك معارضة ، ولكنها فلول هزيمة ضعيفة ، وأشخاص لا قيمة لهم ولا وزن ، فالمعارضة لا تقوم إلا بأسس واضحة وكراميا الرجال اللذين يقومونها ، وإذا وجد هؤلاء الرجال فإنهم في الكتلة الوطنية . . الخ . .

وزاد على ذلك بقوله :

أيها الاخوان ، ماذا رأيت في باريس ؟ رأيت الوطنية المسترة والرجعية المتآمرة ، والحياة الظاهرة ، وقد تألفت جهود الجميع وتأمرأوا على هدم هذا الدور الوطني ، ولكن أنى لهم ذلك ؟ ان نفوسهم ضعيفة ، وليس لهم من الجرأة شيء ليظهر ما يظهِرهم الحقيقي . . الخ . .

وصدق الامام علي كرم الله وجهه يوم قال « المرء يخبوه تحت لسانه » .

ولما عاد الفقيد الغالي الشهيد الى سوريا بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٣٨ ووصل الى مصيفه في بلودان وأخذت الأمة تستعد لاستقباله استقبالا يليق بإخلاصه ، أصدرت حكومة المتهم جيل مردم امرا استبداديا ، لا يستند الى منطق أو قانون ، بحجز حرية الشهيد وبقائه محجوزا في بلودان بدون ان يكون هنالك أي قرار له صيغة المرسوم أو الأمر الإداري ، ومنعته من الاختلاط مع زواره الكثيرين ، لا بل مع أي كان ، وسخرت قوى الأمن لمنع الناس من الدخول الى الدار التي كان يقطنها ( هذا العمل المخالف لأحكام المراء ٧ و ١١ و ١٢ من الدستور السوري ، والذي هو من الجرائم المنصوص عليها في الفقرة الاولى من المادة ٩٩ وفي المادة ٢٠٣ من قانون الجزاء ) .

جرى ذلك بينما كانت الأمة تستعد لاستقباله استقبالا يليق بإخلاصه ويتفق مع مقامه العظيم ، وبأيت الامر وقف عند هذا الحد ، بل تعداه الى

أن يتوجه النظر الى غير أولئك الرجال المعروفين بعدائهم المبرر الى الشهيد وحرية .

### ماذا رأى الشهيد في البلاد

رأى الشهيد خلال مدة حكم الكتلة أمورا تنبئ لكرامة البلاد ، وتضرب الوطنية في الصميم : الأموال تسلب ، والأقاليم الحرة مقيدة عن ان تكتب ما تريد ، او ما يريده الشعب ، وبنات المدارس يضربن من الاشرار ، والتعذيب الجسدي يقع تحت نظر وسمع الحكومة ، والضرائب يعترضها الشعب من دمه ويقبضها الكسالى العاقرون في الترف والشهوات ، والأقواء مكمومة عن ان تتطلى ، والصحف مسط فوقها سيف الرقابة والتعطيل ، والكتب وحتى الرسائل المعادية عرضة للمصادرة ، وباستيل دمشق عملاً بالاحرار بدون ما سبب ، والسجون الاخرى غير قليلة وهي مهينة للأبرياء والرعاع المأجورين يسلطون على أشرف انقوم ، والشرائع السماوية تحرف بمشايخ وضعية تحلل ما حرمه الله وتحرم ما حله الله . وعلى الأمة ان لا تنوء بالشكوى إذا جملها أولئك الحاكمون بأمرهم وأهانتها وجسوها وقطعوا الجير عنها سمياً وراء القنص الى غير ذلك من الأعمال التي لم يذكر التاريخ مثلاً حتى في القرون الوسطى .

إن أموراً كهذه لا بد ان تحرك شعور النخبة والاحتجاج في صدور الناس ، وخاصة في صدر قائد الحركة الوطنية في البلاد المغفور له الشهيد الذي يعتز بالعروبة والحرية ، والذي يهتف لا وطن حيث لا حرية . ووجود الظالم وحده عامل كبير من عوامل الاستنزاف لأن الشعب المطحون تحت رحي الظلم لا يبدأ له بال حتى يقوى على تخليص نفسه من استبداد أعداء الوطن الداخليين ويحكم بقضيه ساعده تلك السجون كما حطمها الشعب الفرنسي في تموز سنة ١٧٨٩ يوم تأخى مع الجنود المرهقين الذين سلّحهم لويس السادس عشر ضد الشعب وأمرهم بسفك دمه من أجل حماية سلالته الاوتوقراطي .

وطبيعي ان يظل السكوت غيباً بعض الوقت في البلاد الى ان يحس الشعب في المطالم ويعي وتتفتح عينه على حقيقة أمر المستلطن فيلهب من

الامر ان ذاك ولقيها ب ( حكومة الرعاع ) ، لأن الأشخاص الذين يعملون على هدم بيت ليرحوا حجراً من أنقاضه ، والذين لا يسره من الدنيا الا الديار ، ومستقره ومعرفة الطريق اليه ، والسبيل الى جسده ، والقفصاء على حقوق الغير ، وانتهاك مقدسات البشر لا يستحقون الولاية على الشعب ، ولا الإقامة في صفوف أبنائه .

فعند المهتم جيل مردم الى الرد على المغفور له الشهيد ، واتخذ بيت الله « الجامع الأموي » مكاناً لفت سمومه ، فقصده حار ٢٣ كانون الاول ١٩٣٨ تحت حراسة قوى الأمن وقال فيه : « ماذا يعيب علينا هؤلاء ، أيها الاخوان ، يعيرون علينا اننا نجتمع اليكم ونحدثكم ونظلمكم على كل شيء ، وتأخذ تفتككم حتى ان البعض منهم لم يبق الله وقال ان هذه الحكومة هي حكومة رعاع ، اننا نفخر بنيل الثقة من هذه الفئة التي ليس لها مصلحة أما الذين ابتعدوا عنها فهو لاء هم المناقون ، لعنة الله عليهم أجمعين » .

أيها القضاة المحترمون :

عقب هذه الحملات النارية الطائشة التي وجهها جيل مردم الى رعيه الوطن الشهيد ارسل جماعة من الرعاع المعروفين بانتمائهم اليه ورفاقه ، بسائق المادّة الخبيثة ، الى طريق دوما بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٣٩ يوم ان كان الفقيه مدعوا لزيارة اهلها ، واثاء مرور السيارة التي كانت تقله ، اطلقوا الرصاص على سيارته ، فاصيب المدعو كامل بن صالح حسين من اهالي قرية العقبة بدمشق برصاصة في جسمه ، حسياً هو ثابت بتقرير الأطباء الشرعيين بدمشق المؤرخ في ١٦ كانون الثاني ١٩٣٩ والمخفوظ في إضبارة لدعوى ، المفصولة من قبل حاكم صلح قضاء دوما بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٩٣٩ تحت رقم أساس ٤٧٧ قرار ٤٢٦ وقد ثبتت هذه الحادثة بشهادة احمد منجد وعلي بايل الورقة باليمين القانونية وقد استحصلنا على صورة مصدقة من ضبط الاستطلاع والمحاكمة المعاند للدعوى المذكورة ، وأبرزنا هذه الصورة فيبيشكم الكركية ، لتطلعوا عليها زيادة للقناعة . وجهة الادعاء نتخذ بيان المحضر البرز ثبت يكون الجماعة الذين ارتكبوا ذلك الفعل هم من مرتقة ذلك الحرب الطائش لأنه ليس في البلاد أحزاب متعددة ليتمكن

لا حرافه به وهم يشيرون له بأنهم يرغبون ذبحه .

### وقائع الدعوى

كان في نيتي ان أبدأ بتفصيل وقائع الدعوى من مرحلتها الأولى حتى نهاية الدور الذي لعبه بعض الشركاء في الجريفة مثل الحرش وسامي الحفار وخليل الغندور ومحمد الحافى ، وذلك طبقاً لما اتفقت عليه مع زملائي جهة الادعاء . إلا أن الاختلاط والارتباط في التهمة بين جميع المتهمين في هذه الجناية ، جعل زملائي الموxy اليهم مضطرين - أثناء تفصيل ما فعله الثامرون والمغفرون - لسرد الحوادث والأداة والبراهين المنصبة على حلقه الوسطاء أيضاً ، مما أوجب على الاكتفاء بما أبداه الاساتذة الزملاء بحق الزمرة الوسيطة في الجناية حتى لا يتكرر سرد الوقائع ويعتري السامعين شيء من الملل .

وأكتفي تجاه هذا الاعتبار بإدلاء بعض نقاط رئيسية لها أهميتها بالنسبة لجميع القضية .

### جبل مردم

بعد أن قتل المتهم جبل مردم بمحاولة اغتيال الدكتور شهيدن بواسطة محمد الدرخباني بشهر نيسان سنة ١٩٣٩ أي بعد سقوطه من الحكم - بشهر ونيف - يوم كان اثر سقوطه أخذاً مفصوله الأليم في نفسه ، وثار صدره تشتعل وتزيد اشتعالاً في له ، كما عرف عنه من غضبية وجب للانتقام ، وفشل في المرة الثانية قبل وقوع الجريفة بشهر ونصف تقريباً على ما جاء بإفادة الدرخباني ( رقم ضبط ١٧٦ ) بعد ذلك ثار ثأره وبلأ مع شركائه الثامرين لتأمين تنفيذ بعيتهم بواسطة عمال آخرين .

وقد دلت الوقائع بأن الثامرين حينما أدركهم المعجز من تنفيذ الاغتيال في التاريخ الذي وقع فيه تكليف الدرخباني للمرة الثانية أي في اول شهر حزيران صحت عزيتهم على تنفيذها بواسطة أعوانهم الوسطاء الموجودين في قفص الاتهام ، بحيث ان التحقيق قد أثبت بأن القتل واستئناف العمل إن لم يكونا قد وقعا بتاريخ واحد فإن الأمر الثاني وهو المباشرة مع الوسطاء كان قريباً جداً من تاريخ الحادثة الفاشلة مع الدرخباني .

تلقاء نفسه ويندفع من شعوره لكافحتهم على نحو ما حصل بأوائل عام ١٩٣٩ .

نحن لا نريد ان نلقي الكلام على عواهنه لأن الكلام الدام الذي لا يركز على وقائع مادية لا فائدة منه بل نريد ان نستدل على صحة تلك الأعمال بالحوادث المادية المعلومة لدى جميع طبقات الأمة والسجلات بسجلات الحكومة وإضمارات الدوائر الرسمية وبعضها بسجلات المحاكم ولم نقصد من افصاح ذلك إلا لبيان للعقلاء العادل تمة بحث عوامل الجريفة النكراء وهو بحث له صلته الوثيقة بالجرم والحزمين مباشرة .

ويسبب هذه الفظائع والظلمات قادم المغفور له الشهيد حكومة الكتلة مقاومة عنيفة لا لمصلحة له او للوويه بل لأمنه وطهارة ذمته وحرصه على شرف البلاد وسمعتها في الداخل والخارج ، فاستبد الطغند والنفسب والكرامية في نفوس بعض القائمين على الأمر وهم جبل مردم ولطفي الحفار وسعدالله الجابري وظاهره العداء بأقصى معانيه في مجالسهم وصحفهم ومجتمعاتهم حتى أنهم جعلوا معظم أحداثهم على انتقاد العقيد وتسفيه آرائه وخططه والحلمة عليه للدرجة بانوا فيها يفكرون بإزالته من عالم الوجود بأي طريقة كانت لا سيما بعد ان انهار عهدهم وزال سلطان الحكم عنهم وسقطت كل قيمة شعبية كانوا ينعمون بها من قبل .

ومن الثابت علماً أن النفسب اذا استول على إنسان يشعر ان قلبه يندق دقات سريعة في شدة وعنف ، ويتنفس تنفساً صعباً سريعاً وينطبق فكاه ، وتتلاصق أسنانه بشدة ، وتقبض يده ، ويقططب جبينه ، وتتوتر كل عضلة في جسمه ويشعر باللم يندفع الى رأسه ثم يسري في وجهه فيحمر ويشعر أن كل جسمه يتصلب ويتوتر ، ويرتجف تحرقاً على المحجوم . وهذه الاحاسيس تدفع الغاضب الى الهجوم والانتقام على ما مر معنا أعلاه .

ولما كانت الطبيعة الشريرة تقبل كل جريفة لأي سبب كان وكانت البراءات النفسانية بما أضيف اليها من عوامل العداوة قد جعلت المتهمين لا يفكرون في قتل عدوهم فحسب ، بل يريدون - لو تيسر لهم - ان يفعلوا معه ما كانت تفعله محكمة التفتيش باسبانيا مع اللذين من صف التبن حوله



طريق أسيادهم بدون حساب ، وان زمرة من هذا النوع تلتصق الالتصاق كله من كان سببا لشللها من الجوع والمعدم ، ولا تتأخر عن الرضوخ لأمره معها كان هذا الأمر وخطورته ، لأن الانسان الذي اعتاد أن يكون عبد المال طوال حياته يبقى ذليلا حقيرا الى الأبد ولو كان في تلك العبودية عذاب الدنيا والآخرة .

ومن البديهي ان التسلط على زمرة من هذا النوع يستطيع التأثير عليها بسهولة بطرق الاغواء والكذب والحيل والتدليس ، وتكون الرابطة بين الفريقين وثيقة لأياها قائمة على أساس تبادل المنافع بينهما . ولو ان هذه المنافع دينية وخسيسة .

وعلى البند الثالث :

لا مشاحة بأن المجرم يجتهد باختيار الظروف الملائمة لوقوع الجريمة لأن في اختيار الظروف المناسب يأمن من أخطار الجريمة ، ويقدر ما يحكم الظروف المضمون لها بقدر ما يبعد الشبهات عنه . والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ - لو أراد شخص ان يسرق تفود غيره الموجودة في صندوقه الحديدى فلا شك انه يترجم السرقة بوقت لا يكون صاحب المال حتى ولا أحد من أقاربه في الدار الموجود فيها ذلك الصندوق ، لئلا يقبض عليه متلبسا في الجريمة فيقع تحت طائلة العقاب ، او يكون عرضة لخطر الموت فيما لو شاهده صاحب المال نفسه .

٢ - كذلك لو صمم احد على قتل غيره يتحين الوقت الذي يساعده على مشاهدة الشخص المصمم على قتله متوقدا او في مكان يتعذر فيه اجتماع أناس اثر حصول القتل حتى لا يلقى الغادر نفسه بقبضة قوى الأمن او غيرهم من عابري السبيل . الى غير ذلك من الأمثلة العديدة التي يطول شرحها .

وعلى البند الرابع

جريمة القتل وخاصة اذا كان المجرم يستهدف فيها شخصية عظيمة كشخصية المغفور له الدكتور شهيد فلا شك انها تحتاج لتعاون وثيق متبادل

واتفاق هذين التاريخين في غرض واحد مع ما انقسم اليه من أدلة أخرى ثبت بأن الجريمة هي جريمة مردم ورفاقه ، ومبتقة عنهم ، وبأنهم هم المعصب الحساس فيها . وعلى هذا الأساس يتعين علينا بأول الأمر معرفة الأمور الآتية :

١ - هل أن جيل مردم وسدالله الجابري ولطفي الحفار الذين اختبرت في أذهانهم فكرة قتل الدكتور شهيد وصمموا عليها ، قادرون على إيقاع القتل بأنفسهم ؟

٢ - في الحالة السلبية هل يمكن ان يوحى المذكورين بتنفيذ الجريمة لأشخاص لا ثقة لهم بهم أو لا رابطة قوية بينهم ؟

٣ - ألا يدخل ظرف إيقاع الجريمة - ولا سيما جريمة القتل العمد - في حساب المصمين ؟

٤ - أليس من المقبول ان يحى المتآمرون مساعدين للقيام بمراحل الجريمة ، ويعدون العدة لها من جميع النواحي المادية والاجرائية .

فعلى البند الأول نقول :

إن المجرم قد يكون مجرماً بالوراثة او بالغريرة او بتأثير العوامل النفسانية - كلها أو بعضها - عليه ويندفع للجريمة بكمليه ، ولكن ليس كل مجرم يستطيع ان ينفذ جريمته بيده وخاصة جريمة القتل ، فإنها تحتاج الى شخص او عدة أشخاص تساعدهم قواهم على القتل وعلى الحركة التي يؤمل حصولها بينهم وبين الشخص المراد قتله ، كما وأن من الناس من يبري القتل ويريد تنفيذه وهو من وراء حجاب حتى لا يقع بيد العدالة فيدفع غيره لارتكاب الفعل ، وما لا شك فيه ان مردم والجابري والحفار هم من هذه الفئة لا يقدرون على إيقاع القتل بأنفسهم .

وعلى البند الثاني :

مع التسليم بهذه النظرية الأولى فان الذين كونوا فكرة الجريمة لا يمكن بأي حال من الأحوال ان يستعينوا بتنفيذها إلا على أنصارهم وأعمالهم الذين ترعوا رعاي النعم خلال مدة حكمهم ورأوا أن لا حياة لهم إلا بروجع عهد الفوضى الى ما كان عليه بمنهم بحيث كانوا يرتفون من مال الأمة عن

وسلمه المسدس « البرابيللو » و« الأفتدي » الذي اجتمع معهم في ساحة الشهداء يوم ذهابهم في ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ لاعتقال الفقيه في مكتبه ، والذي عرفه عصامه بكونه عفيف الصلح وذلك في المقابلة الجارية بين هذين الآخرين في السجن ، بحرفة المستطيق الأستاذ السبع ، كما وأنه يعرف « الأفتدي » الثالث الذي كان يترصد الدكتور شهيد - رحمه الله - في مكتبه يوم محاولة اغتياله .

وزاد عصامه على أقواله بأن شريكه في الجريمة سامي الحفار قد قطع عهدا بأن لا يوح بسر من أسرار الجناية لسلطة من السلطات موثقا عهده بإيمان ، وعلى الرغم من أن جهة الادعاء قد لحظت من بين سطور إفاذات المجرم الحفار تكوره للحقيقة ورغبته في الظهور بظهور النقي الروح ، وذلك بقصد تضليل التحقيق ، وإبعاد الشبهات عن الدافعين وشركائهم الآخرين الذين لم يهتموا رسميا بهذه الجناية ، فإننا أردنا ان نفصح هذا التضليل الذي نعدمه الحفار في مواقفه العديدة امام الاستطاق والمحكمة فاستحصلنا على فتوى شرعية تنص على أنه « لا يجوز حفظ اليمين على ترك طاعة او فعل معصية ويجب فيها الحلت » الى آخر ما جاء فيها : ورائدنا من ذلك كما هو ظاهر من السؤال الواقع فاما ان يبيح السر ويكشف الغطاء عن بقية خفايا عصامه ( امام أمر واقع فاما ان يبيح السر ويكشف الغطاء عن بقية خفايا الجناية بالنسبة للمتآمرين الآخرين الذين فلتوا من يد العدالة ، وتكون العدالة قد تناولت المجرمين الآخرين ، وإما ان يبقى الحفار على تكوره وإيائه عن سرد الحقيقة المتعلقة بغير المتهمين رسميا فريسخ اعتقادنا بأن الحفار لا وازع ديني له وليس له أقل صلة بالدين - لأنه ليس من المقبول - بعد ثبوت فظاعة الأدوار التي مثلها الحفار بهذه الجناية في الأدلة القاطعة - أن لا يكون للحفار علم بجمع أسرار الجناية من ابتدائها حتى نهايتها ، وهو اليد العاملة فيها .

ولما قرأنا الفتوى على الحفار ضرب بها عرض الحائط وأبى إلا أن يظل بصمته المتيق غير مكترت بما تضمنته من نصوص شرعية صريحة ، وهذا الموقف يدل دلالة واضحة على ان الحفار بعيد عن الدين بعد الارض عن السماء .

بين عدة أشخاص ليقوم كل منهم بتنفيذ فرع من فروع الجناية فبعضهم للتفكير والتدبير وأداء المال ، والبعض لأجل تهية الوسائط اللازمة لحصول الجريمة ، والآخر لأجل إيجاد الطمأنينة والثقة بقلوب المنفذين ، والبعض لأجل ابتكار الاخبار الكاذبة عقب وقوع الجريمة ونشرها بين الناس للتضليل وذر الرماد في العيون . وجميع أعضاء هذه الاصناف يعتبرون مجرمين لأنهم يرمون من عملهم كله غاية واحدة وهي حصول الجريمة .

وعلى ضوء هذه الأسس الأربعة نرى ان المتآمرين أصحاب المكرة الأولى في الجريمة قد اختاروا من أصواتهم والربط بين بحريتهم أشخاصا يتولون العمل في هذه الجناية على مراحل مختلفة ، فوكلوا البعض للتأثير وإجاء الثقة في نفوس من اختير لتهية الثقة المنفذة والوسائط اللازمة لأعمال العمل ، وكللوا أشخاصا آخرين للإشراف على تنفيذ الخطة المرسومة .

جرى كل ذلك خلال ظرف دقيق اختاره المتآمرون كي يساعدهم على طمس معالم الجناية ، وإخفاء أثرها أو أن يفلت المجرمون من العقاب بسبب عفو عام يصدر إثر انقلاب دولي أو همرا به الحلفاء الأخرى مستفيدين في هذه الأيام من شدة وطأة الحرب القائمة يومئذ بين فرنسا وألمانيا والتي انتهت بعقد الهدنة في ٢١ حزيران ١٩٤٠ قبل وقوع الجريمة ببضعة عشر يوما كما وأن المتآمرين انفسهم قطعوا المعهود والوعود لأعضاء الحلقة الثانية واستعملوا طرق الخيل والدسيسة وأمنوهم على ما يحتاجونه وعاقلاتهم من الأموال ، وقنودهم سلفة من المال ليقوموا بتنفيذ الجناية ، وقد باشروا كل واحد من المشتركين في هذه الجناية عمله على الصورة التي تم عليها الاتفاق وكشفها التحقيق .

#### قضية الفتوى

لقد اعترف القاتل عصامه منذ استجوابه الأول وبأدوار مختلفة بأنه هو القاتل وسمى أسماء بعض المتآمرين والحرضين على القتل ، وكتب أسماء الآخرين وقال بأن المجرم سامي الحفار يعرف أولئك الأشخاص الذين لم يشملهم قرار لزوم المحاكمة . ووافق على جميع أعمالهم الاجرائية في هذه الجريمة ، وخاصة فأنه يعرف « الأفتدي » الذي أتاها مساء ذات يوم لمداره

ويا ليت هؤلاء الجرمين على شيء من الذكاء والمقل لكانوا وقفوا على سر هذه الحيلة وما جعلوا اقدام أولئك المتأمرين تتراحم على ظهورهم وتدفعهم الى المشائق ، وهم فارون من وجه العدالة .

ولكن سوف يعلم عصا صرة ورفاقه أية ضحية كانوا عندما يتمثلون أمام أعزاء المشائق بلحظة لا يفيد فيها الندم ولا الاقرار .

مع العلم بان هذا التستر المخجل لن يفيد المتهمين الفارين بشيء إذ إن مجموع الأدلة القائمة الى اليوم كاف لادانتهم وليس القضاة بحاجة الى تقارير جديدة تدعم الأدلة المذكورة .

ونحن عن البيان تعداد الأدلة من جديد لأن زملائي وكلاء الادعاء قد فتدوا الوقائع بصورة مفصلة فلا أرى لزوما للاعادة .

#### قرار المتهمين

صدر بتاريخ ١٣ تشرين الاول ١٩٤٠ قرار المستنطق الكولونيل كويترو بلروم محاكمة المتهمين - المذكور أسماؤهم فيه - لدى المجلس العدلي بقضية اغتيال المغفور له الدكتور شهبندر واصدار مذكرات توقيف بحق جميع المتهمين الموقوفين والفارين ما عدا جميل مردوم بك ، ولطفي الطاهر ، وسعد الله الجابري ، فاستقرت جهة الادعاء هذا الامر واعتزمت عليه في حينه لأنه مخالف لصراحة الفقرة الأخيرة من المادة ٣ من قرار رئيس الدولة السورية ذي الرقم ٣٦٤ الصادر في ١ ايلول سنة ١٩٢٥ - الخاص بتأليف المجلس العدلي - التي أوجبت ان يكون قرار لزوم المحاكمة محتويا على قرار التوقيف ، وبعد ان فر المتهمون الثلاثة المذكورون الى العراق أصدر حضرة المستنطق بتاريخ ١٦ تشرين الاول سنة ١٩٤٠ قرارا بتوقيفهم ، وطبعي ان مذكرات توقيفهم ظلت محفوفة في اصابة القضية لاستحالة تنفيذها بعد الفرار .

ما كنا نظن ان تقع هذه الخطيئة الكبرى في موضوع قانوني بسيط ، بل كنا ننتظر من العدالة توقيف المتهمين اثر استجوابهم ، وقبل تقرير لزوم محاكمتهم لأن الأدلة التي بني عليها قرار لزوم المحاكمة كانت موجودة بنفسها

وهنا استمر المجرم عصا صرة الموقف وهو في حالة احسن فيها بنفسه ويتأثر غيره عليه بأن تمسكه بإفكار القتل عقيم لا يجديه فعلاً وبأن الطرف مؤات لتمثيل دور جديد طالما نفي تمثيله في السابق لتضليل العدالة ولقطع الطريق بين الحلقة المتأمرة والحلقات الأخرى تحت امل الاستفادة من شققة أو رحمة ما ، وتحقيقاً لرغبة رسل أبطال فكرة الاختيال الأصلية المتوارين عن أنظار العدالة الذين أغروهم بالخلاص من حكم الاعدام فبالجنيح بطرف من الظروف لا تخاف مثل هذا الموقف والنظام بالتمصّب للدين والانتصار له ، وضلّوه متوهمين بان هذه الحلقة ستكون وسيلة لتخليص رقبته من الموت ، وبذلك يتم لهم النجاة - على حسب ظنهم .

فجرب عصا صرة تمثيل الدور الموحى به اليه وقام وقال الكلمة الأولى « أنا القاتل » وظهر بعدها في الاضطراب النفسي والذهول ، طالباً قسطاً من الراحة . . . وأتم تمثيل الدور بشكل مقفوح تبرا به عقول الأطفال إلى أن نفى كل علاقة للمتهمين المتأمرين في هذه الجناية حتى جميل مردوم وعاصم الثاني مدعياً انه كان على اتفاق مع شركائه على قتل جميل مردوم أيضاً :

على حين ان التحقيق الذي جرى مع رفاقه المجرمين أنفسهم بخباب بعضهم بعضاً وشهادات الشهود تثبت بأن جميع ما فاه به المجرم عصا صرة في هذه الناحية كان اختلافاً باطلاً لا نصيب له من الصحة .

#### الضحايا

وكما يؤسف له ان المتأمرين الذين قوروا هذه الجريمة الشنعاء ما زالوا حتى اليوم الذي نحن فيه ، يبالغون للمتهمين - كذبا وتضليلا - في الحرص على حياتهم سواء كان عن طريق الدفاع عنهم أمام القضاء بإلقاء الطمأنينة في نفوسهم متظاهرين فلم سلامة العاقبة اذا ما ظلوا متمسكين بمثل هذه الافادات التي قالوها في هذه الدعوى ، زد على ذلك فاتهم ( أي المتأمرين ) قد أقاموا لزملائهم اللجنة رسالة لتبليغهم بראسبسطهم لزوم الثبات على موقفهم الحالي بداعي ان ذلك من موجبات نجاتهم وان هنالك أحداثاً سياسية مقبلة في البلاد يقلنون تحت ظلها من كل عقاب ، الى غير ذلك من التلقينات المكذوبة التي يروهن بها الفتنة بأنها أساس لبقائهم في الحياة .

بلودان تلك البرقبة السياسية التي يحتاج فيها موقعها على البيان الذي أصدره المغفور له الشهيد استنكارا لأعمال رئيس الوزراء يومئذ جميل مردم بك .

٣- ثبت كون سامي الحفار هو الذي تولى توزيع الأسلحة مباشرة على رفاقه المجرمين مع ملاحظة ان صفة هذا الشخص - حفار قبور - وان حالته المادية لا تساعد ان يقوم بنفسه وبدون مساعدة الغير على تهيئة الأسلحة التي أحضرها لرفاقه .

٤- اشترك فوزي القباني في الجريمة بدون وساطة عاصم الناطلي ومن المعروف والمشهور أن القباني هو من جماعة جميل مردم بك ومتصل به هو والد له اتصالا وثيقا منذ عدة سنوات .

٥- ثبت اتصال المجرمين يوم حاولتهم الاغتيال في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ مع السادة بشير القضماني وعفيف الصلح وابن الطبايع وجميع هؤلاء من حزب الكتلة أيضا .

فمن ذلك يتضح لميتكم الكركية بأن المتآمرين قد تعاونوا في هذه الجريمة مع عدة أشخاص ، كلا منهم قام بأعمال معينة تتصل بترجيح واحد أعلى هو « الدائرة المتآمرة » .

ولا كان المتآمرون والوسطاء جميعهم من حزب واحد هو حزب الكتلة ، وعلاقة كل واحد بغيره من الأشخاص المذكورين قوية وممتدة على نحو ما جاء في صفحات التحقيق وكان دور الوسيط عاصم الناطلي في الجناية قائما على أساس تخريف المنفذ عصامه على إيقاع القتل باستعمال عبارات من شأنها الطعن بالفيقد من جهة ، ومن جهة ثانية حصول الطمأنينة في نفوس المعتدور والحائبي وبخاصة عصامه بأن الأمرين في الجريمة واللذين يستندون الفاعلين عقب وقوعها هم رجال الكتلة المتهمون الفارون ، وهذا ما ثبت بأن الجريمة تكونت من عدة حلقات كان احد العاملين فيها عاصم الناطلي .

ولذا ما رجعنا الى تدقيق هذه الحوادث وأمعنا النظر بدرجة ارتباطها ببعضها ، وأضفنا اليها العداوة الشديدة التي يصرمها المتهمون الفارون للفيقد التي أئتمتها تقلير بعض المتهمين انفسهم وشهادات الشهود العديدة

قبل الاستجواب ، ولأننا حرصون كل الحرص على توثيقهم واستجوابهم من المجلس العملي وسماع الشهادات بمواجهتهم كي يتألوا عقابهم القانوني ولا يقللوا من يد العدالة .

غير انهم تمكنوا من الفرار من نقطه الحدود السورية حتى بلغوا هدفهم الى المملكة العراقية .

إن عامل الحرب على نحو ما أراد المتهمون هو من العوامل التي توثيد التهمة الموجهة اليهم بقرار المستنطق وورقة الاتهام ، لأن الشخص الذي يعتقد براءته من هذه الجناية ويثق بنفسه انه لا دخل له في تدبير الواقعة لا يفر من وجه العدالة وبالعكس فانه إذا كان بعيدا عن دائرة المحكمة فيأتي بنفسه طائعا مختارا ويضع نفسه تحت تصرفها ويدفع التهمة الموجهة اليه بالبراهين القنعة .

#### ليس عاصم الناطلي أداة الوصل وحده

لقد شرح زميلي الاستاذ فران الدور الذي قام به المتهم عاصم الناطلي في هذه الجناية شرحا وافيا وأوضح زملائي الآخرون الصلات الوثيقة التي تربط الناطلي بالتهمة جميل مردم . وكيف كان الاول صلة الوصل بين المتآمرين والمنفذين ، فلست بحاجة أن أعيد بحث ذلك ثانية ، إلا أني ألفت نظر مجلسكم العالي الى بعض المواطن التي تدل أيضا على وجود ارتباط قوي بين المتآمرين والوسطاء والمنفذين مباشرة على الوجه الآتي :

١- لقد ثبت في التحقيق بأن محمود خدام السروجي ومحمد الحرش وسامي الحفار هم من حزب الكتلة بوجه عام ومن جماعة جميل مردم بك بوجه خاص ، وقد تأيد ذلك بشهادتي الاستاذ الكداني والكورنيل كوتسور واعتسراف سامي الحفار فيما يعود لارتباط صديقه المحميم محمود خدام السروجي بجميل مردم بك من جهة ، وكبرافتته هو نفسه مع خدام السروجي وجميل مردم بك الى حلب أيام حكومة الكتلة .

٢- وجود اسمي خدام السروجي وسامي الحفار في البرقية المرسلة الى الفيقد الشهيد من قبل أعوان الكتلة يوم كانت حريته محجوزة في

دفاعه فلا تظنوا أنني جئت في هذا المكان لأعيد على مسامعكم ما قاله بنفسه ، إن كان هذا فقد ظننتم سؤاً فمهنتي ، وأراها من أخس المهين إن كانت عبارة عن قتل كل شيء دافع به المتهم عن نفسه خطأ كان أو صواباً . . . إلى أن قال : الجرم فظيع ، واخذ على جانيه عظيم ، وأحوال الزمان والمكان غضبي ، وكل من في الوجود وما في الوجود يطلب صراحة القانون . »

وللإشارة أيضاً على سمو المحاماة عند الرومان فإن الامبراطور ( كركلا ) لا قتل أحياه طلب من المحامي الشهير ( بابيسان ) أن يقوم بجسده أمام الأمة ، فأبى . . . فهدده بالقتل . ففضله على تحجيد ظالم أقيم ، ومات شهيداً طهارة الأمة ، وصدق العزبة .  
هذه هي المحاماة التي نعتز بمبادئها واستقلالها وشرعها .

#### الناحية القانونية

لقد أثبتنا لكم أيها السادة أنه توجد بين ظهرانيها جماعة خطيرة ، جماعة ألقت الأجرام والظلم والنش والتدليس ، في سبيل تأمين أغراض وغايات شخصية دينية ، فمثل هؤلاء لا تستقيم العدالة إن لم يذوقوا صرامة في العقاب ما بعدها صرامة ولا تبدأ النفوس إن لم يحس المجرمون بسيطرة القانون سيطرة كاملة ويلقوا من عدله عقوبات ذات أشكال والوان ليرتاح المجتمع الانساني من هؤلاء الطغاة الأشرار وتتعظ البقية الباقية من الناس من قوة الحكم وسلطة القضاء .

ولا مشاحة بأن قوانين الدولة تؤيدنا في هذه الصرامة ، والمجتمع الانساني في حاجة شديدة لمثل هذه القوة فلقد نصت المادة ( ١٧٠ ) من قانون الجراء بأن :

« من قتل إنساناً تعمداً أو قتل قصداً عن غير تعمد أحداً بأنه أو أجداده أو أمهاته أو جدهاته يعاقب بالاعدام . »

والقتل عمداً هو السبوق بالتصور والتصميم ، أي أن متعمد القتل يتصور الفصل في ذهنه ويصمم عليه قبل إيقاعه ، ثم يعد له عدته ، وهو رابط الجأش ملاحظ ما عساه ينتجم عنه من النتائج الخطيرة ، مع مرور

والأجوبة الرسمية ومحاولات الاغتيال السابقة التي قام بها الثامرون بواسطة أعرانهم الكثرين ، ودرسنا نفسية المتهمين على ضوء التحليلات التي ذكرناها في معرض البحث عن أفعالهم في الحكم . وغير ذلك من الأعمال التي بحث عنها زملائي في مرافعاتهم ، يتحقق بأن القتل كان لعناية سياسية . وإن الثامرين هم المتهمون الفارون .

#### واجب المحامي

وأرى أنه لا بد لي قبل أن أنتقل إلى بحث الناحية القانونية من الإشارة إلى خطورة الواجب الملحق على عاتق المحامي بمثل هذه الجناية الفظيعة ، سواء كان في جانب الادعاء أو بجانب الدفاع ، وهو أن المحامي قبل كل شيء ، محام عن الحق ورسول من رسل العدالة ، وعلة وجوده في صف الدفاع هو لأجل مساعدة القضاء على إحقاق الحق وتأمين سير العدالة بصورة يرتاح لها الضمير وتتفق مع الحقيقة الكاملة ، لأن مهمة المحاماة في أصلها منذ وجدت الخطومات بين البشر مرتكزة على القدسية والشرف ، لا على المادة ، ولا على شيء يتعامل به الناس ، وهذا هو المذهب الثابت في البلاد الغربية وفي بعض بلاد الشرق ، وقد قال بصدد ذلك ، « هنري روبر » النقيب الأسبق للمحامين في فرنسا « ليس من وظيفة - عدا وظيفة القضاء - أشرف من المحاماة ، وهذا الشرف هو القابل لجهود من يجارسها والموجب للمصنفات التي يجتاز بها عن غيره » .

وعلى ذلك فإن المحامي الشريف الذي يحترم نفسه وعلمه بأني أن يقول - بحضرة العدالة - ما لا يقع به وجدانه ، أو يردد الكلمات التي يفوه بها موكله وليس لها اتصال بالحقيقة .

وعلمي أن الاساتذة الزملاء اللبنانيين قد أتوا للدفاع عن عاصم الناطلي بعامل مهنتهم وهو عمل فيه مستهى الشجاعة والجرأة . أرى من الضرورة بمكان الإشارة إلى موقف السيور ( لاشو ) وهو من أعظم رجال المحاماة في فرنسا بحيث وقف مدافعاً عن الحرم الكبير ( تروميان ) وقال مخاطباً قضاة محكمة الجنائيات ما نصه :

« سادتي ، سأبحث معكم عن الحق كما أرى ولست مقتفياً أثر المتهم في

في الدعاوى التي تراها المحاكم النظامية - من عقوبة الفاعلين الأصليين وشركائهم ، ولكن الجنايات التي أودع أمر النظر بها للمحاكم الاستثنائية المؤلفة لضرورة اقتضاها النظام العام ، فالعقاب المحدد لها هو واحد يطبق بحق الفاعل والمشارك والمداخل الفرعي وفاقا لنص الفقرة الثانية من المادة ٦ من قرار رئيس دولة سوريا ذي الرقم ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول سنة ١٩٢٥ « الخاص بإنشاء المجلس العدلي » ونصها :

« إن العقوبات الواجب تطبيقها هي المخصوص عنها في قانون الجرائم إنما فاعلو الجرم والمشاركون به والذين لهم تدخل فرعي يعاقبون كالفاعل الأصلي » .

ولما كانت المفوضية الفرنسية في سوريا ولبنان قد أوجبت بقرارها ذي الرقم ٢٠٦ ل. ر. الصادر في ٧ آب سنة ١٩٤٠ تطبيق قرار رئيس دولة سوريا ذي الرقم ٣٦٤ المبحوث عنه أعلاه مجددا بإنشاء مجلس عدلي في دمشق للنظر في بعض الجنايات ، وحتى المرتكبة قبل إداة قرار المفوضية نفسه ، وبلا هذا القرار المرسوم ذو الرقم ٧٦٧ الصادر عن رئيس مجلس المديرين بتاريخ ٧ آب سنة ١٩٤٠ بتأليف المجلس العدلي المشار اليه من هيتكم الكريمة ، والمرسوم ذو الرقم ٧٦٨ الصادر بالتاريخ المذكور بإحالة قضية مقتل المنفورة له الدكتور شهبندر الجارية بحق المدعو أحمد عصامه وكافة من لهم علاقة بهذا الجرم على المجلس العدلي وذلك بالاستناد الى قرار مجلس المديرين المأمين ذي الرقم ٦٥٣ المؤرخ في ٦ آب سنة ١٩٤٠ بأن التقضية المذكورة متعلقة بسلامة الدولة ، لذلك فقد تحتم العمل بمقتضى هذه الصراحة القانونية من وجوب معاقبة المشارك في الجريمة والتدخل فيها بجمل العقاب الذي سيحكم به على الفاعل الأصلي .

وقد أصاب الفتن في هذه الفقرة القانونية - وبألبته جعلها عامة في جميع الجرائم - لأن كلا من الفاعل الأصلي والمشارك والمداخل مجرم - وجميعهم معاون وراء غاية مشتركة ومن المتعذر تمييز درجة تأثير فصل كل واحد منهم في حصول الجريمة ، ولذلك كان النص المذكور يجعل العقوبة واحدة

الوقت الكافي للتجبر في عاقبة هذا الأمر ثم يقدم على القتل بالفعل .

وقد قال علماء النفس بجرع عرض بحث التصور والتصميم ، بأن هناك قوة تقرير الفعل - وهو التصميم عليه - فقد يريد الإنسان ، ولكنه لا يصمم على التنفيذ ، فلا تتم الإرادة ، لأن التصميم مرتبط بالبرهان المستقبل فإن أراد وفعل ، كان التصميم مقرونا بالإرادة - على نحو ما أراد وفعل المتهمون بهذه القضية - لأن التصميم إرادة نافذة والإرادة ذات طرفين ، النية والتصميم .

والأصرار حسبا فسره ( دالوز ) في تطبيقاته على المادة ٢٩٧ من قانون الجرائم الفرنسي في الصفحة ٤٢٤ من المذكرة الثامنة « ان سبق الأصرار في الغالب مستفاد من استحضار الأسلحة أو التهديد أو الإغضاء التي أظهرها الجاني للمجنى عليه » .

ولا فرق بين ان يكون القتل بالرصاص أو السيف أو السكنى أو الرميح أو الخنجر أو بآلة حادة أو بخنجر غليظة لا تطبيقها البنية ، لأن كل نوع من هذه الأنواع يفرق الاجراء في جسم الانسان .

وقد شرعت عقوبة الاعدام ، وهي أشد العقوبات القانونية ، بحق القاتل المتعمد ، وذلك لوجود النية ، لا لصفة القتل .

#### الاشترك

أما المشترك في القتل ، سواء أكان في الجنايات التي يعد أمر الحكم بها للمحاكم العادية أو للمحاكم الاستثنائية ، فهم متساوون مع القاتل في العقوبة حسبا نصت على ذلك الفقرة الأولى من المادة ٤٥ من قانون الجرائم حيث تقول :

« إذا ارتكب عدة أشخاص متحدين جنائية او جنحة او كانت الجنائية او

الجنحة تتكون من عدة أفعال ، فأتى كل منهم واحدا أو أكثر من هذه الأفعال بقصد حصول الجريمة ، عُد أولئك الأشخاص شركاء في الجريمة وعوقبوا جميعا كالفاعل المستقل » .

#### التدخل

أما عقوبة المدخلين تدخلا تبعا في ارتكاب جنائية او جنحة فهي أقل -

الغرض المطلوب كما فعل المتهمون جيل مردم بك وسعد الله الجابري ولطفي الخطار وعاصم الناطلي وفوزي القباي في قضيتنا هذه .

(يراجع شرح المادة ٤٥ للاستاذ ابراهيم هاشم ) .

والجيلة والمسيبة قول عام يدخل تحته التعريض على أي شكل وقع (يراجع كتاب هوس ص ٣٨٠) يؤيد ذلك قانون الجزاء المصري الجديد المستمدة أحكام الاشتراك فيه من القانون الفرنسي بحيث نصت المادة ٤٠ منه على أنه يعتبر شريكاً في الجريمة : أولاً : كل من حرض على ارتكاب الفعل المكون للجريمة ، إذا كان هذا الفعل قد وقع بناء على هذا التعريض . ثانياً : كل من اتفق مع غيره على ارتكاب الجريمة فوَقعت بناء على هذا الاتفاق . ثالثاً : من أعطى للفاعل أو الفاعلين سلاحاً أو آلات أو أي شيء آخر عما استعمل في ارتكاب الجريمة بها أو ساعدتهم بأي طريقة أخرى في الأعمال المجهزة أو المسهلة لارتكابها .

والارشاد هو عبارة عن هدي المجرم الى الوسائط المسهلة لارتكاب الجريمة ولا فرق بين ان يكون هذا الارشاد شفهاً او تحريراً ، بل يشترط فيه ان يكون مفيداً سهلاً لوقوع الجريمة والتهمة تكون بإعطاء الاسلحة أو السهم وسائر الآلات والادوات اللازمة لارتكاب الجريمة .

ويدخل قانوننا في نطاق المتدخلين الاشخاص الذين يساعدون الفاعل الأصلي في الأعمال المجهزة لوقوع الجريمة أو المسهلة أو التهمة لارتكابها ، كعمانية المكان الذي يقطن فيه المجرى عليه تسهيلات لارتكاب فعل القتل والترصد له خارج الدار أو إعلال الفاعل بما يقع حوله ، إلى غير ذلك من الأفعال والحركات التي تعد جزءاً متمماً للفعل مع ثبوت القصد الجرمي أي ثبوت علم المتدخلين بالأمر المقرر .

وبالجمله فان الاشتراك يعتبر تاماً إذا كان هناك اتفاق بين الجناة على ارتكاب الجريمة بمعنى ان تكون مظاهر التعاون المختلفة التي يقوم بها كل من الجناة موجهة الى تحقيق غرض متفق عليه بينهم . وهذا هو جوهر الاشتراك بنظر جميع المحققين .

للجميع بلا استثناء عادلًا مقبولًا .

التدخل أو الاشتراك الفعلي

بيد أن التدخل في الجريمة يتم في التعريض والارشاد والمساعدة وتبعية الوسائط الاجرائية واعادتها وذلك بإحدى الصور الآتية :

١ - إذا حرض شخص غيره على ارتكاب جريمة أو جنحة بإعطائه هدية أو نقوداً بأعمال التهديد والجيلة والمسيبة ، أو بصرف النفوذ ، أو بإساءة الاستعمال في حكم الوظيفة .

٢ - أو ساعده على وقوع الفعل بإرشاداته الخادمة لوقوعها مع علمه بما ينشأ عن هذه الارشادات .

٣ - ومن أعطى الفاعل سلاحاً أو آلات أو أي شيء آخر مما يساعده على إيقاع جريمة أو جنحة مع علمه بما سيكون من أمرها .

٤ - ومن ساعد الفاعل الأصلي في الأفعال المجهزة أو المسهلة أو التهمة لارتكابها .

٥ - ومن حفظ أو أخفى عنده جميع أو بعض الأشياء الخاضعة بالسرقة أو بالنصب أو بإيقاع جريمة أو جنحة مع علمه بأمرها .

الى آخر ما نصت المادة ٤٥ من قانون الجزاء .

وعليه لو أعطى شخص غيره دراهم على أن يقتل أحد الناس ففعل ما أمر به ، فبعد القتال فاعلاً أصلياً ، والحامل عليها يدفع الدراهم متدخلًا فيها تدخلًا تبعياً وقال بعض العلماء أنه إذا لم يكن بين مرتكب الجريمة والمجرى عليه عداوة سابقة ، وكان للأول الثقة التامة بالمحرض بحيث يعتقد فيه الوفاء بوعده فيعتبر المحرض متدخلًا في الجريمة تبعياً ، ولو لم يقدّر الدراهم سلفاً ولم يعط ما وعد به قبل إيقاع الجريمة لأنه لو لم يكن تخريضه وما أثر به على مرتكب الجريمة من الوعد لا أقدم هذا على إيقاعها .

والتعريض باستعمال الجيلة والمسيبة يشترط فيه ان تبلغ الجيلة درجة يكون القائل فيها مقتدراً على سوق غيره بسببها على إيقاع الجريمة التي يريد بها ، ويراد بالجيلة كل خداع أو غش أو تدليس استعمل للوصول الى

بعقوبة واحدة . ( انظر جازو مطول المقوبات ٣ بند ٨٨٤ ) .

### المعقوبة في التشريع الاسلامي

هذه هي نصوص القوانين المعمول بها في بلادنا وفي البلاد الأجنبية ، وما أتينا في بلد اسلامي فاسمحوا لنا أيضا ان نطلب معاقبة المتهمين طبقا للشريعة الاسلامية التي لا تختلف في الحكم من جهة عقوبة القتل مع المعقوبة المقررة في القوانين الرضعية ، ولما كانت مصادر القضاء في الاسلام أربعة وهي :

- ١ - الكتاب الكريم ، وهو القرآن ، عماد الاسلام .
- ٢ - السنة الشريفة ، وهي أقوال السيد الرسول وأفعاله .
- ٣ - الاجماع ، وهو اتفاق الفقهاء في أي زمان بعد وفاة النبي على أمر من الأمور .
- ٤ - القياس ، وهو حل معلوم على معلوم ، أي الحاقه به في حكمه ، لمشابهة بينهما وهو إنما يستتبط من - الثلاثة الأول .

وبما أن السيد الرسول ﷺ كان يرجع في قضائه بالأمور الدينية والدنيوية الى الكتاب ، وإلى ما تنتجه له فطنته ، ويرجيه إليه إلهي فإلى الكتاب والحالة هذه هو المصدر الأول للقضاء وقد ورد في ( تبين الحقائق ) في شرح ( الزيلعي ) ان القتل العمد يعاقب عليه بالقتل عملا بنص القرآن الكريم - الشريف هو كتب عليكم القصاص بالقتل ، حتى ولو كان القتل بقصبة .

وقال الرسول الأعظم « من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة : آيس من رحمة الله تعالى ، ومن أشار بحديدة الى أحد يريد قتله وجب دمه » .

وقال صلوات الله عليه « لرواك الدنيا وما فيها أمون عند الله من قتل مؤمن ، ولو أن أهل سمواته وأرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار » .

وفي النص الأول اشارة الى عقوبة القتل للقاتل ، وفي النص الثاني تعيين

### الفاعل المعنوي

وفي بعض الشرائع ما يعد المحرض على الجريمة فاعلا أصليا ويسمى فاعلا معنويا أو أدبيا .

### النية في الاجرام

إن المذهب الذي اتبعه قانون الاجزاء الفرنسي القديم الصادر بعام ١٧٩١ وأيده القانون الأخير الصادر عام ١٨١٠ يقضي بالتسوية بين الفاعلين والشركاء باعتبار ان الشريك بقبوله الاشتراك في الجريمة يتحمل جميع ما يترتب عليها من النتائج القانونية لأن نية الشريك بارتكاب هذه الاعمال بقصد تحقيق الجريمة هي التي تجعل عمله معاقبا عليه ، وتكملة نتيجة الفعل الذي يرتكبه غيره . وعلى هذا الاساس تتساوى مسؤولية الفاعل ومسؤولية الشريك ، ولا تكون هنالك أهمية للفرقة بين من يعد فاعلا ومن يعد شريكا من حيث المعقوبة . وهكذا التشريع الكسبي والروماني من قبل ( نيندال بند ٤٠٦ ) .

وقد أخذ القانون الايطالي الصادر بعام ١٩٣٠ بهذا المبدأ بحيث لا يفرق بين الفاعل والشريك ( تراجع المواد ١١٠ وما بعدها منه ) .

وكذلك فان المادة ٦٦ من قانون العقوبات البلجيكي تعتبر كالفاعلين من ساعدوا بأي عمل كان على ارتكاب الجريمة ولولا مساعدتهم لما أمكن ارتكاب الجريمة او الجنحة . لأن التحريض هو أول وسائل الاشتراك والمحرض هو الذي يدفع فاعل الجريمة الى ارتكابها بإغرائه على إتيان الفعل المكون لها ، فهو الفاعل الأدنى للجريمة ، إذ هو المدبر لها والتسبب في وقوعها . ومن أجل ذلك كثيرا ما تكون مسؤوليته الأدبية أشد من مسؤولية من باشر الفعل المكون للجريمة هذا الذي يكون في كثير من الاحوال مجرد آلة في يد من حرصه . وعلى هذا الاعتبار يعد المحرض في بعض الشرائع فاعلا أصليا ( تراجع شرح قانون العقوبات المصري تأليف الدكتورين مرسى بك ومصطفى السعيد بك ص ٢٥٥ ) .

وأخذ شراح القانون الفرنسي عن الرومان مبدأ المساهرة في المعقوبة بين المشتركين في الجريمة جميعا فانفاصلون للجريمة وشركاء هم فيها بمعاقرن



وكل هذه الأفعال تقع تحت طائلة العقوبات القانونية المشار إليها، ناهيك عن الأسباب المشددة القانونية والتقديرية المنوطة عوامها بحق القاتلة وأصحاب السوابق منهم، فبما يعود أمر البحث فيه بصورة مفصلة لمقام النيابة العامة.

#### « الحق المدني »

شرعت الدعوى المدنية أمام المحكمة الجنائية اختصاراً للإجراءات وتوفيراً للوقت وفيها يجد المدعي زميلاً ( النيابة ) يعاونه، ولو من طرف غير مباشر، على الوصول إلى حقه وذلك بإثبات الجرم الذي نشأ عنه الضرر، وعلى ضوء هذه القاعدة القانونية العامة نرى بأن المواد ١ و ٩ و ١٧١ من قانون الجرائم ١ و ٦١ و ٦٢ من قانون أصول المحاكمات الجزائية و ٨ من قرار رئيس الدولة السورية ذي الرقم ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول سنة ١٩٢٥ نصّح بأن الحكم في الحقوق الشخصية تقضي بها المحاكم الجزائية مع العقوبات القننة، ولا يجفى أن الحقوق الشخصية بدعوى القتل تنقسم إلى قسمين: شرعية وقانونية. فالشرعية هي القصاص والدية، والقانونية هي التعويض، وبذلك العطل والضرر، والنقصيات وبذلك الكسب والنقائص التي أداها ورثة المجرى عليه.

ولما كانت دعوانا تضمنت طلب الحكم في الدية، وهي مقررة ومعلومة فلا حاجة لزيادة البحث عنها، وطلب الحقوق الشخصية القانونية التي قدرناها مبدئياً باستدعاء الدعوى الأخير المورخ في ١٦ كانون الأول سنة ١٩٤٠ بنصف مليون ليرة سورية ورفاً، وكانت حكمتكم العليا وإن تكن صاحبة السطوة المطلقة بتقدير بدل هذه الحقوق القانونية، إلا أنني أرى من الفائدة بمكان أن أبين ماهية تلك الحقوق لتكون - المحكمة على بينة من الأمر، وما نلني فاعل.

#### التعويض المادي

لقد خلف المفقور له الدكتور شهيندر زوجة وستة أولاد أربعة منهم ما زالوا قاصرين يتلقون العلوم في المدارس الابتدائية والثانوية، وكان المفقور

قل المحرض على القتل، ولو جاء التعويض في الاشارة.

وبذلك نجد ان كل الشرائع والقوانين تقضي بالعقوبة في الاعدام.

#### « المحاولة »

ومن الناس من يتصور جنابة القتل، ويصر على ايقاعها، ويتم مرحلة التحضير- للجريمة، وبدأ في تنفيذها، ولكنه يجفّق لسبب لا ارادة له فيه، فيُعدّ عمله « محاولة » أو « شروعا تاما » أو « جريمة خائية » على حد تعبير بعض القوانين الأجنبية.

وقد صرحت الفقرة الأولى من المادة « ٤٦ » من قانون الجرائم بأنه « من صمم على ارتكاب جنابة وبدأ في اجرائها بوسائل مخصوصة وخطوة أسباب مانعة، لم يكن هو فيها مختاراً، لم يتمكن من إتمام الأفعال اللازمة لحصول تلك الجنابة عوقب في المواضع التي لم ينص عليها القانون على الوجه الآتي :

وصرحت الفقرة الثالثة من المادة نفسها بأن « من أتم جميع الأفعال الاجرامية اللازمة للجنابة التي صمم عليها ولكن لجملولة أسباب مانعة لم يكن هو فيها مختاراً لم تظهر تلك الجنابة للوجود عوقب في المواضع التي لم يصرح بها القانون على الوجه الآتي، ان كان الفعل المذكور مستلزماً عقوبة الاعدام أو الأشغال الشاقة - مؤبداً حكماً على المحاول بالاشتغال الشاقة المؤقتة مدة لا تنقص عن عشر سنوات ». الخ . . . .

#### أفعال المتهمين

فضلاً عن أن قرار لروم المحاكمة وقرار الاتهام قد وصف الأفعال التي ارتكبها - كل واحد من المتهمين، ودلت الوقائع المادية والافقرات البرينة والشهادات على وقوع تلك الأفعال الجنائية فمن قبل المتهمين أنفسهم ومن شركاء لهم لم يتوصل التحقيق، بيزيد الأسف، لمعرفةهم حتى اليوم، ولما من العدالة الإيفية وزايدة الشرفاء من أهل القضاء كل الأمل بتعيين البقية الباقية من المجرمين الشركاء ولو في المستقبل القريب، فان زملائي في جهة الادعاء قد شرحوا الوقائع بالنسبة للمتهمين والمحرضين والمتفدين بصورة لا تدع سبيلاً للشك في صحة قتلهم الشنعاء.

فلسفية، اجتماعية، وحقيقة قضائية ايضا، وإذا كنتم تقاضون الفتنة فلا تهم هدموا بناء الله، واعتادوا على حقوق الله وعلى حقوق مخلوقاته، وعشروا بمصلحة الأمن العام الذي تركها المشرع أمانة بين أيديكم وبرزجوا الحق في الباطل، ونسوا رباط الوطن الطاهر، وحلّوه كما شاءوا وشاء لهم المولى والطمع، ولكن الله - سبحانه وتعالى سيرجم كيف لا ينفقهم رياء أو تحفي .

إن هؤلاء المجرمين قد لوثوا جو هذه القاعة الطاهرة بما ينثونه من حياة كلها اجرام، إن عمل هؤلاء يجعلنا ننشك في أشخاصهم أنس أم شياطين، انظروا - أناشدكم الله - إلى النظاء الخارجي الذي ألبسوه وحاولوا أن ينجفوا به ويخفوا حقيقة أمرهم، ولكن الله - جلت قدرته - أنطقهم بما تكنه صدورهم من غدر، وظلم وخيانة، واقترء.

ما كنت أرى في نفسي وفي عيني أصعب من جلوسنا مع الأمنين في حرم المحكمة لأنني كنت أسمع صراخا من دائرتهم كهراخ الحيوانات المفترسة، ولكنني كنت أقسمك بالصبر الذي هو عماد الشرائع البشرية، وأعداد نفسي لسماع صوت الحق من العدالة، لصوت الانسانية، لبكاء الأبناء، لأين الأم، لصوت الوطن القاهر.

أيها الفتاة الأثمن ومن ورائكم المدير والمحرض والوحي : لقد ارتقم دم الشهيد ونسيتم أن الله سيقضي عليكم في الدنيا والآخرة وتظاهر بمضكم أمام القضاء - كذبا وبهانا - أن الله يفر له، كان مفتاح الجنة بيده، ولكن هذه المظاهر المصطنعة لن تتجاوز مقاعدكم، لأن الدم المهروق طاهر بريء وخالفه اشفق عليه منكم، فلا بدع قلب الحكام التي بيده - تخضع لتصديق الكاذبين الذين خلت أجسامهم من الشفقة والرحمة، أنتم يا من تأصلت القساوة في نفوسكم، اعلما وأعلما جيدا بأن نجاة الدين الإسلامي، لا بل نجاة الأديان كلها لا تتم الا بفصل رؤوسكم عن أجسامكم.

#### سادق القضاة

إذا حكمتكم فستحكمون على أشخاص لهم قدرة مدهشة على التفريق، ومهارة فائقة في الشر والإغواء، أشخاص : اعتصموا الكذاب مبدا لهم،

له عمادهم ومصدر رزقهم ومعيشتهم وهنائهم في الحياة بعد الله تعالى بحيث كان طبيبا عظيما له من الكفاية في فنه قد لا يوجد من يرامله في مقدراته، وبذلك كان رحمه الله يعمل في ميدان الإنسانية ويكسب الرزق الحلال من فنه ليزو حياته وعائلته ويجمع لأسرته - الثروة التي تقى باحتياجاتها حيا وميتا، فجاء الغادرون الظالمون وقضوا عليه وحرموا أسرته من جهوده ومن كسبه، أما ما تركه الشهيد من الأموال فشيء لا يذكر ولا يمكن أن يقدم بأرودهم. هذا عدا عن المناعب والمصاعب التي حلت بورثته بسبب الجناية، والنفقات الطائلة التي تكبدوها في سبيل ملاحقة دعواهم.

#### التعويض المموري

يكفينا أن نشير إلى الصدمة المعنوية التي أصابت زوجة الفقيد وأولاده تلك - الصدمة التي تركت أثرا لا يمحي طول الحياة نظرا لقطاعه الجنائية التي روعتهم، وللطريقة الوحشية التي ارتكبت بها، عدا الأضرار المعنوية التي لحقت بالفقيد نفسه وأسرته من بعده بسبب ما نعت به المجرمون السفاكون أمام القضاء وخارج دار القضاء، وفي الصحف التي نقلت تلك النعوت تعرض ذكر وقائع الجناية النكراء.

كل ذلك يجعلنا نعتقد بأن العدالة ستلبي طلبنا بالحكم على المتهمين - بالتقصام والتكافل - بإداء المدعى به.

#### الحاجة

#### سادق القضاة

لقد شرحت لحضراتكم قضية الشهيد بأسهاب وبينت ظروفها وأسبابها وعواملها ونفسية المتهمين، وماضيتهم، وأفعالهم، ونزواياهم، لأن من واجبات القضاء أن يتعرف المجرم وطبيعته وأمياله وعقله وحالته النفسية كما قال أشهر محامي فرنسا المسيو « لا شو » الذي دافع عن المتهم ( تريان ) سنة ١٨٦٩.

إن المبدأ المسيطر على قضيتنا - كما يتصوره كل من يعرف قيمة الإنسان - هو أن الجسم الإنساني شيء مقدس لأنه بناء الله - وهذه حقيقة دينية -

اختاروا هؤلاء المنفيين واتخذوا عقولهم متجرا ليقتضوا على أكبر شخصية في الأمة، ولو كان في هذا العمل لمعات الله عليهم وملائكته والناس اجمعين، واذا فكرنا في النظام والمتاعب التي نالت فقيدنا العالي، والفني، والحنس، وأحكام الاعداد التي حكم بها. من أجل ايمانه الوطني، وهو لم يترف ذنبا، ولم يؤذ أحدا، شعرتنا بديب الشر في نفوس هؤلاء المجرمين.

ان القضاء على المجرمين ليس فقط في مصلحة الروح الغالية التي ذهبت، ولا في مصلحة النظام العام وحده، بل في مصلحة السوريين أنفسهم، لا بل في مصلحة العرب وفرنسا معا.

وعليه أوجه انظارني إليكم أيها السادة القضاة وأقول: إن البرية فظيمة، فظيعة لأنها ربتت في الحفاء، ونفذت بشكل تقتصر منه الانسانية، ويدل على مستوى اللذالة والحقارة، فافسحوا الطريق للمجرمين بأيديكم الى القفلة، فلم تعد الحياة تنفعهم لأن أعين الناس ومن فوقها أعين الخالق لم تعد تقع عليهم، فاحكموا عليهم بالوت ونفذوا القضاء فيهم قبل الفجر ليذهب الشعب الى قريعتهم ويضع عليه الأوهار.

وقدروا على النش والحداء، وقوة الاغراء، والفساد، والظلم، والإثم والإجرام.

اشخاص: لا يحسون للضمائر حساسا، ولا يتصرفون على قيمة الحياة عندما تقضي لماتهم الدينية أن يفعلوا حراما، أو عندما يدركون أن أمانتهم الطبيعية انهارت أو في طريق الانهيار.

اشخاص: لا يقلقهم ذنب، أو لا يجلبهم عفو، لأن ضمائرهم ماتت، فلم يعودوا يهابون بشيء، أو يخجلون من شيء.

اشخاص: ادخل المتآمرون والمحرضون فيهم الطمأنينة في قلوب الوسطاء المنفيين وشجعوهم على الاستماتع بالمحرمات، فويل لهم جميعا من الله وعبيده وويل لهم من عذاب القبر.

أيها القفلة:

فتنم الشهيد ورجتم الى هذه القاعة وأنتم ماثلون بين أيدي العدالة تطعنون القليل الذي ذهبت روحه ضحية غدركم وظلمكم وتسدعون « كذبا » القوي - والورع والصالح. فليس لي ما أجيبكم به الا بما قاله السيد المسيح قبل ١٩٤٠ سنة.

« يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات »

« وأنتم أشرار، فان من فضلة القلب يتكلم الفم، أن »

« كل كلمة بطلاة يكلم بها الناس سوف يعطون عنها »

« حسابا يوم الدين »

وقد دعا السيد المسيح الجميع وقال لهم: « اسمعوا وانهموا: ليس ما يدخل الفم يجعل الانسان، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان، لأن من القلب تخرج افكار شريرة، قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تخلف، هذه هي التي تسجس الانسان ».

سادق القضاء: ان الثميرين والثميرين على ارتكاب هذه الجناية

## مرافعة الدكتور سيرة الجبلهاني

سيدتي الرئيس، سادتي:

يريد القدر أن احدث اليكم، في حديث واحد، عن شخصيتين مختلفتين: شخصية نعت في الفروس شعور الرضى والاكبار، لأنها تتصل بأفق الملاكمة: وشخصية تثير في النفس شعور الاستمزاز والاحتقار، لأنها تتصل بأفق الشياطين.

أحب أن اعلنكم، قبل كل شيء، أن زملائي أوكلوا إلي الكلام على شخصية الزعيم السياسية، وعلى شخصية القتلة الخمسة، الذين تتألف منهم حلقة الأميرة السفلى، أما بقية المتهمين، فلا شأن لي معهم، ولن اعرض لهم بشيء، ولكنني استطيع أن أقرر في كثير من الأحيان أن الجانب اللذي لم يكن مسرفاً في اتهاماته ولا مفترياً في ادعاءاته، بل كان منصفاً الى ابعد حدود الانصاف، ومقتصداً الى ابعد حدود الاقتصاد، فهو لم يتهم الا خصوم الشهبندر الذين لهم سابقة في الكيد له، ولعل اعظم دليل على ذلك انه لم يتم الدعوى على لطفي بك الحفاري، لما عرف من سابق صداقته للزعيم ورغبته في السلم وتوحيد الجهود، ولكن الرأي اذا تغير فيما بعد... فأنما تغير بسائق ورقة الاتهام، التي أعدها النيابة.

كل هذا يقيم لكم البرهان على روح العدل التي اتصف بها الادعاء الشخصي وعلى رغبته الصادقة في معرفة المجرمين والمحرضين الحقيقيين، لينزل بهم، وحدهم العقاب الذي يستحقونه.

حياة الشهبندر وجهاده:

اسمحوا لي، قبل أن أقدم اليكم شخصيات القتلة الكينية أن أبسط

السوريين الذين يرضيهم ان يعرفوا تاريخ بلادهم القومي .  
كتاب اللورد اللبني الى جلالة الملك فيصل :

في ٢٧ نيسان من عام ١٩٢٠ بعث اللورد اللبني ، قائد القوات المتحالفة الى الأمير فيصل ، الكتاب الخطير التالي :

دار الاعتماد - القاهرة في ٢٧ ابريل ١٩٢٠

يا صاحب السمو

أمرني حكومة جلالة الملك أن أقدم لكم الرسالة التالية :

بنتيجة القرارات الجديدة التي قررها الحلفاء في مؤتمر سان ريمو، قبل مجيء الاعتراف بسوريا والعراق حكومتين مستقلتين تابعين لمساعدة دولة متتدية، الى ان يجين الزمن الذي تستطيع فيه هاتان الحكومتان الوقوف وحدهما .

وتعقيا لهذه القرارات قد أودع الانتداب على سوريا الى فرنسا في حين أودع الانتداب على العراق الى انكلترا . وقد سميت بريطانيا العظمى ايضا دولة متتدية على فلسطين .

ان حكومة جلالاته تشعر شعورا قويا بأن الزمن قد حان الان للوصول الى ترتيب تأتلف به مطالب الأمة السورية مسح هذه القرارات .

ذكرتم سموكم في كتابكم رقم ١٠٣ بتاريخ ٢٨ مارس المرسل الى ناظر الخارجية البريطانية رضاءكم بالسفر الى اوربا على شرط الاعتراف باستقلال الشعب السوري .

وإذا كانت حكومة جلالاته، بناء على القرارات التي قررت الآن مستعدة للاعتراف بسموكم بمبدأ رأس حكومة مستقلة، إلا انها تعتقد اعتقادا قويا بأن قضية ملكيتكم يعود تقريرها بصورة رسمية الى مؤتمر الصلح . لذلك ففي تلخ عليكم بأن نجئوا الى اوربا من غير ابطاء وتذكروا قضيتكم .

وسيعقد المؤتمر انعقادا آخر في باريس في آخر مايو والمرجو ان تجلدوا سموكم السيل لحضور اجتماعه .

أما مسألة فلسطين فقد كنتم عارفين دائما ان حكومة جلالاته تعهدت

بين أيديكم شيئا عن حياة الرجل ، الذي تعرف روحه القدسية في هذا المكان .  
ولد الشهيد في دمشق ، وتلقى ثقافته الأولى ، في أحضان الفضيلة ، ثم طلب العلوم العالية في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وكان فيها يعتقد أعظم طالب تخرج فيها ، كانت مزاياه البارزة : جزأته في قول الحق ، وجهه لبلاده ، وموهبته الخطابية ، ودكاؤه المعجيب .

بدأ الشهيد حياته العملية في بيروت ، وأصاب ارباحا هائلة ، ولكنه لم يكن يشد الريح المادي ، فأغلق عيادته وودع اصداقائه الذين أدهشهم أن يتخلل عن زبائنه ومكاسبه ، وقال لهم : « أريد أن أمضي الى دمشق عاصمة العرب ، لأخدم القضية المقدسة ، التي أشهد الله على أنني نذرت لها نفسي وما ملكت يداي » .

في دمشق ، كان الشهيد وفكرة تخرج بالقلب ، وحركة تشيع في العزائم ونداء يأنس به أنصار الفكرة العربية في كل مكان .

على أن جمال باشا السفاح قرأ أن يعدمه فيمن أعدم ، فاضطر الى الهجرة من البلاد العربية ، وبعد طواف غير قصير في البلاد القريبة والبعيدة ، استطاع الشهيد ان يعود الى بلاده التي أحبته وأحبها ، وأكرته وأكبرها ، فقدم اليها في مركب النصر واختاره المغفور له الملك فيصل وزيرا للخارجية .

أبى الله أن يصانع الشهيد الصهيونيين :

هنا يا سادتي ، أريد أن أبرز لكم وثيقة تاريخية ، على جانب عظيم من الخطورة وعلى حظ كبير من القيمة المعنوية ، وثيقة يجيهاها او يتجاهلها فريق من الخوصم ، ولكنها تثبت لكل صاحب وجدان ، ان صوت الشهيد الذي اتموه بصانعة الصهيونية ، كان أول صوت ارتفع بالدفاع عن فلسطين ووحدها وسلطانها ، بل كان اسمى صوت ، لأنه امتزج بصوت الملك نفسه .

لا ألخص لكم هذه الوثيقة ، لأننا في محكمة سياسية ، وبين أيدي رأي عام ومن الحق أن تقرأ هذه الوثيقة كلها ، ليدكرها من تناساها وليعرفها من

## جوليس الشهبندر باسم الملك فيصل

هذا كتاب النبي باسم الحلفاء، فاستمعوا الى جواب الوزير العربي، عبد الرحمن شهبندر، هذا الجواب الذي خطه بيده ووقع عليه المغفور له الأمير فيصل، وطبع على أوراق وزارة الخارجية العربية:

### الملك فيصل العربي السوري

#### وزارة الخارجية

#### باصحاب السعاده

اني بكل تقدير أسجل اعتراف مؤثر سان ركو بأن سوريا والعراق كل منهما دولة مستقلة وقد توصل هذا المؤتمر الى هذا الاعتراف، كما يعتقد العرب العدالة والانسانية ومواقفة رغائب الأمة السورية المستقلة. وكذلك أسجل مع السرور العظيم استمداد حليفتنا بريطانيا العظمى للاعتراف برأس الحكومة السورية المستقلة.

أما ما يختص بالانتداب الذي أقرتم اليه سعادتكم فاني أشعر انني لا أستطيع البحث فيه فالشعب الذي عرف الخطر الذي يجره على سلامته في المستقبل واستقلاله إحتج عليه احتجاجاً عظيماً وأني أن يقبله. على أن ذلك لا يدل على أننا مكثرون بأنفسنا ولنا مستعدين لأخذ المساعدة اللازمة بمقدد المقاولات مع حلفائنا تحفظ فيها سلطاتنا القومية حفظاً مطلقاً، وقد كتبت لكم سابقاً كما كتبت حكومتني أيضاً أننا لا نرفض مثل هذه المساعدة.

أما مسألة فلسطين فلم أجد برسانتكم صراحة كافية تدل على الاعتراف بأن هذه البلاد جزء لا يتجزأ من سورية مع أن فلسطين من حيث

بأحداث وطن قومي لليهود في فلسطين، وهي غاية قد سلمتم بها. وترى حكومة جلالته نفسها انها ملزمة الزاماً سيوياً في شروط الانتداب بأن تحمي مصالح الوطنيين الأصليين بأتم الأساليب. وبالإلحاح على سموكم باجابة دعوة حكومة جلالته بالسفر الى باريس دون تأخير اود ان أؤكد لكم أن الدفاع الوحيد لحكومة جلالته هي الرغبة في ان تعطي أماناً سموكم الاعتبار التام.

تفصل فلسطين عن سوريا. يمثل هذه الوسائط فقط اعتقد اننا يمكننا ان نصل الى حل يحفظ منافع جميع دوى الشأن وفي هذه الأثناء ترونني بأشد الحاجة الى الجواب.

الشهبندر  
يريد  
الاستقلال  
النام

هذه هي الوثيقة، تضعف الباطل في وجهه، وتلقي النور على الاعين التي لا تتألا الا في الظلمات، كالخفايش والحركات المنكرات، ولكن لسي شيئا قد يكون أعظم خطرا وأوفر نفعاً، هو هذه المذكورة، التي كتبها الزعيم بخط يده وقدمت الى الأمير فيصل، ليصطنع على هداها رأياً ويكون فضاء، هذه المذكورة توضح لنا في أحسن أسلوب ان الزعيم شهبندر لم يدع الى انتداب انكلترا، وإنما دعا الى شيء آخر، دعا الى استقلال البلاد استقلالا تاما، وإذا كان لا بد من مساعدة، فليكن هذه المساعدة من فرنسا، بشرط ان تحفظ سلطان البلاد ووحدها القومية.

تلك كانت نظرية الزعيم في المعاهدة عام ١٩٢٠ فالذين لا يسرههم ان يطلب معاهدة أحسن من معاهدة ١٩٣٦ يجهلون أنه كوزير عربي، لكك عربي، أعلن رأيه واتخذ لنفسه موقفا، ومن الخير ان لا يتراجع، ومن الخير ان يحفظ عهد ملكه.

مضت، بعد فصل، سنوات. كان الشهبندر يعلم فيها الناس الوطنية، ويقدم اليهم المثل الأعلى في الجرأة والتضحية، ويكمل في سبيل عقيدته الروا من الأذى والغضب ولقد حوكم وتقي الى أرواد، مدة غير قصيرة، ثم عاد الى دمشق، فأتخذ يتابع رسالته الكبرى من غير خوف ولا وهن، حتى نشبت الثورة فكان احد قادتها البارزين وزعمائها المجاهدين، ولما انتهت الثورة الى هزيمتها، وكان قد حكم عليه بالإعدام، سافر الى مصر فأقام فيها، وتابع الغاية التي نذر لها نفسه أمام الله، وكانت له بين المصريين مكانة جليلة دلت عليها كلمات الرثاء التي بعث بها وزراء مصر ونوابها، وكبرائها فالتقت في حفلة الأربعين، ولم يلق مثلها في موت رجل سوري قبل الزعيم. لم ينقطع الزعيم في مصر عن العمل الوطني، بل كان يشتر الدعوة لبلاده بين المصريين وبين الأجانب، ويتصل بالسوريين القيمين في الوطن وفي

الاعتبارات الجغرافية والأنتوغرافية والتقليدية والاقتصادية ومن حيث اللغة والرغائب الوطنية لا يمكن فصلها بوجه من الوجوه عن سورية.

وعلاوة على ذلك يوجد من المخابرات التي دارت بين جلالة الملك حسين وسعادة السير هنري مكماهون رسالة باسم الحكومة البريطانية تاريخها ٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٥ يعترف فيها بأن فلسطين داخلية في المملكة العربية التي قبلت الحكومة البريطانية حدودها الميية هناك وأزيد على ذلك أن هذه الرسائل بحسب ما يدل عليه حديث الاجتماع الذي حصل في رقم ١ من شارع دونغ هي مساوية في القيمة للاتفاق مع رئيس الجمهورية الفرنسية حتى ان معاهدة سايكس بيكو عند بحثها في مسألة فلسطين قد صرحت بجلاء في المادة الثالثة بأنه ينشأ في المنطقة الصفراء ادارة دولية وأنه يقتضي لتعين شكل هذه الادارة الاتفاق مع علي الشريف في مكة ولا يوجد شيء في هذه الوثيقة يخص الصهيونيين أو اليهود.

وبالنظر الى احتياجي الى تهيئة الشعب الذي هو في أشد حالات الاضطراب عقلا وروحاً أرجو أن أحصل أيضا من بريطانيا العظمى على بعض تصريحات مقنعة تستطيع استخدامها لحفظ الثقة في قلب العرب بحليفة العرب وأن أين لم بأن كل اتفاقية بين البريطانيين والصهيونيين لا تعتبر بوجه من الوجوه آثمن من الاتفاقيات مع الملك حسين أو رئيس الجمهورية الفرنسية.

أما مسألة تسليحي بإحداث وطن قومي لليهود في فلسطين فاني اعتقد ان هنالك بعض سوء التفاهم، فكل ما سلمت به ان احافظ على حقوق اليهود في تلك البلاد كما يحافظ على حقوق العرب الوطنيين وان يجوزوا نفس الحقوق والمنافع.

ان العرب في فلسطين تضارى كانوا او مسلمين قد استخدموا مرارا وتكرارا كل فرصة للاحتجاج على اتفاقية او عهد يجعل وطنهم وطنا قريبا لليهود.

أنا مستعد للمجيء الى اوربا لبسط قضية بلادي اذا حصلت على تصريح مثبت لشعبي الخالف بصرح بأن المؤخر لا يسمح بوجه من الوجوه ان

المختلفة الى الاتحاد، ويخيل لي ان هذه السياسة الانسانية ليست مخالفة للدين، ولكنها من الدين، ولا يمكن ان تكون الا من الدين، لقد كان أحد أمراء البيان يدعي ان المسلم وحده يستطيع ان يكون وطنيا، ولكن الزعيم كتب على رايات الثورة هذه الكلمة المباركة: «الدين لله والوطن للجميع» وأرد أن تكون هذه الوطنية مشاعرا بين المسلمين والمسيحيين فأناس يختلفون في عقائدهم الدينية، ولكن حياتهم الاجتماعية تسوقهم الى الاشتراك في مثل أعلى يجتمعون على حبه واكاره.

كان الشهيد عربيا، يعمل في سبيل الجامعة العربية والوحدة السورية الكبرى قرأت لكم نداه وهو وزير المملكة العربية، وله بعد ذلك ألوف من الخطب والمقالات، ولعلكم لا تزالون على ذكر من خطابه الذي ألقاه في مساء اليوم الثاني من كانون الأول عام ١٩٣٧ في النادي المسكري بلسدن فقد حل على عهد بلفور بحضور سفراء الدول العربية، وأمام زهاء ثمانين من أعيان البريطانيين، وبين شأن الوحدة السورية في الجامعة العربية.

ولقد أرسل الزعيم رحمه الله، قبل موته، بمناسبة ذكرى وعد بلفور، برفقة هذا مظهرها: «عشرون سنة مفعمة بالويلات والألام مرت على وعد بلفور الجائر كافية لافتح بريطانيا ان العرب لن يتنازلوا عن شبر من أرضهم ولن يقبلوا وعدا لا يقره ضمير ولا وجدان».

ذلك هو الرجل الذي لم ينجح جناة آثمون من اتهامه بعد قتله بأنه مأجور للانكليز والصهيونيين.

اما نسك الزعيم بدينه، فيتناوله غيري، ولكنني أجد دليلا بليغا عليه في عقيدة الزعيم جواب الزعيم على سؤال وجهه اليه في مصر صحفي امريكي كبير.

سأله هذا الصحفي: ماهي أعظم مواقفك؟

وكان الصحفي، بالطبع، ينتظر من الزعيم ان يقول له: موقفني في الدفاع عن البلاد مع الملك فيصل، أو موقفني في الثورة، أو موقفني انطلاقي أمام جبال باشا السفاح او نحو ذلك.

ولكن الزعيم رحمه الله وأجزل له الرحمة، أجابه:

المهاجر، يكتب ويخطب ويقابل ويسمى ويستنهض الملم.

وبعد، لا يستطيع ان الخص لكم مسيرة الشهيد، لأنها سيرة أمة في أعينها وفي اضطهادها، وفي استشهاده، ولكنني قد استطع ان استعير من أحد الناقدين الأوربيين كلمته في (عزق) فأقول لو وزعت اعمال الزعيم على عشرة رجال، لكان كل واحد منهم خالدا، ولو وزعت مواهب الزعيم بين عشرة رجال، لكان كل واحد منهم عظيما، فنحن لم نفقد عورت الشهيد رجلا واحدا، ولكننا فقدنا أمة من النجاة والعطاء، من الميراث والكلمات.

كان الشهيد طيبا من الطراز الأول، والطبيب العظيم في بلد من البلاد ثروة تعز بها وتحرص عليها، وتجدها الوسيلة الى حياتها وسلالتها وصحة تفكيرها، وكان الشهيد خطيبا، لا أقول من الطبقة الأولى... لأنه كان خطيبا سورية، ولم يبق لسورية بعد اليوم خطيب، وكان الشهيد محدثا حلوا الكلام، يعرف كيف يدبر الحديث وكيف يسيطر على القول بكلام ساحر وبيان فاخر، وقد أذكر أن أدبيا فرنسيا قال عنه: (ان الشهيد شرقي -غربي، فهو على جانب عظيم من الكياسة، خلابة، تجده في مجلسه الأدب واللمعة الرفيعة، وقليل من الرجال الشرقيين يستطيعون ان يجلسوا الى أكابر الأوربيين ويروحوا اليهم الشهور بأهم في حضرة رجل عظيم، لا يختلف عنهم في لغات الفكر والثقف، وحركات النفس المهدبة).

وكان الشهيد عالما، وكان أدبيا، تشهد له بذلك الدراسات والبحوث الكثيرة التي نشرها في المجلات والصحف والكتب، وكان وطنيا، بل كان معلم الوطنية، ولم يخطيء زعملي الشاب، الدكتور المأمون الجالس في الجانب الآخر، يوم ذهب لاستقبال الزعيم مع (القمصان الحديدية) وخاطبه بقوله: (سيد الزعيم، لقد جئنا اليك لنحيك، فقد كان صوتك أول صوت سمعناه مبشرا بالبادئ القومية وكان وجهك أول وجه نوراني عرفناه، يوم لم يكن في البلاد معلم للوطنية الا انت).

كان الشهيد انسانيًا، يشتر بالتراحم والتناصف، وبداعو الطوائف

انسانية



التي زعموها إذ قالوا ان الرسول (ﷺ) تجل لهم في صورة عصاصة، ما ثبت لكم ذلك.

ان الله سبحانه وتعالى خلق عمدا (ﷺ) في أكمل صورة، فكيف يستطيع مسلم ان يدعي انه يشبه عصاصة، هذا المجرم الذي له عين أكبر من عين.

عصاصة يضل القضاء:

انتقل الآن الى اعتراف عصاصة...

لقد كان طبيعيا ان تغير هذا الاعتراف الذي يقع في حضرتنا شانا خطيرا، لأن (لا روشفوكو) يقول:

(مهما كان شكنا في اخلاص الذين يتحدثون الينا كبيرا، فنحن نعتقد دائما انهم يتحدثوننا دون غيرنا بأصدق قولهم)...

وهكذا كدنا نقذف باعترافات عصاصة أمام الشرطة وأمام المستنطق الى البحر، وان نسلم بنظرية معترف الذي يقول في رسالته الى عصاصة:

« جناب حضرة الأخ المجاهد السيد احمد وبعد فاننا أولا ان تحقق ان الافادات الأولى قد أُلغيت وليس لها اعتبار ولا بد ان نستند على قول المحامين المخلصين لأنها ليست معتبرة فعندها نتكلم... »

كلا. يا عصاصة كلا. يا معترف.

ان الاعترافات التي أُلغيت أمام الشرطة هي اصدق الاعترافات، وعصاصة الذي اعترف هنا بالقتل، كان قد لقن أشياء ليقولها ففاهها، ولقن أشياء ليتعاقل عنها فتعاقل عنها، وإذا اسلمنا جدلا بأنه كان مخلصا في لحظة ما، فهو لم يكن مخلصا الا في اللحظة التي اعترف فيها بأنه قاتل، ثم عاد بعد ذلك الى غريزته في الجداخ والرياء في ذلك كمثل الرجل الذي خاطبه شكسبير بهذه الكلمات:

( ان حسانك تشبه الشرارة التي تتبعث من العصاصة اذا احتكت بالعصاصة، ولكنها لا تثبت ان تعود الى بروتها الطبيعية ) .

ليس عصاصة في هذا الباب جديدا ولا فاتحا، ومن الخير ان نعرف بأنه

اعظم موافقي واحبها إلى وارضها عندي، وأبعثها للسكينة في جوانب نفسي، موقفي في الصلاة بين يدي الله.

قال الزعيم هذا وأخذ يحدث الأمريكي عن فراره ذات يوم الى الصحراء التي وصلها خائفا جاثما مبروك القوي، ولكنه ترضاً وصل، ففزع بالأمن، وذهب عنه الجوع واستراح من العناء، وكأنه انما استيقظ من نوم هادىء مطمئن.

ذلك هو الايمان الصحيح، ايمان الشهبندر، نجده في عقيدته، وفي طهارة حياته، والشهبندر كان في حياته من طبقة الزاهدين والمصروفين، فلم يعلى قلبه لا بالخمر ولا بالمسر ولا بالبهو الأثيم ولا بشيء من هذه الأشياء التي تصرف العبد عن خالقه وعن شؤون الحياة الجدية.

فإذا قام رجل يطمئن في دين الشهبندر، فهذا الرجل اما ان يكون ضالا، واما ان يكون مضللا، ولكنه - على كل حال - رجل حقير.

القتلة المجرمون:

حدثكم عن رجل جيب الى الله يتصل باللائكة.

فلا حدثكم الآن عن رجال بغضين الى الله، يتصلون بألق الشيطان، اتخذت اليكم عن عصابة الخمسة:

رئيس العصابة:

رئيس هذه العصابة المجرمة، هو عادل عصاصة، ففي اذا عدت جرائمه كانت أكبر من سته، وإذا عدت فضائله خيل لك أنه لم يولد بعد.

أعجب هذا الاعتراف الذين يعجبهم ان تراق على الجريفة هذه الصبغة اللبية وان تقف عند هذه الحدود، ولكن انكار عصاصة ما قاله من قبل... حلت الرزمل الكريم الذي أركلت اليه مهمة الدفاع عنه - وهي مهمة اعترف بأنها شاقة مفضية - حملته على أن يقدر أن عصاصة مصاب في مكانه العقلية وطلب ان يفحصه الأطباء.

هذا هو الفقي الذي تظاهر امامكم بالتقى والورع، وادعى الغيرة على الرسول مع السُّخَّر، والعباد بالله، من الرسول ولعل فيها سميتوه عن الرؤيا

ثم هو يطلب ان تتوحد جهود العلماء والجمعيات الخيرية والأقرباء والأصدقاء في سبيل انقاذهم، ولكنه نسي شيئا واحداً، نسي انه بتجلبله القتل خالف الله والرسول، ونسي ان من كان هذا شأنه فمن واجب اقربائه واصدقائه ان يستنكروه ويتجنبوه، حتى لا يشاطروه الاثم والضرالة.

انتهى الى الفتنة الأخيرة، فتنة الشماع والطرابيضي، هؤلاء الذين يقولون انهم لم يسمعوا ولم يفهموا... وانما كانوا غافلين عن كل شيء، جاهلين بكل شيء، هذه الفتنة الكئيبة ليست أقل اجراماً من غيرها، والله سبحانه وتعالى لا يجيبها قال تعالى:

﴿ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والأنس، لم يقرب لا يفقهون بها ولم أعين لا يصبرون بها ولم أذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

هذه الفتنة ليست أقل خطراً من الجرمين الآخرين، لانها تركب الجرم ثم لا تفعل له، ولا تظهر عليها مظاهر الندم فالقائضها الرصاصة على انسان اسهل من القائها عليه السلام..

كل هؤلاء تجار صفار، ولقد اثار اشتراكهم في الجريمة فزعزعا هائلًا في صفوف النسوة، حتى سمعنا احداً منهن تقول:

(كنا عشي في سوق الحميدية غير حذرات وكنا نفتح ابوابنا للسياح المتجول في طمأنينة وثقة، حتى جاء هذا اليوم فعرفنا ان القاتلين والمجرمين لا ينحدرون من الجبال، ولا يتغلغلون في الادغال ولا يجتنبون في منعطفات الطرق... ولكنهم يبرزون من المخازن والدكاكين ويطفون في الشوارع بين السكان الامنين).

حالة الخيانة... هؤلاء هم المجرمون الخمسة اللذين اركل إلى النحدث عنهم:

درستهم واحداً بعد واحد، فاسمحوا لي الآن ان ادرسهم مجتمعين، لقد ارتكب هؤلاء جريمة القتل، مصممين مجتمعين.

وسنرى ماذا يعني التصميم. وماذا يعني الاجتماع؟  
التصميم والاجتماع

كان مدفوعاً بعامل غير الدين، لأنه ليس متديناً فلا بد من رجل دفعه واغراه واستغل روحه المجرمة.

### المسألة الثالثة جنون عصاصة:

جنون القبول في عصاصة انه ليس متديناً في حياته، وليس صادقاً في اعترافاته، وليس مجزواً في حركاته، ولكنه فني شيء الأخلاق، كثير الرياء، مفطور على الاجرام.

أما معتوق:

اما معتوق، الذي سمعت عن اخلاقه مثل ما سمعت عن اخلاق عصاصة، فهو رجل لا يقل عنه نفاقاً ولا خطراً. ذلك لأنه جاهل في ثياب عالم. ودثب في جلد حل.

معتوق، يا غلظة الدنيا ويا قسوة الشقاء.

لو كنت على شيء من الأخلاق الرياضية، وسمعت عن الشهنشدر من أحد خصومه حديثاً، أو سمعت هذا الحديث من العامة، فانك لم تكن لتستعجل الحكم عليه قبل ان تستجمع أسبابه وتبين حقيقته؛ قال سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. [الحجرات: الآية رقم ٢١]

ولكن معتوق، الذي لم يستطع ان يكون عالماً كبيراً، أراد ان يكون على الأقل مجزوماً كبيراً... فراح يشترك في الجريمة ويطمئن زميلاًه بأن (عمليتهم) رابحة في الآخرة، مثلاً هي رابحة في الدنيا.

لقد أخفق معتوق ودخل السجن، ولكنه ثابر على صناعة التعليم الاجرامى، فراح يرسل عصاصة، ويصنع له اعترافاً، ويكمل اليه اخباراً مسرقة، تبشر أنهم لن يلبثوا في السجن الا قليلاً ومن الغريب ان معتوق يطلب منه ارسال برفقيات الى هتلر وابن السعود، كأن هتلر وابن السعود ينتظران اوامر عصاصة.

ما عدا القتل (وهنا أفاض المجلداني بشرح جرم القتل السياسي، ثم قال) :

إننا نطلب عقوبة الاعدام، لأنها هي عقوبة القانون، لأنها هي عقوبة نطلب عقوبة الدين الاسلامي، الذي يجد فيها حياة للجمعية البشرية، ولأنها هي العقوبة التي نادى بها، مثل هذه الأحوال أكبر علماء الدين المسيحي القديس (توما داكوان) مدرّس الديانة المسيحية، في روما وباريس، الذي كان يستوجب اعدام القاتلين، اذا كان المظهر الاجتماعي من بقائهم أئسّد من ضرر زواولهم، والذي كان يحذر القضاة من رجّة خاطئة، تكون نتيجة حماية مجرم أو جملة مجرمين، هم على كل حال أقلية صغيرة، والتضحية بحقوق مجموع كبير من الناس يعتبر القتل موجهها الى كل واحد من افراده، وهذا يتفق القديس توما داكوان، في نظرة عالية من نظرات الفكر، مع حكمة سامية من حكم الاسلام: وهي ان من يقتل انساناً يغير حق فكأنما يقتل الناس جميعاً.

لقد قتل هؤلاء الشهبندر، ولكن ابدىهم الجريمة المظلمة بالدماء، إنما ارتفعت في الواقع لتعتدي على المجموعة البشرية كلها، لتعتدي على هذه المجموعة فيما تعتقد به من دين يحرم اراقة الدماء، وفيما تواضعت عليه من قانون يحظر الاعتداء، وفيما تعصف به من اخلاق تستكر هذه الممجيّة النكراء التي تبرا منها طبائع الانسان الاجتماعي، الانسان الذي يلق به ان يعيش مع الناس ويكون موضع ثقّتهم.

ان (بكاريا) الذي كان معين رجّة، كان هو أيضاً يستوجب عقوبة القتل في أزمان الاضطراب السياسي، و (لوزنرود) الذي درس نفسيات المجرمين بالنشأة يستوجب عقوبة اعدام القاتلين منهم لتطهير صفوف البشر من هؤلاء الوحوش في جلود البشر، و (غاروفالو) كان نصيراً لهذه العقوبة على شرط ان تطبق على مقياس واسع، لأنه يعتبر جرمية الاغتيل ونفسية الاغتيل وباء هائلا ولا سبيل الى انقاذ البلاد منها الا بحركة تطهير واسعة.

أيها السادة القضاة:

هؤلاء عضو فاسد يجب بتره لانقاذ الجسم، فكفونا أطباء كاصديق لن نحر الأطباء شفقة وإبروه: أيها أكثر شفقة الطبيب الذي يشفق على الجسم قولوا للاغتيل

٣٩٥

أما التضميم فهو ان يقتل الانسان بعد تفكير، لا بمجرد الصدفة ولا بفعل الاستارة.

ويحل لي ان هذه الناحية لا تحتاج الى عناء. فقد اتفق هؤلاء الخمسة على قتل الزعيم بالكلام، ثم أيدوا كلامهم بتحديد يوم القتل، ثم تسلحوا والتسلح وحده كاف لإثبات تضميم على القتل، حتى ان معترف نفسه فهم هذا لكتب الى عصامه يقول:

( لا تتعرض لنا بأن معنا سلاحا لأن الأمر ثبت عندها اننا متفقون على قتله ).

التضميم ثابت، ولكن هناك شيئاً غير التضميم، وهو الاجتماع على فكرة القتل.

وبعد أن أسهب الزائف في بحث فكرة التضميم على القتل قال:

ان جريمة القتل مع التضميم، سواء أقت بالاشتراك ام بالانفراد، عقوبتها الاعدام، ولكن اشتراك هؤلاء الخمسة في جمعية فسادية أخذت على نفسها قتل الزعيم يجعل اعدامهم امراً محتماً.

الدفاع السياسي سادق: لم يكن الباعث الى هذه الجريمة الدين، فالدين يبرأ عما يرجفون،

ولم يكن المحرض على الجريمة العلماء، فالعلماء في سورية، لا يدعون الى القتل ولم يكن بينهم وبين الشهبندر عداوة، ولو كانت هذه العداوة موجودة لبلمنا خبرها في مقالات تنشر في المصحف، او بيانات توزع في نشرات او خطابات تلقى في اجتماعات، او احتجاجات تحملها وفود، ولكن شيئاً من هذا كله لم يقع، ولا يتصور العقل ان يقع.

لقد كان الباعث الى الجريمة سياسياً ورجة الدين إنما التمسّت في اللحظة الأخيرة لحجب الحقيقة. على أنه قد يحظر بالبال ان الباعث السياسي من شأنه ان يتيح هؤلاء المجرمين بعض الامتيازات لأنه باعث شريف غير وضيع. ولكن الجرم السياسي الذي يعامل صاحبه بالرفق، هو كل جرم،

٣٩٤

فاقتلهم للذنب الذي جنوه والفضاء الذي قضموه، ونسارخ الأمة الذي شوهوه، ولستقبل البلاد الذي سودوه. اقتلهم لأهم تعدوا القتل، اقتلهم لأهم تعاهدوا على القتل، اقتلهم لنجس بعدهم البلاد وتقتصر الأخلاق، ويسكن العدل ويطمئن الشهداء.

اقتلهم ليرضى الله.

فيتبر العضو الفاسد ويستبقي للمريض حياته ام الطبيب الذي يشفق على العضو الفاسد ويستبقيه فلا تلبث عدواه ان تسري الى سائر الجسد وتقضي عليه.

لا ننظروا ان احدا من اصحاب الوجدان يرضى عن بقاء هؤلاء في الحياة بعد فعلتهم النكراء وفتنتهم العمياء، ولو وجد من يرضى عن حياتهم، لكان معنى ذلك ان روحا خبيثة طلعت على الناس فجعلتهم يتسمون للقتال ويسخرون من القتل ويفرحون بالدم المهرق فرحة الفضياع والدناب. معنى ذلك انه لم يعد الناس ناسا إلا بالاسماء ولكنهم في حقيقتهم قطع من الوحوش المفترسة، يتواثبون على الضحية ويرقصون على القبور ويتخذون من عظام الموت حليا لهم ومعاصم. ومعنى ذلك أقسى وأقطع، معنى ذلك انه لم يبق انسانية تلطف الشعور ولم يبق مدنية تهذب الفكر ولم يبق ديانة ترشد الضمير، ولم يبق قانون يردع الغرائز.

ان الذين يبررون قتل الرجال العظام ثم يحاولون تشويه سمعتهم بعد موتهم هؤلاء لا ترضى عنهم الانسانية لأهم وحوش، ولا يرضى عنهم الوطن لأهم خونة، ولا ترضى عنهم الديانة لأهم آثرون، لذلك كله اريد ان اعتقد واعتقد، انه ليس في البلاد رجال من اصحاب الضمير لا يحتنون امام حكمكم على المجرمين، ان الناس ليعرضون عنهم فليس لهم بعد جريمتهم لا أهل ولا اصدقاء ولا أنصار، ولا يجوز ان يكون لهم أهل واصدقاء وأنصار، لأهم خالفوا « الله ورسوله » فيما حرم من الدم والفساد.

ان القاضي ليتوزع فكره بين أسباب الشدة والتخفيف، وبين نظريات لا تخصي كل واحدة توجه قلبه الى جهة... ولكنكم هنا في ( محكمة عدل ) التي انشئت لصيانة المجتمع من خطر داهم، فلا تفكروا الا في صيانة هذا المجتمع كونوا حازمين، لأن الحرم وحده يحمي البلاد من الفتنة، ويقول للاغتتيال السياسي: قف هنا، قف لن نمر.

كان هؤلاء المجرمون، يا سادتي، أظلم قضاة، لأشرف ضحية، فكونوا أعداء قضاة لأسوأ ضحايا، انهم لا يستطيعون ان يطلبوا شفقتكم لأهم لم يشفقوا، هم، على الشيخ الوقور، لقد قتلوا الشهيد بغير ذنب جناه

اقتلهم ليرضى الله

فاقتلهم للذنب الذي جنوه وللفضاء الذي قضموه، ولتاريخ الأمة الذي شوهوه، ولستقبل البلاد الذي سودوه. اقتلهم لأنهم تعمدوا القتل، اقتلهم لأنهم تعاهدوا على القتل، اقتلهم لتجبا بدمهم البلاد وتنصير الأخلاق، ويسكن العدل ويطمئن الشهداء.

اقتلهم ليرضى الله.

فيتر العضو الفاسد ويستبقي للمريض حياته أم الطبيب الذي يشفق على العضو الفاسد ويستبقيه فلا تلبث عدواه أن تسري إلى سائر الجسد وتقضي عليه.

لا نتظنوا أن أحدا من أصحاب الرجدان يرضى عن بقاء هؤلاء في الحياة بعد فعلاتهم الكبراء وفتنتهم العمياء، ولو وجد من يرضى عن حياتهم، لكان معنى ذلك أن روحا خبيثة طفت على الناس فجعلتهم يتسمون للقاتل وسحرون من القتل ويفرحون بالدم المهرق فرحة الضياع والدعاب. معنى ذلك أنه لم يعد الناس ناسا إلا بالأساء ولكنهم في حقيقتهم قطع من الوحش المفترسة، يتواثبون على الضحية ويرقصون على القبور ويتخذون من عظام المرق حليا لهم ومعاصم. ومعنى ذلك أقسى وأقطع، معنى ذلك أنه لم يتبق إنسانية تاطف الشعور ولم يتبق مدنية تهذب الفكر ولم يتبق ديانة ترشد الضمير، ولم يتبق قانون يردع الغرائز.

إن الذين يبررون قتل الرجال العظام ثم يحاولون تشويه سمعتهم بعد موتهم هؤلاء لا ترضى عنهم الإنسانية لأنهم وحوش، ولا يرضى عنهم الوطن لأنهم خونة، ولا ترضى عنهم الديانة لأنهم أثمون، لذلك كله أريد أن اعتقد واعتقد، أنه ليس في البلاد رجال من أصحاب الضمير لا ينحنون أمام حكمكم على المجرمين، أن الناس يعرضون عنهم فليس لهم بعد جريمتهم لا أهل ولا أصدقاء ولا أنصار، ولا يجوز أن يكون لهم أهل وأصدقاء وأنصار، لأنهم خالفوا « الله ورسوله » فيها حرما من الدم والفساد.

إن القاضي ليتوزع فكره بين أسباب الشدة والتخفيف، وبين نظريات لا تخصي كل واحدة توجه قلبه إلى جهة... ولكنكم هنا في (حكمة عدل) التي انشئت لخدمة المجتمع من خطر داهم، فلا تفكروا إلا في صيانة هذا المجتمع كونوا حازمين، لأن الحزم وحده يحمي البلاد من الفتنة، ويقول للاغتتيال السياسي: قف هنا، قف لن نمر.

كان هؤلاء المجرمون، يا سادتي، أعظم قفصة، لأشرف ضحية، فكونوا أعدل قفصة لأسرا ضحايا، انهم لا يستطيعون أن يطلقوا شفقتكم لأنهم لم يشفقوا، هم، على الشيخ الوقور، لقد قتلوا الشهبندر بغير ذنب جناه

## قلمنة القضاء (٧ كانون الثاني سنة ١٩٤١)

في يوم الثلاثاء الواقع في السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين اجتمع المجلس العدلي المؤلف بموجب المرسوم السابع رقم ٧٦٧ الصادر في آب ١٩٤٠ من السادة بول بوريقية رئيس محكمة الاستئناف الناظرة في القضايا الأجنبية بحلب « رئيساً » وعضوية غاستون غير مستشار محكمة التمييز الناظرة في القضايا الأجنبية في سورية ، وبوسلف روكس عضو محكمة التمييز السورية ، وعبد الحميد الماردني عضو محكمة الاستئناف في حلب ، ووجيه الشرايي رئيس محكمة بداية حمص . وبحضور الكورمندان مصطفى المدوي مفوض الحكومة لدى محكمة الدرك السوري الذي جلس في مقعد النيابة العامة بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ . يساعده الكاتبان السيدان ادوار انني والياس بانخوس والمترجم المحلف السيد كامل عزيز .

اجتمع هذا المجلس في جلسة علنية بدمشق في قاعة البرلمان السوري لادارة المناقشات والحكم في الدعوى الجنائية التي جرى فيها الاستئناف ضد احمد عصاصة وشركائه بحسب قرار الاحالة المؤرخ في ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠ .

وبعد أن أعلن ختام المحاكمة انسحب المجلس الى غرفة المذاكرة للمذاكر سرا بحسب ما تقتضي به المادتان ٧٨٩ و ٢٩٠ من قانون اصول المحاكمات الجزائية . وبعد هذه المذاكرة عاد المجلس الى الجلسة العلنية التي استؤنفت . وبعد أن تأكد الرئيس من حضور المتهمين ووكلائهم والنايب العام تلا نص القرار الآتي :

باسم الشعب السوري :

ثانيا - ان المدعو احمد الطرابيشي متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في الجريمة المذكورة بالمساعدة والمعاونة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

ثالثا - ان المدعو صالح معتوق متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك بالمساعدة والمعاونة في الجريمة المذكورة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

رابعا - ان المدعو سعيد الحصري متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك بالمساعدة والمعاونة في الجريمة المذكورة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

خامسا - ان المدعو عرت شماع متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف المكان والزمان اشترك بالمساعدة والمعاونة في الجريمة المذكورة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

سادسا - ان المدعو سامي سعد الحفار متهم بكونه في دمشق :

أ - في خلال أشهر أيار وحزيران وتموز وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشترك مع عصاصة بتخريبه بواسطة المال والورود لارتكاب جريمة القتل عمدا وبإعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكاب الجرم وكساعده ومعارفته بالتعليمات والخطط .

ان المجلس العدلي ،

بعد ان تذاكر في القضية وفاقا للقانون ، علنا ووجاهها بحق المتهمين المجرمين وغنايا بحق جيل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار وفوزي القباقي ومحمد الحرش .

بناء على المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ الذي تألف بتوجيه المجلس العدلي .

وبناء على المرسوم رقم ٧٦٨ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ الذي اجليت بوجبه الى المجلس العدلي قضية مقتل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الكونية ضد المدعو احمد عصاصة والآخرين .

وبناء على القرار ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول ١٩٢٥ ،

وبناء على قرار المستطق لدى المجلس العدلي الصادر بتاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠ والذي أجمل بوجبه الى المجلس العدلي مع الأدلة الجرمية الكافية .

أولا - ان المدعو احمد عصاصة متهم بكونه ارتكب في دمشق :

أ - بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمدا على شخص الدكتور شهبندر .

ب - وفي خلال شهر تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في وقت لم يمر عليه الزمن حاول بدون عمد ارتكاب جريمة القتل على أفراد القوة المسلحة أثناء قيامهم بالوثيقة مع الملاحظة بأن هذا الجرم كان يقصد منه تأمين قراره .

ج - وفي حزيران ١٩٤٠ وعلى كل حال في وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع محمد الحرش ومحمد الحافي وخليل النندور وسامي الحفار وبالإتفاق معهم اقتساف جريمة القتل عمدا على شخص المذكور شهبندر .

د - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

تاسعا - ان المدعو خليل القندور متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة لتسهيله وتخريفه على ارتكاب الجريمة المذكورة .

ب - وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع احمد عصامة ومحمد الحرش ومحمد الحافي وسامي الحفار والاتفاق معهم ارتكاب جريمة القتل عمدا على شخص المدكتور شهبندر .

ج - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل سلاحا بدون رخصة .

عاشرا - ان المدعو عاصم الناثلي متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة بتخريفه بواسطة المال والوعود والسناس والخليل .

الحادي عشر - ان المدعو فوزي القباي متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف المكان والزمان اشترك في جريمة القتل عمدا المركبة من قبل عصامة لتسهيله وتخريفه على اقرار الجريمة المذكورة .

الثاني عشر - ان المدعو جميل مردم بك متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة بتخريفه بالمال والوعود والسناس والخليل .

الثالث عشر - ان المدعو لطفي الحفار متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة بتخريفه بالمال والوعود والسناس والخليل .

الرابع عشر - ان المدعو سعد الله الجابري متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي ارتكبها عصامة بتخريفه بالمال والوعود والسناس والخليل .

وبناء على مذكرة الاتهام الصادرة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٠ وبناء على القرار الصادر في ٩ كانون الأول ١٩٤٠ المتعلق بصحة المحاكمة بالنسبة للمتهمين العائنين .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

ج - وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وعلى كل حال وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع رفاقه والاتفاق معهم اقرار جريمة القتل عمدا على شخص الشهبندر .

سابعا - ان المدعو محمد الحرش الملقب بأبي صباح متهم بكونه في دمشق :  
أ - في خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشترك مع عصامة بتخريفه بالمال والوعود لارتكاب جريمة القتل عمدا وباعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكاب الجرم ويساعده ومعاونته بالتعليمات .

ب - وفي خلال شهر تموز وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بدون عمد ارتكاب جريمة القتل على أفراد القوة المسلحة أثناء قيامهم بالوظيفة مع العلم ان هذا الجرم كان يقصد منه تأمين فراه .

ج - وفي ٢٥ تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع رفاقه والاتفاق معهم اقرار جريمة القتل عمدا على شخص المدكتور شهبندر .

د - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

ثامنا - ان المدعو محمد الحافي متهم بكونه في دمشق :  
أ - في نفس ظروف المكان والزمان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة لتسهيله وتخريفه على اقرار الجريمة المذكورة .

ب - وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول ارتكاب جريمة القتل عمدا على شخص المدكتور الشهبندر بالاشتراك مع محمد الحرش وتخليل القندور واحد عصامة وسامي الحفار والاتفاق معهم .

ج - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وعلى كل حال وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .



عيادة الدكتور شهيندر يوم السبت في ٦ تموز ١٩٤٠ في نحو الظاهر بحجة عرض احمد الطرايشي على الفحص الطبي ، وفيما كان الدكتور بعد ان فحص المريض يدون في مفكرته بعض الملاحظات تناول عصاصة البرابلو الذي كان يحمله والذي اودعه اليه الحرش على الأرجح واطلق رصاصه دخلت جمجمة الفصحية تحت الأذن اليسرى بقليل واكملت طريقها متجهة من تحت الى فوق ثم خرجت بعد ان أصابت الدماغ في المنطقة الصدغية اليسرى وسيبت نزيها أدى الى الموت الآتي .

وان هذا الجرم ارتكب بعد تصور وتصميم اذ ان تهيئة اقتضت ابحاثا طويلة في اجتماعات عديدة عقدت في الدرجة الأولى في الجامع الأموي وفي جامع النورية وكذلك في منزل عصاصة في شهري حزيران وتموز ١٩٤٠ ، وفوق ذلك قام عصاصة وطرايشي بزيارة عيادة الدكتور شهيندر قبل الجرم بقليل ، أي بتاريخ ٣ حزيران ١٩٤٠ ، كما دلت على مفكرة الدكتور .

ب - عن التهمة الثانية: محاولة قتل رجال القوة المسلحة بدون عمد :

لا كان عصاصة قد اعترف في أثناء الاستجواب أنه كان مسلحاً عندما فاجأه رجال الشرطة في صباح يوم الجمعة في البساتين صحنه الحرش الا انه ادعى ان الحرش هو الذي أطلق النار وحده خلافاً لما جاء في أقواله امام المستنطق كويتو ( صفحة ٣٣ استنطاق ١٥ آب ١٩٤٠ ) ، وكان أقرب الى الحقيقة كونه اطلق الرصاص على ملاحيه كما فعل الحرش ليجنب التوقيف الذي عهده خطره ، وانه يجب اعتباره مشتركاً في محاولة القتل ، وان هذه التهمة يعتبرها المجلس ثابتة وموجبة للعقاب ما دامت المناسبة الفجائية التي هي هنا عدم اصابة الهدف بسبب الاطلاق السريع أثناء الحرب والتي حالت دون التنفيذ التام ودون الغاية التي يطلبها المتهم لا تمنع في حالة عدم اقرارها كون الجريمة ارتكبت بتماها على ارادة المتهم ولا يمكنه الرجوع من ذات نفسه بعد اطلاق الرصاص .

ج - عن التهمة الثالثة: محاولة قتل الدكتور شهيندر في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :  
لا كان ثانياً من اعترافات المتهم ومن اصابة التحقيق ان عصاصة قصده في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ برقعة الحرش والعندور والحافي والحفاري وكانوا

وبناء على القرار الصادر في ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ المعلق بصحة تشكيل المجلس العدلي .

وبناء على المذكرة المقدمة من الادعاء الشخصي في ٦ كانون الثاني ١٩٤١ والفتالة بان جهة الادعاء تريد رغم انسحابها من الجلسة الاحتفاظ بجميع حقوقها ضد المتهمين اسماءهم في استمعاتها .

١ - فيما يتعلق بأحمد عصاصة :

بناء على المذكرة المقدمة بتاريخ ٢٨ كانون الأول ١٩٤٠ التي يطلب فيها احالة المتهم عصاصة الى فحص ملكاته العقلية .

ولا كان المجلس يعتبر انه ، اذا كان صحيحا ان عنر الجنون لا يمكن ان يحكم به الا ذوو الاختصاص ، فان حالة الجنون يجب ان تظهر بأعمال المتهم وأقواله القديمة والحدديثة ان لم تكن جليلة كل الجلاء . وأنه اذا تأكد ان عصاصة ارتكب الجريمة مدفوعاً بعاطفة دينية خرجت عن حدها المقبول ، كما هو شأن شركائه ولا سيما صالح معتوق وفاقا لا ظهر في أثناء المحاكمة ، فان هذه الملاحظة الدينية لا يمكن ان تعتبر قرينة تبرر الطلب ما دام الجرم لم يقع بشكل فجائي وبدون تعقل بل ارتكب بعد بحث طويل من خلال الاجتماعات المشتركة التي كانت اعمال الدكتور شهيندر الدينية والسياسية تدرس فيها وتناقش وتتخذ من كل واحد من المستمعين ، وبعد ان اثبت التصوص التي أوردها صالح معتوق وفسرها ان هذه الجريمة يبررها الدين . ولأنه لأجل قبول هذه المدفوع يجب التسليم بأن هناك نوعاً من الجنون المشترك ، وهذا النوع من الجنون تناقضه الاحتياطات التي اتخذها كل واحد من المتهمين في سبيل ارتكاب الجرم والحلاص بعد ذلك من الملاحقة التي كانوا عرضة لها . وأنه لهذه الأسباب لا يقوم على هذه المدفوع دليل ويجب رفضها .

أ - عن التهمة الأولى : القتل بعد تصور وتصميم :

لا كان ثانياً ، يقطع النظر عن البيانات الكاذبة التي أيدها من هذه الناحية قبل جلسة الاثنين في ١٣ كانون الأول ١٩٤٠ ، ان عصاصة باعتزافه دخل

في يوم السبت ٦ تموز ١٩٤٠ فحسب بل في يوم الجمعة ١٢ تموز ١٩٤٠ أيضا.

ثانيا - فيما يتعلق بأحمد الطرابيشي.

أ - عن التهمة الأولى : المساعدة والمعاونة بالقتل :

لا كانت وثائق التحقيق والاستجواب في المجلس ولا سيما الاعترافات التي جرت في جلسة الاثنين ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ تثبت بوضوح اشتراك الطرابيشي بالمساعدة والمعاونة، ووجوده الى جانب عصاصة يوم زيارة المكان في ٣ حزيران ١٩٤٠ ويوم القتل في ٦ تموز ١٩٤٠ ساعد على انجاز جريمة القتل التي ارتكبها عصاصة بعد تخفير طويل خلال الاجتماعات التي عقدت في المساجد ولم يقطع طرابيشي عن حضورها والتي لم يغفل عن معرفة الغاية منها رغم انكاره من هذه الجهة، على حين دلت الحملة المسلحة يوم ٦ تموز ١٩٤٠ اذا كانت هناك حاجة الى دليل على النيات الظاهرة التي كان يعملها كل واحد من الذين اشتركوا فيها.

ب - عن التهمة الثانية : حمل السلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتا من تحقيق الشرطة (تصريح المحصري) ومن استجواب المستطلق الاهلي والمستطلق كويتو ان الطرابيشي كان مسلحا (الاستطلاق الاهلي الاضيارة المترجمة صفحة ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٣٠ - واستطلاق كويتو صفحة ٨٧) فضلا عن ذلك فان الطرابيشي اعترف بحمله السلاح المنوخ في جلسة الاثنين ٢٣ كانون اول ١٩٤٠، وانه اذا كان حمل هذا السلاح خصيصا لقتل الدكتور شهنشدر فقد استعمله ايضا لتهديد السائق دعدوش كما يظهر من تصريح المحصري (الاستطلاق الاهلي صفحة ٢).

عاشرا - فيما يتعلق بعاصم الثاني :

لا كان، فضلا عما جاء في التحقيق الذي قام به القاضي المحلي والكولونيل كويتو من ان عاصم الثاني قدم باعتباره الافندي الذي حضر الاجتماعات المنعقدة في الجامع الأموي وفي منزل عصاصة، وفيما عدا الاعترافات والتصرجات التي أدلى بها في جلسة ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ عصاصة والتهمون الآخرون، يجدر ان يؤخذ بعين الاعتبار ان المحصري

مسلحين جميعا، الى مكتب الدكتور الشهنشدر السياسي في الصالحية بقصد قتله، وعند وصولهم اخبروا ان الدكتور غائب وتفرقوا من غير ان يبلغوا نهاية مشر وعهم. وكان يجدر بالجلس ان ينظر ما اذا كانت محاولة القتل هذه تستحق العقاب من الوجهة الجزائية.

ولا كانت آراء العلماء واجتهادات المحاكم متفقة على القول بأنه لكي تكون هناك محاولة جنائية بوجه الاجمال يجب ان يجتمع شريطان اثنان لا وجود للمحاولة اذا قلنا :

١ - ان تراعى هذه المحاولة بعمل يعتبر بدء تنفيذ.

٢ - ان لا تتم المحاولة او ان تخطى هدفها لأسباب خارجة عن ارادة الفاعل اذا اراد القتل.

ولا كان من المسلم به استنادا الى رأي « غارسون » في شرح قانون الجزاء ان تنفيذ جريمة ما يبدأ عندما يقوم الفاعل بأعمال من شأنها في رايه ان تنجز الجرم بصورة مباشرة وسريعة، وأنه في تلك اللحظة يستين العمل المادي الذي يسبب الضرر الاجتماعي ويدل بوضوح على النية الجرمية من غير ان يترك مجالا للترية والرجوع.

ولا كانت محاولة قتل الدكتور شهنشدر النسوية الى عصاصة والحرش والحاني والغندور والحفار غير ثابتة لأن ذهابهم مسلحين الى مكتب الضحية السياسي بقصد القتل ومعرفتهم قبل ان يدخلوا المكتب ان الغندور غائب عنه يؤلف عملا تحفيرا لا بداية تنفيذ، ولأن العلاقة المباشرة علاقة السبب والغاية مقفولة بين هذا العمل وبين الجريمة المبحوث عنها، ثم لأنه ليس لدينا ما يدل على أنه لو كان الغندور في مكتبه في ذلك اليوم لكان المتهمون عدلوا في آخر لحظة عن رأيهم. وهذه الأساليب المتعلقة بتهمة عصاصة من هذه الناحية تسري على الحفار والحاني والغندور والحرش.

د - عن تهمة حمل السلاح بدون رخصة :

لا كان معروفا ومتروفا به ان عصاصة في خلال شهري حزيران وتموز ١٩٤٠ على الأقل حمل في مناسبات مختلفة أسلحة متنوعة بدون رخصة، لا

مزدهم بالمارّة كشارع رامي على حين كانت الجريّة على وشك ان تتم . ولما كانت افانته في العراق التي لم تثر من حوفا الا شائعات لا أساس لها من غير ان يذكر عنها اي إيضاح مفيد ، وعودته الى سورية لأسباب صحية ثابتة كل الثبوت ، وكانت اجتماعاته بعد ذلك الى مردم بك ليس من شأنها الشكوك حول صبغة اعماله وحركانه ، وكذلك موقفه في خلال زيارة تعزية ذكر فيها أسماء القتلة ، على حين تخلّق علاقات القرابة أو الصداقة الكائنة بين الشاهد وبين الضحية عند الآخرين الذين يتنمون الى حزب سياسي معاكس نوعا من الارتباك الطبيعي فسر بالنسبة للظروف تفسيراً سلبياً .

ولما كان المجلس لا يستطيع استنادا الى ظنون بسيطة سريعة العطب كهذه الظنون الا ان يحكم بعدم صحة اتهام عاصم الناطلي على حين تؤيد أقوال عصامّة في جلسة ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ وتقري الأقوال الأولى التي قالها جميع المتهمين .

الحادي عشر - فيما يتعلق بغوزي القباني :

لا كان وجود غوزي القباني في الجامع قد أشير اليه مرة في أثناء التحقيق ، وكان منزله قد عين كماوى بعد الجريّة وعمل اجتماع للفرار الى العراق في وقت واحد ، ولما كانت هذه المعلومات غير ثابتة باعتبارها ان عصامّة ومعتوق والطرايشي والحصري والشماخ توجهوا فور انفاذ الجريّة لا الى بيت غوزي القباني بل الى منزل شقيقة عصامّة ثم تفرقوا للفتيش على ملاحيه جديدة كل يوم ولم يجتمعوا كزعمهم الا بعد توقيفهم . ولما كانت مثل هذه الظنون غير كافية ليمكن تجريمه .

الثاني عشر - فيما يتعلق بجميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار :

لا كان غير ممكن ، رغم غياب جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار . المؤسف من هذه الجلسة ، والرجوع بعيدا الى الوراء - في سبيل اتهامهم بأنهم اللادافعون لهذه الجريّة - للفتيش عن قوانين كافية تترس مثل هذه النظرية في موافق وأحداث تحتمل الأخذ والرد وفي أعمال حكومية وفي دساتر مشبوهة ولا سيما في تصريحات متأخرة عندما يعتذر إيجاد الأدلة

التي اوقف في ١١ تموز ١٩٤٠ أفشى سر شركائه الذي هم أخلص أصدقائه ، وألصق رفاقه ولم يتكلم في الشرطة عن وجود عاصم الناطلي ، وكذلك معتوق والطرايشي والشماخ الذين اوقفوا بعد انشاءات المحصري واستجوبوا في ١١ و ١٢ تموز قبل ان يحصل بينهم اي اتفاق سرودا تقريرا الواقع نفسها التي سردها المحصري عن الأسباب التي دفعتهم للقتل ولم يذكروا شيئا عن وجود عاصم الناطلي ، ولما كان عصامّة للمرة الأولى في ١٥ تموز ١٩٤٠ عندما أوقف ذكر في دائرة الشرطة أولا بحجة أفندي الى داره ولم يكن رآه من قبل ( ضبط الشرطة في ١٥ تموز ) وأيد أقواله في الضبط الثاني الذي وضع في اليوم ذاته . ولما كان العندود عندما تكلم في ١٧ تموز عن الاجتماعات التي كانت تثار فيها مسائل ذات صفة دينية محضة لم يشر إلى الإشارة الى الأفندي ، وكان الأمر كذلك أيضا في ٢١ تموز عند استجواب الحافي ، وكان المحصري ( ١٥ تموز صفحة ١٩ وما يليها والاستطلاع المحلي ) والشماخ ( صفحة ٢٢ وما يليها والاستطلاع المحلي ) ومعتوق ( صفحة ٢٤ وما يليها والاستطلاع المحلي ) والطرايشي ( صفحة ٢٦ وما يليها والاستطلاع المحلي ) وهم يؤيدون تصريحاتهم الأولى لم يشاروا أية إشارة الى وجود الأفندي . ولما كان عصامّة عند عودته الى أقواله السابقة في ١٦ تموز ذكر للمرة الأولى وجود عاصم الناطلي في الجامع الأموي ثم حجّبه في اليوم الثاني الى داره ، وهذا التصريح يناقض تصريحه السابق في الضبط المنه عنه سابقا مناقضة غريبة . ولما كان عصامّة في أثناء المقابلة يوم ٢٣ تموز ( الاستطلاع المحلي صفحة ٦٠ ) دل على عاصم الناطلي اذ كان وحده بين السجناء الذين قدموا اليه يضع النظارتين على عينيه ، ولكن العندود لم يعرفه ( الاستطلاع المحلي ٢٣ تموز صفحة ٦٠ واستطلاع الكولونيل كورتير صفحة ١٢٣ ) وعصامّة نفسه ( صفحة ١٢٢ استطلاع الكولونيل كورتير ) لم يعصر على افادته هذه والحافي كان يكتنف قوله الغموض ( صفحة ١٢٤ ) ولما كان يجب ان يذكر الكذّيب العنيف الذي كذب به عصامّة نفسه في جلسة ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ وفي جلسة ٦ كانون الثاني ١٩٤١ هذا التأكيد الذي أيده وقواه جميع المتهمين . ولما كان المجلس لا يسمعه ان يأخذ بعين الاعتبار شهادة الشاهد بدوي عاصم الناطلي لأنه يبعد عن التصديق مثل هذا الاجتماع الطويل في رابعة النهار بين عاصم الناطلي وعصامّة في شارع

يسجل رغبة الادعاء الشخصي بالانسحاب من الجلسات مع الاحتفاظ بحقوقه تجاه جميع المتهمين .

أولا - يحرم المدعو احمد عصاصة بأنه ارتكب في دمشق يوم ٦ تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمدا على شخص المذكور شهيد.

ثانيا - يحرم معتوق والطرايشي والحصري والشماع لاشتراكهم في نفس ظروف الزمان والكان في الجريمة المذكورة بالمساعدة والمعاونة .

ثالثا - يحرم المدعويين الحفار والحرش بأنها في دمشق خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشتراكا مع عصاصة على ارتكاب القتل عمدا بإعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكابها ومعاورته ومساعدته بالتعليمات .

رابعا - يحرم المدعويين الغندور والحافي بأنها في نفس ظروف الزمان والكان اشتراكا في القتل عمدا الذي اقترفه عصاصة بمساعدتها في تهيئة وتسهيل انجاز الجريمة المذكورة .

خامسا - يحرم المدعويين عصاصة والحرش بأنها في دمشق خلال شهر تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاولا ارتكاب القتل بدون عمد على افراد القوة المسلحة اثناء قيامهم بوظائفهم مع الملاحظة بأن هذا الجرم كان يقصد منه تأمين فرارها .

سادسا - يحرم المدعويين عصاصة ومعتوق والطرايشي والحصري والشماع والحفار والحافي والغندور والحرش بأنهم في خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حملوا مسدسات بدون رخصة .

سابعا - يتنازل عن اتهام عصاصة والحافي والغندور والحفش بشأن التهمة الموجهة اليهم بأنهم حاولوا مجتهدين ومتقنين في دمشق يوم ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن ارتكاب جريمة القتل عمدا على شخص المذكور الشهيد.

المادية المحسوسة، ولا كانت الاغراض البسيطة لا يمكن ان توجد لوحدها قناعة القاضي .

ولما كان ممكنا حتى وقريبا من الحقيقة ان الحرش عمد بiraعة - في سبيل افراح بعض منفذيه وحلمهم على الاقدام، وفي سبيل اخفاء دافعية ايضا من الاختصاصيين في التهيج ومن مشري الاضطرابات المايجورين في سورية وفلسطين - الى اثاره شكوك غير واضحة من شأنها التأثير على ذوي الية الحسة حول رجالات سياسيين من الرعيل الاول، والحرش الذي ائتراك اشتراكا فعليا في الاجتماعات التحضيرية وفي كل ما يتعلق بتنظيم الجريمة وهو الذي كان وحده من بين سائر المتهمين يلتجئ الى الخارج عند الضرورة .

فما يتعلق بالاسباب المخفية :

لما كان المجلس يعتبر ان هناك اسبابا مخفية تقديرية بحق :

١ - الشماع من حيث انه لم يقم بقسط فعال مثل شركائه في تنفيذ الجريمة، وان حالته الجسمية والعقلية قضت عليه بأن يقاد الى تأثير عصاصة ومعتوق وحله على اتباعها .

٢ - الغندور من حيث انه قام بقسط فعال في تقرير القتل ولكنه لعب دورا اقل ظهورا من دور شركائه ما دامت محاولة القتل الواقعة في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ قد ابعدت جزئيا من ساحة الاتهام .

٣ - الحافي من حيث انه اذا كان قد اشترك في مختلف الاجتماعات الجناية، فانه فيما عدا اعطائه مبلغا من المال لعصاصة ليدفع اجرة الدكتور لم يشترك الا في الأعمال التحضيرية وكان هو أيضا متقادا لتأثير عصاصة وصالح معتوق .

هذه الاسباب

فان المجلس يحكم بقرار واحد علنا ووجهاها بحق عصاصة ومعتوق وطرايشي وحصري وشماع وحافي وحفار وغندور وعاصم الناطلي وغيايا بحق الحرش وفوزي القباني وجمل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار .

## قرار المحكم

في يوم الثلاثاء الواقع في السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين اجتمع المجلس العدلي المؤلف بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ من السادة بول بوريفيه رئيس محكمة الاستئناف الناظرة في القضايا الأجنبية بحلب رئيسا، وعضوية غاستون غييير مستشار محكمة التمييز الناظرة في القضايا الأجنبية في سورية، وبورسف روكس عضو محكمة التمييز السورية وعبد الحميد المارديني عضو محكمة الاستئناف في حلب، ووجيه الشرايي رئيس محكمة بداية حصص، وبحضور الكومندان مصطفى حكمت العدوي مفوض الحكومة لدى محكمة الدرك السوري الذي جلس في مقعد النيابة العامة بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ يساعده الكابitan السيدان ادوار اني والياس باخوس والترجم المحلف السيد كامل عزيز.

اجتمع هذا المجلس في جلسة علنية بدمشق في قاعة البرلمان السوري لاجراء المحاكمة والحكم في الدعوى الجنائية التي جرى فيها الاستئناف ضد احد عصاة وشركائه بحسب قرار الاحالة المؤرخ في ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠.

وبعد ان اعلن ختام المحاكمة انسحب المجلس الى غرفة المذاكرة للتذاكر سرا بحسب ما تقتضي به المادتان ٢٨٩ و ٢٩٠ من قانون أصول المحاكمات الجزائية. وبعد هذه المذاكرة عاد المجلس الى الجلسة العلنية التي استؤنفت، وبعد ان تأكد الرئيس من حضور المتهمين ووكلائهم والنائب العام تلا نص

ثامنا - يتنازل عن اتهام فوزي القباني وعاصم الناطلي وجيل مردم ولطفي الحفار وسعد الله الجابري لأجل التهم التي كانوا ملاحقين بشأنها وضع هذا المحكم وتلي في جلسة علنية بدمشق في اليوم والشهر والسنة المذكورة اعلاه.

ونقله الى اللغة العربية الترجمان المحلف.

- قرار البراءة -

نحن بوريفيه رئيس المجلس العدلي.

بناء على المادة ٢٩٢ من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

وبناء على القرار الصادر في هذا اليوم ولتضمن العدول عن تجريم عاصم الناطلي وفوزي القباني وجيل مردم ولطفي الحفار وسعد الله الجابري بسبب الاعمال التي كانوا ملاحقين بشأنها.

نعلن براءتهم من التهمة المنسوبة اليهم.

نقر اخلاء سبيل عاصم الناطلي فورا ان لم يكن موقوفا لسبب آخر.

ونعلن ان هذا القرار ينفذ بمعززة حضرة النائب العام.

ونعلن رفع الحجز الواقع على أموال المتهمين الغائبين غير المنقولة واعادتها الى اصحابها.

وضع وتلي في جلسة علنية بدمشق في السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين.

وحيث ان النصوص التي تألف المجلس العدلي بوجهها في أول ايلول ١٩٢٥ لم تلغ صراحة وكان من الواجب لهذا السبب اعتبارها نافذة المفعول.

وبعد استماع حضرة النائب العام وكلاء الدفاع والتهمين الذين كانت لهم الكلمة الأخيرة في ملاحظاتهم ووسائل دفاعهم.

وبعد ان تذاكر في القضية وفقا للقانون.

ثالثاً - فيما يتعلق بمصالح معترف:

أ - عن التهمة الأولى: اشترك الجريئة:

لما كان ثابتاً من تحقيق الشرطة ومن الاستنتاج المحلي واستنتاج الكولونيل كوترو، وكذلك من سير المحاكمة والرسالة التي كتبها معترف في السجن والرسالة الى عصاصة (صحيفة ٧٦ من تحقيق كوترو) ان صالح معترف بسبب التأثير الذي يحدته بصفته الدينية على سامعيه المداومين على استماع دروسه وتفسيراته يحمل قسماً كبيراً من التبعة المعنوية في الجريئة، وكانت مساعدهه باشتراكه في تهمة أسباب الاغتيال ثابتة باشتراكه الفعلي في القتل بقيامه بالمرافقة في غرفة الانتظار في منزل المذكور في يوم ٦ تموز ١٩٤٠، وكذلك عدى أقواله في الجامع فيما يختص بحق القتل الذي يبرره الذين إزاء الأعجال النسوية للمذكور الشهيد.

ب - التهمة الثانية: حمل سلاح بدون رخصة:

لما كانت هذه التهمة ثابتة من افادات المشتركين بالجناية وكذلك من اعترافات المتهم في جلسة يوم ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠.

رابعاً - فيما يتعلق بسعيد الحصري:

أ - التهمة الأولى: اشترك في الجريئة بالمعاونة

لما كان الحصري قد اشترك في تنفيذ الجريئة بعد ان قررت كيفية القتل في الاجتماعات التي عقدت في جامع النورية وبعد الاحاديث التي تبودلت في نزوة الربوة، وكان الحصري قد رافق عصاصة يوم ٦ تموز ١٩٤٠ الى

القرار الآتي:

ان المجلس العدلي

باسم الشعب السوري

بعد ان تذاكر في القضية وفقا للقانون علناً ووجهاها بحق المتهمين الحاضرين وغيباً بحق محمد الحرش:

بناء على القرار الصادر بتاريخ هذا اليوم والنقضين:

أولاً - تجريم عصاصة بأنه ارتكب في دمشق في يوم ٥ تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن جريئة القتل عمداً على شخص المذكور شهيد.

ثانياً - وتجريم معترف الطرابلسي والحصري والشماع لاشتراكهم في نفس ظروف الزمان والمكان في الجريئة المذكورة بالمساعدة والمعاونة.

ثالثاً - وتجريم الحفار والحرش بأنها في دمشق خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشتركا مع عصاصة بخرقه على ارتكاب القتل عمداً باعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكابها ومعاورته ومساعدته بالتعليمات.

رابعاً - وتجريم الغندور والحافي بأنها في نفس ظروف الزمان والمكان اشتركا في القتل عمداً الذي اقترفه عصاصة بمساعدتها في تهمة ونسهيل انجاز الجريئة المذكورة.

خامساً - وتجريم عصاصة والحرش بأنها في دمشق خلال شهر تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حولا ارتكاب القتل بدون عمد على افراد القوة المسلحة أثناء قيامهم بوظائفهم مع الملاحظة بأن هذا الجرم كان يقصد منه تأيين قراها.

سادساً - تجريم عصاصة ومعترف والطرابلسي والحصري والشماع والحفار والحافي والغندور والحرش بأنهم في خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حملوا مسدسات بدون رخصة. وبناء على المرسومين رقم ٧٦٧ و ٧٦٨ الصادرين في ٧ آب ١٩٤٠.

ب - عن التهمة الأولى : الاشتراك في الجريمة بالمساعدة والمعاونة :

لا كان الشماع قد اشترك في الاجتماعات التي تقرر فيها قتل الدكتور شهنيد وفي مساعدته لهيئة هذا الجرم واشترك في تنفيذه بقيامه بالراقبة بجانب السيارة المارطة بالقرب من منزل الدكتور شهنيد بينما كان الجرم ينفذ ، تلك السيارة التي استأجرها عصاصة لتأمين فواره وفرار شركائه بعد تنفيذ الجريمة والتي أعطاهما وجهة لتسهيل الفرار .

ج - عن التهمة الثانية : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتا من التحقيق ( اعتراف المصري استطلاع الكولونيل كويتو صفحة ٧٩ و ٩٠ ، ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ . ( ان الشماع كان يحمل مسدساً بدون رخصة على الأقل يوم السبت في ٦ تموز ١٩٤٠ ) .

سادسا - فيما يتعلق بسامي سمعو الحفار :

أ - عن التهمة الأولى : تخريض على القتل بالمال والوعود والمساعدة :

لا كان ثابتا أنه بالرغم من انكاره المتعادي في أثناء التحقيق وفي المحاكمة وبالرغم من تصريحاته الغامضة في جلسة الاثنين ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ انه إذا لم يثبت ان الحفار أغرى عصاصة وشركائه بالمال والوعود عما لا شك فيه ان الحفار عمل على إيجاد السلاح فلم وهو يعلم حق العلم وجهتهم ، وكان الحفار ليلاً الجريمة هو الذي أعطى عصاصة المسدسات الموضوعة في متبيل وذلك بالاشتراك مع الحفرش ( صفحة ٣٣ اعتراف عصاصة ) وكان اشترك كذلك في الاجتماعات التي عقدت في الجامع الأموي ( استطلاع المحي صفحة ٦٢ استطلاع الكولونيل كويتو صفحة ٦٤ ) وكان قد ساهم بالمساعدة والمعاونة باعتباره مساعد الحفرش الأمين والحفرش معه على تنظيم مشروع القتل والعمل على إنجاحه ( الصفحة ١٠٠ من استطلاع الكولونيل كويتو تصريحات عصاصة ) .

ب - التهمة الثانية : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتا من التحقيق ومن المناقشات في المحكمة ان الحفار إذا لم يقدم الاسلحة مباشرة فانه قام بجمعة الوسيط بين الحفرش وبين عصاصة لأجل

سوق التبن لشراء سلّة « قفاح » كما تقرر في سبيل اهدائها الى الدكتور وكان المصري قد بقي في الشارع يقوم بالحراسة على مقرية من منزل المفدور لا يبعد كل خطر بينما كانت الجريمة تقترب .

ب - عن التهمة الثانية : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتا ان المصري كان يحمل سلاحا على الأقل يوم ٦ تموز ١٩٤٠ ( الاستطلاع المحلي صفحة ١٨ تصريح الحلواني وتصريح المصري صفحة ٢٠ وجواب المصري أمام الكولونيل كويتو صفحة ٩٠ ) .

وان هذا الجرم قد اعترف به المصري في جلسة الاثنين في ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ .

خامسا - فيما يتعلق بالشماع :

أ - لا كان الشماع في أثناء التحقيق وفي خلال مناقشات المجلس ( المذكورة المقدمة يوم ٢٨ كانون الأول ١٩٤٠ ) قد ادعى بأنه لم يبلغ بعد سن الرشد لأن عمره لا يتجاوز ١٧ عاما ، وكان المجلس يملك حق تقدير صحة مثل هذه الأقوال او عدم صحتها . ولما كانت مصلحة النفوس التي راجعها المستنطق المحلي في ١٥ تموز ١٩٤٠ قد اخبرت هذا القاضي في ١٦ تموز ١٩٤٠ ( الاستطلاع المحلي صفحة ٢٨ ) أن الشماع مقيد في سجلات النفوس بأنه مولود في سنة ١٩٢٠ ، وكان التصريح عن ولادته قد اعطي في ٣٠ ايلول ١٩٢٦ كما أوضح ذلك بناء على طلب المجلس أثناء الجلسات ، وكان لا يمكن التسليم بأن والد الشماع قد اعطى عند التصريح عن ولادته تصريحاً مكذوباً أو ارتكب غلطة فاحشة تشمل ثلاث سنوات في تقدير عمر ابنه الذي كان كل يوم تحت سمعه وبصره ، وكانت هذه الغلطة لم يُدَّخ بها قبل الجريمة ، وكان يجدر بسبب ذلك اعتبار مذكرة الشماع التي يطلب فيها فحصاً طبياً غير صحيحة ولا سيما وان هيئته الخارجية وطريقة الدفاع التي يتبناها سواء في أثناء التحقيق أو في المحاكمة ، فان المجلس يعتبر ان التهم المذكور قد بلغ درجة من النمو الفكري والجسمي تنطبق على السن المعطى له .

المنافسات بتلاوة ضبط المحاكمة.

ب - عن التهمة الأولى : الاشتراك في القتل بالمساعدة والمعاونة . لما كان المندور قد عول بعد المحاولة الفاشلة في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ التي كان مكلفا فيها شخصيا بقتل الدكتور الشهيد قد أثر السفر الى جبل الدروز ثم الى قرية « بلدة » وكان ثابتا مع ذلك انه اشترك في أكثر الاجتماعات التي عقدت في الجوامع حيث اشترك مع عصاصة والحرش وجميع الآخرين في تقرير قتل الدكتور الشهيد ( الاستنتاج المحلي صفحة ٤٤ ، واستنتاج الكولونيل كويتو صفحة ١٠٥ ومنافسات المجلس ) .

ج - عن التهمة الثانية محاولة القتل في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :  
لما كان يجدر فيما يتعلق بهذه التهمة العودة الى الأسباب المذكورة اعلاه والمتعلقة بالتهمة نفسها الموجهة الى عصاصة .

د - عن التهمة الثالثة : حمل سلاح بدون رخصة :  
لما كان ثابتا من اعترافات المندور انه أعطى إليه مسدس وأن هذا المسدس قد أعاده إلى الجمار بعد فشل الإغتيال المقرر ( الاستنتاج المحلي صفحة ٤١ واستنتاج الكولونيل كويتو صفحة ١٠٨ ومنافسات المجلس ) .

تاسعا - فيما يتعلق بمحمد الحرش الملقب بأبي صباح :  
لما كانت مسألة المال والوعود التي أعطاها الحرش بحسب ما جاء في أقوال بعض الهميين قد نبتت على التتابع في الاستنتاج وفي المحاكمة ، وكان مما لا شك فيه مع ذلك أن الحرش كان المحرض الحقيقي على القتل ، واستطاع بهارته ان يحل محل أسباب القتل الحقيقية حججا ذات صفة دينية وسياسة وطنية من شأنها ان تحمل على عدم تردد الرجال المنفذين الذين اختارهم خصيصا للقيام بالمهمة التي تعهد ان يسر بها الى نهايتها الموقفة والتي أعطى شخصيا من أجلها أثناء الاجتماعات التعليمات المفيدة ودبر الأسلحة .

ب - عن التهمة الثانية : محاولة قتل رجال القوة المسلحة بدون عمد :  
لما كان ثابتا من اعتراف عصاصة أنه يوم الجمعة في ١٢ توز ١٩٤٠ بعد

تأمين قتل الأسلحة ، وأنه على الأقل في يوم الجمعة ٥ توز ١٩٤٠ نقل مع الحرش الى جامع ذكر عدة مسدسات موضوعة ضمن منديل ، وأنه بالإضافة الى ذلك اعطى المندور في شهر توز ١٩٤٠ مسدسا من جنس « سان اتين » كما اعطى الحاشي مسدسا آخر من جنس « برونغ » ( التحقيق المحلي صفحة ٥٥ وتحقيق الكولونيل كويتو صفحة ٣١ ) وكان بذلك قد حل سلاحا بدون رخصة .

سابعا - فيما يتعلق بمحمد بن خيرو الحاشي :  
أ - عن التهمة الأولى : الاشتراك بالمساعدة والمعاونة :

لما كان مما ينتج عن التحقيق وعن منافسات المجلس ان الحاشي جعل نفسه شريكا في جريمة القتل التي وقعت بحضوره الاجتماعات في الجوامع مع القتال وشركائه بالقتل واعطائه مبلغا من المال لعصاصة يدفع به أجرة طبيب عن الزبارة التحضيرية ( الاستنتاج المحلي صفحة ٥٥ واستنتاج الكولونيل كويتو ١١٠ ) وبإيجاره عن عصاصة بعد الجريمة .

ب - عن التهمة الثانية : محاولة القتل في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :  
لما كان يجدر ان نعود في هذا الصدد الى الأسباب المذكورة اعلاه والمتعلقة بالتهمة نفسها الموجهة الى عصاصة .

ج - عن التهمة الثالثة : حمل سلاح بدون رخصة :  
لما كان ثابتا في التحقيق ان الجمار اعطى الحاشي مسدسا من نوع « برونغ » عند محاولة القتل المفترة والتي لم تنتج في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ بالنظر لغياب الدكتور الشهيد ( الاستنتاج المحلي صفحة ٥٥ ) وأنه في ذلك اليوم على الأقل حمل الحاشي سلاحا بدون رخصة .

ثامنا - فيما يتعلق بتحليل المندور :  
أ - لما كان ثابتا خلافا للمذكرة المقدمة من قبل المندور في ٢٨ كانون الأول ١٩٤٠ انه لم تجر المحاكمة بحقه غيابا في وقت من الأوقات ، وكان الاستنتاج الذي جرى على حدة بالنسبة لكل واحد من المتهمين في سبيل معرفة الحقيقة واستنادا الى حق الرئيس قد أبلغ إليه في أثناء



الأصلي، أن أصول المحاكمات الجزائية المتعلقة بالمحاكمات الغيابية يجري تطبيقها لدى هذه المحكمة.

- المادة ١٧٠ : من قتل إنسان عمداً أو قتل أحد أبائه أو أجداده أو أمهاته أو جداته قصداً ولو عن غير عمد يجوز بالإعدام.

- المادة ١٧٤ : من قتل إنساناً قصداً من غير عمد يوضع في الكوروك (السجن) خمس عشرة سنة.

ويجوز الفاعل بالإعدام إذا وقع فعل القتل تبينة أو تسهلاً أو إجراء جرم آخر أو تورثاً من قرار الفاعل الأصلي أو الفرعي لذلك الجرم أو لبقائه بدون عقوبة القاتل.

- المادة ٤٥ : من قانون الجرائم - من أغوى غيره على ارتكاب جنائية أو جنحة باعطائه هدية أو نقوداً أو بأعمال التهديد أو الخيلة والديسيسة أو بصرف النفوذ أو بأساسة الاستعمال في حكم الأمورية، ومن كان وفقاً على ما سبق من جنائية أو جنحة وساعد على حصولها بالرشاوى، ومن أقر بالأسلحة والالات وسائر الوسائط التي تقع بها الجنائية أو الجنحة مع علمه بما سيكون من أمرها، ومن علون الفاعل الأصلي في الأفعال المسبب عنها أعداد جنائية أو جنحة أو تسهلاً أو اكتمالاً وهو عالم بأمر الحال يعدون ذوي تدخل فرعي في تلك الجنائية أو الجنحة.

- المادة ٤٦ : من قانون الجرائم، إذا أتم جميع الأفعال الإجرائية للجنائية التي صمم عليها، ولكن لجيلة أسباب مانعة لم يكن هو فيها مختاراً لم تظهر تلك الجنائية للوجود وكان ذلك في موضح لم يصرح به القانون، فإن كان ذلك الفعل مستوجباً لجرائم الإعدام أو الكوروك أو حبس القلعة المؤبد حكم عليه بالكوروك المؤقت لا أقل من عشر سنوات، وإن كان الفعل مستوجباً لجرائم حبس القلعة مؤبداً حبس فيها لا أقل من عشر سنوات.

- المادة ٤٧ : من قانون الجرائم : إذا وجد في جريمة أسباب تقديرية توجب تخفيف العقوبة حول جزاء الإعدام إلى الكوروك المؤبد أو الكوروك المؤقت أقل من خمسة عشر سنة.

أن قضى الحرس ليلته في الساتين ودوهم في الصباح من قبل رجال القوة المسلحة أطلق النار على ملاحقيه ليحول دون توقيفه، وكانت هذه التهمة يعتبرها المجلس جديرة بالعقاب كما هو الشأن بالنسبة لمصاصه إذا ان المناسية الفجائية التي هي هنا عدم إصابة الهدف بسبب الإطلاق السريع أثناء الحرب والتي حالت دون التنفيذ التام وبلغ الغاية التي يقصدها المتهم لا تمنع في حالة عدم إقامتها كون الجريمة ارتكبت بتمامها على إرادة المتهم الذي لا يمكنه بعد إطلاق الرصاص الرجوع عنها من ذات نفسه.

ج - عن التهمة الثالثة : محاولة القتل في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :

لا كان يجدر فيما يتعلق في هذه التهمة العودة إلى الأسباب المذكورة أعلاه والمتعلقة بالتهمة ذاتها الموجهة إلى عصاصة.

د - عن التهمة الرابعة : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كانت هذه التهمة يبررها كون الحرس نقل مع الحقل يوم الجمعة في ٥ تموز ١٩٤٠ عدداً من الأسلحة موضوعة ضمن مسدس وأنه في ١٢ تموز ١٩٤٠ وهو يحمل سلاحاً أطلق النار على رجال الشرطة الذين كانوا يلاحقونه لتوقيفه.

ولا كانت الأفعال التي اقترفتها عصاصة، والطرابلسي، ومعتوق، والحصري، والشماخ، والحافي، والحفار، والفندور، والحرش تقع تحت طائلة المواد ٦ من القرار ٣٦٤ الصادر في أيلول عام ١٩٢٥ و ١٧٤٠، ١٧٤٠، ٤٥، ٤٩ من قانون الجرائم ٢، ٣ من القرار ٧٦٦ و ٢٩٩ من قانون أصول المحاكمات الجزائية و ١ من القرار ٢٨٥ ل. د. و ٤٦ و ١١ من قانون الجرائم وهذه نصوصها :

- المادة ٦ من القرار ٣٦٤ - تجري المحاكمة والحكم لدى المحكمة المشار إليها وفقاً للأصول المنصوص عنها في المواد ٢٦٣ إلى ٣١٢ من أصول المحاكمات الجزائية، وعند اللزوم يمكن للمحكمة أن تقرر إجراء المحاكمة سرا. إن المقررات الواجب تطبيقها في المنصوص عنها في قانون الجرائم، إنما فاعلو الجرم المشتركين به والذين لهم تدخل فرعي يعاقبون كفاعل

الحاقى وعزت الشماخ وخليل الغندور بالاشتغال الشاقة لمدة خمسة عشر سنة وتبني الإقامة مدة عشرين سنة، ويحكم عليهم متكافئين متضامنين بالصلريف.

ولا كان المدعو الحرش قارا، يقرر بأن تبلغ نسخة من هذا القرار خلال ثمانية أيام الى مدير املاك الدولة في محل اقامة المتهم الفار.

ويقرر إذاعة هذا الحكم فيما يتعلق به ضمن الأشكال والمهل المنصوص عليها في المادة ٣٧٨ من قانون أصول المحاكمات الجزائية وتنفيذه بجمرة حضرة النائب العام ويقرر مصادرة السلاح ومصادرة الذخائر المضبوطة كادلة ثبوت، وضح في دمشق وتلي في جلسة علنية في اليوم والشهر والسنة المذكورة أعلاه.

#### القرار المدني

في يوم الثلاثاء الواقع في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٤١ اجتمع المجلس العدلي المؤلف بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ من السادة بول بوريفيه رئيس محكمة الاستئناف الناظرة في القضايا الأجنبية رئيس وعضوية غاستون غير مستشار محكمة التمييز الناظرة في القضايا الأجنبية في سوريا ويوسف روكس عضو محكمة التمييز السورية وعبد الحميد المارديني عضو محكمة الاستئناف في حلب ووجيه الشرابي رئيس محكمة بداية حمص وبحضور القومندان مصطفى حكمت العدوي مفوض الحكومة لدى محكمة الدرك السوري الذي جلس في مقعد النيابة العامة بموجب المرسوم ٧٦٧ يساعده الكاتبان باخوس والترجم المكلف السيد كامل عزيز.

اجتمع هذا المجلس بدمشق في جلسة علنية في قاعة البرلمان السوري لاجراء المحاكمة والحكم في القضية الجنائية التي جرى فيها الاستئناف ضد أحمد عصاصة وشركائه بحسب قرار الإحالة المؤرخ في ١٣ تشرين ١٩٤٠. وبعد ان اعلن ختام المحاكمة وتناقش المجلس في القضية على قرار المحكمة وفقا للقانون أصدر القرار التالي:

- المادة ١١: من قانون الجزاء: ان إيفاء مصاريف المحاكمة عاقدة على المحكوم عليه، ولذا حكم على عدة أشخاص بجرم واحد فكل منهم كفيل عن الآخر برد المال وإعطاء الضمان ومصاريف المحاكمة وله حق الرجوع عليه بخصته.

- المادة ٢: من القرار ٧٣٦ - لا يمكن لأحد ان يتجول او يقيم على هذه الاراضي وهو يحمل السلاح الناري في القرار ٣١٣ او يحتفظ بالسلاح المذكور اذا لم يكن لديه رخصة من الأتموزج الربوط بهذا القرار.

- المادة ٨ من القرار ٧٣٦ - كل من يحمل سلاحا ممنوعا يعاقب بالسجن من يوم الى ستة أشهر أو بغرامة تتراوح بين قرش سوري ذهب الى ليرتين سوريين ذهب، وعلى كل حال فان الأسلحة والذخائر والمواد الحربية المضبوطة تصادر.

- المادة ٣ من القرار ٧٨٥ ل. ر. لا يمكن في حال من الأحوال ان يتجاوز منع الإقامة عشرين سنة ولا ان يقل عن سنة واحدة.

إن الجرم الذي يعاقب بعقوبة الاشتغال المؤقتة أو السجن يخضعون حكما بعد انقضاء مدة العقوبة وبلدة عشرين سنة لمنع الإقامة. على انه يمكن ان يخفف قرار الحكم مدة منع الإقامة او ان يصرح بأن المحكومين لا يخضعون لها.

- المادة ٢٩٩ من قانون أصول المحاكمات الجزائية: اذا وجد عدة جبايات معا فتحكم المحكمة بالجزاء المعين للجرم الأشد عقوبة.

#### لهذه الأسباب

بعد ان تناقش المجلس في القضية وفقا للقانون تحكم بقرار واحد علنا ووجاهة بحق عصاصة والطرايشي ومعنوق والحصري والحفار والتندوروعنيايا بحق الحرش.

ترد المذكرة المقدمة من الأستاذ الشحلاوي وكلل الحفار لأنها غير صحيحة ويحكم على أحمد عصاصة، أحمد الطرايشي، صالح معنوق، سعيد الحصري، سامي الحفار، ومحمد الحرش بالاعدام ويحكم على كل من محمد

باسم الشعب السوري:

بناء على مذكرة الإدعاء الشخصي وبناء على المادة ٨ من القرار ٣٦٤ وعلى القرار الصادر بتاريخ هذا اليوم بحكم احمد عصاصة ورفاقه الآخرين، وحيث ان الضرر العمومي والمادي الذي وقع على عملي الادعاء الشخصي من جراء قتل الدكتور شهيد ثابث الرضوح.

وحيث انه يجدر تلبية المطالب الواردة في مذكرة الادعاء الشخصي الخلقية والموضحة في الجلسة، لأن المجلس استجمع من اصابة الدعوى وفي أثناء المحاكمة العناصر الضرورية لتقدير كمية التعويض.

#### هذه الأسباب

وبعد ان تناقش المجلس في القضية، بحكم علينا، غاييا بحق الحرش ووجاها بحق الآخرين.

يحكم على احمد عصاصة واحمد الطرايشي وصالح معنوق وسعيد الحموري وعزت الشماخ ومحمد الحايقي وسامي الحفار وخيل العندور ومحمد الحرش بأن يدفعوا للادعاء الشخصي بصفة تعويض مادي ومعنوي أولا: اللية الشرعية. ثانيا مبلغ خمسين ألف ليرة سورية بصفة اضرار وتحكمهم بجميع المصاريف مضافتين.

وضع وتلي في جلسة علنية بدمشق في اليوم والشهر والسنة المذكورة. ترجم هذا القرار وأوضحه باللغة العربية المترجم المحلف.

القصة لالاستاسع

العرال الشمينر

نس غزال الله فأنس لهم أنفس لهم

صوة الله والطهم

## بلاغ

كان خصوم الشهيد من حاقدين وحاسدين يشعرون في الشعب ( قبل يقولون اغتياله ) بواسطة أذنابهم كل ما من شأنه أن يسيء إلى سمعته ويحط من صانع الانجليز قدره للقضاء على زعامته بعد أن أفحمهم في حلبة المطلق وسداد الرأي وخابر الفرنسيين وخلفهم وراءه فمن ذلكادعاءهم أن الدكتور شهيد :

- ١ - كان يصانع الانجليز - للتدليل ضمنا على أنه كان عميلا لهم .
- ٢ - وكان يجابر الفرنسيين سرا للتشكيك في وطنيته .
- ٣ - وأنه قابل الشيخ تاج الدين الحسيني في باريس عام ١٩٣٧ وعاطف مع السيد صبحي بركات الحالدي وكانوا زرعوا في أفكار الناس قبلا أن هذين الرئيسين كانا منصورين من قبل الفرنسيين وسادام الأمر كذلك فإنها خائنان ولا يجوز التعاون معها .

وكل ذلك افتراء منهم على الزعيم الكبير وعلى الرئيسين معا .

فقد صحبت الزعيم الشهيد عشرين عاما تفذت خلالها الى روحه وعرفت كل ما تنطوي عليه نفسه الكبيرة الأبية من حب لوطنه وتفصحية في سبيله ومن صدق في القول وإخلاص في العمل كما عرفت بعده عن الخداع والتضليل والكذب والتدجيل لذلك أستطيع أن أرد هذه التهمة بشدة وعنف وبالدليل القاطع والبرهان الساطع فأقول :

لم يكن الزعيم الكبير ولا يمكن أن يكون في يوم من الأيام عميلا لأية دولة من دول العالم بل كان زعيما وطنيا مخلصا لأمته وبلاده عمل خيرا كراما يستطيع وفوق ما يستطيع حاملا بيناته سورية العربية وييسر له دولة العرب الكبرى ، وكيف يكون عميلا وهو الذي تزعم حادثة المستر ( كراين )

دولتكم قد تلقيتم رسالتي المؤرخة في أول حزيران المعبر عن شكر الشعب السوري بتدخل الحكومة البريطانية وقد أكدت أنا وحكومي لوزير صاحب الجلالة البريطانية بدمشق والقائد الأعلى البريطاني أننا نريد التعاون فقط مع السلطات البريطانية في المهمة الرامية إلى إقرار الأمن والنظام في سوريا<sup>(٢)</sup>.

وتستطيعون أن تتأكدوا يا صاحب الدولة أن تعاوننا مع السلطات البريطانية سيثمر خير الثمار .

وهل كان الاستاذ الكبير السيد فارس الخوري من عملاء الانكليز عندما كان يوضح لمجلس الأمن هذه المناسبة أثناء اجتماعه في ١٤ شباط ١٩٤٦ برئاسة المستر (ماكن) « الأسترالي » موقف سورية من الجيوش البريطانية التي لم تكن محتلة بل كانت موجودة مع الجيوش الفرنسية في البلاد .

( يبدو لي أنني أكون غير منصف إذا لم أذكر اعتراف الحكومة السورية وشعبها بالشكر لبريطانيا العظمى على ما أمدت به بلادنا خلال الحربين الماضيتين من المعونة العسكرية والسياسية والاقتصادية وأنقذتها مرات من الدمار ) .

وعليّ أن أشرح كلمة ( في آن واحد ) التي استعملتها في كلامي فلو أننا رضينا في جلاء الجيوش الأجنبية منفصلة لكان بإمكاننا أن نحصل على موافقة الحكومة البريطانية بسهولة على سحب جيوشها ولكن نريد أن يتم سحب الجيوش كلها في آن واحد<sup>(٣)</sup>.

ثم هل كان السيد سعد الله الجابري رئيس مجلس الوزراء السوري عميلاً انكليزياً أيضاً عندما شارك السيد شكري القوتلي في شكوه بريطانيا العظمى على تدخلها ساعة المحنة ، وعلى دفعها فوق ذلك شيح الجباجة عن الشام حيث قال في اجتماع مجلس الجامعة العربية العبارة التالية :

(٢) من الجزء الأخير من مذكرات المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية المدرج في العدد ٢٣٢٦ من جريدة الحياة البيروتية الصادر في ٣ كانون الأول ١٩٥٣ .

(٣) عن جريدة مجلس الأمن تاريخ ٢١ شباط ١٩٤٦ الرقم ٢٨٠ .

أو أول صرخة دوت في البلاد ضد المستعمر الفاضب عام ١٩٢٢ وحكم عليه من أجلها بالسجن عشرين عاماً قضى منها في سجون دمشق وبيت الدين وأرواد نحو تسعة عشر شهراً<sup>(١)</sup> وكيف يكون عميلاً وهو الذي أشعل نار الثورة الوطنية السورية عام ١٩٢٥ في جبل الدروز والغوطة وجمال في ساحاتها عابدين كاملين وكان الزعيم السياسي لما كما كان سلطان باشا الأطرش قائدها العام وقد حكم عليه الفرنسيون من أجلها بالإعدام .

على أنه إذا كان يرى بعد نظره أن كل دولة مثل سوريا لا بد لها في أول حياتها من مؤازرة السياسة الدولية لها عن طريق دولة صديقة من الدول الكبرى تدعمها وتكون عوناً وسنداً لها في قضاياها ريثما تقف على قدميها مقابل المحافظة على مصالح هذه الدولة بما لا يحس الاستقلال لتلك الدولة الناشئة وسيادتها ، وأنه إذا كان يرى أيضاً ( اجتهداً منه ) أن تكون هذه الدولة الكبيرة بريطانيا العظمى مثلاً ، فهل من الانصاف أن يتهم من أجل رأيه البريء هذا بأنه كان عميلاً ؟ وهنا يجن لي أن أنساهل :

أ - هل هناك زعيم عربي لم يعمل اليوم بمثل رأي الشهيد ويعتمد على دولة صديقة كبرى تدعم بلاده وتؤازرها في المجالات الدولية ؟

ب - هل كان السيد شكري القوتلي عميلاً للانكليز عندما ناشد المستر شون وزير بريطانيا المقروض وضع حد للعدوان الغادر الأثيم الذي قام به الفرنسيون على مدينة دمشق في ٢٩ و ٣٠ أيار ١٩٤٥ بضررها بالمدافع والدبابات والرشاشات ؟

وهل كان عميلاً انكليزياً عندما بعث إلى المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية الرسالة الآتية التي يشكر فيها باسم الشعب السوري الحكومة البريطانية على باهر صنعها وتدخلها السريع الحاسم الذي اضطر معه الفرنسيون لوقف إطلاق النار والانسحاب إلى كنانتهم ؟

( لقد بعثت برسالتي المؤرخة في ٣١ أيار إلى دولتكم في غمرة من تأثري الناجم عن قصف الفرنسيين مدينة دمشق وعن الآلام التي احتملها الشعب السوري ولم تكن رسالتي تتضمن أية مبالغة . ولا شك أن

(١) حادثة المستر كراين مدرجة بتفاصيلها في الجزء الأول من مذكرات حسن الحكيم .

بعد وفاة سليم باشا الأطرش في سنة ١٩٢٣ عين المندوب السامي الفرنسي الكابتن كارييه حاكماً على الجبل خلافاً للاتفاق المبرم مع الدروز ، وهذا الموظف الذي اشتهر بسوء السيرة في حياته الخاصة والعامة واعتمد على فريق من المواطنين الذين فسدت أخلاقهم نهج في الجبل سياسة الارهاب والافساد ، فبدلاً من أن يدير شؤون البلاد عمد الى دسّ الدساتين وهذه مقتطفات من وثيقة طويلة لذي قدمت رسمياً الى الجنرال ساراي في ٦ يوليو سنة ١٩٢٥ عن أعمال الكابتن كارييه :

١ - كان عدد من رجال الجندرية المسلحين بالعصي مخصصين لإهانة الناس وضربهم تنفيذا لرغائب الكابتن كارييه ورجال حاشيته بدلاً من أن يقوموا بالواجبات المفروضة عليهم .

٢ - اعتقل حامد كركوت من أعيان قرية زيلان مدة خمسة أشهر من دون سبب ولا محاكمة وكان يهان ويضرب في الصباح والمساء لأقل وشاية من أحد الجواسيس .

٣ - جلد المدعو حسن كابسول من قرية رمة رمسة المصحف حتى مرق لحمه لأنه أهمل أن يحجي الكبورال دسوتيل في أثناء مروره على الطريق العام .

٤ - نصب المدعو ساسي الذي يشغل وظيفتين وظيفية وجاسوس ووظيفة في المستشفى شركاً لإغراء بعض النساء الدرزيات . وقد حاول ابن عمه المدعو حسين مورك أن ينصحه بالمدول عن هذا المشروع الذي كان يحتفل أن يؤدي الى نتائج مؤلة . ولكن هذه النصيحة سببت شقاه لأن ساسي شكاه الى اللبوتين موريل الذي اعتقله مدة عشرة أيام كان يجلد خلالها في الصباح وعند الظهر وفي المساء ويكره على أن يقضي بهاره مكشوف الرأس حافي القدمين في تكسير الحجارة وينام في مخزن للفحم .

٥ - اعتقل المدعو وهبه جاشوش وضرب ضرباً مبرحاً في السوردياء لأنه رفض أن يؤجر منزله .

٦ - أطلق الكبورال دسوتيل عدة طلقات من مسدسه على ماهر بك الحللاحي مدير العدلية العام ، ولم يزل عقاباً على عمله الجنائي هذا .

( وانك أنتهز هذه الفرصة لاسدي الشكر الى كل من أمد سورية في محتها فأنهضن حكومة بريطانيا العظمى منه بالقدر الذي يستحقه تدخلها في ساعات اهل دول تدخل وضع حدا لذلك الشر المستطير الذي أنزله الجنرال ديغول ورجاله بدمشق ومساير المدن السورية فحققت الدماء وأوقفت التخريب والتدمير والنهب والسلب ، وأشكروها كذلك على ما وفرتة عن الشام من هول جاعة كادت تقع حتاً<sup>(٤)</sup> .

إذ أحرق الفرنسيون ما فيها من ذخيرة القمع انتقاماً ونشفاً وأشكروا بريطانيا فوق هذا وذاك لأنها تدخلت تدخل حصرته في ناحية الأكرى العسكري فقط ولم تتجاوزة الى ما عس سيادة البلاد واستقلالها).

### ولمّا تفهّموا حجاب الفرنسيين سترّوا

وبعبث هذه التهمة هو الكتاب الذي أرسله الزعيم الى وزارة الخارجية الفرنسية وهو في ميدان الثورة وهذا كان سراً وكان عملاً وطنياً بعيداً عن كل غاية أخرى ، ففي هذا الكتاب يشرح الزعيم هذه الوزارة أسباب الثورة الوطنية السورية ويطالب فرنسا بانتهاج سياسة مسألة وبالاغتراف بحقوق الشعب السوري المشروعة في الاستقلال والسيادة إن أرادت فرنسا المحافظة على مصالحها في هذه البقعة من بقاع الشرق ، وكان سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة نفسه على علم أساساً بهذا الكتاب ، حتى أن اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني نشرته في كتابها (المفاوضات مع المسو هنري دي جوفل) كوثيقة تاريخية. وهذا هو نص الكتاب الذي يقول المحضوم بصدده بأن الزعيم كان يجابر الفرنسيين سراً للتشكيك في وطنيته :

أشرف بأن أبسط لسعادتك الثورة التي نشبت أخيراً في جبل الدروز والنتائج المنتظرة منها والحالة الحاضرة في سائر أنحاء سورية .

(٤) من النص الرسمي للمحاضر الختامية لجلسات دور الاجتماع المادي الأول لجلسات الجامعة العربية المنعقدة بين ٢٣ جادي الأخرى ١٣١٤ وغرة رجب ١٣١٤ الموافق ١١/٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ . آخر الصفحة ٢٣ من المحاضرة المذكورة وفي مرفقها رقم (٣) .

ولا تزال الثورة التي نشبت في جبل الدروز تتسع نطاقا حتى أوشكت أن نعم سورية كلها . وهذه نتيجة لازمة لسياسة الضغط والرهاق التي وضع أسسها الجنرال غورو وسار عليها حلفاؤه من بعده . أما قواعده هذه السياسية فهي :

- ١ - جمع كل أنواع السلطة في يد المفوض السامي .
- ٢ - خنق كل الأفكار الحرة .
- ٣ - استغلال البلاد وأهلها من غير إبقاء على شيء .

وقد اعتزلت العناصر الوطنية المتورة العمل ودحا من الزمن متوقعة فشل هذه السياسة من جهة واتهاج طريق أخرى تكفل للبلاد حقوقها وتحقق الآمال التي أصرت عليها بلسان الجماعات التي فرضتها .

على أنه لم يطرأ أقل تعديل جوهري مع أن النتائج جاءت سيئة جدا . وكانت البلاد التي بدأت تنتعش بعد الحرب قد وقعت في أزمة اقتصادية ومالية لا مثيل لها ، فلم تفعل الحكومة شيئا لتخفيف هذه الأزمة بل وجهت كل مساعيها لاستغلال دافعي الضرائب بفرض رسوم وضرائب جديدة وحسب القاريء أن يبقى نظرة إحصائية على أحوال التجارة والصناعة والزراعة ليدرك حقيقة الأزمة الاقتصادية والمالية التي عانتها البلاد بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٥ ، فإن الثروة العامة نقصت نقصا عظيما بينما كانت الضرائب تزداد على نسبة أعظم ، وقد اتضحت الغاية المنشودة حيثما تری إقناع البرلمان والحكومة في فرنسا واقناع العالم كله بأن سورية أخذت تترى وإن الدليل على ثروتها كثرة الضرائب المفروضة عليها .

وإذا صرفنا النظر عن الحالة الاقتصادية ونظرنا الى الحالة السياسية لم نرها أحسن منها لأن المفوض السامي ظل مصدرا لجميع أنواع السلطة من تشريعية وتنفيذية وقضائية . ولم يكن للمجالس التمثيلية التي منحوها البلاد في سنة ١٩٢٣ أقل سلطة . وقد أصبحت الحكومة المحلية شبحا يمثل المفوض السامي أكثر مما يمثل البلاد .

واشتد الاستياء وأصبح عاما ، فقامت البلاد غير مرة بتحجج على هذه الحالة التي كانت تسير عليها الى المفوض التي هي فيها الآن . وقد أنهم

٧ - اعتقل المدعو حسين حديقة ١٥ يوما لأنه لم يذهب لاستقبال الكابتن كارييه ، وفرضت غرامة على القرية قدرها ٢٥ جنيهها ذهبيا لأنها لم تستقبله استقبالا فخيا . وقد فرضت مثل هذه الغرامة على قرية عرومان للسبب عينه .

٨ - اعتقل فهد بك الأطرش قائمقام صلخد وضرب ضربا مبرحا من دون تحقيق بناء على وشاية بسيطة من أحد الجواسيس .

٩ - فرضت غرامة على سكان السويداء قدرها عشرة جنيهات ذهبية لضيق قطرة اللبنتين مورسل فهذه الحوادث وأمثالها والافتئات على حقوق البلاد كل ذلك حل الأهلين على الثورة . ويخطيء من يعتقد أن الوطنيين وحدهم هم الذين أثاروا حركة الاحتجاج هذه ، فإن المعتدلين انضموا اليهم وقد ألف وفد ذهب لبث شكواه وتقديم عريضة تتضمن رأي الجبل ومطالبه . ورفض الجنرال ساراي قبول هذا الرفض رفضا فيه كل معاني الاحترار والتهديد ، فزاد بعمله هذا غير المنتظر هياج الأفكار الناشئة عن ادارة الكابتن كارييه . لم تقتصر السلطة على الاحتقار والتهديد بل جردت على الجبل الهاديء المسالم حتى تلك الساعة قوة قوامها بضع مئات من الجند بقيادة الكومندان توما مارتان الذي أسديت اليه نصائح كثيرة بالمدول عن سياسة الشدة ومعالجة المشكلة باللطف واللين . ولكنه لم يرد أن يستمع شيئا . وقد استهل عمله باعتقال عدد من الزعماء تمكن من اعتقالهم لقرهم منه وأرسلهم الى المنفى - ثم وجه قسما من قواته للقبض على زعماء آخرين . وكان ذلك فاتحة الثورة إذ لم يبق أحد آمينا على حياته او على ممتلكاته . ولكن هذه القوة قد أيدت في الكفر يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٥ قبل أن تحقق أميتها . ولم تنشأ السلطة أن تعد هذا العمل انذارا كافيا بل واصلت مغامراتها التي انتهت بنكبة المزرعة في ٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ و٣ منه على الرغم من النصائح التي أسديت الى ولاية الأمور .

وكانت نتيجة هذه السياسة إبادة بضممة آلاف من الجنود الفرنسيين المساكين - ولا تزال القوات الفرنسية تصافف الصعوبات عينا حتى يومنا هذا .

قبض على كثيرين من أعضاء حزب الشعب وأبعدوا بلا سبب الى جزيرة أرواد حيث عوملوا أسوأ معاملة، وتمكن آخرون من الفرار قبل فوات الأوان .

وضاعف هذا العمل الفجائي غير المعقول الصعوبات القائمة في البلاد وكان إنذارا بالجلاد وكانت السلطة بالتجاهل الى مثل هذه الأعمال القاسية غير المشروعة قد أمهجت سخط الأهالي الناقمين وأقنعت أكثرية الوطنيين السوريين بأن الوسائل السلمية المشروعة لا تؤدي في حال ما الى تحقيق آمال شعب من الشعوب، وأن دعاة الرسائل السلمية يكونون دائماً ضحايا القوانين التي يريدون احترامها . وهكذا أخذت بؤرة الاضطراب تسبح بالتدريج ولا يعلم أحد ماذا يحدث في الغد اذا لم تبذل المساعي لمعالجة المشكلة بالحكمة والعدل .

وأرى من واجبي أن أقول قبل أن أختتم هذا الكتاب إن فرنسا لن تحافظ على نفوذها في هذه البقعة من بقاع الشرق بقوة السلاح وإنما تستطيع ان تفعل ذلك بانتهائها سياسة المسألة واعتراقها بحقوق سورية المشروعة .

واستطيع أن أؤكد لكم أن أكثرية الشعب السوري على استعداد للتفاهم مع فرنسا على قاعدة سيادة سورية القومية مع المحافظة على مصالح الفرنسيين .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي .

فهل يوجد في أية عبارة من عبارات هذا الكتاب ما يبعث على مثل هذا التشكيك ؟ اللهم لا .

ولكن ما العمل وقد أكل الحقد صدور هؤلاء الخصوم وتحكمت في نفوسهم الأهواء والغايات .

والشاعر يقول :

أمل عليه المولى والحمد فاندفعت بدهاء ترخيلان الماء واللبها إذا رأيت المولى في أمة حكم فاحكم هنالك أن المقل قد نهبا

ولاية الأمور ان طريق الخلاص الوحيد هو تأمين سيادة سورية بانتخاب مجلس تأسيسي ينظم دستور البلاد ويضع أساس علاقاتها الودية مع المحافظة على حقوق سورية ومصالح فرنسا في وقت واحد على أن يكون هذا الانتخاب حراً . ولكن هذه الرغائب لم ترق للموظفين الذين تعودوا إرضاء شهواتهم من دون مراقبة ولا مسؤولية . فإن بعض كبار الموظفين الفرنسيين وجدوا في البلاد خدماً مخلصين فألقوا معهم شركة لاستغلال السكان على حساب فرنسا وسورية استغلالاً يجنون فائدتها لأنفسهم . وقد صادفت هذه الشركة نجاحاً عظيماً في جميع مشروعاتها الخاصة . وهكذا اذا تحققون إن تقسم بتحقيق دقيق أن كثيرين من هؤلاء الموظفين جمعوا ثروات طائلة وتركوا البلاد إثراً من مساوئهم وفضائلهم لا يمكن تصديقها . وإن الكابتن كارييه وحدي الجلاد الذي بقي مدبراً للبوليس العام في سورية مدة أربع سنوات ونصف سنة هما في سورية من أكبر الشواهد على ذلك .

ولما تحقق الوطنيون السوريون ان الحالة تسير من سيء إلى أسوأ قرروا تأليف حزب باسم حزب الشعب، فأقرغت السلطة قضاىى جهدها لنهزم من ذلك ولم يحصلوا الا بعد جهد جهيد على ترخيص الحكومة لهم بالاجتماع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ .

والنمت أكثرية سكان البلاد حول هذا الحزب كما ثبت للمسئورأرغست برونه أثناء قيامه بالمهمة التي نيطت به في سورية في شهر يوليو سنة ١٩٢٥ وقد سار هذا الحزب على الطريق المشروعة لتحقيق الأماني الوطنية وحاول أن يقتنع الجنرال ساراي وكبار الموظفين الفرنسيين بأن الوطنيون السوريين ليسوا أعداء لفرنسا ولكنهم يريدون خدمة بلادهم بتأمين حريتها وحقوقها المهمة وإقامة نظام وطيده فيها على قاعدة الأماني الوطنية لا المنازعات العاطفية التي لا تزال تسير بها حتى الآن الى الحراب والدمار .

وحاولت الحكومة المحلية ، ومن وراءها كبار الموظفين في المفوضية السامية غير مرة أن يخنقوا معارضة حزب الشعب لأسباب خاصة . ولما نشبت ثورة الدروز للأسباب التي بسطتها آنفاً تمكنت السلطة من انتهاز الفرصة للانتقام من حزب تألف لتحقيق برنامجها بالوسائل المشروعة، وقد



## وَأَيْضاً يَهْوُلُونَ

لقد أذاع الخصوم هذه التهمة بعد أن زرعوا في أفكار الناس من قبل أن قابل الرئيس الرئيسين منصوريان أساساً من قبل الفرنسيين ، وما دام الأمر كذلك فإنها لمسي في خائنان ولا يجوز التعاون معها ، على أنه إذا كان هناك خصوم سياسيون باريس ١٩٣٧ للرئيسين يتأصبونها العداء فإن لها بين الوطنيين أنفسهم أنصاراً عديدين يعتقدون فيها الوطنية والاختلاص ، وهؤلاء الأنصار يقولون إذا كان الرئيسان يبديان ظاهراً شيئاً من الصداقة نحو الفرنسيين ويعملان بالتعاون معها في ذلك إلا لاستغلال هذه الصداقة لمصلحة البلاد ، وذلك لأن الفرنسيين هم أصحاب السلطة ويبدلهم الأمر والنهي وهم لا يقيمون وزناً لكلام من يجاهرهم العداء حتى ولو كان ذلك لمصلحتهم ، وعليه يقولون لو فرضنا جدلاً بأن الزعيم كان يريد التعاون مع هذين الرئيسين مثلاً فليم لا يجوز له ذلك حتى ولو كانا منصورين من قبل الفرنسيين .

ألم يتعاون الأستاذة الأكام فارس الغوري ولطفي الحفار وحسي البرازي مع الداماد أحمد ناني وهو منصوب رئيساً للدولة والحكومة من قبل القوض السامي الفرنسي ؟

ألم يتعاون قبلا السيدان جميل مردم بك ومظهر رسلان مع السيد حقي العظيم وهو منصوب رئيساً للحكومة من قبل القوض السامي الفرنسي أيضاً ؟

فهل كان يعني هذا التعاون أن هؤلاء السادة الوطنيين تخلوا عن وطنيتهم وخدمة بلادهم وسلموا مفاتيح القلعة الى المستعمر الغاصب ؟ كلا وألف كلا . ولكن علموا بالتجارب والاختبار ان الوطنية ليست بالتعالي

يكن في وسع الرئيس الحسيني أن يحول دون إضاعتها بالطلبع ولكنه رأى بأن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

٣- بعد أن قدم السيد صبحي بركات في ٢١ كانون الأول ١٩٢٥ استقالته من رئاسة الحكومة دعا المندوب الفرنسي الشيخ تاج الدين الحسيني في ٢٤ منه لتأليف حكومة جديدة ، فقبل السيد الحسيني المهمة مبدئياً ولكنه أي أن يتسلم الحكم إلا على أساس برنامج وطني يحقق للملاد ما تصبو إليه من استقلال وسيادة ، وقد وضع لذلك برنامجاً واسع النطاق مشتركاً على الفرنسيين قبوله وقد دارت بينه وبين المندوب الفرنسي مفاوضات بهذا الشأن استمرت خمسة عشر يوماً وانتهت بالفشل بعد أن رفض المندوب قبول برنامج الوطني وبعد أن أصر الشيخ على عدم الانضلاع بالحكم إلا إذا قبل البرنامج المذكور وهذا نصه :

( أقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد أمور البلاد وهي عائلة بتقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الأزمة الشديدة التي تختم على كل وطني ان يبدل قصارى جهوده لتحقيق رغائب الأمة وإفقادها من الأخطار التي تحيق بها من كل جانب وستعمل على إيجاد طريقة حل يكون فيها مقبعا ومرغباً للسوريين من غير ان تناقض المصالح الفرنسية الحقيقية . وستضع نصب عينيتها تشييد أركان سلام دائم يرضى عنه جميع أبناء الوطن سواء القيمين والنازحون حتى يتعاونوا على إنهاء البلاد من عثارها وإزالتها من كبرتها وتحلصها من الكوارث التي كادت تقوض أركانها وتهدد بنائها وأنها تتحمل أعباء هذه الحالة برباطة جأش وبخاطر بأنفسها في سبيل الأمة وسلامة الوطن . ولكننا جبا في بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقاً لرغائب الأمة التي تسمى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد التالية :

- ١- تحقيق الاستقلال بوضع قانون البلاد الأساسي على قاعدة السلطان القومي ودعوة مجلس تأسيس عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل .
- ٢- تأليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على أن تدار على قاعدة اللامركزية بحسب ما يقرره المجلس التأسيسي

والاستبكار والغرور والاستهتار ، وأن الوقوف موقفاً سلبياً والقول دائماً ( لا ) ليس محمود العواقب ومثل هذه السياسة ليست بالسياسة الناجحة في كل الظروف وإذا أفادت أحياناً فليس معنى ذلك أنها تفيد دائماً ، وحتى علمنا ان السياسة أساساً هي مداراة ومداورة لاستخلاص حق أو إقامة عدل أو جلب منفعة أو درء ضرر، وأن القوي بالغ فيها مبتغاه دون أي جهد وأن الضعيف الذي يلاقي في ذلك أشد العنت يحتاج بسبب ضعفه الى الصيانة والمساعدة وإلى القول اللين وأن ما لا يدرك باللطيف من الصعب ان يدرك بالمعنف تبين لنا ان الطريق الذي سلكه الرئيسان من أجل خدمة البلاد هو الطريق الذي يجب ان يسلك ، لذلك يقول الأنصار بالنسبة للاستاذ الحسيني لولا هذه السياسة الحكيمة في مصانعة الفرنسيين لما استطاع عندما كان على رأس الحكم ان يقوم بتلك الإصلاحات العديدة والأعمال النافعة من إنشاء المدارس والبنات والمستوصفات ودور الكتيب ودور الحكومة والمتاحف والفنادق وإقامة الجسور والمعابر وتعبيد الطرق وفتح الشوارع وما مائل ذلك من الإصلاحات التي لا تزال قائمة تشهد على وطنيته مع ضيق الموازنة ووجود الائتداب .

ثم يقولون إذا صرفنا النظر عن كل ما قام به الاستاذ الحسيني كرجل مصلح وانفتنا الى أعماله في الحقل الوطني نجده :

- ١- سعى مع الفرنسيين وأقنعهم بضرورة انتخاب جمعية تأسيسية تفتح للبلاد دستوراً وعندما جرت الانتخابات في ٢٨ نيسان ١٩٢٨ من أجلها لم يقصر في السعي وراء إنجاح الوطنيين الذين سيطروا على الجمعية وإن كانت حلت أخيراً لأسباب معلومة .

- ٢- سعى مع الفرنسيين مرة أخرى ونصحهم بنشر الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية فوافقوا عليه ونشروه في ١٤ أيار ١٩٣١ ولكنهم أضافوا اليه المادة ١١٦ كما أدخلوا عليه بعض التعديلات البسيطة ، وعلى كل حال فإن هذا الدستور كان في مجمله نسخة عن النص الذي وضعته الجمعية التأسيسية وإذا كانت المادة ١١٦ التي أضافوها لتعبر عن تحفظات الائتداب قد عطلت الدستور المذكور في معناه وبناؤه فإنه لم

الأخصار يقولون :

حسبنا ان نذكر له بعض المواقف المشرفة التي كان يشجيب فيها سموه إدارة الفرنسيين بكل جرأة وشجاعة ويطالبهم بمتيح الشعب السوري حقوقه المشروعة في حياة حرة كريمة ، الأمر الذي إن دل على شيء فإنما يدل على وطنية صادقة ورجولة كاملة من ذلك :

١ - أنه قدم في ٢١ كانون الأول ١٩٢٥ الى المفروض السامي الفرنسي استقلاله من منصبه إرضاء لضميره بعد أن تلقا من الثورة السورية الوطنية في جبل الدروز والغوطة وقام الفرنسيون خلالها بأعمال وحشية تقشعر لها الأبدان كدميرهم مدينة دمشق عاصمة الأمويين وأقدم مدينة تاريخية في العالم ، وبعد أن أمعنوا في نهب وسلب القرى وأحرقها وهناك الأعراض فيها وما الى ذلك من ضروب الظلم والاضطهاد. وهذا هو نص كتاب الاستقالة :

يا صاحب الفخامة :

إن المشاكل الحاضرة التي استعصى حلها تدعوني لأن أقدم لكم استقالاتي . وإنني كرجل وطني يشاطر هذه الأمة شعورها ويعاني أمورها منذ عهد طويل لا بد لي وأنا في الساعة الأخيرة من الحكم من أن ألفت نظركم الى أن هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها أمانيتها وطمأنيتها إلا إذا أُجيت الى مطالبها المعادلة مثل تأليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الأساسي على أساس السيادة القومية ، وإنشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وإدارتها ، وأن يعلن فيها عفو عام بدون استثناء إلا فيما يتعلق بالحق الخاص . وأن تؤيدوا سورية في قبولها عضوا في عصبة الأمم .

وقد بقيت مسألة ذات عقد كبيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تولف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي أُضيفت الى لبنان من جانب آخر فإن حل هذه المسألة يحتاج الى إقدام وبعد نظر لأن الوطنيين السوريين يعتبرون أن في بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والأمال والألام والعنصر واللغة وهناك

العام واسترداد الأفضية الأربعة وهي البقاع وبعليك وحاصبيا وراشيا التي كانت سُلخت عن سورية سنة ١٩٢٠ بقرار عر في على غير رغبة أهلها وبالرغم من مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءا لا يتفك عن سورية . أما سائر الأقاليم التي أُضيفت الى لبنان فإنه ينبغي أن تولف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يمكن الاتفاق في شأنها مع حكومة لبنان .

٣ - معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تكون نافذة إلا إذا أبرمها البرلمان السوري على شرط أن تكون مؤسسة على قاعدة السلطان القومي للسوريين مع حفظها لفرنسا في النفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي بما لا يتعارض مع ذلك السلطان القومي .

٤ - دخول سورية في جمعية الأمم .

٥ - الجلاء التدريجي متى تآلفت في البلاد السورية قوى أمن كافية .

٦ - التعويض على منكوبي الثورة .

٧ - إصلاح النظام الاجتماعي والنظام النقدي .

٨ - توحيد القضاء بحيث يكون مؤسسا على قاعدة السياسة القومية مع حفظ حقوق الأجانب والسوريين معا .

٩ - تحقيق العفو العام عن جميع الذين اشتركوا في الثورة في أنحاء سورية المختلفة مع حفظ الحق الشخصي لأربابه .

١٠ - إطلاق يد الحكومة في إدارة البلاد .

١١ - لا كانت البلاد السورية من البحر المتوسط حتى حدود العراق مؤهلة كأمة واحدة تولف وحدة اللغة والعنصر والتقاليد والأمال ولما كان جبل لبنان قد خضع بإدارة ممتازة بسبب ضرورة عملية فإن الواجب يقضي بأن تقدر هذه الضرورة بقدرها وبأن لا تتجاوز مكانها .

وختم البيان بكلمة عامة جاء فيها أن الوزارة تولف لادراك السلام وتأسيس قواعد صداقة بين الفرنسيين والسوريين على أن تقوم على أسس الثقة المتبادلة واللمعة المتعاقلة وقالت (إنها تعتمد على تأييد الشعب ومؤازرة عقلاء الأمة ) .

هذا بالنسبة للرئيس الحسيني وأما بالنسبة للرئيس بركات فإن هؤلاء

## الفضيلة العظمى

## حول المؤتمر

والتي لها على المركز الكبير والسبب الثاني  
بين مندوبي الوفود الستة عشر ورئيس المجلس الثاني

كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية على جانب عظيم من الأهمية والتي لا أرتاب أنكم في بعد نظركم وصحة رأيكم وما جيلتم عليه من الكرم وحس الخير تستطيعون ان تذللوا المضاعب كلها وتسلطكم في هذه البلاد سياسة جديدة لا علاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤنس بين بلادكم وبين سورية صلات ود ثابتة تسي النفوس ما فيها من أحزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورضاء شاملا .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي وأخلص أساني بتوفيقكم ونجاحكم في المهمة الكبرى التي قدمتم هذه البلاد من أجلها .

٢ - عندما رفض المجلس الثاني في جلسته المنعقدة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٩ ويتأثير من الوطنيين مشروع المعاهدة السورية - الفرنسية التي وقعتها حكومة السيد حقي العظم في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ باعتبارها مناقضة لرغبات الشعب وغير ضامنة لمصالح البلاد وما ترمي اليه من استقلال وسيادة ووحدة وحلول مندوب المفوض السامي الفرنسي إبلاغ السيد صبحي بركات قرار المفوض السامي بتأجيل اجتماع المجلس الى ٢٥ من الشهر فرفض وعطل الجلسة بعد أن تلي معظم أسماء الموقعين على عريضة الرفض ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه على أثر رد النواب مشروع المعاهدة طلب المندوب ان يتزعج من ضبط الجلسة الجزء الخاص بردها فأي أيضا ، وعندما وبعد أن قامت في المدينة مظاهرات صاحبة لم يجد المفوض السامي بدا من أن يطلب من رئيس الجمهورية استرداد نص المعاهدة المدوعة الى المجلس ومن ان يعطل المجلس ، وفي كلا الحالتين كان موقف السيد بركات موقفا نبیلا وطنيا جديرا بالشكر والتقدير والثناء الجميل .

## محول المسألة

ومن المفيد ان نثبت هنا نص الكتابين اللذين تسادها رئيس المجلس النيابي ومندوب المفوض السامي لدى حكومة دمشق في صدد المعاهدة وتأجيل البرلمان لا لها من الشأن الخطير .

فقد أرسل مندوب المفوض يوم ٢٤ نوفمبر الى صبحي بركات رئيس المجلس النيابي الكتاب الآتي :

في أثناء جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء الأخير ٢١ الجاري اضطرت ان أنلو قرار المفوض السامي بتاريخ ٢١ نوفمبر القاضي بتعليق مناقشات المجلس النيابي حتى السبت في ٢٥ منه .

إن نص هذا القرار أسلمه اليك في صباح اليوم نفسه حضرة ميسر لافاستر المندوب المعاون في حلب . وفي ظني أنني أذكر الظروف التي فيها جرى تدخلي .

لقد سألك أحد النواب عما إذا كان نص المعاهدة قد طبع ، فوزعته وللحال قامت مناقشة عامة في المعاهدة دون ان يبدو أي تدخل من مكتب المجلس من شأنه ان يحول دون هذه المناقشات التي كان يجب ألا تجري : أولا - لأن مشروع المعاهدة الذي عرضته الحكومة لم يكن قد أرسل الى اللجنة .

ثانيا - لأن اللجنة المكلفة بدرس الموازنة لم تكن ألقت .

ثالثا - لأن المعاهدة لم ترسل الى اللجنة وفي هذه الظروف قام النائب جميل مردم بك الى المنبر ليبلو وثيقة أخرجه من جيبه .

يظهر ان خطورة القضية التي كانت موضوع كتابك معمة لان تكون ذات أهمية كبرى في تاريخ سورية وربما للاعتناء على الحياة البرلمانية في البلاد ولذلك أرى من واجبي ان أجيب. على كتابك مع الرجاء ان تضيف نسخة من جوالي هذا الى نسخة من كتابك وتبعث بها الى المراجع العليا لكي تسمح لها بذلك ان تطلع على رأي الفريقين في هذه القضية الخطيرة .

ففي الفقرة الأولى من كتابك تقول انك في أثناء جلسة الثلاثاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ دفعت الى تلاوة قرار المفوض السامي المؤرخ في ٢١ منه القاضي بتعليق مناقشات المجلس النيابي الى ٢٥ من هذا الشهر وأن نص هذا القرار أبلغ إلى في صباح ذلك اليوم بعناية المسير لافاستر المنسوب المعلن في حلب ثم تقص ما جرى في تلك الجلسة كما استطعت ان تحفظه .

قلت انك دفعت الى تلاوة قرار العميد السامي عما يبرهن على انك كنت تخمله في جيبك من قل الجلسة وانك كنت تتجنن الدققة الملائمة لتلاوته ، ولكك لم ترد ان تعرفنا بهذه الدققة ، فاذا كان قرار التعليل قد أعد للحالة التي فيها يتناش المجلس في أي موضوع غير موضوع الموازنة كما تلمح الى ذلك في الفقرة الرابعة من كتابك ، فوجب ان تقع هذه التلاوة تماماً في الدققة التي بدأ فيها وزير المالية المناقشة باسم الحكومة ، فالسؤولية الناتجة عن تأخير هذه التلاوة الى ما بعد القرار الذي اتخذته المجلس بشأن المناقشة في الماهدة انما تقع عليك وعليه ، وليس من العدل ان تلقىها على الآخرين .

أما فيما يتعلق بتسليمي نص قرار المفوض السامي في صباح يوم الجلسة نفسه فاني اعترف بأنني لم أنسلمه إلا بعد الجلسة ، وعلى ذلك حفظته في أوراق البرلمان بصفة وثيقة ، ولم يكن عليّ إلا تقييد واحد إزاء المفوض السامي وهو أن أمتنع في قلب المجلس كل غوغاء يمكن ان تسبب إهانة للوزراء او بعض الكلمات الموجهة اليهم وهذا ما صار إيلاضه الى المفوض السامي ولاني أعلن أنه ليس في تاريخ البرلانات جلسة اكثر هدوءاً وأكثر سكينة من جلسة الثلاثاء في ٢١ منه - هذه الجلسة التي طرحت فيها على المناقشة مقدرات البلاد فقد قمت بتعهدي ولم يرفع الى المفوض السامي اي

ومند ما بدأت تلاوة هذه الوثيقة تلزت قرار المفوض السامي القاضي بتعليق مناقشات البرلمان .

أي أن تلاوة مردم بك ( للمضبطة ) لا يمكن ان تتابع إلا بعد الابتداء من تدخلني القاضي بوقف المناقشات .

وعدا ذلك فان مردم بك مد يده بالوثيقة الى احد السكرتيرين البرلمانيين ولكنه أعادها حالاً الى جيبه . وعليه فان الوثيقة لم توضع بين أيدي مكتب المجلس لكي تقسم إلى أوراق البرلمان .

وفي أثناء حديث جرى لك يوم ١٢ الجاري مع المفوض السامي بحضور مسير لافاستر وحضورني أنا اعترفت : أولاً - ان المكاتب لم يتدخل لايقاف المناقشة التي بدأت متجاوزة على القواعد الدستورية والتقاليد البرلمانية . ثانياً - أنه عندما وقع تدخلي لم يكن جميل مردم بك قد أنهى تلاوة المضبطة . ثالثاً - ان تلاوة الموقعين على هذه الوثيقة لم تكن قد بدأت .

ولاني أذكر هذه الايضاحات التي صدرت منك لأثبت ان تلاوة المضبطة لم تكن انتهت عندما وقع تدخلي وبناء على ذلك فان نص هذه الوثيقة لا يصح ان يظهر في محضر الجلسة .

على أنه غي إلي أن شيئاً من هذا لم يكن وأناك قررت ان تذكر في محضر الجلسة نص المضبطة الحرفي بما فيه الأسماء التي تحملها واتباعه بنص قرار المفوض السامي الذي تلوته دون أي شيء آخر .

ولاني منذ الآن أبدي أشد التحفظات على قيمة هذا المحضر الذي وضع على هذه الصورة لأنه يشوه حقيقة الوقائع .

وتراني مضطراً أن أزيد أنه لا يمكن الثقة بجمل هذا المحضر ولو أنه فاز بتصديق المجلس في جلسته المقبلة .

فرد عليه يوم ٢٧ منه بالكتاب الآتي :

من رئيس المجلس النيابي في الجمهورية السورية الى مندوب المفوض السامي في دمشق :

أشترف بأن أعلمك بوصول كتابك رقم ١٣١٤ بتاريخ ٢٤ الجاري .

أخرى ثم لم تختَر الوقت المناسب لتلاوة القرار الذي تلوته بالفرنسية ومن ذلك نتج الموقف المصيب لمعادتك والقلق والاضطراب للبلاد .

وأرى من الضروري أن أعيد عليك بإجمال أمينة الحوادث التي جرت في هذه الجلسة فأفصح لك الجبال لتنتقيح بعض أخطاءه قد تكون حفظتها في ذاكرتك سواء من جراء ترجمة سيئة أو من جراء عدم الانتباه .

لقد طلب النواب أن يبرز عليهم مشروع المعاهدة فلم يسع الرئاسة منه أو إنكار وجوده لا سيما بعد إبلاغ المفوض السامي للمصحف المعلن بأن المعاهدة تحت تصرف المجلس فوزعته وقام أحد النواب فألقى خطاباً طويلاً حول المشروع وفتح المناقشة فطلب وزير المالية الكلام باسم الحكومة وصعد إلى المنبر ودخل في صميم المعاهدة وبحثها طويلاً وعند ذلك طلب نائب تلاوة النص فكان ما طلبه وحينئذ وقف جيل مردم بك وطلب من الرئيس الكلام وتلا مضبطة النواب وعندما أوشك الانتهاء منها ولم يبق له غير سطر أو بعض الأسطر وقتت سعادتك وبدأت بتلاوة قرار المفوض السامي . وهذه هي حقيقة ما جرى في جلسة ٢١ نوفمبر وهي الحقيقة التي سجلت في محضر الجلسة المذكورة وتقول سعادتك في كتابك إن جيل مردم بك بعد أن مد يده بالمعاهدة إلى أحد السكرتيرين البرلانيين سجنها ورفضها في جيبه وهكذا لا تكون قدمت إلى قلم المجلس أنني لا أستطيع أن أئين السبب الذي حدا بجميل مردم بك إلى استرجاع هذه الوثيقة ولربما كان بسبب الضجة التي أحدثتها تلاوة قرار المفوض السامي في وقت لم يكن مناسباً ومن المؤكد أنه ليس من الصعب أخذ هذه الوثيقة عند افتتاح المجلس وضمها إلى أوراق البرلمان وليس هذا بالأمر المهم وتسمح لي سعادتك أن أذكرك بأنك نفسك فعلت مثل ذلك .

وشت أن تدون إيضاحات فُهِت بها عند المفوض السامي بحضور مسيو لافاستر وحضور سعادتك ، وبالحقيقة أنني لا أستطيع أن أفهم كيف اتخذت منها هذه الخرج التي عليها تنهى كل هذه الاستنتاجات الخطيرة المدونة في ختام كتابك .

إن مكتب المجلس لم ير من واجبه إيقاف المناقشة في المعاهدة لأنه :

حدث من النوع الذي كان مقدراً .

وعند سركه وقائع الجلسة تقول في كتابك أن ناديا سألني عما إذا كان نص المعاهدة قد طبع فأسرعت بتوزيعه وقامت على الأثر مناقشة ، ولم يقع أي تدخل من مكتب المجلس من شأنه أن يحول دون هذه المناقشة التي لم يكن يجب أن تقع ، ولكنك لاحظت ولا شك أن وزير المالية كان إذ ذاك على المنبر أخذاً بتلاوة خطابه الطويل الذي يدافع به عن المعاهدة ، وأسمح لي بأن أذكرك أن القرار الذي كنت تحمله كان يجب أن يلى تماماً في الدقيقة التي دخل فيها المناقشة الوزير الذي سمح لنفسه بأن يخالف منطوق القرار الذي له اطلاع تام عليه والذي وضع طبعاً بالاتفاق مع الحكومة ، وإذا كان قطع المناقشة ضرورياً فواجب التدخل يقع عليك أولاً ثم على الحكومة لأن المعاهدة أُحيلت إلى المجلس وبالتالي كانت تحت تصرفه وفقاً لرسوم رئيس الجمهورية رقم ٢٠٥٤ - ١٦٩٩٦ - ٥٦٧٧ لتاريخ ٢٠ نوفمبر كما يؤيد ذلك تحويل الحكومة بتاريخ ٢٠ منه وتأكد أيضاً بإبلاغ المفوض السامي إلى الصحافة بتاريخ ١٩ منه الذي يعلن فيه ( أن المعاهدة طرحت على مجلس النواب ومن البعث التبدل على أهمية المناقشات القادمة وأن المجلس مدعو اليوم ليقول كلمته في نص المعاهدة التي طرحت عليه ) ( وفقاً للنص العربي الذي حمل النواب على طلب المناقشة وإثارة أفكار الأمة ) .

ولا يخفى عليك أنه متى طرح مشروع على المجلس وتقررت المناقشة فيه فإن المناقشة تتناول أولاً مجموع المشروع حتى إذا قبل أحيل إلى اللجنة ولكن في حالة رفضه لا يبقى لزوم لإحالة وعليه فإن المناقشة في المشروع التي أثرت مراراً من قبل الحكومة وتلاوة السكرتير البرلاني نفسه كل ذلك جرى على مسمع ومرأى منك ومن بعد ذلك قام النائب جيل مردم بك إلى المنبر وتلا مضبطة النواب ومن المدهش حقاً أن تنتظر سعادتك نهاية هذا الحادث حتى تتلو قرار المفوض السامي .

وإذا كنت سعادتك على عكس ذلك تتحين الفرصة المرافقة لتلاوة القرار ، أو لو كنت اعطيتني نسخة عنه لكنت كللت أحد السكرتيرين تلاوته بالعبية حتى يفهم المجلس ما تريد أن تعلمه ولكنك عملت بطريقة

٤- إن سعادتك لم تحسن اختيار الوقت المناسب لتتلو قرار المفوض السامي وهو ما عرض موقفك الى هذه النتائج .

٥- إن التحفظات التي أردت إبداءها على محضر الجلسة لا يمكنها ان تقلل من قيمته المشروعة التي تبقى برهانا قاطعا لبيان الحقيقة ولتبقى أساسا لتقرير الموقف .

٦- إن أدهش عبارة لاحظتها في كتابك وهي عبارة التحفظ الأخير وفيها تعلن عدم الثقة بأمثال هذه المحاضر حتى ولو صدق عليها المجلس في جلسته القادمة عما يجعلنا نفهم أنك تريد إبطال أعمال المجلس قبل أن يلتزم وعلن رأيه .  
وتفضل يا حضرة المندوب بقبول فائق اعتياري

كتاب الى فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية الكونت دي مارتل في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٦ بمناسبة الحوادث الدامية التي عمت البلاد احتجاجا على السياسة المتبعة في سورية وهذا هو نص الكتاب المذكور الذي ندد فيه بسوء الادارة الفرنسية بعبارات قاسية وجارحة لم يجوز أي وطني على استعمالها في مه اجته السياسة المنكرة التي تسير عليها السلطة الفرنسية .

يا صاحب الفخامة

بنسبة هذه الحوادث الدامية المؤلة التي عمت البلاد والتي تنبأت بها قبل أي شخص آخر وأعلمت فخامتكم بمواقفها ولم أؤخر وسعا في اطلاق الراجع السؤولة في وزارة الخارجية الافرنسية وفي لجنة الشؤون الخارجية للمجلس النيابي الافرنسي ايضا على ما ستؤدي اليه مثل هذه السياسة المتبعة في هذه البلاد والتي لم تحيدوا عنها فخامتكم قيد شبر منذ أن وطأتها أقدامكم حتى هذه الساعة رغم الفشل التوالي الذي منيت به ورغم إساءتها لسمعة فرنسا في هذه البلاد وما جاورها من البلدان العربية وكبدت هذا الشعب المسلم كل هذه المتاعب والالام التي كان بإمكان فخامتكم اجتنابها لو أصغيتم الى نصائح المخلصين للبلدين .

فبصفتي رئيسا للمجلس النيابي الحالي ورئيسا شرعيا لدول الاتحاد

أولا - كان من واجب سعادتك وأنت تحمل قرار العميد وأنت مكلف بتلاوته ان تتلوه ولم تفعل .

ثانيا - لم يكن على الحكومة ان تدخل في المناقشة وان تسمح لأحد أعضائها أن يتندح معاهدتها ويطلب درسها .

بناء عليه أكون لك مدينا جدا اذا لم تكن كثيرا بالدفاع عن القواعد الدستورية والتقاليد البرلانية فسعادتك تعرف جيدا من يتجاوز عليها ومن لا يحترمها .

أما القسم الثاني من التصريحات التي عزوتها إلي والتي تتعلق بآن جميل مردم بك لم يكن أيى تلاوة المضبطة عندما بدأت تلاوة القرار فقد قلت وأعيد القول إن لم يكن باقيا سوى سطر أو بعض السطر عندما وقعت وبدأت بتلاوة قرار المفوض السامي الذي كان يجب ان يلى قبل دخول وزير المالية في المناقشة وأخيرا ان جميل مردم بك لم يقرأ تواريخ النواب لأن العادة جرت أن لا تقرر التواريخ في الجلسة وإنما تؤخذ في آخرها للسبب البسيط وهو اذا وجب كل مرة أن تلى التواريخ في الوثائق الواردة الى الرئاسة والتقرير والشروعات والاستعدادات الى آخره فلا يبقى وقت للعمل .

هذه إيضاحات قد أردت أن تعلق عليها أهمية كبرى وما هي في الحقيقة سوى مسائل بسيطة لا يمكن استخدامها أساسا لنتائج خطيرة كالتي أردت استنتاجها في سبيل تبرير الخطر .

ولا أخفي عليك يا حضرة المندوب دهشتي من كتابك وضحي من التحفظات التي بيتهها في آخر هذا الكتاب فاسمح لي على كل حال ان اختصر لك جوابي فيما يلي :

١- إن جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر كانت هادئة جدا ولا يمكن أن تكون جلسة برلانية في العالم تبحث فيها مقدرات الأمة أكثر هودا منها

٢- إن الرئاسة قامت بواجبها وطبقت النظام الداخلي واحترمت القواعد الدستورية ولا يطلب منها ولا يمكن ان يطلب منها أكثر من ذلك .

٣- إن الحكومة التي أبلغتها تعليماتك برفض كل مناقشة في المعاهدة ارتكبت خطأ يسمحها لأحد أعضائها بالدخول باسمها في المناقشة .



البلاد وعرضتم مشروعا كمشروع المعاهدة للقتل ثم اليستم غيركم لباس الفيل هربا من المؤولية وحلموني أنا شخصيا تبعها رغم أنني صارحتكم بفشل هذه السياسة من قبل وأبنت لفخامتكم مضار اتباعها وما تجره وراءها من ويلات ونحن ها نحن وإياكم نعاني الآن مصائبها .

وقد دام سوء التفاهم والتمهيد للتباعد بين وجهتي النظر سلسلة متصلة الحلفاء أخذ بعضها برقاب البعض الآخر ، إذ دعوتكم الحكومة السورية إذ ذاك لقبول معاهدة ، كنتم تحملونها ، هي في الحقيقة طعنة في وحدة البلاد وسيادتها فخضعت تلك الحكومة لشبهة فخامتكم رغم أنها لم تكن تحقق شيئا من الوحدة والاستقلال مع أن تلك الحكومة لم تسل ثقة المجلس إلا على أساس عقد معاهدة تضمن الوحدة والاستقلال هذا وقد أرسلتم صورة تلك المعاهدة الى الصحف قبل ان ترسل الى المجلس النيابي ليدرسها وأرقتموها ببياناتكم المشهورة الذي جاء فيه ( انه لقاء التصريحات والحملات الموجهة الى المعاهدة من قبل أن يذاع أمر توقيعها او يعرف نضها ، رؤي من اللازم نشر هذه الوثائق لا ليتسنى لنواب الأمة فقط بل للشعب السوري ان يرى رأيه في قيمة ومدى هذه الوثائق المحالة على البرلمان السوري ) وجاء أيضا في فترة أخرى ( لذلك فان المجلس النيابي مدعو اليوم ليقول كلمته في المعاهدة المعروضة عليه مجردا عن كل نزعة حزبية ) وقد عرضت فعلا هذه المعاهدة على المجلس ونظر فيها بناء على أمركم الصريح وكان نصيبها الرد باقتراح وقعه خمسة وأربعون نائبا من تسع وستين وعلى أثر هذا الرفض عطلم الحياة النيابية واتهمتم فخامتكم المجلس بتهم هو بريء منها ولكي تبرروا أعمالكم هذا اتخذتم له حجة اضطراب حبل الأمن العام .

أوليس من المستغرب ان تدعو فخامتكم الأمة إذ ذاك بيلالغ لتعرب عن رأيها في هذه الصكوك فتقوم بظاهرة سلمية تظهر فيها عدم ارتياحها اليها ثم تقومون بأنهم الأمة بالشغب والاحلال بالأمن ؟ فهل كان باستطاعة الأمة ان تعرب لكم عن رأيها الذي طلبتموه وهي في عقر دارها ؟ وهل ترى لو أظهرت لكم ارتياحها لهذه الصكوك بنفس الظاهرة وعين الوضع كنتم تعتبرون عملها إخلالا بالأمن ؟ أو لو صدق المجلس النيابي أيضا هذه

السوري سابقا ورئيسا لدولة سورية وممثلا للشعب السوري كافة تنجيلا شرعا أرى أن إخلالهم لوطني العزيز وحرصي على سمعة فرنسا يدعوان بهذه المناسبة أن أصارح فخامتكم بما لا يصالحكم به غيري .

قدستم سورية واحتلار الشعب السوري ديلانكم والتككيل به خطنكم فسرت هذه العدوى بسرعة الى معاونينكم وموظفينكم من رجال الانتداب وعاملنم هذا الشعب المسكين معاملة السيد للرفيق معتبرين هذه البلاد كالحط المستعمرات دون ان يحطر بال فخامتكم ان هذا الشعب له من الككانة العالية ومناضيه المجيد ما يجعله يألي القسم ويحتمل هذا اللذل والاحتقار ويسكت عن إجراءات وتدابير كنيية لم يعد عليها فضلا عن أنه ساهم في النصر الذي أحرزته الجمهورية الفرنسية مع بقية الحلفاء في الحرب العالمية .

ودستم عهد قدومكم باعتقال رجالات البلاد دون مسووخ قانوني أو إداري او سياسي يوم أرادت سورية في خريف عام ١٩٣٣ مشاركة فلسطين في عواطفها وقامت بقطعة سلمية بحتة سفك فيها رجالكم دما بريشا لتحويلها من شكلها الحقيقي الى شكل آخر تربونه في الوقت الذي كان فخامتكم بأشد الحاجة الى اكتساب القلوب من تنغيرها سيما وأن فخامتكم كنتم قادمين على عقد معاهدة مع هذه البلاد وكانت السياسة الرشيدة تتطلب أعمالا من شأنها زيادة تبادل الثقة بين الطرفين لا توسيع شقة الخلاف .

فهل هذه الأعمال والتمهيدات هي السياسة التي كان يجب ان يسلكها من كان يود الوصول الى الغاية التي من شأنها أن هذه البلاد ألا وهي عقد معاهدة ولاء وصداقة تساعد على توثيق أواصر الحبة والأخاء بين الطرفين والوصول الى استقرار ترى فرنسا وسورية في أشد الحاجة اليه ؟

ولا يعزب عن بال فخامتكم أن أسلافكم سعوا بدقة زائدة لتمهيد السبل لبلوغ هذه النتيجة كي لا يصطدموا بما اصطدمتم به فخامتكم غير ان هذه الصدمة وما تبعها من صدمات أخرى لم تحولوا للاسف فخامتكم عن نهجها ولم تالطف شيئا من حدة خطتها التي إختطموها لانفسكم في هذه

الشعبين السوري والافرنسي ونهت فخامتكم ايضا الى سوء العاقبة التي نجر اليها خطة كهذه لا أدري ما هو الداعي للمتادي فيها فلقد قسمت ويا للأسف بلء جبرهم على حساب فرنسا وبلادهم .

إني لم أرع يا صاحب الفخامة فرصة نمر إلا واحتججت على هذه الأساليب، نحاولون تلافي الأخطاء التي كنتم تقومون فيها بأخطاء أبعد عمقا وأوسع مدى، عملا بمشورة نصحاء السوء الذين أحاطوا بفخامتكم عن لا جهمهم في هذه البلاد سوى إشباع بطولهم.

اعتنم الحرب على كل من لم يناشيككم في هذه السياسة التي قدرت لها الفشل منذ اليوم الأول الذي قلت لكم فيه بأن معاهدة كهذه سيكون نصيبها الحمية وإن كل من يقول لفخامتكم خلاف ذلك فهو كاذب . فكان جراب فخامتكم إذ ذاك ( كلفت بتصديق هذه المعاهدة فإن رفضت فسأضعها في جاورر طاولتي ) وباشترتم بي شخصيا واتخذوني عدوا وهاجتم النواب واحترقوهم وأسأتم معاملتهم مع أنهم لو تجردوا عن صفة النبائية لا يمكن لأحد أن يجردهم عن صفة الرجاحة في هذه البلاد ثم أقسمت حكومة تعلم الأمة مدى نفوذها وقمتها كما أنه لا أعلن فخامتكم أو من يلزمكم تجهلون ذلك .

لم تعهد لكم الشيخ تاج الدين عام ١٩٢٨ بأنه سيتوقف لحمل المجلس التأسيسي على قول الدستور بخدوفا من صلبه مواده الست واصطدم في أول جلسة طرح فيها الدستور برفض المجلس لما وولى حاربا من القاعة ؟ ثم ألم يبق مدة أربع سنوات بذر خلالها أمولا طائلة في تهيئة جو يساعده على البقاء في الحكم للقيام بانتخابات تؤمن تنفيذ خطة تعهد أمر تنفيذها لسلفكم ؟ فمادا كانت النتيجة يا ترى ؟ ألم يقتل فشلا مريعا في الانتخابات رغم إراقة الدماء وجعل البلاد في حالة تقاسي اليوم مضمضا ؟

ثم ألم يضطر للتواري عن دمشق وتركها خوفا من تقمة الشعب عليه ولم يظهر للوجود فيها إلا محميا بحراب جيشكم يوم أسندتم اليه الحكم في أدق الأوقات وأخرج الظروف منعدمين مرة ثانية بأكاذيبه وأضاليه وما زال يتصاى في خداعه وأكاذيبه حتى أوقعكم هذه المرة في نفس الحفرة التي

الصرك وارتكب جميع الخطيئات التي اهتمتموه فخامتكم بها فهل كان يجظر ببال فخامتكم ان تغلقوه وتسرحوا أعضاده ثم تنتعوا الأمة السورية بعلم الانضوج السياسي ؟

قلتم فخامتكم اننا لم نحترم مادة من مواد الدستور وأردتم بذلك إظهارنا أمام جمعية الأم وأمام الوزارة الافرنسية بغير مظهرنا الحقيقي والاستمونا غير لباسنا الأصلي وقلتم اننا لم نعتد على احترام الأساليب الدستورية ولسنا بأهل للحياة النبائية . ولو سلمنا مع فخامتكم جدلا بأننا سهونا عن احترام مادة من مواد الدستور ونحن أمة حديثة العهد بالسياسة - على رأي فخامتكم - فيا بالكلم بن يجترق أحكام الدستور بكاملها ويضرب بها عرض الحائط وهو عالم بما يعمل ؟ لا سيما وهو يمثل أمة ديمقراطية حية لم تأت الى هذه البلاد إلا لتعلمنا كيف نحترم النصوص الدستورية والقوانين . فهل هذا يا فخامة العميد ملك يعطى لأمة تعهدتم أمام العالم أنكم ستقومون بإرشادها ؟

منذ قدتمت يا صاحب الفخامة هذه البلاد حتى هذا التاريخ لم يحض يوم إلا وفاجئت الأمة السورية بقرارات وتدابير وإجراءات كيفية لا تستند الى سياسة رشيدة ولا إلى قانون عادل ولا إلى منطق معقول ولم تنقيد فخامتكم في يوم من الأيام بعك الانتداب الذي تفردت حكومة فخامتكم بوضعه وأمتتم بموجبه كل ما هو من شأنه ان يضمن مصالح بلادكم حتى ولا التفتيم أيضا قط الى نصائح وارشادات ورغبات لجنة الانتدابات في جمعية الأمم ولا الى مصالح فرنسا الأساسية وسمعتها الادبية في الشرق الأدنى ولم تحترموا دستوراً أنتم وضعتموه وصددتموه من جمعية الأمم وافتخرتم أمام الرأي العام الدولي بأنكم عملا عبداً فرنسا في صيانة الشعوب الضعيفة منحتهم سورية حياة حرة ويعتصموها بدستور أساسي وانها بعد اليوم ستسير بخطى واسعة نحو الاستقلال والازدهار الذي أخذتم على عاتقكم ايصالها اليه بعد ان تم استقراؤها السياسي . فهل هذه الأعمال وهذه السياسة أمنت لفخامتكم نجاح خططكم في هذه البلاد ؟ وهل استطعتم بذلك صيانة سمعة فرنسا ومصالحها في هذه البلاد خاصة والبلاد العربية عامة ؟ الضارة بمصالح

ولكن وبا للأسف ضربتم بكل ذلك عرض الحائط ومضيتم في سياسة تقاسي البلاد الآخرين من عواقبها فمنحتهم الامتيازات جزافا لشركات أجنبية وكلمتم مرافق البلاد تكيلا اقتصاديا بامتيازات مجعقة بحقوق البلاد مثل ( امتياز حصر النخ - توسيع المرفأ - تمديد خط تل كرجاك وتل زبران - وسد بحيرة حمص - وحصر طريق الحج في البحر وغير ذلك ) بالرغم من احتجاجات البلاد المتتالية واستنكارها المتكرر .

وكما قامت البلاد تدافع عن حقوقها بالطرق السلمية واحتجت وأظهرت استيائها من هذه الأعمال غير المشروعة تتخذ فخامتكم عملها حجة لعمتها بعدم التصريح السياسي بينما كان سلفكم المسير بزنسو اعترف لها لدى لجنة الانتداب في جنيف بنفسوجها السياسي وقال انها اهل للحكم الذاتي وصرح أنها أصبحت بحالة تمككها من التعاقد مع الحكومة الافرنسية وان حكومة فخامتكم قادمة على عقد معاهدة مع سورية تحدد فيها حقوق وواجبات الطرفين كمعاهدة العراق ولكنه وبا للأسف لم تقض إلا مدة قصيرة على هذا التصريح والاعتراف بالضيح حتى أتيتم فخامتكم وأكرتم علينا ذلك بعد أن مكثتم في سورية عدة أسابيع فقط رغم ان تصريح سلف فخامتكم كان مبنيا على دراسة سنوات طويلة ، فأي الراين أحق بالأخذ به والاعتماد عليه ؟

حادثة بسيطة نشأت من اختلاف وقع بين شركة الجر والتسوير وبين الأهلين على تعرفه النور فبدلا من ان تقوم السلطة بصفحة الوسيط العادل التزبه بين الطرفين إذا بنا نراها تتخذ لنفسها صفه الوكيل المدافع عن مصالح الشركة للكيد للأهلين ويقوم رجال السلطة بأعمال الارهاب والاعتقال الذي لا مبرر له ظنا منهم أنهم بعملهم هذا يؤدون خدمة عظيمة لفرنسا . فهل فخامتكم راض عن هذا العمل ؟ وهل جعل الانتداب لحماية الشركات الأجنبية والكيد لأهل البلاد ؟

أفلا يحق لأصدقاء فرنسا بالشرق الأدنى ان ينظروا بعين الفطن والمطلع الى مصير سورية المشؤوم وإلى ضياع سمعة فرنسا في هذه البلاد من جراء معاملتها هذه في الوقت العصيب الذي اضطربت فيه الحالة الدولية

أوقفكم فيها عام ١٩٣١ ؟ ثم لم تبلغ الشكايات مسامع فخامتكم من سوء تصرفاته وان هناك تلاعبا في أمور البلاد فهل أرسلتم من يحقق في هذه الشكاوى صحيحة كانت أم كاذبة ؟ أفلا يحمل هذا النفاضي والسكوت الرأي العام على الشك بأمر لا أريد الإفصاح عنها ولكنها ظاهرة جليلة ؟

نعم يقول هؤلاء ومن على شاكلتهم أنهم لم يقوموا بهذه الأعمال إلا خدمة لفرنسا ليست الأعمال بخواتمها ؟ أفلا يجدر من فشل بسياسة تعهد القيام بها أن يضرب ضربة قاضية على رأسه لتفليله ويكمل مسؤوليه أعماله كي لا يتماذى في غيه ويخلفه من بعده خلف مثله يمثل نفس الدور الذي مثله سلفه ويستفيد في إبان حكمه من الفرص السانحة للء ججويه وإشباع غيمه ؟

لقد عمدتم يا فخامة العميد الى تنفيذ برنامج اقتصادي لتخفيف وطأة الأزمة الخائفة التي طلقت بالبلاد والعباد وجعلتموه بعيدا عن أشراف ممثلي الأمة واكتفيتم في أمر تنفيذه بأشراك حكومة كانت سببا لهذا التفقه المادي والافلاس الاقتصادي الذي تن من به البلاد وتشكو .

فهل من الحكمة القضاء على الاستقرار السياسي لأجل القيام بمشاريع اقتصادية ؟ أولم ينص صك الانتداب على إعطاء البلاد الواقعة تحت الانتداب الافرنسي نظاما سياسيا قبل كل شيء ؟

لا بد وأن فخامتكم تذكرون ما جاء في كتابي الذي قدمته اليكم في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٤ أن الأصلح في إنفاذ البلاد من الوجهة الاقتصادية هو السير ضمن نطاق الدستور الذي كفل لسوريا في مواء ( ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ ) بيان الطريق الواجب اتباعها . وأعربت إذ ذاك عن رأيي ورأي زملائي النواب بكل صراحة بأنه لا يمكن لحية من الهيئات مهما عظم شأنها ان تنفذ بالاتفاق على هذه المشاريع دون موافقة الأمة التي تتمثل في مجلسها النيابي، وان عملكم هذا مخالف ليس لأحكام الدستور فقط ، بل لصك الانتداب نفسه وختمت كتابي قائلا بأن البلاد لا تتعرف على أي امتياز يتجح فيها او عقد يبرم باسمها من غير رضاه عملها الشرعيين .

كاذبة من شأنها ان تحول العناية الأساسية التي ثارت من أجلها نفوس هذا الشعب الذي لم يعد يجتمل أكثر عما احتمل ويوهمون فرنسا والعالم التمدن أن حياة الجيش وحياة الأجانب أجمع ونساءهم وأطفالهم في خطر كيا يبرروا موقفهم هذا الذي وقفه في وجه الشعب السوري المسلم . ولكن ثقروا فخدمة العميد بأن في سورية رجالا من الأجانب يحملون في صدورهم إخلاصا وفي نفوسهم شرفا ووجدانا طاهرا سيشاركونا في إظهار الحقائق أمام رجال فرنسا الأحرار وأمام العالم التمدن .

أوليس من المؤسف بعد كل هذه التجارب التي منيت بالفشل وفي هذا الموقف الخرج أن نرى الحكومة تلجأ الى سياسة الارهاب والارهاق والابعاد والتكايات والتنكيل ؟ ليست المادة الجديدة التي سنتموها وأعطيتم بموجبها السلطات الادارية حتى الابعاد من غير محاكمة أو استجواب هي خرق لحزمة الدستور وتعدي على الحرية الشخصية التي يقدها حتى سكان القمار والصحرى ، تلك المادة التي كان أول ضحاياها نائب دمشق فخري بك البارودي وغيره من الشبان وكان ذلك مبدأ هياج ثور فيه النفوس وتهرق في هذا البلد وفي هذه الساعة التي أكتب لفخامتكم فيه كتابي هذا ، دماء عشرات القتلى ومئات الجرحى في جميع البلاد السورية بين رجال وأطفال ، ظلم وعدوانا ويعتقل مئات من الناس بلا سبب ولا جرم ولا تزال الحلاة مستمرة على هذا الاضطراب في جميع الأنحاء والاضراب عام شامل والظواهر قائمة على قدم وساق منذ أيام وحتى الساعة وذلك كله احتجاجة على سياسة لم يكتب لها منذ يومها الأول إلا الفشل .

سمعت ومن حولكم ولا شك باتهامي واتهام كل من قدم تضامنه الخالصة اليكم بمداورة فرنسا . فإن وجدتم ما يبرر ويدعم اتهامكم في ، فما قول فخامتكم بمداورة كلي الاحترام البطريرك الماروني لفرنسا تلك الصداقة التقليدية التي لا يمكن إنكارها أبدا ومع ذلك قام يعلن للمسلما فساد هذه الخطة التي سرتكم فخامتكم عليها ومشي الشعب الماروني النبيل من ورائه يشد أزره باحتجاجة واستنكاره هذه السياسة التي اختطتموها . فهل دفعه الى عمله هذا كرهه لفرنسا؟ أم حب المصلحة؟ وهل يمكن

وأصبحت اوربا تخشى وقوع كارثة عالية تأكل الأخضر واليابس ، لا بل وفي هذا الوقت الذي تقوم فيه بريطانيا فتسرع على مشاكلها الشرقية ولارضاء الشعوب التي تحكمها ومنحها حكمها الذاتي ويقوم أيضا العالم بأسره للدفاع عن استقلال الجبهة .

الم تكن الحكمة تقضي على الحكومة الافرنسية أن تغتصم هذه الفرصة للتقرب بخطى واسعة نحو الشعب السوري وتكنحه حقه وتنبئه أميته وياه على اجتياز هذا المازق الخرج بدلا من أن تفجعه بحريته ودستوره وعشرات أرواح أبنائه ودماء أطفاله البررة التي تسفك في الأزقة والشوارع .

إن الأعمال التي قامت فخامتكم بها تثقل لنا صورة أعمال يقوم بها قائد عسكري يحتل جديد لا هم له إلا التنكيل بالثوار والمعصاة ومن قومه أو قادم جيشه . وقد فات فخامتكم ان الحرب قد انتهت منذ مدة طويلة وأنكم لم تدخلوا هذه البلاد فاتحين حتى تستيحوا حماها وقتلوا نساءها وأطفالها ورجالها لا للذنب اقترفه بل لأنهم يطالبون بحقوقهم التي اعترف بها أسلاف فخامتكم ورجال الحكومة الافرنسية والعالم كله ، وأغرب ما شهدته هذه البلاد أن يقوم رجال القوى المسلحة بأمر عن محتومهم فتتكم بالاعتداء النظيف على حرية الشخصيات وضرب نواب هذه البلاد ضربا مؤلما وقد كانوا وزراء يتعاونون مع حكومة فخامتكم ويساعدونها ويدونها بنصائحهم الخالصة وآرائهم الصائبة كي يجدوا هذه البلاد استقرارا وفرنسا راحة واطمئنانا .

فالا اعتداء على النساء وقتل البعض منهن وجنس قسم آخر وزج الأطفال في أعماق السجون عمل لم تره سورية إلا في عهد فخامتكم . فإني لا أرى مبررا لهذا الخطد والضميمة التي تدفع فخامتكم ورجال الحكومة لا ارتكاب أعمال كهذه ، لا لشيء آخر إلا الانتقام من شعب أتم ورجالكم دفتيموه لهذا القيام ، فأنتم وحدكم مسؤولون عن كل ذلك وبوجه خاص عن سمة فرنسا في الشرق الأدنى .

واني لأعلم علم اليقين بأن رجال الساطنين تسيروا لخطتهم التي قادت وتقرود البلاد الى الخراب وإلى هذه الفتنة المدمرة يلجأون الى تلفيق تقارير

بأمرها في صلب المادة ١١٦ المؤقتة التي احتفظت فيها فرنسا ببعض أمور رأيها ضرورية لها لتقوم بتعهداتها المنصوص عليها في صك الانتداب .

أفلا تُعَدُّ انتهاكا لحرمة الدستور هذه القرارات التي أصدرتها وهذا الحق الذي منحتموه حكومات غير مشروعة خلال تعطيل المجلس النيابي بصورة غير مشروعة بسن قوانين كيفية يعمل بها في بلاد دستورية .

وصفوة القول إن جميع هذه الأعمال وتلك القرارات التي صدرت عن المفوضية والقوانين الاشتراعية التي صدرت عن حكومة غير مشروعة منذ تعطيل الحياة النيابية ليست بشرعية أبدا ولا تستند الى أساس حقوقي . فإذا كان الغرض التصرف بمقدرات البلاد كما تريدون ، كان الأحرى بفخامتكم ان تلتفوا الدستور بكامله وتعلموا الأحكام العرفية كي لا تفسحوا مجالا لهذا التناقض الذي وقعتم فيه .

وأما إذا كنتم فخامتكم تعترون الدستور موجودا ، فالواجب احترامه وإذا كنتم تعتبره غير موجود فلماذا لم تعلموا ذلك ؟

وقد رأيت من الضروري أن أعيد على مسامعكم كامل نص المادة ١١٦ المؤقتة لتراجعها بفخامتكم مرة ثانية ويطلع عليها رجال فرنسا وجمعية الأمم ليروا فيما إذا كان ما جاء فيها يسوغ هذه الأعمال والتدابير التي اتخذتموها .

المادة ١١٦ :

« ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولا يجوز ان يعارض التعهدات التي قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية لا سيما ما كان منها متعلقا بجمعية الأمم .

يطبق هذا التحفظ بسوغ خاص على المواد التي تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن والدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شأن بالعلاقات الخارجية .

لا تطبق أحكام هذا الدستور التي من شأنها ان تحس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التي تحدد في اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسية والسورية .

أن يقال ان عمله هذا كان لخايات شخصية قضيت عليها أو أنكم لم تساعدوه على قضايتها ؟ حتى وقف هذا الموقف المناوئ الذي قدرته له البلاد من أقصاها الى أقصاها .

ولا نذكر ان أنه هو الشيخ الجليل الذي لا هم له ولا غاية إلا أن يرى بعينه شعبه يتمتع بحياة حرة مشرفا على جميع مرافقه السياسية والإدارية والعلمية والاقتصادية . يستند في سيره هذا الى صداقة فرنسا وإرشاد رجالها الزميين .

إن الاعتداء على مكتب الكتلة الوطنية وإغلاقه والاعتداء على أعضائه أيضا بعد أن اعترفتم بوجوده بصورة جلية لا تقبل الشك وبعد أن مددتم أيديكم اليهم للتفاهم معهم ، عمل لا مبرر له وتعد صريح للرجال العاملين وتناقض بين الأمس واليوم .

وأنه ليؤلفي كما يؤلم كل وجدان أن أرى بلادي تتخطى في عهد مظلم لا أثر فيه لمراقبة شرعية ولا لكرامة شخصية حتى أصبحت تتذكر البلاد عهد الاستبداد الحميدي وتستعطر عليه الرجاءات .

وأنه لمن المستغرب أنكم لم تتركوا يا فخامة العميد ناحية من النواحي قضائية كانت أم إدارية إلا وقضيت على حسن سيرها بمداخلاتكم ومداخلات رجالكم الكثيرة تنفيذا لحظكم التي رستموها في هذه البلاد فأني قاض يحرس على مخالفتكم أو مخالفة من يلوذ بفخامتكم في إصدار حكمه على من تريدون، وإن فعل عكس ما يورع به اليه وكان من أهل البلاد كان نصيبه التسيق وإن كان إفريقيا كان نصيبه العودة الى بلاده في أول باخرة . هذا ما تفعلونه في الوقت الذي كان الأجلر بفخامتكم ان تصونوا على الأقل سمعة القضاء والمعدل الافرنسي الذي يترنم به كل منصف في العالم بأسره وأن لا تشوهوا شكله الأصلي في الشرق الأدنى .

وهنا لا بد لي قبل أن أختتم كتابي هذا أن أصرحكم بأن القرارات التي صدرت والقوانين التي سستها حكومة لم تعرف البلاد بمشروعيتها ولا بحسن نيتها هي مخالفة لصك الانتداب والدستور معا وأنه منذ التاريخ الذي وضع فيه الدستور موضع الاجراء لم يعد لفخامتكم الحق بإصدار قرارات لم يحتفظ

هو معصوم عن الخطأ مهما بلغ من الحكمة والدهاء .

أليس القادة والزعماء في شتى أنحاء العالم يخطئون أيضا ؟

ولكن ماذا تقول اذا كان الدافع الحقيقي لهذه المضمومة وهذه الاتهامات

هي الانانية وحب الذات .

أو أنا ومن بعدي الطوفان .

ورحم الله من وصف أمثال هؤلاء بقوله :

إنما دنيائي نفسي فإذا هلك نفسي فلا عاش أحد

وعليه ان القوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يناقش فيها ولا تنشر وفقا لهذا الدستور إلا تنفيذيا لهذا الاتفاق .

إن القرارات ذات الصفة التشريعية او التنظيمية التي اتخذها مجلس حكومة فرنسلا يجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين .

فأخرج بشدة على هذه السياسة التي فخانكم مسؤولون عنها والتي أوصلت البلاد الى هذه الحالة المضطربة المؤلمة وأخرج أيضا بصورة خاصة على إبعاد نائب دمشق فخري بك البارودي دون محاكمة، وعلى ضرب نواب الأمة الوزراء السابقين، كما أنني أحسج على هذه الشدة والتمادي في سفك الدماء في الشوارع والأزقة وقتل المشرات واعتقال المثات وسياسة الارهاب والارهاق وعلى إبعاد الدكتور سيف الدين المامون واعتقال طلاب المدارس والشيان وضربهم وارهاقهم ليجرد إظهار شعورهم بظواهرات سلمية، وأطلب بإصرار والملاح إرجاع المبعدين وإطلاق صراح المسجونين ووضع حد لهذه المعاملة المشاة التي يعامل بها الطلاب وهم نخبة البلاد وزواة أربابها لا سيما وأنهم ليسوا بمسؤولين عن هذه الحالة بل المسؤول عنها هم هؤلاء الذين يترعنون على كراسي الحكم ويستمدون سلطتهم من فخانكم، ولو أنصف الدهر لكان يجب ان يحاكموا ويعاقبوا أشد العقاب على ما اقترفوه من ويلات كان ضحاياها هؤلاء المظلومين .

وختاما أرجو إبلاغ صورة عن احتجاجي هذا الى وزارة الخارجية وإلى جمعية الأمم وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول تحياتي .

رئيس المجلس النيابي السوري

صبيحي بركات الخالدي

ويتم أنصار الرئيسين دفاعهم عنها بقولهم : هل من غضاضة على الرجلين إذا سارا في سياستها على طريقة «إدالم تكن أقرباء فلا أقل من ان نكون حكاما»، وإذا كان لها بعض الأخطاء غير المعتمدة مثلا فهل فيها من

الفصل في الحادوي عشر

حسن الظن

ظن على المرء أن الخير له في نفسه وفي غيره  
والمرء يحسنه في نفسه وفي غيره وحسنه

## المسألة الأولى في الزكري الشاذلي

صادفت أمس - الأحد - الذكرى الأليمة الثانية عشرة لمصرع الزعيم العربي الكبير المغفور له المذكور عبد الرحمن الشهبندر ، وقد قام إخوانه والأوفياء لعهدده والحافظون لجهاده وفضحيته في سبيل أمته ووطنه ، بوضع الأزهار والرياحين على ضريحه الطاهر المجاور لضمير السطان صلاح الدين الأيوبي ، وقروا المناحة على عاداتهم كل عام ، وذكروا في إطرانهم الخاشع مناقب الزعيم الخالد ، الذي غزا المناير حتى أسكرها ، وقارع الاستعمار حتى أذله وخدم العلم والثقافة والفن خدمات ستبقى على مدى الأزمان ضياء مشعا عن عبقرية الزعيم العربي الكبير ومواهب هذه البلاد العزيزة .

وقد تلقينا أمس من دولة السيد حسن الحكيم الكلمة التالية التي حالت المواد دون نشرها أمس فنشرها اليوم فيما يلي :

في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٠ اغتالت يد أئمة الزعيم الخالد المغفور له المذكور عبد الرحمن الشهبندر ، فبكت الأمة العربية فيه رجلا كامل الرجولة في حياته الشخصية القوية ، وخسرت بفقده ، زعيما مجاهدا راسخا العقيدة صادق القومية .

ومع أن الفقيه الكبير نشأ طبيبا بارعا وأديبا ألمانيا وخطيبا مفوها فقد أبد عليه اعتزازه بقيمته وهو المؤمن بها والمخلص لها أن يقوم بخدماته الانسانية والأدبية دون أن يقوم الى جانبها بواجبه نحو وطنه ، فراح طيب الله ثراه يؤدي هذه الرسالة ايضا بكثير من التضحية والاختلاص ، ويرفع صوت العروبة عاليا مدريا دون أن يتراجع طوال حياته عن أهدافه القومية العليا أو



## الفتاوى الثانية في الذكرى السابعة عشرة

صادف يوم أمس الأول ٦ تموز - الذكرى السادسة عشرة لصرع الزعيم العربي عبد الرحمن الشهبندر وقد قصد في نفس اليوم الكثيرون الى ضريحه في مقام السلطان العادل صلاح الدين الأيوبي فوضعوا الأكاليل والورود على ضريح الفقيد واستمعوا الى ابي الذكر الحكيم ثم تلاوا الفاتحة عن روحه في موقف يسوده الجلال والخشوع . . وانفضوا من حول القبر سائلين للفقيد الكبير الرحمة الواسعة . وان يعوض الله على الوطن العربي بأمثاله من الزعماء المجاهدين الصادقين .

وقد كتب الينا دولة السيد حسن الحكيم بهذه المناسبة المقال الآتي :

في الذكرى الثانية عشرة لصرع الزعيم الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر تحدثت في جريدة الأيام الغراء عن براعته كطبيب ، وقدرته كخطيب ، وألمعيه كأديب وجهاده كزعيم خلق لخدمة الوطن وقيادة الجماهير . أما في ذكراه السادسة عشرة اليوم فقد رأيت أن أقصر كلمتي على ما كان يتحلى به الفقيد العظيم من صفات نبيلة في شخصيته وبيته وسياسته ، بعد ان صحبته في نضاله عشرين عاما تقذت خلالها الى روحه ، ووقفت على دجيله نفسه .

كان تعتمد الله بوسع رحمة مثلاً أعلى في منانة الخلق ، بأبي الكذب والمخادعة ، والتدجيل والمداينة ، ويكره ما يخرج عن قواعد البيل والشرف ، وكان متوقد الذهن دقيق الملاحظة طلق اللسان عذب الحديث ذا قدرة تنهم كل ما يحيط به ، يقرس في النفوس فيعرف مكان الضعف من

يقف في منتصف الطريق بالرغم من كل ما أصابه من سجن وتشريد واضطهاد وتغليب ، وكان رحمه الله يعلم حب الحرية كيف يغنيها فليهب المشاعر ، ويكتب ويخطب فيهر قصور الظلم ويستبسل في ساحات الجهاد لكي تتساقط عن وطنه ليالي الاستعمار ولكي يرى علم العروبة الخلفاء برفرف فوق دار العز واسعة النطاق .

ومن بواعث الاكبار لشخصيته الفذة حرصه الشديد على أداء رسالته القومية والفنية والأدبية أكمل أداء . فإناك إذا رأيت أعماله الخالدة في سبيل أمته وبلاذه حسبت انه تعهد هذه الرسالة وحده دون مشاركة أحد لآله فيها ، وإذا ردد من كتب لم الشفاء على يديه من مرضاه معجزاته في فنه خلت انه لم ينصرف في هذه الحياة إلا الى إتقان مهنته دون أي شيء آخر . وإذا طالعت ما دبرج براعه من مقالات علمية وأدبية وسمعت ما فاه به من خطب كلها بلاغة وفصاحة ظنت أنه لم يكن في دنياه غير العلم والأدب ، وقلت سبحان الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

فيا أيها الزعيم الخالد :

إن هذه الأمة التي جاهدت في سبيل حريتها بكبرياء وضحت من أجل ذلك بجائها ورجائها بسخاء الى أن من الله عليها - بعد جهاد شاق وطويل - بنعمة الاستقلال لو أقامت لك اليوم قتالا من الذهب وكتبت مدحك على أديم الأرض من أقصى شمال البلاد الى أقصى جنوبها لكان ذلك دون قدرك .

طيب الله مضجعك وسقى الغيث ثراك فقد أدبت الأماسة وبلغت الرسالة وأرضيت الله وأرضيت الوطن .

(دمشق الاثنين ١٤ شوال ١٣٧١ موافق ٦ تموز ١٩٥٢)

فخري واعتزازي شخصيا أنني كنت أجد فيه الأخ الأكبر الذي اقتبس من مواهبه ، والزعيم الفدائي الذي أسير تحت لوائه واهتدي بهديه ، فإذا بكنه الأمة فأثما تبكي فيه زعيماً كبيراً ثوراً بعمله وسمو مبدئه مركزه بين عظماء الرجال ، ومجاهدا كرميا خدلم بلاده بكثير من التضحية والتجرد والاخلاص .

أغلق الله عليه شآبيب رحته وأسكنه فسيح جناته وأحسن إليه بقدر ما أحسن لوطنه وأمته .

دمشق الجمعة ٢٧ ذي القعدة ١٣٧٥ الموافق ٦ تموز ١٩٥٦

حسن الحكيم

( نشرت في جريدة الأيام )

هذا ومكان القوة من ذاك ، وبالرغم من منزلته العلمية العالية ومركزه الوطني الكبير كان يفضل البساطة في كل شيء ، لا تهمه الشهرة ولا تجارمه الغرور ، ولا يعرف الاعلان عن نفسه .

صفاته في بيته :

وكان في بيته خير نموذج لأرباب الأسر ، يحترم زوجته احتراماً كلياً ويقدر مشاركتها له في جهاده ، وتعملها الاضطهاد في سبيله والعذاب في إدارة صفارده ، يجب أولاده حبا حبا يعمرهم بعطفه وحسانه ، ويحويهم بعنايته ورعايته ، يجلس ولأهم دائما على مائدة واحدة ، يلاظهم ويصانظهم بما يجب السرور الى نفوسهم ، ويزيد في حبهم لوطنهم واحترامهم لوالدتهم . وبذلك كانت السعادة العائلية ترفرف على منزله ، والهناء على أسرته كلما تسر له ان يلتقي بأفلاذ كبده .

صفاته السياسية :

أما في سياسته فكان طيب الله ثراه شديد التعصب لقوميته راسخا في عقيدته ، مؤمنا أئند الايمان بقضية بلاده ، مخلصا لها الى أقصى حدود الاخلاص ضليعا في دخالها وأسرارها مثابرا على أداء رسالته فيها ، لا تنتبه العقبات ولا يجامر نفسه بأس أو قنوط ، ولا يضعف من عزيمته فشل أو خيبة أمل ، يرسل صيحات العروبة ، في ما يكتب ويخطب ، ملوينة دون ان تهدف من وراءها الى غرض أو مطمح ، والغرض الوحيد الذي كان يسعى اليه بكل جوانحه هو خدمة وطنه وإعلاء شأن أمته هو رؤية علم العروبة الحقائق يرفرف فوق دار عز واسعة النطاق .

كان رحمه الله حر النزعة يجهر بما يعتقد حقا وصوابا ولو عصفت في وجهه الانتقادات وثارت زواجر المقامات . وكان أيضا واقفيا بعيدا عن الأفكار الخيالية والأحلام المبخنة ، لا يتم إلا بالواقع للموس ، والحقائق المجلوة ، وإن كان لا يقل صلابة عن سعد العظيم وضائدي الكبير في عصيان سلطة المستعمر وعدم الخضوع لها إلا قهرا ، وما دلم يعتبرها غير شرعية .

هذا غيض من فيض من صفات فريد الأمة والعروبة العظيم ومن بواعث

## المحاضرة الست عشرة في الزكري السابعة عشرة

إذا كنا نحمد الآباء والجدود ، ونبي على حامدهم الصحيحة ما ننشد من ارتقاء ونهوض فما أجدرنا بتمجيد من ناضل منا في سبيل حرية البلاد واستقلالها بكبرياء ، وضحي من أجل سعادتها وهنائها وسخائها ، وهذا ما يدعوني لأن أجد دائماً وأبداً ذكرى الزعيم الخالد المغفور له الدكتور الشهبندر ، وهو الذي وقف حياته وجهوده على خدمة أمته وبلاده وتحمل ما تحمل من الأذى والاضطهاد في أداء رسالته ، وإذا كنت تحدثت في ذكريات مضت عن عبقرية الفذة في علمه وفنه وأدبه ، وصادق وطنيته وتضحيته ، وعن صفاته النبيلة في شخصه وبيته وسياسته فمن الوفاء أن أنوه في ذكراه السابعة عشرة اليوم بزياره الكبيرة في زعامته .

كان طيب الله ثراه زعيماً يعمل للأجيال القادمة ، لا سياسياً يعمل للانتخابات القادمة وكان كبير الثقة بأمنه ، كبير الايمان بآضيها اللامع الذي لا يتطلع الدهر الى محوه لذلك كان على تمام اليقين بأنها على موعد مع المستقبل ، وأنها مصممة على انجاز هذا الوعد رغم طول المشقة ووعورة الطريق ، فصمم على القيام بواجبه نحوها ، وعلى التجرد للالتزامات التي فرضتها عليه عقيدته فيها ، فنبذ كل زعيم مخلص أطماعه ونذر هذه العقيدة نفسه ، ولم يتخذ العمل في سبيلها تجارة او لموا ، وقد أوجح اليه ثقل الرسالة بأن المعركة مع المستعمر الغاصب لا يمكن أن تدار من وراء المكاتب او بين جدران المنازل بل في ساحات الجهاد وميدانها الفسيح ، فتقدم الصفوف وصاح بأعلى صوته :

بي وطني : ان البلاد اصبحت هدفا يرمى وظيفته تقتسم ، وما لم نهرب

الدينية وذلك لأن الخروج على العقائد هو مثل امتحان حرمة التقاليد المقدسة يدعو إلى النفرة في سواد الشعب .

وإذا عدنا قليلا إلى الراء تبين لنا أن المغفور له كان أيضا من أصحاب الصرخة الأولى الذين هالهم أن تطوف الحرية بلاد العالم وتعتقل في ( بلذر ) وأنه كان يؤلف مع المغفور لم شكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وسليم الجزائري وغيرهم من الشهداء الأبرار أول كتيبة للأحرار وهي الكتيبة التي صارعت الاستبداد في حصنه المنيع وعلى رأس طاقته تاج الخلافة وبين شفثيه شقاء العباد وسعادتهم ، وهذا ما بين لنا عظم المصاب الذي حل بالبلاد بفقد هذا الزعيم الكبير .

وختاما إذا كانت كلمات الفقيد العالي تسم في جميع ما كتب وخطب - وما أكثر ما كتب وخطب - عما تفيض به جوارحه من حب لوطنه وإخلاصه لأمة فان كلماته الماثورة النبالية تدلنا على ما كان يتمر نفسه في ذات الوقت من اعتزاز بقوميته وعرويته ، وإيمان بوطنه ووحده ، وتمسك بدينه وعقيدته وبعد عن اليأس والقطوط في كفاحه وجهاده .

- الإسلام رجاء والقطوط ليس من ديننا .
- من يوجه نفسه إلى الله ويصلي بقلب ملؤه الإيمان لا يجوز له أن يقط .
- إن العقيدة لا تكون عقيدة إلا إذا كانت مخلصه لله
- من لا يحب وطنه لا إيمان له .
- البيت الذي ياتهم في سبيل الوطن هو شعلة نور وتوحيد في السماء .
- الأمة التي لا تستنق دمه في سبيل الوطن لا تستحق تقدير الوطن .
- نحن عرب قبل أن نكون سوريين .
- ليس لسوريا جدد أكيد وتاريخ حافل بالمآثر إلا من بعد الفتح العربي .
- مصر عربية كما هي سورية عربية ومن شرب ماء النيل كمن شرب من مياه بردى .
- الرحلة لا تقوم على اللباس إنما تقوم على وحدة القلوب .
- رابطة العروبة أقوى من أن تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يحمها .

جميعا للدفاع عنها كما فعل إبراهيم هنانو والشيخ صالح العلي ويوسف العظمة، قبلا وكما يفعل سلطان الأطرش الآن ، كانت النتيجة كفرا بنعمة الوطن وخلودا في جحيم الاستعمار ، والربيل لن يحمده في مكانه فلا يتحرك ، والحزبي والعار لن يخطو إلى الراء ويقف في منتصف الطريق ، ارفضوا كل خضوع وانقياد لأي شعب لا يشارككم في روابطكم القومية ، وكوّنوا صفّا واحدا ولا تفرقوا فتصابوا بالضميم .

هذا وكان رحمه الله يرى الصلابة في الحق لا تعني المناد المقيم والاكسار على الصخر وأن التشدد الأعمى شيء والكياسة شيء آخر وأن المظالم والغلاظة في الطابع تدعو إلى الانقراض من حول الرعاء ولو كانوا في مقام الأنبياء .

وكان يرى أننا الزعيم الذي يستحق الناس كثيرا ، أو يقصر عنهم كثيرا ، يقطع أواصر الاتصال بهم ، وأن لا يخطر على الزعيم مثل أن ينتزل في أفكاره تنزلا مغرطا لاسترضاء الغوغاء واستجلاب الدهماء ، لأنه يعرض بذلك نفسه لاستخفاف أهل الحل والعقد ، على أن هذا لا يمنع الزعيم في نظره من أن يكبح جماح تطرفه نجينا لإحداث هوة بينه وبين سواد الشعب ، وإذا كان الرعاء السابقون لأوانهم ارتضوا أن يجففوا من غلوائهم قليلا ويقصروا من خطاهم ليسيروا أمام الشعب وعلى اتصال به فستان بين من يجفف خطاه نستطيع العامة أن تلحق به فتشمي وراه ، وبين من يتقهقر فيشمي وراه العامة .

وكان يقول : على الزعيم أن يتمسك بعقيدته الوطنية تمسكه بعقيدته الدينية المقدسة وأن لا يضمّر في معالجة قضية بلاده شيئا ويظهر شيئا آخر ، إذ يمثل هذه الصراحة وحدها يثبت إخلاصه لبلده ، وثقانيه في حسن أداء رسالته ، ويضمن ثقة الناس به وتأييدهم له ، كما عليه أن يستعد لبذل العالي والرخيص في سبيل تلك القضية وإلا حرم من الثابتين على ولائه الثقاتين بقوله ، ومن خصومه تدبير الحملات عليه .

وكان يقول فرق هذا وذاك أن الوطنية الصادقة توجب على من يتوددون للشعب - لا سيما التي فيها نزعة روحية ظاهرة - العناية بالمحافظة على العقائد

## السلامة العراقية في الأمم المتحدة

نشر فيما يلي الكلمة التي أرسلها النيا صاحب الدولة السيد حسن الحكيم وقد وعدنا بنشرها أمس وهي تتصل بذكرى الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بمناسبة مرور ثمانية عشر عاما على مصرعه . . . نغمده الله برحمته ، وأجزل ثوابه :

كلما مرت الأيام وتعاقت السنون على مصرع فقيد العروبة المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ازدادت في أعين العاملين المخلصين عظمته في عبقريته وزعامته ، وعظمته في اللذب عن حقوق وطنه وإذا كنت أُنشد في ذكراه كل سنة بناحية من نواحي هذه العظمة فقد رأيت ان أنشر في ذكراه العطرة اليوم تلك القصيدة المصممة التي تلاها السيد عبد الحسين الأزري في الحفلة التي أقامها لنا أهالي الكاظمية الكرام في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول عام ١٩٢٦ وحضرها لفيف كبير من عليّة القوم وأعيان البلاد وعلى رأسهم المغفور له جعفر باشا العسكري رئيس الوزارة العراقية إذ كنا آنذاك وقدنا يطوف أرجاء العراق ، ويدعو لتأليف لجان تقوم لتكويب الثورة السورية بجمع التبرعات .

وهي القصيدة التي تفيض بأنبل العواطف والترحيب بالزعيم الخالد ، وتنفتح بأسمى آيات الإعجاب والتمجيد بإيمانه القوي بقضية بلاده وإخلاصه الأكيد لها ، وبجهاده الصادق وكفاحه المرير في سبيلها .

وإذا كان ناظم هذه الحريدة صممها في نفس الوقت وصفا لما يعنيه المستعمر الغاصب على الشعب السوري الأمن من وبيلات وشتائف فقد

- خير لنا ان نفارق متحدين من أن نغوم متفرقين .  
ليغفر الله للذين لم يقدروا هذا الشهيد المجاهد والزعيم الخالد والبعثري الفذ حق قدره وليسامح الذين كلما قام فينا زعيم خلاص سمعوا لتتكيس علمه .

دمشق السبت ٨ ذي الحجة ١٣٧٦ الموافق ٦ تموز (يولي) ١٩٥٧ .

حسن الحكيم

نشرت في جريدة الأيام

واللود من عاداته والطلم من  
فلذا بهضت وكنت أنسج ناهض  
لرد مفتتا وتصلح فاسدا  
حق وثبت هم ومالك حيلة  
من مبلغ نبرون جلق انه  
الجيش كل من اقتراف ذنوبه  
والسجن غش من اردحام برانه  
واكتظ سطح الأرض من افلاله  
ما كل شعب هن اذلاله  
لا يستب الأمن في سفاك الدماء  
أعصابه بجثث أم هي عصية  
وحقيقه هي يا نرى أم أن من  
أين الكفاءة وقد غرث  
جذع جا نال اللثيم مراره  
من أخذ بيد الضعيف وضعفه  
وإذا رأيت مذبذبا بجثاته  
ليلاه لا يفرق بشوة جلته  
والغرب ما وسع البسطة رجه

أذابه والمذل من  
يلقي على الأسماح فصل خطابه  
غرا وزشد عطفنا لصوابه  
فالليلت راح مزيترا في غابه  
قد جاز بالارهاق حد نصابه  
والسيف مل من اعتناق رقايه  
وتنفس الصمء وسع رحابه  
وغول السراق من أسلابه  
تبي سياسته على إرهابه  
ما لم يقم عدل على استيابه  
تكفي نماج الشرق شر ذبايه  
قبل اليصاة هو الذي أوصى به  
ذا في عقاله وذاك يشابه  
والخديع يأتي البيت من أبوابه  
ذنوب به مستوجب لعقابه  
فاعلم بأن الجهل أصل عذابه  
يوما ولم يجده في سرايه  
والشرق لم يملك سوى القبايه

عبد الحسين الأري

كان كبير الثقة بأن الأمة العربية التي امتازت بحيويتها وخصائصها لا يمكن  
ان تنام على ضميم ، وإن لم يخف ما في نفسه من ألم من داء الشرق الذي هو  
سبب بلاءه وشقائه في كل قطر من أقطاره .  
أكرم الله مشرى الفقيد الكبير وأغداق عليه شأبيب رحته .

#### بيع الضمائر فيه رأس خرابه

حياك وادي الرافدين ما به من سهله وحزونه وشمايه  
ومعاهد الآثار فوق تلاله ومشاهد الماضين تحت قبايه  
والساكنون على ضفاف ميميه من شبيه وكهوله وشبايه  
والعشاريون على كمر ضيوفه تلك القباب السود من أنوابه  
وجلال عاصمة الخلافة والذي سجدت ملوك الأرض في أعنابه  
وذود النهى والرأي من أشياخه وذود البلاغة فيه من كتابه  
كل تراه مرجا بك مهم يستعرض الألام في ترحابه  
فحباك في اكرامه وراك من احراره ودعالك من أقطابه  
يا قادما والمزم ملء فؤاده لا عين والخرم ملء أعنابه  
ومجاهدا في اللذب عن أوطانه ما حالت النكبات دون وطابه  
البيد لا يتبعه قطع وهادها والبحر لم يزعجه خوض عبايه  
طورا تساوره الموم فيثني لللافق يسأل ما وراء حجابه  
وترده الأمال عبا تارة في قومه فيبحث سير ركايه  
إني أقول اليك غير مهون خطبا تجرعتم مرارة صابه  
لكن عرواني بعض ما بك والضئى يدعو المصاب به ال استطابه  
ل ينفرد في الشرق ففرك وحده بجميع ما شخضت من أوصابه  
فالداء حيث نزلت داء واحد إذ أنت أدري الناس في أسابه  
وأشد فكنا ما تراه وتوطن بيع الضمائر فيه رأس خرابه  
حب المظاهر في تنوس رجاله وتلون الحرباء في أحزابه  
ما بين متنون. وآخر طامع ما بينه غير امتلاء وطابه  
عقلي تتأنج ما حتى من سعيه يا خيبة الأمال في أنمايه  
كم يحرم في النجوم ظاهره التقى والجرم مستر وراء شابه  
ان البلاد وإن أضاع شقايقها مجد طواه الدهر في أحقابه  
سيمود رغم الطامعون وانجي منه على ثقة بقرب آيايه  
جسم المروية لا ينالم على قدى ما دام روح النلر في جلابه

## الصحابة الخائصة في الزكريات والشمس هجرة

طالعت في جريدتي الأيام وحقوق العرب الكلمة المفعومة بالألم والأسى التي كتبها المجاهد الوطني الكبير الاستاذ نزيه المؤيد العظيم بشأن الزعيم الخالد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر واهمال ادارة التلفزيون تجريد ذكره في برنامج الاعلام أسوة بغيره من القادة والزعماء والمجاهدين .

هذا ومع ان بطل حملة راشيا يعلم حق العلم أن من عيوبنا اساسا أننا كثيرا ما نحارب العاملين المخلصين في الحقل القومي وكثيرا ما نسيء اليهم ونكس اعلامهم أيام حياتهم ، وقد لا نذكرهم بخير حتى بعد عافيتهم ، في حين نرى الأمم الحية تكرم أمثال هؤلاء الرجال وتقري محامدهم وهم على قيد الحياة ليزيدوا من نشاطهم في خدمة أمتهم وبلادهم ، ونقيم لهم النماثيل وتسمي المعاهد والشوارع بأسمائهم واعترافا بفضلهم وتخليداً لذكراهم ، فقد هاله وهو الذي خاض معارك الثورة في قرى الجبل والفرطة ووادي التيم وغيرها وكان مضرب الأمثال في شجاعته وإقدامه وعرف عن كتب جهاد الشهبندر في الثورة وقبل الامثال في شجاعته وإقدامه وعرف عن كتب جهاد البرنابج أسوة بغيره فراح يعرب بتلك الكلمة المكملة عن عميق آله ، على أن إهمال ادارة التلفزيون الاشارة بجهاد الدكتور وإن لم يكن معتمدا على ما اعتقد فإنه تقصير لا يعني المسؤلين من المسؤل في الأدبية أمام التاريخ وإن كان هذا التقصير لا يضير الزعيم الكبير على أي حال في قليل أو كثير ، فالتاريخ سجل للشهبندر العالم العامل والمعقري الفذ والخطيب الذي طالا هزت المنابر طلعت المشرقة في حياته الخصبية والقوية كما سجل جهاده الوطني الصادق وما أصابه من جراء ذلك من سجن واضطهاد وتشريد ، ووضعته في

٤- وإذا عدنا قليلا الى الراء تبين لنا فوق هذا وذاك انه كان وانخرواه

المغفور لهم شكري المسلي وعبد الراهب الانكليزي وسليم الجزائري وغيرهم من الشهداء الأبرار أول كتيبة للأحرار وقد هالهم ان تطوف الحرية بلاد العالم وتعتقل في ( بلذر ) فصارعوا الاستبداد بحصنه النسيج وعلى رأس طاغيته تاج الخلافة وبين شفثيه شقاء العباد .

نعم هذا بعض ما قدم الزعيم الخالد لامته وبلاده من خدمة ، واني على مثل اليقين بأن فضامة الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية المعظم الذي يكن له بالبح التقدير وعظيم الاحترام والذي لم يبال جهدا في تكريم المجاهدين ، لا بد وان يأمر بتلافي ما وقع بحق فقيد البلاد الكبير من تقصير ، والله من وراء القصد .

( دمشق الخميس ٨ شعبان ١٣٧٢ / ٣ كانون الثاني ١٩٥٣ ) .

( حسن الحكيم )

نشرت في جريدة الأيام

مركزه اللائق بين عطاء الرجال ، وحسب الشهيدين :

١- أنه كان من أصحاب الصرخة الأولى في حادث المسر كراين ولا يقص على احتلال الفرنسيين البلاد أكثر من عشرين شهرا وأنه حكم عليه بالسجن ٢٠ عاما قضى منها في سجون دمشق وبيت السدين وراود تسعة عشر شهرا .

٢- انه نبذ ككل زعيم يخلص أطماعه ونذر لمقيدته الوطنية نفسه فلم يتخذ العمل في سبيلها تجارة أو طوا وقد أوحى اليه سمو البدأ ونقل الرسالة بأن المعركة مع المستعمر الفاضب لا يمكن ان تدار من وراء المكاتب وبين جدران المنازل ، بل في ساحات الجهاد وميدانها الفسيح ، فما ان نادى منادي الثورة حتى كان أول من لبى هذا النداء وأول من تقدم الصفوف وهو يصبح بأعلى صوته :

بني وطني ... ان البلاد أصبحت هدفا يرمى وغنيمة تقسم ، وما لم نهب جميعا للدفاع عنها كما فعل الشيخ صالح العلي وبرايمهم هنانو وديوسف العظمة من قبل وكما يفعل سلطان باشا الاطرش الآن ، كانت النتيجة كفرا بنعمة الوطن ، والويل لمن يحمد في مكانه والخرى والمادر لمن يخطو الى الراء او يقف في منتصف الطريق ، ارفضوا كل خضوع وانقياد لأي شعب لا يشارككم في روايتكم القومية كونوا صفا واحدا ولا تفرقوا فعضابوا بالضميم .

٣- انه كان الزعيم السياسي للثورة ، كما كان البطل الكبير سلطان باشا الاطرش القائد الأعلى لها وانه كان ينفذها بعقريته وبما يلهم في صدور رجالها من روح الحماسة وما يقوم به من خدمة انسانية في مداواة الجرحى ومواساة المنكوبين وغير ذلك ، وانه لم يغادر ميدان الجهاد إلا بعد ان احل العدو بقواته الكبيرة السويداء وتغلغل في مفارق الجبل ومعاقل الغورقة وبعد ان بدأت قوات المجاهدين تتضخم .

وانه بقي بعيدا عن وطنه مدة اثني عشر عاما نتيجة الحكم عليه بالاعدام .



# المذكر

|     |  |
|-----|--|
| ٥   | الإهداء                                      |
| ٧   | توطئة  |
| ١٣  | أقوال في الزعيم شهيد                         |
| ١٧  | الفصل الأول: نبذة عن حياة الزعيم             |
| ٢٧  | الفصل الثاني: من آثار الشهيد الفكرية         |
| ٢٩  | صفحات مطوية من الثورة العربية                |
| ٤١  | فيصل بن الحسين                               |
| ٥٥  | الوحدة والتجربة                              |
| ٦٣  | هل يتاح للشرق أن يستعيد مجده؟                |
| ٧٣  | في مضارب العرب                               |
| ٨٥  | الفضحك والبكاء، تعليلهما ومغزاها             |
| ٩٥  | الرأي العام الناضج                           |
| ١٠٣ | لو استقل العالم العربي                       |
| ١٠٩ | الفصل الثالث: من خطب الشهيد                  |
| ١١٧ | أهل بدر في إيران                             |
| ١٢٣ | تتويج الأمير فيصل ملكاً                      |
| ١٣١ | الخربة في تاريخ البشرية هي المثل الأعلى، نحن |
| ١٣٧ | عرب قبل أن نكون سوريين                       |
| ١٤٣ | إني أتيت لتأليف امبراطورية التاريخ والخصارة  |
| ١٤٥ | الوحدة لا تقوم على اللباس بل على الإيمان     |
| ١٤٥ | حرام على الأمة أن تخضع للجزيرة               |

|     |   |
|-----|---|
| ٢٨٨ | قصيدة فؤاد باشا الخطيب                                  |
| ٢٩١ | كلمة محمد كرد علي                                       |
| ٢٩٥ | كلمة حليمي عيسى باشا                                    |
| ٢٩٧ | كلمة محمود البسبرني                                     |
| ٢٩٧ | كلمة عباس محمود العقاد                                  |
| ٣٠٣ | الجمعية ترددها الاداعات والصحف                          |
| ٣١١ | الفصل الثامن: الفتاة أمام العدالة                       |
| ٣٢٥ | المراسرة  |
| ٣٣٧ | الدفاع  |
| ٣٣٩ | مراقبة الاستاذ القضائي                                  |
| ٣٨١ | مرافعة الدكتور منير العجلاني                            |
| ٣٩٩ | كلمة القضاء   |
| ٤١٣ | قرار الحكم  |
| ٤٢٧ | الفصل التاسع: أعداء الشهيد بلا تورع                     |
| ٤٣٧ | وأيضاً يقولون   |
| ٤٤٥ | الفصل العاشر: حول المعاهدة                              |
| ٤٦٧ | الفصل الحادي عشر: المقالة الأولى في الذكرى الثانية عشرة |
| ٤٦٩ | المقالة الثانية في الذكرى السادسة عشرة                  |
| ٤٧٣ | المقالة الثالثة في الذكرى السابعة عشرة                  |
| ٤٧٧ | المقالة الرابعة في الذكرى الثامنة عشرة                  |
| ٤٨١ | المقالة الخامسة في الذكرى الثالثة عشرة                  |
| ٤٨٥ | الفهرس  |

|     |  |
|-----|--|
| ١٥١ | لقد ذهبنا الى الشاطئ مسلمين ونصارى في سبيل العروبة |
| ١٥٩ | إنني من الكتلة ولست من حزب الكتلة                  |
| ١٦٣ | من أقوال الزعيم للثورة                             |
| ١٦٩ | الفصل الرابع: العودة من المنفى عودة إلى الجهاد     |
| ١٧١ | بحر آخر من الخلائق يستقبل الزعيم شهيدنا وإخوانه    |
| ١٨٢ | خطاب لطفلي الحفار                                  |
| ١٨٣ | خطاب الزعيم  |
| ١٨٧ | طاقات الزهور تقدم للزعيم                           |
| ١٩٣ | الفصل الخامس: الجهاد والثورة ١٩٢٥                  |
| ١٩٥ | مشروع معاهدة ١٩٣٦                                  |
| ١٩٧ | كيف قوبلت معارضتها في سورية                        |
| ١٩٩ | عرب المعاهدة المشتركة                              |
| ٢٣١ | الفصل السادس: اغتيال الزعيم                        |
| ٢٣٣ | الوطن النديم                                       |
| ٢٣٧ | موجة من الحزن تغمر دمشق لقتل زعيم البلاد           |
| ٢٤٥ | مات عبد الرحمن شهيدنا                              |
| ٢٤٧ | مركب تشييع جثمان فقيد العرب                        |
| ٢٤٩ | كلمة الشعب   |
| ٢٥١ | تشيع الراحل الكبير                                 |
| ٢٦٥ | الفصل السابع: ثابن الشهيد، وصف شامل                |
| ٢٦٥ | لهرجان الأربعين الكبير                             |
| ٢٦٧ | رثاء الزعيم من زعماء الأمة وقادتها، كلمة           |
| ٢٦٧ | سمو الأمير عبدالله بن الحسين                       |
| ٢٧٨ | كلمة الرئيس هاشم الأناشي                           |
| ٢٧٨ | كلمة سلطان باشا الأطرش                             |
| ٢٧٩ | كلمة البطيريك طحان                                 |
| ٢٨٠ | كلمة زكي الخطيب                                    |
| ٢٨١ | كلمة البطيريك عريضة                                |
| ٢٨١ | كلمة النقي المحاري                                 |
| ٢٨٥ | رأية عمر أبو ريشة                                  |